الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

Twitter: @alqareah
10.4.2015

تشارلز بلغرينو

القطار الأخير من هيروشيما

الناجون ينظرون إلى الخلف

رواية

@ketab_n

القطار الأخير من هيروشيما

THE LAST TRAIN FROM HIROSHIMA

الناجون ينظرون إلى الخلف

تشارلز بلغرينو

Charles Pellegrino

ترجمة

مروان سعد الدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

Twitter: @alqareah

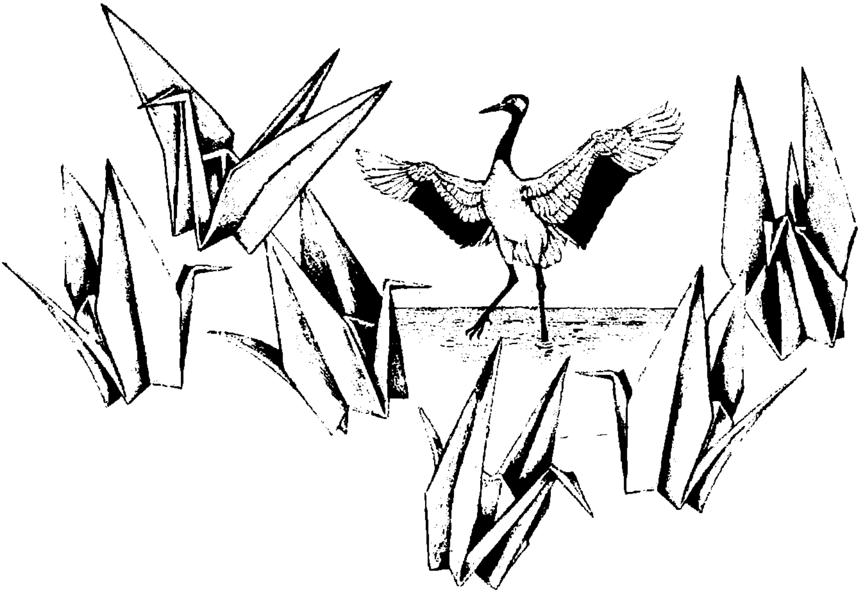

Twitter: @alqareah

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE LAST TRAIN FROM HIROSHIMA
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Henry Holt and Company LLC
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2010 by Charles Pellegrino
All rights reserved
Arabic Copyright © 2010 by Arab Scientific Publishers. Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ردمك 978-614-01-0185-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

Twitter: @alqareah

إلى طفل الغد

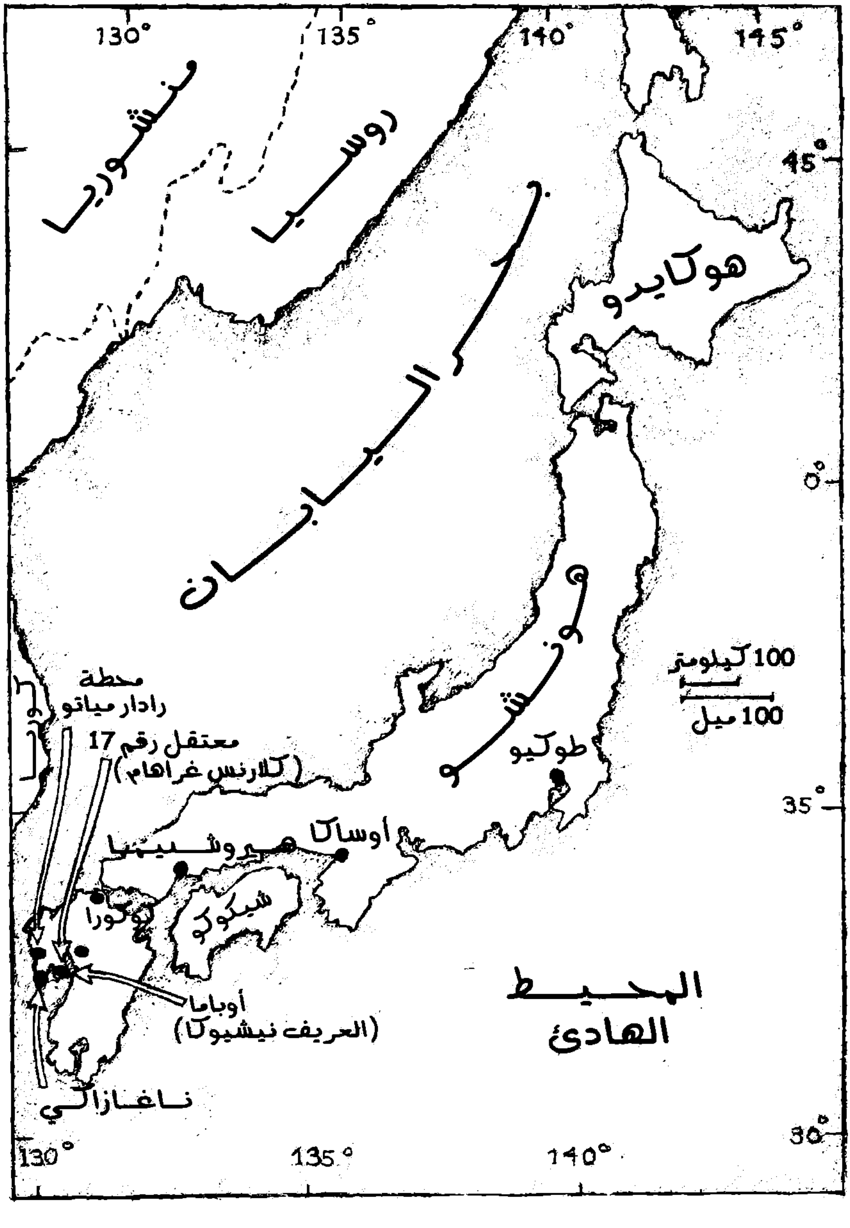

130°
135°
140°
145°
منشوريا
روسيا
بحر اليابان
هوكايدو
45°
40°
هونشو
100 كيلومتر
100 ميل
طوكيو
35°
أوساكا
هيروشيما
محطة
رادار مياتو
معتقل رقم 17
(كلارنس غراهام)
فوكورا
شيكوكو
أوباما
(العريف نيشيوكا)
ناغازاكي
المحيط
الهادئ
30°
130°
135°
140°

يبقى الجدال المتعلق بضرورة إلقاء القنبلتين النوويتين فوق هيروشيما وناغازاكي خاصاً بزمان آخر وأشخاص آخرين.

هذه ببساطة قصة ما حدث للبشر والحجر تحت القنبلتين، وقد كتبتها على أمل ألا يموت أحد قطّ بهذه الطريقة مجدداً.

مع اقترابنا من شفا هاوية الانتشار النووي المنفلت من أي ضوابط حتى الإرهاب النووي، يجب أن نتذكر أن هيروشيما وناغازاكي تمثّلان قوة الأسلحة الأشد فتكاً التي سنراها في حياتنا على الأرجح. ربما يكون الأمل بعدم تكرار ما حدث سابقاً ضئيلاً فعلاً، لكنني لم أعرف قطّ أن الأمل على عجلة من أمره.

ملحوظة: لأن العديد من الأسماء التي تظهر في هذا الكتاب تتشابه تماماً وقد تبدو متطابقة، فقد ضمّنت ملخّصات موجزة مرتّبة أبجدياً عن سير حياة شهود العيان الرئيسين في هذه الحكاية لتكون مراجع تاريخية، ابتداءً من الصفحة 321. ظهر مصطلح **أرض الصفر** مع هيروشيما وناغازاكي، ويشير إلى المنطقة التي تُسوّى مبانيها بالأرض، ويصل معدل الوفيات فيها إلى 85 بالمئة أو أعلى من الأشخاص غير المحميين الذين يقفون في العراء. في هيروشيما، كان شعاع نصف قطر **أرض الصفر** أكثر من ميل.

Twitter: @alqareah

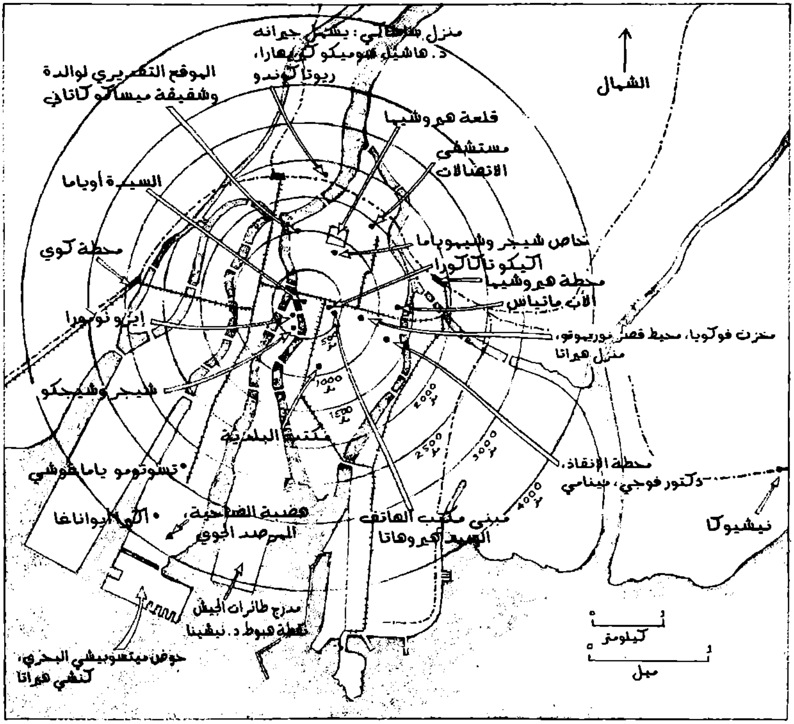

مدينة هيروشيما، يظهر فيها الناجون الرئيسون ومواقعهم في لحظة الصفر. لاحظ أن بعض الأسماء، ومن بينها كنشي هيراتا، وميساكو كاتاني، وتسوتومو ياماغوشي، تظهر أيضاً على خريطة ناغازاكي. إنها أسماء الأشخاص الذين انتقلوا، بعد نجاتهم من القنبلة الذرّية الأولى، من محطة كوي في هيروشيما إلى ناغازاكي، وأصبحوا ناجين مرتين على نحو غامض في التاريخ من القنبلة الذرّية. (باتريشا واين).

مدينة ناغازاكي، يظهر فيها الناجون ومواقعهم في لحظة الصفر. (باتريشا واين).

Twitter: @alqareah

مقدمة

كان تسوتومو ياماغوشي رجلاً رأى الغضب والكراهية في آخرين وحاول أن يعالجهما، رأى الجهل وحاول أن يستبدله بالحكمة، رأى درب اليأس وحاول تثبيت أولئك الذين يسيرون عليه بالأمل.

عرفتُ السيد ياماغوشي وقتاً قصيراً فقط، لكنه أثبت أن كمّ أفكار المرء ليس مقياساً لقدرته على التعليم. إذا استطاع رجل نجا من التفجيرين النوويين في كل من هيروشيما وناغازاكي الخروجَ من ذلك الرعب الهائل معتقداً بنبل الحياة، فعندها يمكن لأيٍّ منا فعل ذلك. مقتدياً بذلك المثال، كان يظّن أنه إذا استطاع جزء صغير من الإنسانية أن يبدأ بوصية بسيطة - كن لطيفاً - يمكن لمثل ذلك السلوك أن ينتشر مثل فيروس من شخص إلى آخر، وربما يغيّر في نهاية المطاف حياة شخص قد يفعل بخلاف ذلك شيئاً رهيباً في المستقبل.

كان يظنّ أيضاً أن الناس، المزيد منهم، قد أصبحوا راضين عن أنفسهم في نحو عقدين منذ كانت سياسة شفير الهاوية النووية المرعبة على نحو متزايد بين الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات السوفييتية قد انتهت. كانت حالة من فقدان الذاكرة قد بدأت تؤثر في الحضارة: فقدان ذاكرة خطرة جداً يبدأ الناس بسببها نسيان ما تفعله القنابل الذرّية حقاً، وأصبحت عبارة «اضربوهم بقنابل ذرّية» في أنحاء العالم وبلغات عديدة تتوارد بوتيرة متزايدة. أدرك ياماغوشي أنه إذا لم تتذكر البشرية قريباً، وتتعلم عاجلاً أن «اضربوهم بقنابل ذرّية» كانت أسوأ لعنة يمكن لإنسان أن ينطقها ضد مجموعة أخرى من البشر، فقد تصبح الحضارة كلها على متن القطار نفسه الذي كان قد استقلّه من هيروشيما نحو شيء أسوأ.

Twitter: @alqareah

في أثناء الأسابيع الأخيرة من حياته، نقل تسوتومو ياماغوشي المشعل إلى مجموعة صغيرة لكنها ملتزمة من صانعي الأفلام والمؤلفين، وتلقّى عهداً أنهم سيحذون حذوه، ويعلّمون.

منح الأربعة، بخط يده الجميل، قصائد تانكا تخلّد تجربته تحت القنبلتين. ومنح أحدهم لوحته عن تمثال ماريا في كاتدرائية يوراكامي التي يبدو وجهها باكياً وشبه ذائب، وقال: «لا يزال هناك وقت لمنع هذا من الوقوع مجدداً». عبّر السيد ياماغوشي لصانع الأفلام جيمس كاميرون عن اعتقاده أن هناك على ما يبدو عروة روحية سابقة بينهما وأنه مقتنع أن في مقدوره رؤية ما بداخل قلب صانع الأفلام، ومنحه لوحة تنين قال إنه يجب تثبيته من قرنيه. كان يمثّل تنين ياماغوشي الداخلي: التنين الذي كان يصارعه ويرسمه كل يوم، معبراً عن اليأس الذي شعر به عندما أصيب ابنه، مثل عدد كبير من الصغار الذين تعرّضوا للقنبلتين (معظمهم في الواقع)، بالسرطان وتوفي قبل أن يبلغ الستين.

من أجلي، كان قد انتقى أحدث لوحاته عن شلال، مع رسالة مرفقة بها، تشير على نحو مبهم إلى أنني سأحتاج قريباً إلى التماس سكون المياه؛ وعاجلاً.

كانت العاصفة قادمة.

بعد أسابيع عدّة فقط، في 4 كانون الثاني 2010، تلقيت نبأً من صديقي هايدو ناكامورا أن السيد ياماغوشي قد توفي. ثم هبّت العاصفة في شباط. زوّدني أحد مراسلي نيويورك تايمز بدليل أن أحد الملاحين الذين كنت قد التقيت بهم من أجل النسخة الأولى من هذا الكتاب لم يكن على ما يبدو عليه. واضحٌ أن المخادع قد استفاد من ثغرات عدّة في أرشفة وثائق 1945 التي لا تزال متوافرة، وفيها أخطاءٌ نُقل فيها أشخاص من طائرة إلى أخرى وأن قنبلة ناغازاكي قد أُلقيت، وفقاً للسجلات، من الطائرة الخطأ. بالاستفادة من هذه الخلفية، ضخّم أحدهم سيرته الذاتية بوضع نفسه على نحو زائف مكان رجل آخر، على متن طائرة التصوير

المرافقة في مهمة هيروشيما، نيسيسري إيفل.

هـذه بوضـوح غلطـة كان يجب أن أنتبه إليها قبل وقت طويل. لم يكـن مهمـاً أن الرجـل الـذي أتكلم عنـه كان يمتلك مئـات الصور، مع الوثائق والشهادات «الصحيحة» (فيها صور حقيقية لتلك المدة للشخص المعنـي فـي نهاية أحد مـدارج تينيان توثّق عمليات القصف الأخيرة في 14 آب 1945؛ وصـور جوّيـة لهيروشـيما قبـل ذلك، فـي 6 آب وبعده؛ وصورة لإحدى الطائرات وهي موضع الخلاف، ويظهر فيها مع رجال آخرين يقفون بلباسهم الرسمي تحت مقدمتها - وواضح أنه كان الرجل نفسه الذي يظهر في صورة زفافه بعد سنة - وأخيراً، رسالة من الرئيس ترومان). لا أهمية لحقيقة أن جوزيف فوكو كان محارباً قديماً وإطفائياً؛ لأن ذلك لا يشفع لي من أجل التخلي عن الحرص وتدقيق ما أعرفه، وانتهى الأمر أن أثق به 100 بالمئة. ونتيجة لالتزامي سـرد التاريخ على نحو صحيح قدر استطاعة البشر، لم يكن عليّ أن أثق بأي شخص قابلته 100 بالمئة. كانت نتيجة هذا أن بعض التاريخ من وجهة نظر أشخاصٍ أميركيين في النسـخة الأولى من هذا الكتاب مجرد وهم. أحمّل نفسـي مسؤولية هذا الخطأ أكثر من المحارب القديم الذي سرد القصة.

كان طبيعيـاً أن يُحـذف كل مـا قالـه هـذا «الشـاهد» أو دلّ عليـه ضمنـاً، بغـض النظـر عن توافقه مع حـوادث تاريخية أكّدها آخرون، من هذه النسـخة وتُسـتبدل به مادةٌ تعيد، أولاً وقبل كل شـيء آخر، الرجل الـذي كان يجلـس فعـلاً على مقعد مهندس الرحلة على متن نيسيسـري إيفل إلى مكانه الطبيعي في التاريخ.

فـي مـا يتعلـق بالرجـل الـذي ضخّـم سـجّله فـي الحـرب، كانت مجموعـة القيـادة 509 قـد عبّرت على نحو مفهـوم عن غضبها وبغضها الشـديدين لذلـك الأمـر. لـو أنني لم ألتقِ قط تسـوتومو ياماغوشـي (أو ماسـاهيرو سـاسـاكي، أو بعـض الحكمـاء الآخريـن الذيـن خرجـوا من الأنقاض)، لربما كنت انحدرت أنا أيضاً نحو الكراهية.

Twitter: @alqareah

هذا ما أظن أن السيد ياماغوشي أراد منا التفكير فيه بشأن جوزيف فوكو: لقد عرفت من ابن السيد فوكو، وهو ضابط شرطة يمتلك خبرة في التعامل مع المخادعين (الذين سرعان ما يظهر التناقض في قصصهم)، أنه لم يكن هناك، وفقاً لما يستطيع أن يتذكّره، أيُّ تناقض قطّ في قصة والده. كانت زوجة جوزيف فوكو «تعرف» من بداية 1945–1946، على الأقل، أن زوجها قد طار على متن إحدى الطائرات المرافقة في مهمة هيروشيما.

تعرّض جوزيف فوكو، بعد يوم من لقائي الثالث معه عام 2008، لأزمة قلبية مفاجئة وقاتلة. عبّر العاملون في فوج الإطفاء، وقسم الشرطة، والجيش، ومئات الأشخاص الذين حضروا واحدة من أكبر الجنازات التي رأيتها في حياتي عن حبّهم الشديد للرجل. كان هناك مراهقون تعرضوا لمتاعب من قبل ومصيرهم يبدو مرتبطاً بالسجن، الذين ساعد جوزيف فوكو على إصلاحهم. لن يعرف أحد منا أبداً هل كذب عليّ متعمداً عام 2008؛ وأجد صعوبة في تصديق أنه فعل ذلك. كان الرجل الذي التقيت به في ذلك الوقت يعيش مكرساً حياته للآخرين. ووضع نفسه في مهمة لم يحلّق بها قطّ (وجمع واعياً وثائق مقنعة طوال كل تلك السنين)، وبالرغم من حقيقة أن هذا سيُعدّ عملاً وضيعاً، إلا أنني أرغب أن أصدّق – ويجب تقريباً أن أصدّق – أنه بحلول 1955، وربما عبر ذاكرة متغيّرة، تحوّل ما بدأ بصفته كذبةً إلى حقيقة السيد فوكو.

سألت نفسي: ماذا كان السيد ياماغوشي سيفعل؟ وفضّلت أن أفكّر في جوزيف فوكو على أنه رجل خدم بلاده في وقت الحاجة، واستمر في خدمتها بعد الحرب بصفته إطفائياً.

هل يستطيع آخرون تبنّي وجهة نظر ياماغوشي؟

مع كشف كل يوم ينقضي أن حادثة فوكو ليست إلا بداية العاصفة، نقلت لوحة السيد ياماغوشي إلى مكتبي، وأبقيتها قريبة مني. بدا أنها تمدّني بالراحة سواء أكان ذلك بقوة الإيحاء أم بغيرها، وبدأ ناشري

Twitter: @alqareah

يتلقّى سيلاً من رسائل غضب، من مجموعة القيادة 509 وكل اتجاهات البوصلة الأخرى تقريباً. بدا القسم القانوني محتاراً بشأن ادعاءات عدّة أنني قد اخترعت قصصاً عن مرض الإشعاع وزدت عدد وفيات السرطان في هيروشيما وناغازاكي. وقد تمّ الإصرار في رسالة علمية واحدة بدت موثّقة أن القنبلتين الذرّيتين صُممتا لتبديد كل إشعاعاتهما عالياً فوق الأرض، وأن وصفي تأثيرات الإشعاع في السكان المدنيين كانت خدعة.

لم أكن أدرك سابقاً أن هناك أشخاصاً ينكرون وجود الإشعاع، أو أن أشباه محامين يمكن أن يمنحوهم نانوثانية من المصداقية. عندما كنت أقدّم الوثائق التي تجيب عن هذه القضية، جاءت رسائل تشير إلى ما كان أساساً خطأً مطبعياً (جملة اعتراضية غفلت عنها كان يجب أن أذكرها في قسم شكر وتقدير). أُسيء استعمال الإغفال على أنه أساس للادّعاء أن كاهنين ذُكرا في النسخة الأولى كانا من نسج الخيال. لا أحد في هذا الكتاب من نسج الخيال؛ ولهذا السبب بقي الكاهنان في هذه النسخة. يمكن العثور على اسم الكاهن الذي أشرت إليه بالأب ماكويتي في أقسام شكر وتقدير كتب أخرى، بصفته أحد يسوعيَّين كان اسمهما قد تغيّر. يستطيع من يقرأ أشباح فيزوف أن يدرك بسهولة لماذا كان الأب ماكويتي قد طلب تغيير اسمه. كما أُوقف الأب ميرفين فيرناندو مؤقتاً عن عمله حتى أنكر علانية تصريحاته. في قسم شكر وتقدير من النسخة الأولى من هذا الكتاب، أغفلت ذكر أنني غيّرت اسم الأب ماكويتي. كان تفسير ناشري القانوني لهذا السهو أنني يجب أن أكشف اسم الكاهن الحقيقي؛ قيل لي إنه ينبغي لي أن أكشف عنه «فوراً» لوكالة أسوشيتد برس.

كنت قد قطعت وعداً يعود إلى العام 1989 على الأقل أنني سأقتبس عن الأب ماكويتي بأمانة، لكنني لن أكشف اسمه الحقيقي. سيفهم أي شخص يقرأ عن العطف الذي يُظهره «الأب ماكويتي» على

Twitter: @alqareah

نحو غير اعتيادي لأصدقاء الأشخاص الذين لا يتم دفنهم وأسرهم، وفقاً لقوانين الكنيسة، في أرض وقف، كيف أن الكاهن كان يمكن أن يتورّط في مشكلة أسوأ مما تورّط فيه الأب فيرناندو لو أنني أخلفت وعدي. الوعود التي أقطعها قليلة، لكنني ألتزم بها بغض النظر عن العواقب.

يجب أن يلاحظ القراء أن الأب ماكويتي يظهر في جملة واحدة فقط في الكتاب كله. بالتأكيد لن يظن أي قارئ حصيف أنني سأبتكر كاهناً خيالياً من أجل جملة واحدة، وأخاطر بإلحاق أذى بالغ بالمحتوى والتشكيك في حياة كل الناجين وعبرهم، بمن فيهم السيد ياماغوشي، وآل ساساكي، وآل إيتو، وأسرة ناغي.

في ما يخص الكاهن الثاني، التقيت الأب ماتياس عام 1974، وكانت القصة التي سردها عن اليوم الذي أصبح فيه أحد «المشاة-النمل» الذين يمشون على غير هدى في هيروشيما - والأولاد الصغار الثلاثة الذي ظنّ أنه قد تخلّى عنهم في أعلى برج آجري - قد ترسّخت في ذهني على نحو لا يمكن طمسه، وضمنت أنني سأؤلف هذا الكتاب يوماً ما. (يمكن العثور على اسمه في خاتمة كتابي غبار عام 1998، في الصفحتين 370-371 اللتين أشير فيهما إلى إعادة بناء سلاح نووي منخفض الفاعلية «عبر أحاديث عديدة مع الناجين من هيروشيما. بينهم... كاهن أمضى باقي حياته يتساءل عمّا حل بالأولاد الذين كان قد رآهم يقفون فوق بناء مدمّر في هيروشيما). مجدداً، كان اسمه قد تغيّر بسبب الدرب الذي سلكه في حياته بعد هيروشيما، والطريقة التي انتهت فيها حياته بالنسبة إليه.

كان ناشري يقترب من حافة الإنهاك بحلول الوقت الذي ثار فيه الخلاف بشأن الكاهنين. قبل جوائز الأوسكار قليلاً، في أواخر شباط 2010، أدلى جيمس كاميرون بتصريح علني دفاعاً عن الكتاب، وقال في اليوم الثاني إن محاولته مساعدة صديق قد زادت على ما يبدو من حدّة هجوم وسائل الإعلام عليه.

مع استمرار الحملة، تمسّك شخص بقصة عن محاكمات تتعلق

Twitter: @alqareah

بالموضوع نفسه جرت في نيوزلندا في الثمانينيات، بالرغم من أنها كانت بنفسها جائرة وغير قانونية، وترسم علامات استفهام جديدة على أحداث قديمة، بالادّعاء أنني قد حصلت على «شهادة دكتوراه مزوّرة» من جامعة فيكتوريا.

كانت الحقائق، بأبسط مظاهرها، كالآتي: في أواخر آب 1981، دافعت بنجاح عن أطروحة الدكتوراه ونجحت فيها. وبعد ستة شهور، كان فان نوستراند رينهولد على وشك أن ينشر أطروحتي. إضافة إلى ذلك، قدّمت اكتشافاتي الأخيرة في مجال المستحاثات دليلاً يدعم ما يدعوه إلدردج وغولد «النظرية الأميركية» بشأن معدلات التغير التطوّري وأنماطه (تدعى نظرية التوازن المتقطّع). كان توقيتي سيئاً جداً. كانت نزاعات قد ثارت في الجامعة بين الذين يكرهون «النظرية الأميركية» وأحد أنصار «الإبداع العلمي». ظهرت خلافات أيضاً بين نيوزلندا والولايات المتحدة، دارت أساساً حول قرار نيوزلندا منع السفن التي تعمل بالطاقة النووية و/أو التي تحمل صواريخ ذرّية دخول مياهها. كان ذلك هو الجو الذي أصبحت فيه شهاداتي فجأة موضع ريبة وشك.

كانت صلة الوصل بين معظم مَن مثل أمام ما تدعى لجان «تختص بموضوع معين» في الثمانينيات هي أنهم ينشرون في مجال التطوّر. كان ملاحظاً أن تعبير «لجنة خاصة»، في النظام البريطاني، يعني العمل خارج قواعد القانون المعروفة. انتقد أولئك الذين خضعوا لنظام «اللجان الخاصة» جهود المحكمة لتقييد الأبحاث والنشر في مجال علم الأحياء التطوّري، ووصفوها بأنها «رقابة، بكل بساطة».

تمتعت محاكم «اللجان الخاصة» بسلطة تخفيض الشهادة أو إلغائها في جلسات مغلقة، من دون السماح بأي ردٍّ أو دفاع. أصبحت عدالة «اللجان الخاصة» نظاماً سرياً لم يحصل فيه المتهم على شكل النظام القضائي؛ و(لحسن الحظ) كان أعضاء تلك المحاكم مستعدين تماماً لتخليد أفعالهم كتابةً.

Twitter: @alqareah

عُدّت كل تلك النشاطات غير شرعية أخيراً في نيوزلندا، وأُعيدت الشهادات العليا إلى وضعها السابق. وللأسف، لم تكن الثمانينيات الوقت المناسب لتكون أميركياً في نيوزلندا، وكنت أنا أصلاً من أميركا. في أواخر 1982، كانت نيوزلندا قد أعلنت نفسها منطقة خالية من الأسلحة النووية في عملية انسحاب من معاهدة أنزاك (أساساً، الناتو في أستراليا). إضافة إلى النزاع المتعلّق بالتطوّر آنذاك، كان النزاع الأميركي - النيوزلندي الخاص بنواة هذا الكتاب يتفاعل من حولي أيضاً. مع بناء ثلاث قنابل هيدروجينية جديدة في أميركا كل أسبوع واشتداد الصراع بين الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات السوفييتية بانقضاء كل شهر، قرّرت حكومة نيوزلندا أنها لا تريد أن يصبح شعبها هدفاً نووياً إذا أُصيب نصف الكرة الشمالي بالجنون. لم تحصل تركستون وسفن أخرى تحمل أسلحة نووية على إذن بدخول الموانئ. أعلنت إدارة بوش أن نيوزلندا لم تعد حليفةً للولايات المتحدة، وانتقمت منها اقتصادياً (انسحبت من شراكتها في مشروع صهر ألمنيوم عملاق وواعد اقتصادياً في نيوزلندا). بعد ذلك بوقت قصير، طُرد نحو عشرين نيوزلندياً من برامج تدريبهم في أكاديميات بحرية أميركية. لم تكن تلك، بطبيعة الحال، أفضل خلفية يمكن لأميركي أنهى أخيراً برنامج دكتوراه في جامعة نيوزلندية أن ينشر في أجوائها كتاباً يدعم ما كان موضع سخرية بوصفها «النظرية الأميركية للتطوّر».

لاحقاً، بعد اعتبار حكم «اللجنة الخاصة» جائراً (إلى حدّ أنه تضمّن في الواقع تعويضات مادية ضخمة)، وعندما استعاد النيوزلنديون الذين خضعوا لمثل تلك «اللجان الخاصة» شهاداتهم، بقي سؤال: هل تنطبق حماية القانون النيوزلندي بالضرورة على أميركي (أي أنا)؟. في نيسان 2010، ظهرت إجابة السؤال أخيراً: تنطبق حماية طلاب الشهادات العليا الخاضعين للأنظمة الجامعية على كل الطلاب المسجلين، بمن فيهم الأميركيون.

Twitter: @alqareah

كأنني أريد أن أقدّم إلى بلادي عبرة أن عالمنا لا يخلو من مفارقة، كنت أنا في الواقع مناصراً لجعل نيوزلندا منطقة خالية من الأسلحة النووية (ولا أزال). لم يكن ذلك مهماً. تضمنت الهجمات الأولى على دراساتي في التطوّر صفة عداء للأميركيين تتراوح بين «ضرورة الابتعاد عن اللهجة الأميركية» وبين ملاحظة غاريك عضو اللجنة الخاصة: «لسنا بحاجة إلى أميركيين يجيئون إلى هنا ليخبرونا كيف تتطوّر حيواناتنا». اعترف أحد مناصري محاكمات «اللجان الخاصة» (في منتدى جمعية مؤلفي الخيال العلمي، 13 آذار 1995) أنه لا يستطيع إنكار أنني «ربما تعرّضت، لسبب ما، إلى تمييز معادٍ للأميركيين في أثناء وجودي في نيوزلندا».

في وسط تلك الحال، أصبحت حالتي أحد الأمثلة الأكثر حدّة عن تعسّف «اللجان الخاصة». في تشرين الثاني 1984، اعترف كريستوفر ديردن رئيس «اللجنة الخاصة» كتابةً أنني قد أنهيت كل متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه. كان نشر أطروحتي كلها في المجلة العلمية الرائدة في هذا المجال (كروستاسيانا، العدد 47، القسم 3، 1984) دليلاً على تميّزها، وجعل من الصعب على ديردن أن ينكرها، خاصة بعد أن أصبحت قراءة الطريقة الجديدة الواردة في الدراسة عن قياس طيف الامتصاص النووي ضرورة في قسم الكيمياء في الجامعة نفسها التي كانت لجنة ديردن الخاصة تعقد جلساتها فيها.

عندما أُقصيَت رسالة ديردن، بمساعدة زملاء من مختبر بروكهيفن الوطني (حيث كان مشروعنا الرئيس في ذلك الوقت يتضمن، في مفارقة أخرى، عقد جلسات تفكير جماعية لبحث مبادرة التعاون الفضائي الأميركية - السوفييتية التي طرحها عضو مجلس الشيوخ سبارك ماتسوناغا، بوصفها وسيلة مأمولة لخفض احتمال نشوب حرب بين القوتين النوويتين العظميين)، كان سهلاً التوثّق من أن أطروحتي تلبي فعلاً متطلبات الجامعة في تقديم «إسهام مهم لمعرفة أو فهم أحد مجالات الدراسة».

Twitter: @alqareah

في رسالته المؤرخة في 6 تشرين الثاني 1984، حاول ديردن الالتفاف على النقاط المبرهنة للأطروحة (أ) بالادّعاء أن مجلة بارزة قد نشرتها بالخطأ و(ب) بالقول إنه حتى إذا توثّقت وجهة نظري يجب عدّها «غير ذات صلة»، وأن القواعد الجديدة لإلغاء الشهادات ذات الأثر الرجعي هي الوحيدة التي يجب أخذها في الحسبان.

بعد أن ساعدوني على توثيق سخف اللجان الخاصة» على نحو لا يدع مجالاً للشك، اتفق زملائي في مختبر بروكهيفن الوطني (ومن بينهم رئيس أنظمة المفاعل جيمس باول، الذي قال إن محاكمة ديردن خطأ جسيم») على أنني أمتلك كل الدلائل التي أحتاج إليها لإثبات أن اللجنة الخاصة» كانت تعمل على نحو غير شرعي وفقاً لكلٍّ من المعايير النيوزلندية والدولية، ويثبت ذلك أن الأبحاث التي سبقت مؤتمر ماتسوناغا ووثائق أخرى نشرتها المكتبة الوطنية تحتفظ لي بلقب «د».

لهذا، فإن أي اقتراح في وسائل إعلام عالمية أنني قد منحت نفسي ببساطة دكتوراه «مزوّرة» في نيوزلندا - أو أنني قد فشلت في اختبار الدكتوراه - خطأ تماماً، ويجافي الحقيقة.

مع الأخذ في الحسبان أن الهجمات على ما كنت قد أوردته خطأً بشأن الملاحين مبرّرة، ومع اشتداد حدّة الانتقادات، بدأت سلسلة أخرى من التطوّرات تشير - كما لاحظت صحفية يابانية - إلى أنه «يتبين أحياناً أن أسوأ الأشياء تصبح إيجابية في الرحلة التي ندعوها الحياة». قالت إن الدرب الأشد صعوبة قد يقود المرء إلى النجاح وإلى التفوق.

في شباط 2010، بعد أكثر من ثلاث سنوات من البحث، عثر صانعا الأفلام الوثائقية هايدو ناكامورا وهايدتاكا إنازوكا أخيراً على ابنة ناجٍ مرتين من القنبلة الذرّية يدعى كنشي هيراتا (شخصية رئيسة في فصول الكتاب). كان آخر شيء يعرفه أحدٌ عن حياة السيد هيراتا، عندما ذهبت النسخة الأولى من هذا الكتاب إلى المطبعة، هو أنه قد اختفى مع أسرته منذ وقت طويل، وأقسم أن يبقى بعيداً عن درب التاريخ. ولدهشتنا،

Twitter: @alqareah

تبين أن كنشي نفسه لا يزال حياً، وعمره إحدى وتسعون سنة (أضفت ما حدث بعد التواري عن الأنظار إلى هذه النسخة).

بعد وقت قصير من العثور على أسرة كنشي هيراتا، ومع انطلاقة مهرجان أفلام السلام في نيويورك في آذار 2010، بدأ ناجون آخرون يظهرون تباعاً. ومع تصحيح قصص الملاحين، قاد طريق بدأ فعلاً بخطوات صعبة إلى ظهور فرصة لتصحيح فصول في هذا التاريخ، في حين لا يزال ناجون أحياء، ويستطيعون تقديم تفاصيل جديدة.

تشارلز بلغرينو
لونغ بيتش، لونغ آيلاند
14 نيسان 2010

Twitter: @alqareah

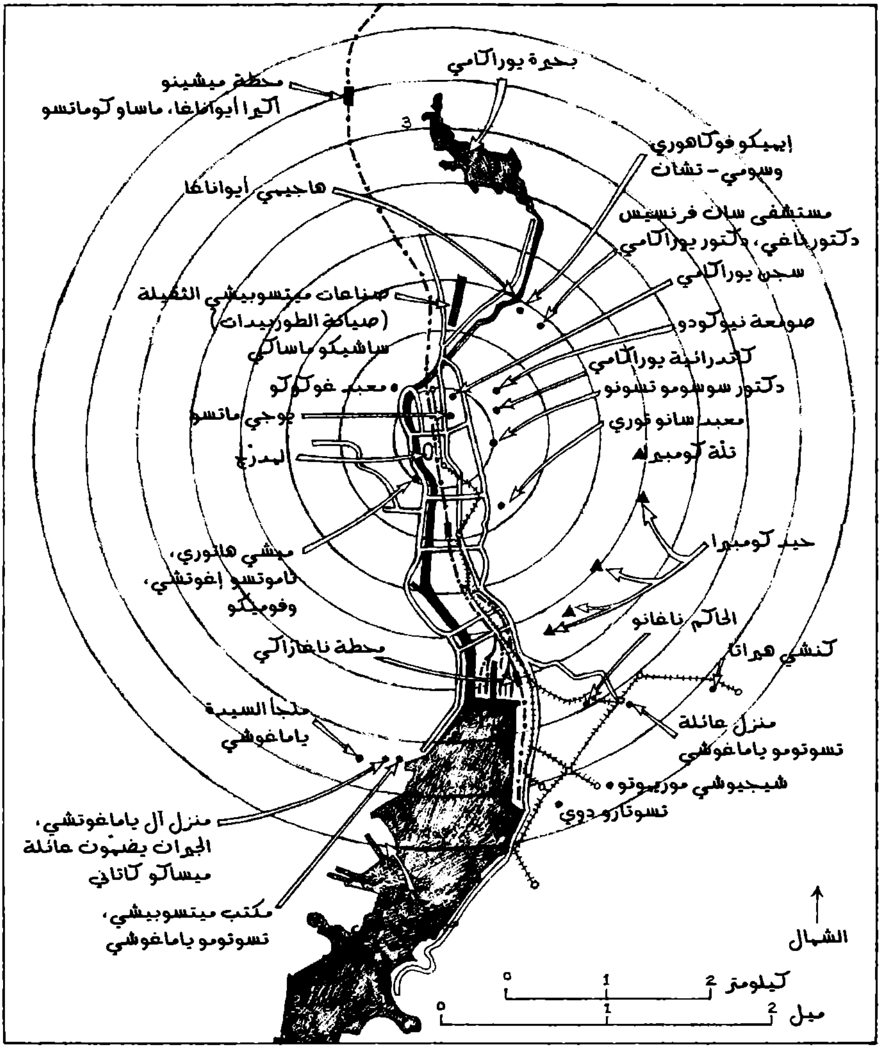

Twitter: @alqareah

1

النجم القاتل

لـو أن مـاري شـيلي؛ كاتبـة بريطانيـة؛ أو إدغـار ألان بـو؛ كاتـب أميركي؛ كانا قد ولدا في منتصف القرن العشـرين، لما كان عليهما قطّ أن يبتكرا الرعب.

في ما يتعلق بالعلماء اليابانيين الذين وصلوا أولاً إلى مركزي انفجار القنبلتين النوويّتين اللذين كانا لا يزالان ناشطين إشعاعياً في هيروشيما وناغازاكـي محاوليـن فهـم مـا جـرى، كانت الوفيات الأكثـر ترويعاً هي الأسرع. على جسر يقع في وسط هيروشيما، كان لا يزال من الممكن رؤية رجل يقود حصاناً، بالرغم من أنه كان قد فارق الحياة. كانت آثار قدميـه، وحوافـر الحصـان، والخطوات الأخيرة للأشـخاص الذين كانوا يعبرون الجسر معه نحو وسط المدينة محفوظة على سطح الطريق الذي استحال لونه أبيضَ، كأنها طريقة جديدة عرَضيَّة من التصوير الفوري.

في مكان أبعد قليلاً باتجاه النهر، على مسافة 140 خطوة من مركز الانفجار، وضمن هذا الجزء نفسه من الثانية، تبخّرت نساء كن يجلسن على الدرجات الغرانيتيّة لمدخل مصرف سوميتومو الرئيس، ينتظرن بكل تأكيد أن يفتح أبوابه، عندما انشقت السماء بدلاً من ذلك فوق رؤوسهن. كانت أولئك النسوة، اللواتي لم ينجون من أول نصف ثانية من تعرض البشـر لسـلاح نـووي، علـى قيـد الحياة في لحظة سـابقة، على درجات مصرف أو في الشوارع وعلى الجسور - يأملن انتصار اليابان، أو يتوقعن الهزيمة ويتمنين عودة أحبائهن الذين سيقوا إلى الحرب، أو يندبن أعزاء خسرنهم آنذاك، أو يفكّرن في زيادة حصص الطعام لأبنائهن، أو تراودهن أحـلام أصغـر، أو لا أحـلام على الإطلاق - ثم واجهن لحظة الوميض،

Twitter: @alqareah

تحولن إلى غاز وكربون مجفف وتحلّلت أدمغتهن وأجسادهن، كأنهن كنّ مجرد حلم راود شيئاً غريباً ليس من البشر استيقظ فجأة. وبالرغم من ذلك بقيت ظلال هؤلاء النسوة خلف كربوناتهنّ المنثورة هباءً، تركت آثارها على الأرصفة المتهالكة، ودرجات المصرف الغرانيتية شهادة على أنهن كنّ على قيد الحياة.

في اليوم السادس من آب 1945، لم يكن أحد من الذين تخيّلوا، أو صمموا، أو صنعوا قنبلة هيروشيما يعرف من أين جاءت نواة اليورانيوم، أو ما كان العلم قد حققه فعلاً. لم يكن بمقدور أوبنهايمر أو يوري؛ روبرت: عالم فيزياء أميركي؛ أو ألفاريز؛ والتر لويس: عالم فيزياء أميركي؛ أو حتى أينشتاين؛ ألبرت: صاحب نظرية النسبية؛ أن يصدّقوا أنهم قد بعثوا شيئاً من الماضي السحيق، من زمان ومكان قلّما يخطران على ذهن بشر. كانت كلٌّ من ذرّات اليورانيوم – 235 في نواة القنبلة قد تكوّنت قبل أكثر من 4.6 مليار سنة – في قلب نجم شديد السطوع. تجمّعت النواة من رماد نجوم كانت قد تشكّلت واندثرت قبل وقت طويل من نشوء أقدم جبال القمر. أُرغمت البقايا الأصلية، التي نشأت في أثناء خلق الكون، والتي خضعت لعملية تعدين وتكرير حتى أضحت درجة نقائها تفوق نسبة 83 بالمئة ورُصّت معاً بهندسة دقيقة جداً، بعد عصور من الخمول، على محاكاة الصرخة الأخيرة لنجم ينفجر. في كل عناصرها الأساسية الكمّية المجرّدة، يشبه ما حدث فوق هيروشيما ذلك الصباح – وبعد ثلاثة أيام فوق ناغازاكي، في مرجل بلوتونيوم منفصل، مليء بمنتجات ثانوية لمفاعل يورانيوم – ظهوراً خفيفاً لشموس بعيدة.

لم يكن أي من الأشخاص الذين عملوا على هذه الخيمياء (الكيمياء القديمة) الغريبة يفهم آنذاك أن الكربون الذي يجري في عروقهم هو، مثل اليورانيوم، غبار نجوم، أو يعرف أن نواة الكربون واليورانيوم قد تخفي شيئاً أصغر كثيراً من قطر بروتون (جُزَيء موجب الشحنة الكهربائية في الذرة). في الواقع، رفض أينشتاين وأوبنهايمر

Twitter: @alqareah

الإقرار بوجود مثل عوالم الذرات تلك. لم يُعرف لهذا السبب ممَّ تتكوّن النيترونات (جُزَيء متعادل الشحنة الكهربائية في الذرة) أو كيف تنشطر في حيّز معين - تنشطر في الكون نفسه - لينتج عن ذلك طاقة. كانت القدرة على الفهم بدائية جداً، بحيث يمكن مقارنتها بعملية تفكير نياندرتال (إنسان بدائي) يكتشف النابالم. بأسلوب مشابه، لم يظن العلماء قط أن القوى التي أطلقوها جسرت يومهم مع أصل الكون واختصرت زمناً طويلاً إلى الوقت الذي يستهلكه الضوء للانتقال عبر قطر بروتون. وبالرغم من أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً تقريباً عن طريقة عمل محاكاتهم الموجزة للنشوء في الماضي، إلا أن ذلك كان كافياً.

من دون أدنى شك، كان لا بد من وجود شخص يقف تحت **نقطة الصفر**. كانت هذه المنزلة الغريبة من نصيب أرملة تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً وستة رهبان. كانت السيدة أوياما قد أرسلت ابنها نينكاي إلى المدرسة قبل نصف ساعة من الموعد المعتاد؛ لهذا السبب سجّل التاريخ أن ذلك الفتى هو الناجي الوحيد من سكان الحي. كان منزل أوياما مجاوراً لمعبد بوذي تشترك معه الأسرة في حديقة خضراوات كبيرة وتشاطره الاعتناء بها. عند الساعة 8:15، كانت السيدة أوياما على الأرجح تعمل في الحديقة مع جيرانها، جرياً على عادتهم كل صباح. لم يكن أي شخص أقرب إلى **نقطة الصفر** الحقيقية، أو أكثر انكشافاً في العراء، من السيدة أوياما والرهبان.

فوقهم، أضحت قبة مبنى العلوم الصناعية في هيروشيما مركز الانفجار. كانت حديقة المعبد التي تعمل فيها السيدة أوياما تقع على تماسٍّ مباشر مع ما سيصبح معروفاً لأجيال مستقبلية بأنها **قبة السلام**. في الجزء الأخير من الثانية قبل لحظة الصفر، عاشت أوياما والرهبان على شفا الفناء الفوري، على حافة الاحتضار قبل أن يتمكّنوا من إدراك أنهم على وشك أن يلقوا حتفهم. في اللحظة التي انفجرت القنبلة

Twitter: @alqareah

فيها، قبل أن تهبط كرة من الغاز المؤين إلى مستوى الأرض، التقطت المليمترات العليا من غلاف القبة المعدني أشعة القنبلة فذابت مباشرة، ثم تبخّرت. كان الآجر والإسمنت أيضاً على وشك أن يتحولا إلى قشرة مشعّة سائلة.

بخلاف الرجل الذي يقود حصاناً على جسر «تي» القريب، لم يكن في وسع السيدة أوياما أن تترك ظلاً على الأرض. منذ اللحظة التي بدأت الأشعة تمرّ في أثنائها، بدأ نقي عظامها يتأثر بدرجة حرارة تزيد على نقطة غليان الماء خمسة أضعاف. توهّجت العظام نفسها مباشرة، وانسلخ كل لحمها في الوقت نفسه عن هيكلها العظمي ونزل إلى الأرض مرغماً كغاز مضغوط. في أول ثلاثة أعشار من الثانية التي تلت انفجار القنبلة، كان معظم الحديد قد انفصل عن دم السيدة أوياما، كأنه في مصفاة ذرّية. اخترقت مثل تلك التركيزات العالية من الحديد مليمترات سطحية قليلة من التربة، في أثناء تحوّلها إلى عشب منصهر؛ ولو أن الطبقة البنية - المخضرّة من الزجاج بردت ببطء - لكانت أخفت تحتها ملاءة من الفولاذ المكربن، لكن تبريداً بطيئاً وثابتاً لم يكن ممكناً. بحلول وقت وصول صوت الانفجار إلى ابنها نينكاي على بعد كيلومترين، كانت كل الموادّ التي يتشكل منها جسد والدته، بما في ذلك الحديد الذي يحمله الدم والعظام الغنية بالكالسيوم، تصعد نحو الطبقة العليا من الغلاف الجوي لتصبح جزءاً من العواصف الرعدية الإشعاعية الغريبة التي طاردت نينكاي وناجين آخرين.

في الجانب الآخر من البلدة، على بعد نحو أربعة مبانٍ سكنية خلف منزل أوياما والرهبان، كان توشيهيكو ماتسودا على وشك أن يترك أثره على جدار في حديقة والدته. بدا أنه ينحني إلى الأسفل ليلتقط ثمرة فاكهة أو ينتزع عشبة ضارة. في أجزاء آتية من ألف من الثانية، سيحمل الجدار خلف توشيهيكو ظلّه إضافة إلى خيالات مبهمة للنباتات التي تحيط به (والتي زوّدت جلده بدرجة صغيرة من الحماية ضد الوميض).

Twitter: @alqareah

على طبعات الجدار، في لحظة انفجار القنبلة، يمكن رؤية ظل ورقة كانت قد انفصلت للتو آنذاك عن كرمة، وبالرغم من سقوطها، إلا أنها لم تصل إلى الأرض قطّ.

من منزلَي أوياما وماتسودا إلى مراكب صيد القريدس في المرفأ، لم تكن أجهزة البشر العصبية ببساطة سريعة بما يكفي لتسجّل بزوغ فجر الموت الذري الذي اندفع نحوهم في صبيحة ذلك اليوم من شهر آب. في البداية، انبثق كل شيء من عالم النانوثانية (جزء من مليار من الثانية). في قلب منطقة التفاعل، بدأ نحو 560 غراماً (أو 1.2 رطل) من اليورانيوم – 235 بالانشطار قبل أن تخضع القوى المضغوطة الشبيهة ببنادق الرش المصممة لإطلاق التفاعل، وإبقائه متماسكاً مدة وجيزة، لقوى أكبر أطلقتها من عُقالها. كان حجم كل أوقية من معدن اليورانيوم الفضي اللامع ومنزوع النيترون، الأثقل بثلاث مرات من الذهب (في لحظة الانضغاط)، أقل بثلاث مرات من حجم الذهب. كانت المادة الفاعلة في القنبلة لهذا السبب صغيرة على نحو مدهش، وبحجم ثُلث كرة غولف. كان الحجم الكلي ليورانيوم التفاعل أكثر قليلاً من ملعقتين صغيرتين ممسوحتين. ضمن تلك الكمية البالغة 560 غراماً بحجم ملعقتين صغيرتين، تكوّنت عيّنة من كل عنصر تقريباً تواجد يوماً في عمر الكون كله، وتعرّض العديد منها للفناء بالسرعة نفسها.

بعد جزء من مئة مليون من الثانية فقط، بدأت النواة تتسع وتفاعل الانشطار يتباطأ. في هذا الفاصل البالغ نانوثانية، انبثقت أول دفعة من الضوء بقوة كبيرة إلى درجة أنه كان من الممكن رؤيةُ الأقسام الخضراء والصفراء من الظّلّ تلمع خلال غلاف القنبلة الفولاذي كأنها حقيبة من سيلوفان شفّاف. إلى الأسفل بخمسمئة وثمانين متراً (1900 قدم)، لم يستطع مخلوق على الأرض رؤية ذلك. في أول عشر نانوثانية، لم يقطع الضوء من النواة سوى مسافة ثلاثة أمتار فقط (نحو عشر أقدام) في كل الاتجاهات. حدثت تفاعلات الانشطار في أُطر زمنية ضيقة جداً يمكن

Twitter: @alqareah

تصنيفها بسرعة الضوء. من ثَمّ، بدت القنبلة نفسها، لأي شخص يبعد أكثر من عشر أقدام، وبالرغم من أن الضوء كان يشع منها آنذاك، معلّقة وسليمة تماماً فوق المدينة. إلى الأسفل منها مباشرة، كانت السيدة أوياما لا تزال على قيد الحياة ولم يمسّها الوميض بعد.

بعد جزء من مليون من الثانية، غطّت كرة من أشعة غاما، خرجت من النواة بسرعة الضوء، مساحة نصف قطرها 33 متراً (108 أقدام)، تبعها رذاذ ثانوي من النيترونات خلفها مباشرة. بين فقاعة الغاما وفقاعة النيترون التي تشكّلت بعدها، عُزلت الإلكترونات عن كل ذرة هواء وتسارعت نحو سطح كرة الغاما الأكبر حجماً. بدأت فقاعة غاز مؤين تتكوّن، ونجم عنها صدمة حرارية أكثر حرارة من نواة الشمس وتوهّجت بسطوع أقوى مليارات المرات من سطح الشمس.

ضمن هذا التوهّج الذري، كان يتم على نحو متكرر امتصاص أشعة إكس (السينية) وغاما، ونشرها، واستقطابها، وامتصاصها مجدداً إلى درجة أن الأشعة كانت تنعكس عائدة إلى مركز القنبلة مثلما تخرج منها. كانت نتيجة ذلك أنه بحلول وقت وصول الضوء إلى سطح الأرض، ترافقت اندفاعات أشعة إكس وغاما بتأثير «سطوع السماء» المتناثر على نحو عشوائي، الذي قد يتعرض بسببه شخص محمي من الوميض خلف جدار آجري متين، على سبيل المثال، لاختراقٍ من قبل أشعة تنبثق من كل اتجاهات البوصلة.

في أول جزء من مليون من الثانية من تكوّنها، كبرت فقاعة الضوء ليصبح نصف قطرها 300؛ تكاد لا تكون أعرض من ستة مبانٍ سكنية. بالرغم من أن حجمها المتمدد قد أضحى أقل سماكة وسطح الكرة الخارجي برد إلى ألف ضعف درجة غليان الماء، إلا أن الحرارة بقيت أكبر بثلاثمئة ضعف الرقم الضروري لتحويل جسم الإنسان إلى هباء متفحّم وعظام متوهجة. في هذا الجزء من مليون من الثانية نفسه، وبالرغم من كل ما كان يجري، لم يكن الضوء الذي خرج من القنبلة

Twitter: @alqareah

قد قطع مسافة كافية ليصل إلى المدينة. إذا اتفق أن توشيهيكو ماتسودا أو السيدة أوياما كانا ينظران إلى نقطة الانفجار في تلك اللحظة تحديداً، وكان جهازهما العصبيان مستعدين لتسجيل جزء من مليون من الثانية، لكانت الفقاعة بعرض ستة مبانٍ سكنية قد بدت لهما مثل رأس رمح غير متفجّر في السماء.

فوق ماتسودا وأوياما - ليست غير ظاهرة فقط، ولكن لا يمكن رؤيتها - تخلّفت موجة نيترون القنبلة، بالرغم من انتقالها بسرعة تقترب من سرعة الضوء، خلف وميضها وأشعة الغاما التي نجمت عنها. من المكان الذي كانت فيه القنبلة - من قطبيها المغنطيسيين - تندفع موجة من التنجستن (فلز يتميز بأعلى نقطة انصهار بين الفلزات جميعها) والحديد أمام النيترونات كرذاذ منتشر، ولا تتحرك كأنها كانت في أي وقت جزءاً من بنية متماسكة. خلفها، يصبح رذاذ النيترونات المتسارع (وإلى درجة أقل البروتونات والبروتونات المضادة قصيرة الأجل) آنذاك مصدراً ثانوياً مهماً لإشعاعات قاتلة.

بعد جزء من عشرة آلاف من الثانية، بدأ الهواء يمتص الانفجار ويحتويه. تحوّل الجو المحيط به إلى ثغرة متسعة من خواء كامل تقريباً، تبتعد عن المكان الذي انفجرت فيه القنبلة، وتكوَّن تجويفٌ من غاز مؤيّن. على طول جدران التجويف، نشأ عن رذاذ النيترون موجة كبيرة ثانية من أشعة غاما. بحلول ذلك الوقت كان الوميض الأصلي قد غطّى دائرة قطرها 30 كيلومتراً (نحو 18 ميلاً)، والضوء بدأ يصل إلى الأجهزة العصبية في صغار القريدس التي تجثم في قعر مرفأ هيروشيما. تحت مركز الانفجار، كان الدم في دماغ السيدة أوياما قد بدأ يغلي آنذاك، وعلى وشك أن يتبخّر. ما اختبرته كان إحدى أسرع حالات الموت في تاريخ البشرية. قبل أن يستطيع أي عصب الإحساس بالألم، اختفت هي وأعصابها عن الوجود. على بعد بضعة مبانٍ سكنية، عاش توشيهيكو ماتسودا، والنباتات التي تحيط به، وقتاً أطول. على بعد شعاع يبلغ عشرة

Twitter: @alqareah

مبانٍ سكنية، كانت الأسماك والسلاحف التي تسبح تحت سطح بُرك قلعة هيروشيما لا تزال حية في اليوم الثاني؛ أُصيبت بالعمى قبل أن تستطيع حراكاً أو تسعى إلى مياه أعمق، وذبلت الحراشف على ظهورها.

كانت نسب التفاعل تتباطأ آنذاك؛ تتحول من الأُطر الزمنية للكمّ إلى عالم الزمن الإحيائي. في الأجزاء الثلاثة القادمة من ألف من الثانية، وهي مدة تستطيع فيها ذبابة منزلية أن تخفق بجناحيها مرة واحدة وتبدأ تغيير مسارها، بدأت كرة النار تتكوّن. في البداية، اتسعت بمعدل مئة ضعف سرعة الصوت، لكن بحلول الوقت الذي اقترب فيه أسفلها من قبة هيروشيما وسقف منزل ماتسودا، بعد 97 جزءاً من ألف من الثانية و31 خفقة جناحي ذبابة، كانت قوتها قد انخفضت إلى الخُمس فقط. قرب السطح الخارجي للكرة النارية، كانت ذرّات جديدة قد نشأت عن الانشطار، وعمرها الوسطي (الزمن الضروري لتفكك نصف ذرات مادة ذات نشاط إشعاعي) قصير جداً، تفنى بسرعة، وترسل دفعة ثالثة من أشعة غاما. بالرغم من كل قدرته على إحداث أضرار، بدا شعاع الموت الثالث هذا صغيراً جداً مقارنة بالشعاع الحراري الذي سبقه وعاصفة موجة الصدمة التي ترافقت ببرق.

في كل مكان من هيروشيما، بعد جزء من عشرة من الثانية من الانفجار، بدأ يخرج من أسلاك الهاتف والملابس أشرطة عمودية من بخار أسود، وبالرغم من ذلك بقيت كل مباني المدينة على حالها. مقارنة ببدايتها، كانت موجة الصدمة آنذاك بطيئة. مسّت تلك الفقاعة الذرّية الأبطأ بين الثلاث الرئيسة الأرض بضعفي سرعة الصوت فقط؛ أي أسرع كثيراً من ردود أفعال الإنسان غير الإرادية.

يحتاج الناس إلى جزء كامل من ثلاثة عشر جزءاً من الثانية ليلاحظوا حركة، وعُشر ثانية ليجفلوا. تعمل الشبكات العصبية للذباب وتعود إلى طبيعتها الأولى، تدقق وتستجيب، بسرعة أكبر خمسين مرة من دماغ الإنسان. من وجهة نظر الذبابة، البشر كائنات ساكنة، تعيش في

Twitter: @alqareah

زمن بطيء، تماماً كما ينظر البشر إلى الأُطر الزمنية لحلزونات ويرقات الحديقة المتنوعة.

على مسافة أميال في كل اتجاه، التقط الذباب النبضة الأولى للضوء بعد أقل من خمسة أجزاء من ألف من الثانية من وصوله إلى الأرض، وكان في مقدوره تغيير مساره والبحث عن ملجأ بعد مئة جزء من ألف من الثانية؛ أي بعد ثلاثين خفقة جناحين تالية، أو بعد طرفة عين أو إجفال بتوقيت البشر.

بعد 300 جزء من ألف من الثانية (أو ثلاثة أعشار الثانية)، كانت كرة النار قد وصلت إلى أقصى استطاعتها لتسبب حروقاً شديدة من بعيد، لكن بحلول ذلك الوقت كان معظم ذباب هيروشيما يختبئ في الظلال خلف أقرب الجدران، أو تحت أقرب الأوراق، أو خلف أقرب الأشخاص. لم يكن تأثير سطوع السماء الناجم عن أشعة غاما سيئاً عليه؛ لأن أنظمة ترميم الحمض النووي في الذبابة أكثر فاعلية بمئتي مرة تقريباً من نظام الإنسان.

في ثلاثة أعشار الثانية، كانت القنبلة نفسها قد انفجرت منذ وقت طويل. كل ما تبع ذلك، مع انتقال الأحداث من زمن الرصاصة والذبابة إلى أُطر زمنية يعرفها الإنسان جيداً، لم يكن أكثر من مجرد هزّات ثانوية لاحقة.

كانت أكيكو تاكاكورا وصديقتها أسامي - بالرغم من قربهما من القنبلة أكثر من توشيهيكو ماتسودا وحديقته - داخل قوقعة الغرانيت والإسمنت لمصرف سوميتومو عندما بدأت أشعة غاما وتحت الحمراء تنهالان على المكان. كانت المرأتان بمنأى تقريباً عن أشعة الموت، ما عدا أشعة متناثرة من ظاهرة سطوع السماء التي دخلت عبر النوافذ على جوانب المبنى.

ستتذكر أكيكو دائماً كيف توقفت الساعة الجدارية في الردهة الرئيسة عند الثامنة والربع، وهو الوقت نفسه الذي كانت الساعة الكبيرة

فوق برج جامعة هيروشيما قد توقفت عنده قبل ثلاثة أيام. بالنظر إلى أن المجهود الحربي قد استنفد كل القوى البشرية تقريباً وكل المعادن المتوافرة، لم تكن الموارد المطلوبة لإصلاح ساعة المدينة الرئيسة متوافرة. في الأيام الثلاثة الماضية، كانت أكيكو وأسامي قد تبادلتا دعابة تفيد أن برج الساعة المعطّلة، المتوقفة إلى الأبد كما يبدو عند الساعة 8:15، يرمز إلى عبثية كل شيء. طوال عقود آتية، ستغلف دعابتهما عباءة توقّع، لأنه في نهاية المطاف لم يكن إصلاح الساعة أو تركها على حالها ليحدث فرقاً على الإطلاق. كانت ستتوقف مجدداً عند الثامنة والربع؛ مثل كل ساعة أخرى في هيروشيما.

كانت أكيكو وأسامي على بعد 250 متراً (820 قدماً) فقط من مركز الانفجار الذي وقع على ارتفاع يبلغ أكثر من ضعف تلك المسافة؛ مما جعل فقاعة الصدمة تهبط مباشرة فوق رأسيهما. اشتعلت النساء اللواتي كن يجلسن على الدرجات خارج المصرف معاً وتحوّلن إلى ذرات كربون عندما حدثت صدمة الانفجار، قبل نحو عُشر ثانية من شروع أعصابهن في نقل الألم. ولأن جبهة الصدمة نزلت فوقها مباشرة تقريباً، استطاعت أعمدة الهاتف والأشجار، إضافة إلى الدعائم العمودية للمصرف مقاومتها ونجت إلى حدٍّ كبيرٍ من قوى الضغط. بدت الأشجار والأعمدة والعوارض الفولاذية القائمة بشكل عمودي مثل نتوءات وجنيحات قنابل صاروخية تشق طريقها عبر الهواء بسرعة فوق صوتية. تفادت أكيكو وصديقتها كثيراً من التأثيرات التي وقعت في أول جزءين أو ثلاثة أجزاء من ألف من الثانية لحدوث موجة الصدمة، ومنحهما ذلك حماية مدة خمس ثوانٍ كاملة من الانفجار والاضطراب الذي تلاه. كان المبنى عملياً ثقباً في موجة الصدمة المتقدمة، وكوّن شرنقة حماية للصديقتين (ومدير في المصرف كان في القبو) في حين كان رأس مطرقة الهواء يرتد عن البناء في الخارج، ويبتعد عنه.

شعرت أكيكو أن رئتيها تمزّقتا نتيجة اندفاع هواء قوي إليهما.

Twitter: @alqareah

اقتُلعت أسامي من مكانها وقُذفت في الهواء، وارتطم ظهرها بقطعة ديكور من جدار انضغطت مثل قطعة أكورديون ثم تشكّلت مثل شظية غرانيت، لكنْ الصديقتين كانتا محميتين ضمن واحدة من أغرب ملاجئ الطبيعة. تترافق كل أحداث التفجيرات الكبيرة بظهور شرانق محمية من الصدمة، التي لا تتكوّن حيث يتوقع أي شخص يتصرف وفقاً للمنطق وحده أن تكون النجاة. أحياناً، يكون أكثر الأمكنة أماناً هو الأقرب إلى مركز الانفجار.

مثل أكيكو وأسامي، تلقّى شيجيوشي موريموتو درساً سريعاً ومكثّفاً في فيزياء شرانق الحماية من الصدمة. كان موريموتو واحداً من أربعة صانعين ماهرين للطائرات الورقية في اليابان، ولهذا السبب تم تجنيده وثلاثة آخرين ونقلهم إلى هيروشيما ليعملوا على تصميم طائرات استطلاع تحلّق على ارتفاعات عالية وترافق قوافل السفن. عند الثامنة والربع من صباح 6 آب لم يكن موريموتو أبعد كثيراً من أكيكو تاكاكورا عن القنبلة. مثل أكيكو، لم يتذكر أنه سمع صوتاً مرافقاً للانفجار. تداعى المنزل متعدد الطبقات والمبني من الآجر الثقيل وانهار حول السيد موريموتو وقريبيه، لكن خليط الآجر وثلاث طبقات من العوارض الخشبية السميكة فوق رؤوسهم أضعفت من تأثير أشعة غاما إلى العُشر على الأقل. خفّفت الغرف المليئة برفوف من الكتب من الأرض إلى السقف نفاذ الأشعة أيضاً وامتصت موجات الضغط. بطريقة ما، أنقذت الثقافة الأقرباء الثلاثة. تحمّلت الطوابق الثلاثة العليا الضغط كأن البناء قد صُمّم ليضم أقساماً معدّة لإنقاذ الحياة من الخشب والورق، التي أحاطت بأفراد أسرة موريموتو، وكانت السبب في نجاتهم في وسط هيروشيما من دون أن يُصابوا إلا ببعض الكدمات الخفيفة.

على مسافة الضعف من موريموتو وأكيكو، بعد ستة أبنية سكنية إلى الشمال من مركز الانفجار، كان الجندي شيجرو شيموياما قد دخل للتو إلى مخزن مبني من الإسمنت؛ حيث، كما سيذكر لاحقاً لمؤرخين،

Twitter: @alqareah

«حُجب عن الوميض، لكن ليس عن الدويّ». بدا أن يد عملاق حاقد قد دفعته نحو الجدار الخلفي، وفي تلك اللحظة نفسها كان السقف ينهار إلى الأسفل والأرض ترتفع إلى الأعلى. كانت الجدران تتداعى أيضاً إلى الداخل، نحو وسط الغرفة، وأوقف الجدار الخلفي الجندي الطائر مثل قفّاز لاعب كرة قاعدة. في الخارج، لقي كل زملاء شيجرو المجنّدين حتفهم فوراً. عندما اكتشف أن السبب في تعلّقه على ارتفاع نحو متر فوق الأرض هو أن كتفيه مثبتتان إلى عارضة خشبية، وعندما جعله صمت مطبق تماماً يشعر بأنه الإنسان الوحيد الذي بقي حياً في هيروشيما، بدأ يشك في أن كل شخص آخر قد يكون فارق الحياة.

خارج منطقة شيجرو تماماً، على طرف مدافن الجيش، كانت الأخوات في مدرسة البنات المحلية يستخرجن زيتاً من أشجار الكافور حين اشتعلت السماء. تمزّقت الأشجار إلى آلاف القطع الملتهبة. توهّجت شواهد القبور الغرانيتية القريبة حتى أضحت بلون الكرز، كأنها تعلن بعث الجنود المدفونين في الأسفل، قبل أن تقذفها موجة الصدمة بعيداً على قمة تلة كيوباشي. بعد أيام، سيصل النقيب ميتسو فوشيدا إلى وسط المدينة، باحثاً عن الراهبات وطالباتهنّ. يعثر على الشواهد الغرانيتية، يكتشف أن طبقاتها الخارجية قد غَلَت وتحولت إلى رمل، ويفهم أنه لا فائدة ترجى من البحث عن صديقاته. وكأن الحجارة قد أخبرته عن كل ما يودّ معرفته.

في حي جسر ميساسا، على بعد نحو كيلومترين باتجاه أعلى النهر من مركز الانفجار، كانت أسرة سوميكو كيريهارا مجتمعة لالتقاط صورة لها عندما وصل الوميض إليها. كان عمر سوميكو أربعة عشر عاماً، وقد شهدت تجنيد أقرباء لها يبلغون من العمر ستة عشر عاماً وخروجهم إلى البحر، لتظهر أسماؤهم بعد أسابيع عدّة فقط كمفقودين أو في عداد الأموات. كان قد تم تجنيد شقيقها البالغ من العمر آنذاك ستة عشر عاماً للعمل في صناعة الأسلحة، لهذا اجتمعت الأسرة معاً من بلدات بعيدة

Twitter: @alqareah

لما كانوا يظنون أنه قد يكون لَمَّ شمل أخيراً. محتشدين آنذاك في منطقة الموت، كانوا قد اتفقوا مع مصور ليصل إلى منزلهم بحلول الثامنة، ويلتقط لهم صوراً في حديقة تغمرها أشعة الشمس في الهواء الطلق، لكنه تأخر لسبب أو لآخر. وهكذا، في منطقةٍ تعرض كلَّ من يقف فيها خارج منزله ومكشوفاً لوميض القنبلة لحروق قاتلة من الضوء وحده، وضع تغييرٌ غير متوقع في التوقيت أسرةً داخل ظلال أخشاب غرفة تناول الشاي وتحت سقف من الفخّار. عندما اندفع شعاع الحرارة من اتجاه القبة ومصرف سوميتومو نحوهم، كان أفراد عائلة كيريهارا داخل المنزل بأمان يتبادلون أطراف الحديث، ويعزفون الموسيقى، ويرتشفون أكواباً من شاي زمن الحرب الخفيف جداً، الذي يمكن وصفه بأنه ماء دافئ مضاف إليه قليلٌ من أوراقٍ مجففة مستخدمة سابقاً.

في الخارج، اختفت الحديقة في وهج حارق. رأت سوميكو الوميض كإشعاع أزرق باهت يأتي من كل مكان ويبدو حاراً جداً، حتى في داخل المنزل. في تلك اللحظة نفسها، سمعت طقطقة إلكترونية عالية جداً إلى درجةٍ ظنّت معها أنها قد تشق طبلتي أذنيها. تعرّض منزل والديها الخشبي المؤلف من طابقين - إلى جانب منزل جارٍ لهم - لموجات الصدمة من دون أن يتضرر تقريباً، في منطقة كان المبنيان الوحيدان اللذان بقيا صامدين هما مستشفى مبني من الفولاذ والإسمنت وسوق تجارية مشيّدة من الخشب اشتعلت النيران فيهما. خرجت السيدة ساساكي من منزلها الذي كوّن شرنقة حماية من الصدمة تحمل ابنتها ساداكو البالغة من العمر سنتين على ذراعيها. مثل أسرة كيريهارا، بدا أن معظم أفراد أسرة ساساكي قد نجوا من بيكا - دون؛ أو «الوميض - الدويّ»؛ من دون أضرار جسدية قطّ. بعد سنوات، ستؤكّد الصغيرة ساداكو على أنها تتذكر، بالرغم من أنها كانت في الثانية فقط من عمرها، إشعاعات ألف شمس تندفع عبر النوافذ، وحرارة تخز عينيها مثل إبر؛ أضحى الشروق الزائف أقدم ذكرياتها.

Twitter: @alqareah

كانت قبضة اليورانيوم متقلّبة الأطوار، تقتل بعضهم وتترك آخرين، حتى عندما كان الأشخاص ضمن مرمى بصر بعضهم بعضاً. كانت السيدة تيروكو قد قرّرت إبقاء ابنها الصغير في المنزل وعدم إرساله إلى المدرسة في ذلك اليوم، وعندما ضربت القبضة، كانت تراقبه يلعب على طوفه من نافذة الطابق الثاني في منزلها بجانب النهر ضمن منطقة ساداكو، على بعد أقل من كيلومترين من مركز الانفجار. كانت السيدة كونو محمية من شعاع الحرارة، لكن ابنها مكشوف تماماً له. رأت لونه يصبح أبيضَ شاحباً ويخرج منه عمود من دخان أسود قبل أن يميل منزلها على جانبه، ويرتفع في الهواء، ثم يقع في النهر فوق ابنها تماماً.

على ضفة ذلك النهر نفسه، في النطاق نفسه ضمن مرمى بصر قبة هيروشيما، كان نوبو تيتسوتاني يسترخي مطمئناً عند الساعة 8:14، وهي لحظة ستنطبع في ذاكرته بواقعة غريبة تتمثّل بأن كل ما كان يحبّه وموجوداً في لحظة، اختفى في اللحظة الثانية.

كان الهواء عليلاً، يمتلئ بأصوات الزّيزان والصراصير التي تحكّ أرجلها معاً، وبطنين ذباب الأزهار وضحكات شين البالغ من العمر ثلاث سنوات وصديقه كيمي ابن جيرانه، يلعبان على ما كان نوبو يظن أنه آخر دراجة بثلاث عجلات في هيروشيما نجت من الصهر لبناء هياكل فولاذية أو قذائف مدفعية. أطلق نوبو ضحكة، وفي 300 جزء من ألف من الثانية نجا مما حدث، في حين لقي الصبيَّانِ مصرعهما.

التقط طلاء الدراجة ذات الثلاث عجلات الأشعة الساطعة وامتصها، مما تسبّب بتفكك الطبقات الخارجية من الفولاذ، وامتزاجها مع الطلاء واشتعالها مثل شرارات حديدية تنطلق من ألعاب نارية خاصة بحفلات الميلاد. التقط شعر الصبيّين الأسود الأشعة بكفاءة مشابهة في نصف ثانية قبل أن يتحول عالمهما إلى أنقاض وجمرات حمراء متوهجة. في مدينة كان مصيرها إعادة بنائها على رماد «الزوال»، ستنقضي أربعون سنة قبل نبش جثتي شين وكيمي في نهاية المطاف.

Twitter: @alqareah

سيتم العثور على عظامهما البيضاء الصغيرة وهما يمسكان يدي بعضهما بعضاً، قرب أنبوب بني منتفخ اتضح لاحقاً أنه مقود دراجة شين ذات الثلاث عجلات.

تذكر بعض الآباء هواجس سابقة، ذلك الصباح، من أولاد بدا أنهم يحاولون فقط التملّص من الذهاب إلى مدارسهم.

كانت إتسوكو كوراموتو في الصف الخامس الابتدائي، وتلزم المنزل آنذاك منذ ثلاثة أيام نتيجة معاناتها مغصاً مزمناً في معدتها. لم تكن ترغب في الذهاب إلى المدرسة مجدداً؛ تصر على أن شيئاً سيقع ولا تريد أن تترك والدتها وحيدة.

قالت والدة إتسوكو: «إذاً، سنموت معاً عندما يحين الأجل». كانت تضحك وهي تقول ذلك، وعندما أوضحت قاعدة أن إتسوكو ستذهب إلى المدرسة حتى إذا غمر طوفان الأرض، أصرّت الابنة على ارتداء أفضل ملابسها ذلك الصباح. وعندما رأت سومي كوراموتو ابنتها للمرة الأخيرة، كانت ابنتها الحبيبة الخائفة تمشي نحو المدرسة الابتدائية الوطنية باتجاه مركز الانفجار، ترتدي «أفضل ملابسها»، وتبكي.

عبّر تلميذ آخر في الصف الخامس الابتدائي عن مخاوفه على نحو أكثر صراحة. أخبر هيروشي موري والدته: «ستُدمّر هيروشيما عن بكرة أبيها اليوم».

لم تستطع يوشيكو أن تتخيل من أين قد يكون ابنها سمع بمثل ذلك الشيء المرعب. حذّرته ألا ينطق بمثل تلك الكلمات مجدداً، ثم أمرته بالذهاب إلى المدرسة. وقبل أن يغادر إلى مبنى، سرعان ما تجرّدت عوارضه الفولاذية بعد ذلك من غلافها الإسمنتي وانحنت مثل أعشاب تعصف بها ريح قوية، طلب الفتى من والدته أن تعتني بنفسها، وألا تضع أي طعام في الحقيبة المصنوعة من القنّب التي يحملها على ظهره؛ لأنه لن يكون بحاجة إلى غداء ذلك اليوم.

في مدرسة أخرى مجاورة، على بعد نحو كيلومترين، تلقت معلّمة

Twitter: @alqareah

تدعى أراي درساً لا يمكن نسيانه عن الاختلاف بين السطوح البيضاء والسوداء في امتصاص الضوء. عندما وصل الوميض، تصادف أنها كانت تقف وحدها في غرفة صفها، بعد أن قرّرت منح طلابها بضع دقائق إضافية من اللعب في الخارج. كانت أراي تعلّق أفضل نصوص طلابها على نافذة تواجه مركز الانفجار. كانت فتاة صغيرة، نفّذت عملاً بخط يدها الأنيق، قد كتبت اسم معلّمتها على ورقة أرزّ بيضاء. كان الوميض ساطعاً جداً وظنّت أراي أن قنبلة تزن ألف رطل قد سقطت بالتأكيد خارج النافذة. انسجاماً مع التدريب الذي خضعت له بشأن ما يجب القيام به في أثناء وقوع غارات جوية، انبطحت مباشرة لتحمي نفسها، ولم تكن تتوقع أكثر من «إغماءة سريعة» من قنبلة مليئة بالديناميت وحشوة فوسفورية سقطت بالقرب منها. لهذا السبب ارتبكت عندما تلاشى الضوء ولم يستمر الانفجار المتوقع لما يبدو أنها ثوانٍ طويلة. كانت على وشك أن ترفع رأسها لتلقي نظرة خاطفة إلى الخارج عندما تحطمت النافذة إلى الداخل وطارت ألف قطعة زجاج فوق ظهرها من دون أن تصيبها بأذى.

عندما وقفت أراي مجدداً، شاهدت غيمة بركانية عملاقة مليئة بيراعات تتحول من اللون الذهبي إلى البنفسجي إلى الأخضر الداكن أكثر لمعاناً من أي زمرد يمكن أن تتخيله. عندما اختفت اليراعات من مرمى البصر وبعد أن وقفت ذبابة على جرح في ساعدها، أدركت حقيقتين جديدتين: اختفاء الأولاد في الخارج؛ كأن شيئاً قد أبعدهم بصمت عن المكان، وترك أكواماً محترقة من أسمالٍ في مكانهم. أما الحقيقة الثانية التي أدركتها أراي فكانت أن ذراعيها، وجهها، وكل شيء آخر لم يكن محمياً خلف الأوراق على النافذة تعرض لحروق شمسية بالغة.

في يدها، كانت أراي لا تزال تمسك ورقة الأرزّ، لكنها كانت قد تغيّرت كثيراً. كانت الشخصيات اليابانية السوداء قد امتصت الضوء

Twitter: @alqareah

واحترقت حتى اختفت من الوجود، في حين عكست الورقة البيضاء المحيطة بها الضوء بالاتجاه الذي جاء منه وبقيت سليمة تقريباً. بحلول الوقت الذي نفذ فيه شعاع الحرارة عبر ضربات الفرشاة، كانت قوة القنبلة قد خفّت على نحو كبير وبدأت تتلاشى. كانت ورقة رقيقة قد حمت عيني المعلّمة، اللتين لم تصابا بالعمى، لكن جزءاً متضائلاً من غضب القنبلة المتبقي كان كبيراً. أشعل ضوءُها الأحرفَ المفقودة مثل طلاء رُشّ عبر صفيحة مخرّمة مخصصة للطباعة، ضرب وجه أراي بقوة تعادل البقاء أربعة أو خمسة أيام كاملة تحت شمس آب المحرقة، وطبع الكتابة الأنيقة لفتاةٍ اختفت من الوجود على جلدها على نحو دائم. حدث كل ذلك قبل أن تبدأ أراي بالانحناء؛ كل ذلك في أربعة أعشار من الثانية.

بدا أن إدراك «الوميض – الدوي» يتغير وفقاً للمكان الذي يوجد فيه المرء. تذكرت أكيكو تاكاكورا أنه داخل شرنقة الحماية من الصدمة تحت القنبلة، كل ما بدا لها في بادئ الأمر كان وميضاً أبيضَ، بصمت مطلق. على بعد كيلومتر، رأت يوشيكو موري وميضاً أزرقَ، ترافق مباشرة تقريباً بصوتٍ عالٍ يصم الآذان. على بعد نحو كيلومترين، تذكرت والدة ساداكو ساساكي أن الوميض أصفر، في حين كانت جارتها سوميكو واثقة من أن وميض القنبلة أزرق. على تلك المسافة نفسها، تذكر عامل بريد تواجد في شرنقة حماية من الصدمة يدعى هيروكو فوكادا بوضوح أنه كان أصفرَ. رأى ياساكو ميكامي، أحد ثلاثة رجال إطفاء نجوا ضمن نطاق **أرض الصفر**، السماء تومض بلون أزرق على بعد 1.9 كليومتر (1.2 ميل). على بعد 4.1 كيلومترات (2.1 ميل) رأى طبيب يدعى ساواشيكا لون عالمه يتحوّل فجأة إلى أحمر ساطع. على بعد 3.7 كيلومترات، ضمن دائرة شعاعها 4.4 أميال وفي قاع وادٍ محمي، شاهد المصوّر سيسو يامادا كل ألوان الطيف الضوئي – «مثل أقواس قزح ومغنزيوم يتوهج فوق الرؤوس. مثل مويجات نجمت عن

Twitter: @alqareah

في كل أنحاء هيروشيما، احتفظت جدران ومبانٍ أخرى بقيت قائمة بظلال أشخاص أو أشياء، يشير كل منها إلى اتجاه الوميض. كانت أشكال تلك الصور تشبه الأثر الشاحب الذي تتركه ساعة اليد بعد التعرّض لحرق شمس على الشاطئ. يحتفظ عمود الهاتف هذا، الذي كان يقع على بعد 1300 متر من مركز الانفجار، بعد أن لفحه الوميض، بشكل شجيرة خروع كانت قد احترقت في الوميض ثم تناثرت مُزقاً. لاحقاً، ظهرت براعم جديدة أسفل الأثر على العمود. يدل وضوح أوراق الصورة على أن الأثر طُبع قبل ثانية أو اثنتين من وصول موجة الانفجار. (باتريشا واين)...

إلقاء حجر في بركة، ظهرت أقواس قزح مثل أمواج» - ثم وجد نفسه مرمياً على الأرض بعد أن سمع صوت انفجار هائل.

بدا أن أولئك الشهود الأقرب إلى مركز الانفجار لم يسمعوا قط صوته. ازداد الصوت حدّة، مع ازدياد المسافة، حتى أضحى يصمّ الآذان. على بعد 1.8 إلى 1.9 كيلومتر، سمعت سوميكو أزيزاً وطقطقة إلكترونية حادة، لكن ناجين آخرين ضمن نطاق الشعاع نفسه، بمن فيهم آل ساساكي، لم يسمعوا شيئاً. على بعد ثلاثة كيلومترات، كان مصمم السفن تسوتومو ياماغوشي يمشي في حقل بطاطا، ويقترب من امرأة ترتدي مومبي (رداء مؤلف من بنطال وقميص مريحين) أسودَ،

Twitter: @alqareah

عندما لمع شيء يشبه الضوء الومضيّ لمصوّرٍ أمام عينيه. عمل السيد ياماغوشي مباشرة وفقاً للتدريب الذي تلقاه في البحرية عن تفادي الغارات الجوية، انبطح على الأرض وتدحرج إلى أقرب قناة ري، رفع يديه إلى رأسه، شبك أصابعه فوق عينيه، ودفع إبهاماً برفق في كل أذن ليحميها. بالرغم من أن أذنيه كانتا مغلقتين بإبهاميه، إلا أن الصوت الذي سمعه ياماغوشي كان يصم الآذان. أكثر ما تذكّره لاحقاً عن الأصوات التي سبقت الوميض وموجة الصدمة كان قطيرات ندى الصباح تلمع على أوراق البطاطا، وصوت بي – 29 (قاذفة أميركية) بعيد، وامرأة كانت تنظر إلى السماء الصافية وتبدو مرتبكة والمظلتين اللتين تُفتحان، واللتين جعلتا المرأة تفرُّ هاربة. آنذاك، بالرغم من وجود أصابعه فوق عينيه، إلا أن ياماغوشي تمكّن من رؤية وهج كرة النار وأن يشعر بها. بدا له أن الشمس قد سقطت على الأرض، وأن الجبال نفسها صرخت نتيجة ذلك.

جأرت الأرض واهتزت، تحرّكت وتمايلت، قذفت ياماغوشي خارج القناة إلى ارتفاع نحو متر في الهواء. بعد أن وقع، انفجرت كرة النار فوق رأسه وبدأت ترتفع بسرعة هائلة، كوّنت خواءً هدّد لثانية أو اثنتين بقذف المهندس عن وجه الأرض، لكن بدلاً من ذلك رفعه تقريباً لما بدا أنه وقت طويل جداً على وسادة من الهواء والغبار المتسارع. فتح ياماغوشي عينيه ولمح صفوفاً بعيدة من منازل تُقتلع من مكانها وتطير أجزاؤها المحطمة نحوه. لا حول له ولا قوة، وقع المهندس في إحدى القنوات الطينية التي كان الانفجار قد سحبه منها؛ شعر بأنه ورقة في مهبّ الريح.

عندما استعاد ياماغوشي رباطة جأشه ونظر إلى خارج القناة، كانت عاصفة من أوراق محترقة ومُزق ملابس مشتعلة تهبط من السماء، تومض مثل آلاف المصابيح الصغيرة وأدوات حرق البخور في الأشجار وعلى أوراق نباتات البطاطا. بدا له أن محتويات بناء مكاتب كامل

قد ارتفعت إلى السماء، ثم تمزّقت، وانفجرت، واحترقت، وهبطت متناثرة على الأرض. لم يستطع رؤية الشمس. كانت السماء الزرقاء قد اختفت وحلّ ظلام حالك، مما جعل ياماغوشي يشعر بأنه في أعماق محيط. كانت أجزاء من مبانٍ لا تزال تتطاير. سيكتب لاحقاً: «كان في مقدوري سماع صوت تطاير آجر السقوف وتفتّته في الهواء، وتساقط أشياء، وضجيج كل أنواع التدمير. كان من المستحيل تحديد طبيعة كل صوت أو سببه».

أدرك ياماغوشي فجأة، وهو جالس في بركة طينية، أن جانباً كاملاً من جسده محروق بشدّة. كان الجلد المكشوف على ذراعه اليسرى محمّصاً بكل ما تعنيه الكلمة ولونه بنّي مائل إلى السواد، مثل جلد دجاجة شوُيت وقتاً أطول من اللازم. آنذاك، قبل أن يعرف شيئاً عن القنابل الذرية، بدأ المهندس يشك في شعاع حراري من نوعٍ ما، وأدرك أن قميصه الأبيض وبنطاله فاتح اللون قد جنّباه الكثير. كانت المرأة التي ترتدي المومبي الأسود قد جرت إلى وسط الحقل، حيث عرّضت، بوقوفها منتصبة، جسدها كلّه لقوة الوميض الهائلة، وامتصّت ملابسها كل الأشعة مثل حبر أسود. لم تكن في أي مكان ضمن مرمى البصر.

عندما هدأ الضجيج والدخان الأسود ورفع السيد ياماغوشي بصره إلى الأعلى، رأى عموداً من النار والرماد يصل إلى الطبقة العليا من الغلاف الجوي. بدا مثل إعصار عملاق محاط بسحابة بركانية، لكن قاعدته لا تتحرك. ووحدها قمة الوحش بدت نشطة، وتزداد ارتفاعاً واتساعاً. قال ياماغوشي لنفسه: عندما تهبط هذه السحابة إلى الأرض، سيموت كل شيء حي. أدرك أنه حتى إذا نجا من السحابة - التي سرعان ما أمطرته برذاذ زيتي - فإن قاذفات بي - 29 قد تعود. واختفى كل إحساس بالحروق في جسده، لتحلّ محلّه مباشرة صورة زوجته وابنه وحدهما في البيت. استنبط خطة، آنذاك، للعثور على قطار أو سيارة لا تزال تعمل، أو حصان لا يزال حياً، أو أي وسيلة أخرى ليذهب

Twitter: @alqareah

إلى منزله في ناغازاكي.

كان إساو كيتا على سفح جبل عندما اشتعلت السماء بنار. كان رئيس قسم الرصد الجوي العسكري في مكتب المقاطعة، وبقي في موقعه، يوثّق ويراقب حتى بعد أن اعتراه شعور لا يمكن تفسيره من الغثيان. كلما كان الأشخاص أقرب إلى مركز العاصفة، كلّما كانت رؤيتهم لما يجري في الواقع حولهم أقل. على بعد ثلاثة كيلومترات، كان السيد ياماغوشي قد فهم مباشرة تقريباً أنه شاهدٌ على أداة تطلق طاقة كبيرة تأثيرها الرئيس موجات من ضوء حارق. في مكان أقرب إلى مركز الانفجار، كل ما كان بمقدور أفراد أسرتَي شين وساداكو رؤيته هو أنقاض، وموجات من غبار تدفعها الريح، وألسنة لهب متطاولة.

من محطة الأرصاد الجوية، الواقعة في مكان عالٍ فوق هيروشيما، على بعد أكثر من نصف كيلومتر وراء السيد ياماغوشي وخارج دائرة حروق الدرجة الأولى التي نجمت عن وميض القنبلة، كان لدى السيد كيتا منظر شامل. كان ينظر شمالاً إلى المدينة والرياح - تسلك مسارها الطبيعي في ذلك الوقت من السنة - تهبّ من خلفه. في أحواض النهر في الأسفل، كان الوميض محجوباً جزئياً بسحب بيضاء لامعة تكوّنت مباشرة حول مركز الانفجار، التي تشبه منظر حلقات زحل، إذا نُظر إليها من نقطة مشاهدة جيدة أدنى قليلاً من الأفق، ومع ذلك كانت تلك الطبقة الضبابية من الحلقات تتحرك، وتتموج عبر السماء الزرقاء. سيتذكر كيتا دائماً ذلك أنه منظرٌ ملوّن على نحو مدهش: «كان المنظر وكأن براعم زرقاء قد تفتّحت في السماء». ثم بدأ الهواء حوله يصدر صوت طقطقةٍ. بدا أن كيتا وسفح الجبل كله قد انغمسا فجأة في فرن حار. مثل ياماغوشي، أدرك مباشرة أن شيئاً غير معتاد قد انفجر فوق المدينة، وبدا على الأرجح أن موجة الصدمة تسرع نحوه.

قدّر كيتا بسرعةٍ الثوانيَ التي كانت قد انقضت منذ ظهور الوميض، وانبطح محاولاً حماية نفسه وبدأ يعدّ. بعد ثانيتين، تناهى صوتٌ عالٍ

Twitter: @alqareah

إلى مسمعه، تحوّل بسرعة إلى هدير مجلجل تسبّب بهز منصة المراقبة وتضعضعها. في لحظة كان ينظر مباشرة إلى الأرض، يظن أنه قد نجح في وضع يديه وقدميه بوضعية مناسبة لحماية نفسه. في اللحظة الثانية، نظر إلى الأعلى حيث يجب أن تكون الشمس والسحب النارية، لكن السماء سقطت نحوه وأصابته في فكّه. بدا أمراً غير مألوف أو واقعي أن تكون السماء مليئة بإسمنت بدلاً من السحب، لكن كيتا استعاد وعيه بسرعة واكتشف أن الصدمة قد قلبته مثل قطعة نقود، ورفعته مترين في الهواء، ثم ألقت به بقوة ساحقة على أرضية محطة الأرصاد الجوية.

سحب كيتا ورقة من سترته، وكتب عليها بسرعة الرقم خمسة، الذي يمثّل عدد الثواني التي انقضت بين الوميض والدويّ. قدّر من بعده عن مركز الوميض، قرب جسر «تي» والقبة، سرعة موجة الصدمة: نحو 700 متر في الثانية. سجّل كيتا أنها تنتقل بضعف سرعة الصوت.

عندما وقف العالِم الشاب ونظر إلى الأضرار في الأسفل، وحدهما كلمتا خارق للطبيعة بدأتا («وبدأتا فقط») تصفان ما جرى.

لم تعد هيروشيما تنتمي إلى عالم كيتا. بعد الثواني الخمس الأولى، كانت المدينة برمتها قد تحوّلت إلى بحيرة من غبار مصفرّ يغلي، فوقها سحابة حمراء كبيرة ترتفع بسرعة هائلة. بحلول الوقت الذي سجل كيتا فيه الرقم 5، كانت السحابة قد ارتفعت آنذاك أكثر من خمسة كيلومترات.

بعد نحو خمس دقائق، تلطّخت بحيرة الغبار الصفراء بأعمدة دخان أسود حالك، وبعد دقيقتين، أضحت طبقة الهواء فوق الغبار مليئة بالديدان. بعد مضي بعض الوقت، أدرك كيتا أن الديدان اندفاعات لولبية من دخان ونار؛ أحياناً تتحرك على طول دروب منفصلة وتتلاشى، وفي أحيان أخرى تندمج في أعاصير حقيقية من ألسنة اللهب التي تدور فيها كتل مقتلعة من صفائح معدنية وأنقاض لا يمكن معرفتها.

بدا أن الريح خلف كيتا تدفع كل الديدان وأعمدة الدخان باتجاه

Twitter: @alqareah

الشـمال الغربي نحو محطة هيروشـيما وجسـر ميساسـا، وتقسم المدينة بيـن ليـل ونهـار. على جانب كيتا من التقسـيم، هـدأت طبقة الغبار التي تغلي أو تلاشـت وانكشـفت آثار الدمار في الأسـفل على شـكل حقول من أخشـاب وشـظايا زجاج محطم، التي كانت الشـمس لا تزال تسـطع عليها، في صبيحة يوم صيفي عادي بخلاف ذلك. بدا أن كل شيء في الجنوب والشرق قد تحوّل إلى رمل صحراء أصفر. في الشمال، باتجاه أعلـى مجـرى النهـر، كان العالِم غارقاً في ظلام دامس يمكن أن يشـعر المرء به من بعيد، لا يخترقه سوى برق، وزوابع متوهجة يصل ارتفاعها أحياناً إلى خمسـة حتى عشـرة طوابق. كانت هناك تيارات هوائية غريبة تصعد وتهبط في الدخان، وعبر منظاره استطاع كيتا تمييز وابل كبير من ثلج أو بَرَد أسود، يهبط من علٍ.

قال: «لا... آه! لا».

استـطاع كيتا رؤية أشـخاص لا يزالون يتحركون على السـهل في الأسـفل. آلاف الناس في العراء، وعلى الأرجح، آلاف آخرون عالقون خلف ستارة سوداء.

Twitter: @alqareah

2

بيضة جوجيرا
(جوجيرا أو غودزيلا: وحش ياباني خرافي)

في ما يتعلق بوالدة نينكاي أوياما والرجل الذي يقود حصاناً على جسر «تي» في هيروشيما، انتهت الحياة بسرعة كبيرة كأن شيئاً لم يكن؛ لا شيء على الإطلاق.

خارج منطقة التبخّر المباشر، أو ضمن شرنقة الحماية التي كوّنتها ردهة مصرف سوميتومو، بدأ الناس يتساءلون عمّا كان قد جرى آنذاك. فقدت أكيكو تاكاكورا وعيها، وهي التي تركت بصمتها على التاريخ كونها الناجية التي عاشت طويلاً وكانت قريبة من القنبلة، وقد استعادت وعيها مراراً في الدقائق الثلاث الأولى. شعرت بألم في رئتيها من الاندفاع المفاجئ للهواء المضغوط إليهما، ومن زوال الضغط بالقوة نفسها بعد ذلك. على بعد بضعة مبانٍ سكنية من موقع أكيكو، استنبط الجندي شيجرو خطة لحماية رئتيه من السحابة الغامرة من السخام والدخان الحار بالتبوّل على قميصه واستخدامه كمصفاة، لكن الخطة تداعت بسرعة؛ لأنه بدا لشيجرو أن أحداً قد ثبّت كلتا ذراعيه ويده اليمنى إلى لوح خشبي في أثناء فقدانه الوعيَ. في مكان أقرب قليلاً إلى مركز الانفجار، لاحظ صانع الطائرات الشراعية شيجيوشي موريموتو أن كل كتبه قد سقطت عن الرفوف والسقف أقل ارتفاعاً بأكثر من متر؛ مما جعله يستنتج أنه وقريبيه قد نجوا بشق الأنفس من قنبلة تزن طناً قد سقطت على مرج فناء منزلهم الأمامي. لم يستطع أن يتخيل أن معظم المنطقة التي تحيط بالمنزل قد اختفت. خرج مصمم السفن تسوتومو ياماغوشي من قناة الري إلى عالم بدا أنه قد أصبح مباشرة أكثر حلكة

Twitter: @alqareah

من منطقة تعرضت لكسوف كامل للشمس. شعر السيد ياماغوشي على أحد جانبي وجهه أن ألف إبرة بيضاء من شدّة الحرارة قد اخترقت جلده، وحاول التخفيف من السخونة باستخدام الطين من القناة. بعيداً خمسة كيلومترات، على الطرف الآخر من **أرض الصفر**، كانت سوميكو كيريهارا تسعل غباراً أصفر.

مبعثرين بطريقة عشوائية في أنحاء مدينة يسكنها ربع مليون نسمة – مدينة بدا أن النجاة فيها مرتبطة بمحض المصادفة – كان أيّ ناجيَين؛ لا على التعيين؛ غريبَين تماماً عن بعضهما بعضاً. بالرغم من أن الرياضيات صنّفت الناجين كغرباء، إلا أن حياتهم تحدّت الاحتمالات، وأصبحت مرتبطة ببعضها بعضاً على نحو غريب.

كانت أسرتا ساساكي وإيتو مثالين على ذلك. بالرغم من أن ماساهيرو ساساكي عاش قبالة جسر ميساسا على بعد أكثر من عشرة كيلومترات من تسوجيو إيتو البالغ من العمر عشرة أعوام، إلا أن الصبيين كانا قد التقيا آنذاك في مدرسة الولاية الحكومية وحوض السباحة الملحق بها، وستربطهما في نهاية المطاف صداقة تستمر مدى الحياة. لم يكن أيٌّ منهما يعرف أن شقيق تسوجيو الأكبر هيروشي وشقيقة ماساهيرو الصغيرة ساداكو يقودان آنذاك أسرتيهما على طريقين متقاربين عبر التاريخ.

قبل بضعة شهور فقط، كان قد تم قبول شقيق تسوجيو هيروشي في واحدة من أرقى جامعات اليابان وأكثرها تنافسية، التي توظف الحكومة عادة أفضل طلاب الهندسة فيها. لاحقاً، تم تحويل قاعات صفوف مدرسة هيروشي إلى معامل مؤقتة تقدّم أسلحة إلى جنود قلعة هيروشيما. تم تعيين طلاب الهندسة القدامى لمعرفة كيف يمكن تصنيع زناد وقطع بندقية أخرى معدنية عادة من الخشب القاسي المتوافر بكثرة؛ المأخوذ من أحياء تنتقيها الحكومة لتحويلها إلى حواجز نار (أرض محروقة لمنع انتشار النيران). في قاعة صف هيروشي، تمّ استبدال

Twitter: @alqareah

السقوف القصديرية المحطّمة بسقف أكثر جودةً منها مصنوع من النحاس المصهور الذي كان يُستخدم في القذائف. (خشب صلد بنيّ ضارب إلى الحمرة) «للقتال قريب المدى»؛ كما شرح أحد المعلّمين. تم تصنيع مسدسات خشبية بطلقتين لتوزيعها على الصغار وأمهاتهم. كان الجميع يعرفون أن المسدسات الصغيرة لن تكون فاعلة وقتاً طويلاً إذا اجتاح الأميركيون المدينة، لكن الرجال الذين خططوا للمعركة الأخيرة كانوا قد قرّروا أن طلقة واحدة أو اثنتين من كل مواطن ربما تكون كافية. في قاعة صف أخرى، كان الطلاب يشحذون رماح خيزران. لاحظ طبيب محلي يدعى هاشيا أن هذا ما يحدث لأمة تخسر حرباً؛ تصنع رصاصات خشبية ورماح خيزران.

بعد خمس دقائق من **لحظة الصفر**، ومن تحت سقف قاعة الصف السابع، الذي تحوّل آنذاك من مبنى مؤلف من طابقين إلى أقل من نصف طابق، خرج الفتى هيروشي إيتو سالماً تماماً ليواجه ضباباً من قطيرات ماء أسود تمتزج بنيران مستعرة ومطر أسود متجمّد. لسع المطر جلد هيروشي وجعله يجري مع ثلاثين أو أربعين تلميذاً آخرين إلى حوض السباحة، يصرخون طلباً للعون. بدا أن كل الفتيان الآخرين قد تعرّضوا لحروق شديدة، وفي كل اتجاه كان عالم هيروشي إيتو غارقاً في فوضى عارمة. على ضفّة النهر، كانت تلميذات، يستلقين في صفوف، يفارقن الحياة الواحدة تلو الأخرى أمام عينيه. كن يرتدين كنزات بيضاء وبناطيل سوداء، ومعظمهن لا تكسوهن سوى قمصانهن البيضاء، بعد أن اشتعلت بناطيلهن الداكنة بألسنة اللهب التي حوّلتها إلى رماد، وسلخت كل جلود الفتيات عن سيقانهن. عندما نظر هيروشي في الاتجاه المعاكس، نحو جسر ميساسا، حيّاه مركب للبحرية أو خزّان وقود بانفجار هائل تطاير منه شيء أسود وأسطواني الشكل نحو الأعلى على ألسنة اللهب. أصبحت السماء أكثر حلكة بعد ذلك إذا صحّ القول، مثل سحابة شيطانية تتحرك فوق المدرسة والنهر. وعندها، أطلق لعنة.

Twitter: @alqareah

في تلك اللحظة، كانت هاناكو والدة هيروشي إيتو تجري نحوه من على بعد عشرة كيلومترات في محيط التلة الشرقية. كانت تعرف أن ابنها يكافح، في مكان ما أمامها، من أجل البقاء تحت ساق سحابة الفطر. كان الوميض الأولي قد حرق وجهها على بعد قرابة سبعة أميال، ولم يكن في مقدورها أن تخمّن طبيعة ذلك الوحش. قرب ساق الفطر نفسها وفي المنطقة الأشدّ دماراً، كان تسوتومو ياماغوشي يحاول العثور على وسيلة للعودة إلى منزله في ناغازاكي. كان وهاناكو إيتو آنذاك (مثل تسوجيو إيتو وماساهيرو ساساكي) يسلكان سبيلين متقاربين. سيوجد كلاهما في أرض الصفر مرة ثانية.

إلى الجنوب من الساق، كادت خطة ياماغوشي تفشل نتيجة زوابع الغبار البنّيّة المصفرّة التي هبطت فجأة من ارتفاع عالٍ وأحاطت به. كان الغبار بارداً على نحو مدهش، مثل صقيع، لكنه يشع حرارة لا يكاد المرء يشعر بها تتولد من تسرب نيترونات وجزيئات غريبة أخرى.

إلى الشمال من ياماغوشي، شعر الفتى إيتو أيضاً بلسعة صقيع منذ اللحظة التي خرج فيها من حوض السباحة. وبحلول ذلك الوقت، كان هيروشي إيتو يعرف أنه وفتى آخر فقط (أكبر منه سناً يدعى ريوسو) قد نجوَا من تدمير مدرستهما من دون أن يذوب جلداهما أو تتكسّر أطرافهما. تحرّك زملاؤهما المصابون بصمت غريب. لم تكن هناك فائدة ترجى من سؤال أي منهم عن معلومات أو رأيه بشأن سبب الانفجار والحروق؛ بدا أنهم قد زهدوا في كل شيء. وهكذا انطلق الناجيان لاستكشاف ما جرى، والحصول على أجوبة بمفردهما.

أدرك الصبيّان أنه حتى ملابسهما كانت سليمة تماماً، وشعرا بأنهما متطفلان في أرض غريبة أصبحت فيها عينا كل شخص آخر وشفتاه متقرّحة كأنها شوُيت في رماد أسود. قبل بضع دقائق فقط لم يكن أحد في مدرسته قد رأى مثل تلك الجروح من قبل. آنذاك، كانت الجروح الغريبة تظهر على كل شخص إلا إيتو وريوسو؛ كأن ما كان عادياً أصبح

Twitter: @alqareah

نادراً، وما كان غير معتاد أضحى طبيعياً وشـائعاً. ذكّرهما ذلك بقصصٍ كان أجدادهما يقصّونها عن دمار متوقع للعالم.

قال رويوسو: «يا الله، يا للهول. ماذا حدث؟».

عبـر النهـر، علـى الطرف الآخر من جسـر ميساسـا، كانت أسـرتا ماسـاهيرو وسـوميكو آمنتين في الظل داخل شـرنقة حماية من الصدمة؛ مثـل هيروشـي وريوسـو تمامـاً. ومثـل الصبييـن تماماً، لـم تنجح هاتان الأسرتان بادئ الأمر في العثور على أطراف خيوط عن سبب المشكلة. كل ما عرفتاه هو أن الظاهرة، التي حوّلت الحدائق الخلفية الهادئة التي تلمـع فـي نـدى الصباح إلى غبار أصفر ودخان أسـود يتحرك كالدوّامة، قد انجلت مثل حلم سـريع. الأمر الجيد أن شـقيقة ماسـاهيرو الصغيرة ساداكو لن تتذكر سوى الوميض فقط. تمنّت الأم ألا يُضاف شيء إلى تلك الذكريات، خاصة أنها لم تستطع أن تخبر الفتاة عن الراقص النقري الذي رآه أفراد الأسرتين.

عندمـا خرجـت الأسـرتان مـن منزليهما، اكتشـف أفرادهما أن كل النـاس قـد اختفـوا؛ إلا رجـلاً غريبـاً شـقّ طريقه فجأة مـن داخل منزل محطـم وبـدأ يركـض متجاوزاً إياهم نحو سـتارة من شـرارات نار تدور بسـرعة. خفـق بذراعيـه مثـل جناحي طائر في أثناء ركضـه، ولـم يصرخ طلبـاً للنجـدة أو يُعِـر أي اهتمـام لمـن ينظـر إليه. كان الصـوت الوحيد الذي صدر منه طقطقة منتظمة على الطريق؛ كأنه كان يرقص على طول الشـارع بخفيّـن مزوّديـن بقطعتين معدنيتين، لكنه لـم يكن ينتعل حذاءً. فـي الواقـع، كانت قدماه مفقودتين والنهايتان العظميتان للظنبوب (عظم السـاق الأكبر) – تتمزقان وتتكسـران مع كل خطوة على الرصيف – هما مصدر الصوت. لم يرَ أحد ما حدث له في نهاية المطاف. كان الرقص النقري مكتوماً بادئ الأمر، ثم انقطع تماماً بانبعاث كتل كثيفة من دخان زيتي غلّفت كلتا الأسرتين بسكون كئيب.

خلف شعاع ست أو سبع خطوات، أصبح عالمهم صوراً متحركة

Twitter: @alqareah

صامتة ومبهمة. بعد أن قضى الراقص النقري حتفه، كل ما كان ممكناً سماعه هو صوت الحصى وحبيبات الرمل المنتظم من السماء، والتي هبطت على صفائح من الزنك المضلّع وانهمرت على الحي من مكان ما بعيد. تساءلت سوميكو كيريهارا إن كان التغيير اللحظي في عالمها لا علاقة له قط بالحرب، وإنما بالاندثار الأخير للأرض نفسها، كما كان متوقعاً منذ آلاف السنين. بدأت تظن أن تلك نهاية هيروشيما، واليابان، والجنس البشري.

في مستشفى قرب أرض الصفر، كان هناك طبيب عسكري عُيّن أخيراً ويُعدّ العدّة للهجوم الأميركي المتوقع على البر الرئيس. تضمنت أوامره، التي صدرت إليه تحت تهديد السلاح، تعليم الجنود الجدد - اليافعين الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة - التقيّد بالتعليمات الأخيرة عن ربط قنابل إلى أجسادهم وإلقاء أنفسهم تحت مركبات. توقف الطبيب آنذاك محتاراً مثل سوميكو من الصمت الذي أطبق على ما يحيط به. ستمر عقود قبل أن يدرك أحدٌ أنه كان ينتمي إلى زمرةٍ صغيرة جداً من الناجين ضمن شرانق الحماية من الصدمة. اختفى المستشفى بجانب النهر الذي كان يقف فيه ولم يبقَ منه سوى ما يصل إلى خصره. اقتُلع كل شيء بزوبعة غبار، وتركته الناجيَ الوحيد على الطابق الأرضي من دون أن يُصاب بخدش واحد. كل ما فعلته القنبلة للطبيب كان وقوع النظارة بعيداً عنه. عندما نظر إلى الأسفل، رأى صندوقَ موسيقى صغيراً، يجثم أيضاً سليماً في ذلك المكان المليء بالدخان والغبار المتصاعد. كان صندوق الموسيقى لا يزال يصدح بأغنية **دعيني أدعوكِ حبيبتي**. ما عدا تلك المقطوعة الموسيقية الغربية القديمة، كان الصمت مطبقاً على كل شيء، وبدا أن كل شخص آخر قد اختفى.

ازداد الغموض عندما بدأ الطبيب يرى، عبر انقشاعات عرَضية في الغبار، المدى الحقيقي للأضرار. ثم عثر على نظارته، واكتشف أنه لم

Twitter: @alqareah

يعد يرى بوضوح عندما يضعها، ثم اكتشف أن كل شيء يصبح واضحاً جداً عندما ينزعها... وتشوّشت رؤيته مجدداً عندما وضعها. ظنّ أن نوعاً من موجات الضغط قد غيّر شكل مقلتيه.

أخبر عالماً بعد سنوات، بنبرة فهم كبير: «لكن بالطبع لن أوصي بتفجيرات نووية كوسيلة لجراحة تصحيح البصر».

في مكان آخر بمحاذاة المنطقة المدمّرة، كانت لدى إحدى العاملات المجنّدات زميلات السيدة إيتو قصة نجاة مميزة أيضاً ترويها؛ تدين بها لمزيج دقيق من المسافة والعقبات، والزوايا والقوى، والحظ. في **لحظة الصفر**، كان بنطال السيدة سوماكو ماتسوياناغي الداكن قد اشتعل بوهج أزرق حارق، لكن قميصها الأبيض طويل الرُّدنَين حمى الجزء العلوي من جسدها، وأخمد الانفجارُ الجوي النيران المشتعلة في بنطالها مباشرة قبل أن تسبب لها أي ضرر حقيقي. أبعد رأسُ مطرقة الهواء أيضاً السيدة ماتسوياناغي عن الرصيف وقذفها أكثر من خمسين متراً؛ نحو نصف المسافة إلى مبنى سكني. كانت أبعد عن الانفجار الجوي من أكيكو تاكاكورا ومصرف سوميتومو، لهذا، لم تكن بمنأى عن أسفل فقاعة الصدمة. بدلاً من ذلك ضربتها تلك الفقاعة جانبياً، وكوّن أسفلها على شكل زبدية - الذي انتشر على طول السندان المسطّح للأرض - موجةَ تمهيد أمام موجة الصدمة؛ كان ذلك شيئاً جيداً وسيئاً بمعيار النجاة. كانت موجة التمهيد قد تكوّنت أمام السيدة ماتسوياناغي بعشرات الأمتار، وازدادت قوة مع انتشارها. في هذه الحالة، أصبح الهواء المحصور بين موجة الصدمة والسندان مثل بذرة بطيخ رطبة عالقة بين الإبهام والسبابة، والسيدة ماتسوياناغي موسّدة في وسط البذرة. ذلك ما فعلته موجة التمهيد، وبالرغم من أنها كانت تدفعها بسرعة قاتلة، إلا أنها عملت في الوقت نفسه كطوق نجاة أدخلها عبر نوافذ كبيرة لمنزل على مسار طيران خاص بالسيدة ماتسوياناغي؛ أجلسها في غرفة معيشة أحدهم، إلى جانب قسم كبير من سقف الغرفة.

Twitter: @alqareah

ستتذكر السيدة ماتسوياناغي ما جرى بعد سنوات، وتقول بما قلّ ودلّ وبأسلوب لا يبزّه إلا الطبيب الذي صحّحت القنبلة بصره، إن الناس في الداخل «كانوا مدهوشين جداً لرؤيتي». قالت امرأة عجوز: «من أين جئت؟». وسأل رجل عجوز بلطف: «هل تأذيت؟».

نظرت السيدة ماتسوياناغي في أرجاء الغرفة بصمت، لا تعرف ماذا تقول. سحب الرجل الأشيب كرسياً مكسوراً من الركام وطلب منها أن ترتاح. عندما جلست، بدأت ملابسها تتفتت مثل ورق أرزّ هشّ. سأل الرجل: «ما الذي يسبب ذلك؟».

ردّت السيدة ماتسوياناغي من دون اكتراث: «يبدو أن شيئاً قد حدث». كانت أفكارها مشغولة بابنيها فقط آنذاك. شكرت الزوجين وأخبرتهما أنها مضطرة إلى الخروج والذهاب إلى المدرسة؛ كان يجب عليها القيام بذلك.

نجا يوشيتاكا البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً من الانفجار أيضاً. كان في إحدى المدارس الصغيرة في المدينة، وبدا أن المبنى برمته قد انهار من حوله، إلا أن تغيّراً في الجو كان قد حماه في جيب هوائي، استطاع منه أن يشقّ طريقه إلى السطح، بسرعة كافية ليشاهد الغيمة التي كانت لا تزال مشعّة وتكبر في السماء، فوق رأسه مباشرة تقريباً. كان الغاز المؤيّن داخلها لا يزال ساطعاً جداً، واستطاع يوشيتاكا أن يشعر بحرارته تلفح وجهه. بدا أنه يلتقط أشعة الشمس ويرتدّ عنه بكل ألوان قوس قزح. قال: «وليسامحني الله. يمكنني القول إنه كان جميلاً».

في كل مكان حوله، بين الآجر والأنقاض، كان أولاد آخرون نصف مدفونين ويحتضرون. أمسكت أيدٍ بقدمي يوشي وساقَيه. ذُعر من فكرة محاولة أيدٍ عديدة الإمساك به - أشخاص يبدو أنهم ميتون وآخرون يحتضرون لكنهم لا يزالون يتحركون، يحاولون سحبه إلى الأسفل من بين الأنقاض - وكل ما كان في مقدوره التفكير فيه هو الابتعاد عنهم. لهذا ركل الأيدي وفرّ هارباً، وتابع النظر إلى الأعلى

Twitter: @alqareah

إلى المظهر الجميل؛ النظر إلى أي مكان إلا الأرض.

لو أن يوشي بقي متوارياً تحت طبقة من الآجر لبضع ثوانٍ إضافية، لربما لم تكن الأشعة لتسقط عليه قط. جاء الجمال الذي رآه في الغيوم من تكوّن منتجات انشطار ثانوية، نصف عمر معظمها يتراوح بين أجزاء من ألف من الثانية وثلاث دقائق كاملة. أطلق فناء تلك النظائر، مع بدء اختفاء أجزاء من الكون، دفعات من الطاقة أضحت وقوداً لموجة ثالثة من أشعة غاما التي ضعفت أكثر من 90 بالمئة في عشر الثواني الأولى واستمرت في إطلاق معظم قوتها الباقية نصف دقيقة آتية.

عندما وجدت السيدة ماتسوياناغي ابنيها يجريان على غير هدى قرب حطام المدرسة بدا أنهما نجوَا من الزجاج المتطاير والجدران التي انهارت من دون أن يصابا بأذى، لكن كلاً منهما كان قد تعرّض لأشعة غاما التي اخترقت جسديهما. مرّت على الصبيين مدّة وجيزة جداً افترضا فيها أنهما قد نجوَا قبل أن تظهر عليهما أعراض وباء لم يره أحد من قبل. كان أحد الفتيين قد احتمى بضع ثوانٍ فقط داخل مبنى منهار، في حين أن شقيقه الأصغر نجا من شعاع الحرارة تحت شجرة كبيرة حجبه جذعها الكبير عن الضربة الجانبية لموجة الصدمة. لا بد من أن القوى الناجمة عن الانفجار قد انحرفت عن الفتى، لكن القنبلة كانت قد أطلقت وحشاً غريباً من جزيئات عالية الطاقة، بعضها أشد فتكاً من الأشعة الحرارية وموجات الصدمة. كان بينها نواة من حديد؛ انطلقت من داخل القنبلة على طول خطوط المجال المغنطيسي، بنحو 90 بالمئة من سرعة الضوء. إذا كانت ذرّة يورانيوم واحدة، يحتك بها نيترون، تطلق ما يكفي من الطاقة لجعل ذرة رمل تقفز من مكانها، فإن نواة كاملة من الحديد يتم إطلاقها عبر جسد إنسان بسرعة مكافئة يمكن أن تعادل قوة كرة قاعدة تخترق المسار نفسه بسرعة نحو 170 كيلومتراً في الساعة. على طول مسار ليس أعرض من شعرة إنسان، يتحول اللحم إلى رماد، ويتبخر الماء، ويتوقف تركيب البروتين في الأنسجة المحيطة. في ذلك

Twitter: @alqareah

اليوم، كانت هناك مناطق مميتة ضيقة ونادرة حيث يمكن لخطوط حقل القنبلة المغنطيسي أن تدفع آلافاً من مثل تلك الجزيئات عبر جسد واحد محدثة تأثيراً كان، في حقيقته، نيران رشاش نووي.

كان كلا ابني السيدة ماتسوياناغي، في أثناء سيرهما حول كومة الأنقاض التي كانت في ما مضى مدرستهما، يشعران آنذاك بالغثيان. كان الفتى الأصغر قد ذهب إلى المدرسة جائعاً، لكن بعد تعرّضه للأشعة وحُزم الجزيئات فقد كل رغبة في تناول الطعام. بحلول الوقت الذي عثرت فيه والدته عليه، كان يتنفس بصعوبة وتنتابه أعراض غريبة. في دقائق، أضحت ذراعا الطفل زرقاوين مائلين إلى السواد، وبدأ ينزف بالرغم من عدم وجود أي إصابات ظاهرة عليه. انتشر نزيف تحت الجلد بسرعة كبيرة، حتى إن العلماء سيتساءلون يوماً ما إن كانت موجة غاما قد رُكّزت بطريقة ما فوق صبيّ معين تحت شجرة محددة، أم إنه كان حساساً على نحو مفرط من جرعات من إشعاع كان ظهور أعراضها على آخرين قد استغرق ساعاتٍ أو أياماً، أم إن ذكرى السيدة ماتسوياناغي عن نزيف طفلها عبر مسام جلده وموته بعد ساعات فقط، «مثل دخان يتلاشى»، كانت تنطوي في الواقع على توقيت سيئ للأحداث. بدا تأثير بندقية الرش النسبية مرجحاً، لكن لا أحد سيعرف ذلك على وجه اليقين. في ذلك اليوم، لم يكن بمقدور السيدة ماتسوياناغي أن تخمّن السبب الذي كان قد دفعها على قارعة الطريق وجعل ملابسها تسقط مثل رقٍّ عتيق، أو نوع المرض الذي أصاب ولديها.

قبل أن يغادر المنزل آخر مرة، بكى الصبيّ الصغير؛ لأنه لم يكن لديهم أرزّ أبيض منذ أسابيع عديدة، ولم يتناول سوى حصّة صغيرة من هريس فول الصويا على الإفطار، والتي لم تشبعه قط. الأسوأ أنه بسبب عدم وجود سمك طازج أو لحم مقدّد أو منكّهات أخرى، فإن مذاق الهريس كان مثل نشارة جافة. طوال عقود آتية، ستتمنّى السيدة ماتسوياناغي أن يزورها ابنها في حلم، وأن تحتضنه بذراعيها وتمنحه

Twitter: @alqareah

كل الأرزّ الأبيض واللحم الذي يستطيع تناوله.

يُظهر تمنّي السيدة ماتسوياناغي مشاعرَ العديد من الآباء الذين تذكّروا أمنياتٍ لأبنائهم لم تتحقق في حقبة مجاعة زمن الحرب. في متنزه السلام الذي كان يوماً المنطقة المدمّرة، ستترك أمٌّ قصيدة لولد كان قد طلب حبة طماطم من الحديقة قبل أن يذهب إلى المدرسة. كانت الوالدة قد أخبرته أنه لم يتبقَّ سوى حبّة طماطم واحدة فقط، وأنها ستسدّ جوعه المعتاد وقت النوم إذا انتظر وتناولها عندما يعود إلى المنزل. تدور القصيدة حول الضريح الصغير الذي سيتم تشييده له، والذي ستترك عليه علبة ورقية مغطاة بقماش أبيض، وستضع فوق القماش حبّة طماطم كل يوم.

لم تكن أكيكو تاكاكورا، مثل كل من سواها في المدينة، تعرف شيئاً عن أشعة غاما، أو رذاذ النيترون، أو الأيونات الثقيلة المشعة. لم يكن في مقدورها تحديد ما يجري لجسدها، لكن أكثر ما كان يزعجها آنذاك هو عطشٌ لم تختبره قط. كانت وأسامي قد ملأتا خوذتين بالماء من أنبوب انفجر في مصرف سوميتومو، لكن بالرغم من ذلك بقي العطش شديداً.

كانتا الشخصين الوحيدين داخل ردهة المبنى الرئيسة عندما ظهر الوميض؛ لأنه وفقاً للتقليد، كانت واجبات التنظيف من مهمات عاملات المصرف حصراً، اللواتي كن ملزمات بالحضور قبل نصف ساعة من المديرين والعملاء. عند الساعة 8:15، كان كل شخص آخر تقريباً في الخارج.

في نصف الدقيقة الأولى بعد الانفجار، كان الهواء داخل المصرف قد أصبح حاراً على نحو لا يُحتمل. قررت أكيكو أن البقاء في الداخل سيكون خطراً، وأن أي موقع آخر في أي اتجاه سيكون أكثر أماناً. وكما تبين لاحقاً، كان ظهر أسامي أكثر تضرراً مما ظنّت أي منهما في البداية،

Twitter: @alqareah

لهذا، لم تستطيعا الخروج إلى العراء ورؤية ما حدث قبل الساعة 8:25؛ بعد عشر دقائق من لحظة الصفر. ثم، بالطبع، تمنّيتا لو أنهما لا تريان أبداً.

كانت الشمس غائبة. في الوهج الأحمر لزوبعة النار التي بدا أنها تتراقص فوق المباني القبور التي أضحت أنقاضاً محترقة، رأت أكيكو أن الشارع مليء بالناس الذين تحوّلوا إلى فحم وأكوام من شمع محترق. من النظرة الأولى، بدا الشارع ببساطة خالياً، لكن عندما نظرت مجدداً، كان سهلاً عليها أن ترى كيف أن الناس الذين كانوا يسيرون نحو المصرف تكدّسوا ميتين فوق بعضهم بعضاً، طالما كان في مقدورها التحديق عبر الدخان وألسنة اللهب. بدا أن أشخاصاً عدّة قد انشطروا نصفين، مثل أكياس من أوراق محترقة ملقاة على الأرض. بعثرت الأعاصير الحمراء - أو ديدان النار - أكوام الأوراق السوداء، وخطرت كلمتا **مدينة الموت** بسرعة على ذهنها.

كانت أكيكو بين أول الناجين التي أدركت أن كل ما رأته كان سببه انفجار هائل واحد. جثمت قرب شيء بقي طرياً ومترهلاً، وأصابعه تحترق، وهي ذاهلة، تحاول أن تستوعب ما تراه. كان نوع من الزيت يندفع إلى أطراف الأنامل من الأنسجة تحتها، والأصابع الخمسة تحترق مثل شموع. وجدت أنه من الصعب تصديق أن الأصابع يمكن أن تحترق على ذلك النحو؛ أصابع لا بد من أنها حملت مرة أطفالاً أو قلّبت صفحات. انفجرت أكيكو بالبكاء، ثم بدأ المطر يهطل.

كانت الصديقتان قد نسيتا طوال دقائق عدّة عطشهما واستطاعتا إبعاد تفكيرهما عنه، لكن الحمّى الغريبة كانت قد عاودتهما آنذاك وبدا أنها تجعلهما تهتمان به مجدداً؛ لهذا السبب، بدأتا بشرب ماء المطر.

كانت بعض قطرات المطر كبيرة مثل حبّات العنب؛ كبيرة جداً وتهطل بقوة تلسع عندما تضرب وجه أكيكو. لكنها وأسامي رفعتا وجهيهما نحو السماء وشربتا المطر بأي حال، فتحتا فميهما بأقصى ما تستطيعان.

Twitter: @alqareah

عندما نظرت إلى الأسفل إلى ذراعيها، أدركت أكيكو أن المطر يصبغ جلدها بلون أسود. كان المطر داكناً مثل حبر، لكن عطش أكيكو كان شديداً. وعندما عثرت صديقتها على علبة فارغة، استخدمتاها لملء أكبر كمية ممكنة من المطر، وتابعتا الشرب.

كانت القنبلة قد بخّرت ماء النهر والبُرك في كل أنحاء هيروشيما. ضمن مسافة يبلغ شعاعها كيلومترين، فقدت كل ورقة جزءاً مهماً من رطوبتها... مثل كل طائر أو صرار كان في العراء... وكل ورقة عشب، وجندي، وطفل. ارتفع كل البخار الذي تجمّع من المدينة إلى الطبقات العليا من الغلاف الجوي حيث برد وتكثّف، وبدأ يهطل مطراً.

كان المطر أسودَ؛ لأنه اتحد مع سخام الغلاف الجوي فوق هيروشيما ومنتجات انشطار الغيمة نفسها. حتى مع نصف عمر لم يمتد سوى بضع دقائق فقط، كان شرب أي كمية من المطر الأسود بين 8:30 و8:45 ذلك الصباح يؤدي، في الساعات السبع القادمة، إلى ظهور أعراض تناول جرعة قاتلة من سمٍّ زعاف يفكك الحمض النووي الريبي.

كان جسد أكيكو بكل تأكيد أكثر مناعة من جسد صديقتها. توفيت أسامي بسرعة، لكن في عام 2005، حاولت أكيكو إثبات وفائها للموتى بإبقاء ذكرى صديقتها حيّة.

قالت أكيكو: «كانت أصغر مني بسنة. عمري نحو ثمانين سنة الآن. كانت في الثامنة عشرة فقط من عمرها. كلما أفكّر فيها، تبدو لي في الثامنة عشرة. كانت فتاة جميلة ورقيقة جداً».

مثل أكيكو، ظنّ معظم الناس أن أي مكان، عدا البقعة التي كانوا يتواجدون فيها عندما اشتعلت السماء ناراً، سيكون أكثر أماناً. توصل إساو كيتا، من موقعه في محطة الأرصاد الجويّة، إلى النتيجة نفسها مثل أكيكو تاكاكورا: انفجار واحد هائل هو التفسير الوحيد الذي يبدو

Twitter: @alqareah

منطقياً. بخلاف أكيكو، أو أي شخص آخر في الأسفل، كان لدى كيتا منظر واضح عمّا يجري على الأرض. استطاع أن يرى عبر منظاره كيف بدأ آلاف الناجين على طرفه التحركَ على غير هدى في اتجاهات عشوائية بسبب الدخان والمطر الأسود، بالرغم من أنهم يبدون بأمان. بدأوا تدريجياً فقط تأليف قوافل غريبة مثل النمل تسلك مساراً متعرجاً بعيداً عن النيران والظلام في الشمال.

كان اثنان من الهائمين على وجوههم، واللذان يسيران ضمن قوافل نمل السيد كيتا، أحدهم صانعَ ساعات والآخر طبيباً نجا من الانفجار يدعى ميشيهيكو هاشيا. كان صانع الساعات قد اندمج، على نحو تلقائي، في القافلة الأولى للضحايا الذين بدت عليهم بعض علامات التنظيم. كانوا يتحركون باتجاه واحد فوق ركام من غبار أصفر وآجر سطوح محطم، لهذا انضم صانع الساعات تلقائياً تقريباً إلى الحركة ومشى معهم. كانت العبارة التي استخدمها لاحقاً موغا-موتشو، التي يمكن ترجمتها حرفياً «من دون وعي، كأنني في حلم». شعر بأنه لا يستطيع اتخاذ قرار وحده، لهذا تبع أشخاصاً آخرين؛ كأنه جزء من ذهنية قفير تحمله بعيداً.

كان د. هاشيا عارياً تماماً حين انضم إلى الصف. كانت ملابسه قد تمزّقت قبل أن يلحق بصانع الساعات وباقي المشاة - النمل، وأدرك بضبابية أن هناك شيئاً مزعجاً جداً بشأن الاختفاء المفاجئ لإحساسه المعتاد بالحياء. وقال في ما بعد: «مشى أولئك الذين يستطيعون نحو التلال، روحهم المعنوية محطّمة، ويفتقدون إلى زمام المبادرة. عندما سُئلوا من أين جاؤوا، أشاروا إلى المدينة وقالوا: ذلك الطريق. وعندما سُئلوا إلى أين يذهبون، أشاروا إلى الاتجاه المعاكس للمدينة وقالوا: هذا الطريق. كانوا محطّمين ومرتبكين إلى درجة أنهم - نحن - تحرّكوا وتصرّفوا مثل رجالٍ آليين. كانت ردود أفعالنا ستدهش غرباء سيصفون بذهول مشهد صفوف طويلة من الناس تسلك درباً ضيقاً ووعراً (فوق

Twitter: @alqareah

تـلال صعبـة التضاريـس) فـي حيـن كان هنـاك طريق ممهـد (مخصص للسـفر) في الاتجاه نفسـه. لم يكن في مقدور الغرباء اسـتيعاب حقيقة أنهم يشاهدون هجرة أشخاص يمشون في عالم الأحلام».

في عالم الصدمة الغريب ذاك، استعاض بعض الناجين عن الذعر بوهم السيطرة على زمام الأمور والتعلّق بما أصبح معروفاً (في مضمار علم نفس الكوارث) أنه ردّ فعل إيدث رَسُل (ناجية من التيتانيك): الميل إلـى التركيـز على تفاصيل سـخيفة فـي غمرة حالة رعب أو خطر داهم. كان قـد تـم إرسـال أحـد أصغر ضبـاط الجيش في المدينـة، الذي كان موجوداً في قلب المنطقة المدمّرة، في مهمة في 6 آب، إلى بلدة صغيرة على بعد عشرة كيلومترات خارج هيروشيما. بعد تلقيه معلومات تفيد أن كل الاتصالات اللاسـلكية والخطوط الهاتفية مع هيروشـيما قد توقفت عن العمل، حزم أمره وسلك درب العودة في اتجاه المدينة.

لم تبدُ أول ضحية رآها، كان الوميض قد حرق جسـدها، إنسـاناً. لـم يكـن هنـاك وجه، وإنما كتلة متورّمـة من الفحم فوق الكتفين وجلد متغضّن مثل جلد تمساح ذكّره بخشب محترق. مع اقترابه من المدينة، رأى مزيداً من المخلوقات التي تشبه وجوهها الخشب المحترق نفسه.

بعـد أكثـر مـن سـاعة، توقّف الضابط عن التقـدم إذ كان لا يعرف أي طريق يسلك. جعلته النيران والدخان والأشخاص المتفحّمون يندفع علـى غيـر هـدى فـي أي اتجاه، لكن الضابط تذكر فجأة كتاب الشّـيفرة العسكرية مما هدّأ من روعه، وجعل الشاب يستعيد رباطة جأشه. كلّف نفسه بمهمة العثور على كتاب الشّيفرة وتأمينه. في أثناء سيره، عقد العزم على إيجاد الكتاب وإبقائه بعيداً عن العدو حتى إذا لم يبقَ منه شيء إلا قصاصات من ورق مسودّ.

تجـاوز الضابـط العديـد من قوافل النمل علـى طول حد الانفجار الخارجي. بالرغم من أن قِربة الماء كانت ممتلئة، إلا أنه تجاهل توسلات أفـراد طوابيـر النمـل للحصـول علـى مـاء. كان عليه العثـور على كتاب

Twitter: @alqareah

الشّيفرة، ولم يكن أي شيء آخر يبدو مهماً آنذاك. حثّ الخطى بأقصى ما يستطيع، قلقاً جداً من أنه عندما يصل أخيراً إلى معسكر الجيش، سيلقى توبيخاً شديداً من ضباط أعلى رتبة؛ لأن عودته استغرقت وقتاً طويلاً. عندما وصل إلى معسكره، بأي حال، لم يكن هناك أحد على قيد الحياة. كانت الخيام والمباني قد اختفت أو سُوّيت أرضاً، ووحدها مخازن الذخيرة المتينة بقيت قائمة.

قاده انهدام مستطيل الشكل في الأرض إلى خزانة محطّمة، وفي نهاية المطاف إلى رماد كتاب الشّيفرة. لفّ الضابط غلاف الكتاب والصفحات المحترقة بقطعة قماش كان قد مزّقها وطواها بعناية بعد أن وضع الكتاب فيها. خرج بعد ذلك مسرعاً من المدينة، وقطع كيلومترات عدّة باتجاه منبع النهر نحو قاعدة عسكرية حيث تعرّض لتوبيخ من ضابط أعلى رتبة منه لهوسه بمثل تلك المهمة الثانوية لاستعادة بقايا كتاب الشّيفرة.

في أثناء ذلك، داخل أحد مخازن الذخيرة التي كان الضابط المهووس قد تجاوزها، استطاع الجندي شيجرو شيموياما أن يحرّر نفسه من خمسة مسامير كانت قد تثبّت ذراعيه إلى عارضة خشبية سميكة. بطريقة ما، بالرغم من الانفجار وعملية تحرّره من العارضة الخشبية التي كانت قد لطّخت عينيه بالدم، إلا أن نظارة شيجرو بقيت سليمة. عندما خرج إلى ضوء النهار وسحب الغبار الكثيفة، أدرك الجندي أنه ليس بحاجة إلى النظارة. بطريقة تشبه ما حدث للطبيب الذي رأى صندوق موسيقى على الأرض ونظارته ملقاة بجانبه، ولم يستطع الرؤية بوضوح بعد أن التقط نظارته ووضعها على عينيه، كان نظر شيجرو قد تحسّن على نحو كبير. أياً تكن القوة التي هبطت على المدينة فقد صحّحت بصره.

على ضفة النهر، لاحظ الجندي شيجرو بين هبّات دخان، وعلى بعد مسافة قصيرة منه، قرب الطرف الخارجي لأرض الصفر الرئيسة، أن قلعة هيروشيما قد أصبحت ركاماً. من ذلك الاتجاه، كان موظف

Twitter: @alqareah

حكومي يدعى ياسودا وأربعة رجال آخرين من «مكتب الشؤون العامة» يجدّون في السير نحوه بين أكوام أنقاض محترقة، ويحملون عالياً فوق رؤوسهم صورة بالحجم الطبيعي للإمبراطور. أثارت فوضى ثانية انتباه شيجرو للنهر، حيث كان مركب للبحرية يشق طريقه عكس التيار عبر ركام منازل محطّمة وأجساد طافية. راقب الجندي ما يجري مدهوشاً، في حين كان المركب يتباطأ إلى أن توقف تماماً واستطاع الطاقم تحية صورة الإمبراطور. إلى اليمين من ذلك، حتى طوابير النمل من الأشخاص المحترقين الذين ينزفون حيّوا الصورة وانحنوا لها، وشبكوا أيديهم باكين. خرج عشرات من صفوفهم ووحّدوا صفوفهم لإنقاذ صورة الإمبراطور، في حين كانت أعمدة الهاتف المحترقة على كلا جانبيهم تشتعل بألسنة اللهب. ردّ فعل إيدث رَسُل والموروث الثقافي كانا سببين قويين لإلهائم عمّا يجري.

بحلول ذلك الوقت، كان شيجرو قد رأى ما يكفي. كانت لديه معلومات أفضل من عائلتَي ساساكي وإيتو، ومن أكيكو تاكاكورا، وإساو كيتا، وطوابير النمل.

استنتج أن شخصاً كان يحطّم ذرات في ذلك اليوم.

كان زوج أخت شيجرو قد أخبره أن صنع مثل تلك القنابل ممكن منذ العام 1943، على الأقل من الناحية النظرية. وفقاً للأستاذ يوشيو نيشينا، لم يكن هناك داعٍ للخوف من سباق حقيقي مع الأميركيين أو البريطانيين في مجال تطوير سلاح نووي؛ لأن إنتاج الكهرباء في بلد برمته قد لا يكون كافياً لتكرير الكيلوغرامات القليلة الضرورية والنادرة من المعادن منزوعة النيترون. كان نيشينا وعلماء آخرون في طوكيو يظنون أنه يمكن صنع قنبلة ذرّية فقط إذا استطاعت اليابان الحصول على كمية كبيرة من اليورانيوم - 235 بدرجة نقاء 90 بالمئة، لكن لأنهم كانوا يعتقدون أيضاً أن تكرير مثل تلك المادة أمرٌ سابق لأوانه من الناحية التقنية خمسين سنة، لم يروا فائدة من الاشتراك في سباق نحو تطوير القنبلة.

Twitter: @alqareah

قال شيجرو: «كان ذلك متفائلاً إلى حدٍّ كبير، وهكذا تقلص رقم نيشينا البالغ خمسين سنة بمعدل عشرة أضعاف، وكان الأميركيون قد اندفعوا من بوابة الانطلاق قبل خمس سنوات».

استحوذت حقيقة كئيبة واحدة على تفكير الجندي شيجرو: كنا في سباق طوال الوقت ولم نكن نعرف ذلك. وخسرنا؛ هذا يعني أنه ربما كانت هناك المزيد من تلك الأشياء تنتظر أن يتم إلقاؤها، ويجب أن أخرج من هيروشيما وأعود إلى منزلي لأرى ابنتي للمرة الأخيرة.

كان هناك شخصان آخران فكّرا في الرحيل هما ميساكو كاتاني البالغة من العمر ستة عشر عاماً ووالدها. بعد الانفجار، كانت زوابع نارية غريبة قد هبّت من اتجاه مصرف سوميتومو وتَحُول آنذاك بينهم وبين حطام منزلهم. بينما كانا يراقبان ما يحصل، انتشرت ألسنة اللهب مثل تسونامي فوق منطقة تضم بالتأكيد منزلهما، ثم عبرت فسحة ترابية من الأرض لتشعل النار في إسطبلات الجيش.

قال السيد كاتاني: «إنهما ليستا في المنزل». لم يكن هناك أي انفعال أو عاطفة في صوته. «لقد رحلتا». كان يتكلم عن والدة ميساكو وشقيقتها الصغرى، لكن كل ما كان بمقدور اليافعة كاتاني التفكير فيه هو صرخات الأحصنة التي تهرب من الإسطبلات وتجري نحوها، وألسنة اللهب تخرج من ظهورها. لم تقطع مسافة طويلة، فقد سقطت جميعها وماتت وخرج منها دخان بلون غريب.

أمسك والدها بيدها وبدا أنه يهرب من دون أن يقصد اتجاهاً معيناً، بعيداً عن ألسنة اللهب.

سألت ميساكو: «أين سنذهب؟».

قال بصوت منخفض: «بعيداً عن هنا. لدي أقرباء في بلدة على بعد ثلاثمئة كيلومتر من هنا. لا بد من أن أي مكان بعيد أكثر أماناً من هيروشيما. يجب أن نذهب إلى ناغازاكي».

في أول عشرين دقيقة، فوق منطقة شاسعة من هيروشيما، كانت

Twitter: @alqareah

الديـدان الناريـة قـد بدأت تتحد في أعاصير حقيقية تقذف شـظايا معدنية مضلّعـة بقـوة فتّاكـة وتمـزّق عربات قطار محترقة على سـككها؛ خلفها، ارتفعـت مجموعـات مـن ديـدان نارية تكوّنت حديثاً مـن الأنقاض، مثل أشباح ظهرت فجأة. كانت النار قد انتشرت آنذاك في كل مكان، وجعلت سوميكو كيريهارا وأفراد أسرتَي ساداكو وساساكي يفرّون إلى النهر.

تبعتهمـا اثنتـان مـن الديـدان النارية فـي الواقع إلـى الضفة، وكان وهجهما الذي يقترب منهما شـديداً، حتى إن أسـرة سـوميكو لم يكن لديهـا خيـار سـوى الهـروب إلى النهر. كان سـطح الماء مليئـاً بالحطام الطافي. كان يبدو أن أحياء كاملة من المنازل قد تفحّمت وتشوّهت، ثم تبعثـرت قطعـاً فـوق الماء. على كلتا الضفتيـن، بدا أن ديدان النار، التي كانـت تتطـاول وتتحـرك مثـل دوامة بارتفاع أكثر من خمسـة طوابق، قد هدأت قليلاً، كأنها تعاين المكان، قبل أن تقرر الإجراء الذي سـتتخذه. ثـم ضربـت إحـدى الدوّامات النارية النهر، وتحوّلت مباشـرة من عمود نـار إلـى عمـود رغوة وقطرات ماء متدافعة، حطّم مركب بحرية وتوقف على نحو ينذر بالخطر قرب المكان الذي تخوض سوميكو فيه الماء.

لاحقاً، من الضفة المقابلة، وصلت دودة نارية إثر أخرى إلى النهر، وتحولت واحدة بعد أخرى إلى عمود ماء يعبر سطح النهر وتخرج منه نار جديدة. في مكان قريب، حاولت هيروكو فوكادا، التي تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، أن تسبق سباحةً أحد تلك الاندفاعات لكنها لم تنجح فـي ذلـك وتلقـت ضربـات موجعة من قطع خشـبية جعلتها تدور حول نفسـها. ثـم، بعـد مـرور عمود المـاء، بدأت قطع ضخمة من بَرَد أسـود تهطل بقوة ساحقة وغطست هيروكو تحت سطح الماء لتحمي نفسها.

محاطة بدوّامات نارية ومائية - وبَرَد أسود يتساقط حولها - تحرّرت سوميكو من قبضة والدتها، خرجت من النهر، وحفرت حفرة ضحلة في الرمـل، وحاولـت الاختبـاء فيها. تبعها عمودا ماء على الأقل إلى خارج النهر، أثارا سحباً من الرمل التي مزّقت قميصها ورشقت مؤخرتها مثل

Twitter: @alqareah

إبر تم إطلاقها من مدفع. في نهاية المطاف، أمسكت والدتها بذراعها وهربت مع باقي أفراد الأسرة إلى جسر يطلُّ على النهر.

بدا أن كلَّ من حولهم قد تعرض لحروق شديدة. ستتذكر سوميكو لاحقاً أنها شعرت بالحرج لأنها نجت من بيكا - دون من دون إصابات، لكن كان في مقدورها أن ترى أن متاعبها لم تنتهِ عند ذلك الحد. كانت الحرارة من طرف اليابسة تصبح شديدة جداً إلى درجة أنها اضطُرت وأفراد أسرتها إلى العودة إلى النهر مجدداً، حيث كانوا مرغمين على دفع الجثث جانباً لشرب الماء المسود وإرواء عطش بدا أنه يشتد مع كل دقيقة تنقضي.

جعلت أعمدة الماء والزوابع النارية هيروشي إيتو يفقد آخر ما يتحلّى به من شجاعة. عندما نظر حوله مذعوراً محاولاً إيجاد طريقة للهرب، كان ريوسو قد اختفى عن ناظريه. على طول الضفة المقابلة، كان الناس الذين يهربون من اتجاه منزل ساساكي يسقطون في النهر مثل مجموعات من الحشرات. كانت المنازل بجانب النهر تتداعى أيضاً وتتحطم نصفين وتنكشف غرفها التي لا يزال معظم أثاثها في مكانه، ويشتعل بألسنة اللهب. عاجلاً، طارت أعمدة وألواح خشبية نحو الناس في الماء وأدركتهم، وعندما حدّق فرع جديد من دودة نارية إليه، اندفع الفتى إيتو على غير هدى. تبعه عمود ماء، وعندما انهار أخيراً دفع شيئاً لزجاً ورملياً في فمه. بصقه في راحة كفّه لكنه لم يرَ ما كاد أن يبتلعه؛ لأن موجة أخرى من بَرَد أسود أدركته ولاحقته فانزلق وتعثّر فوق سكّة حديدية قرّرت أخيراً الاتجاه الذي سلكه.

كان يظن أن والدته تسير آنذاك على الأرجح نحو المدينة، بحثاً عنه، لكن تحت السماء السوداء، بدا أن ألسنة اللهب تزداد قوة في كل مكان، وخاصة في اتجاه المدرسة. كان هيروشي إيتو يعرف أن والدته ذكية بما يكفي حتى لا تأتي إلى حيث يوجد وتُلقي بنفسها في التهلكة. بينما كان يهز رأسه ليزيل ماء المطر عن شعره بعد أن أخذ يسلك طريق

Twitter: @alqareah

الخروج من البلدة، بدأت حبّات بَرَد سوداء تهطل، ووجد الفتى إيتو أنه من المستحيل التفكير في أن السماء كانت، قبل خمس وعشرين دقيقة، زرقاء وصافية.

أدرك مصمم السفن تسوتومو ياماغوشي، الذي نجا في حين أن امرأة ترتدي مومبي أسودَ قضت نحبها قربه، بعد انقضاء مشاعر الصدمة المعتادة، أنه يعاني ألماً مبرّحاً. أمامه، كانت تفوح من النهر رائحة الموت، لكن عندما وصل ياماغوشي إلى الضفّة شرب الماء بأي حال؛ لم يكن لديه خيار آخر. كانت الحروق التي سبّبها الوميض في ذارعيه وعنقه قد جعلته يشعر بالعطش.

لم يكن المهندس مضطراً إلى النظر بعيداً ليدرك أنه كان أسعد حظاً من كثيرين، بمن فيهم فتيان ممددون على العشب. في البداية بدا له أن ظهورهم المحروقة والممزقة قد نبت لها شعر مشوّه غريب. ثم أدرك أن الريح العاصفة قد دفعت بشظايا حادة من الزجاج في أجسادهم، مثل مسامير. ساعدهم بعض الوقت، لكن كل ما كان في مقدوره أن ينصحهم به هو أن يسحبوا الشظايا الواحدة تلو الأخرى من ظهور بعضهم. وتبيّن أن قول ذلك أسهل من فعله؛ لأنهم كانوا يصبحون أضعف حالاً ويموتون أمام عينيه. كان عطشهم، مثل ياماغوشي، أشدَّ من ألمهم، حتى الجوع لم يعد يبدو مهماً آنذاك. مشى الفتيان ببساطة مبتعدين عنه، أحدهم يقود الآخرين على غير هدى كما بدا له.

لم يكن ياماغوشي ينوي الانضمام إلى المشاة الذين يشبهون النمل. كانت أمور أكثر أهمية تشغل باله. كان يجب أن يصل إلى منزله ويعثر على زوجته وابنه، لكن الطريق إلى البيت كان طويلاً. ولأنه يتحلّى بالحرص عادةً من أمور غير متوقعة، وخاصة من احتمال اضطراره إلى السفر مسافة طويلة من دون طعام أو ماء، كان يحمل معه دائماً قِربة ماء وحصة طعام للطوارئ من قطعتي حلوى صغيرتين. ذلك اليوم،

Twitter: @alqareah

بـأي حـال، لـم يكـن الحرص يبدو مهماً. بعد أن ابتلع المهندس قسـماً من قطعة حلوى، تقيأ مباشرة. حينها، قرر أن يشرب الماء فقط. بخلاف الجندي شيجرو، لم يكن يشك بعد في أن جسده قد امتصّ إشعاعاً.

كانـت القنبلـة قـد تسـبّبت بإصابـات غيـر ظاهـرة أكثر مـن غثيان الإشـعاع وحالات الفتيان الممددين على العشـب. ستصبح **نزع - القفاز** عبارة لطيفة يستخدمها الأطباء لوصف ما جرى عندما كان الجلد، سواء تعرض لحرق أم لا، مكشوفاً لحلقة الهواء المضغوط الأسرع من الصوت الـذي تكـوّن بيـن منطقة شـرنقة الحماية المركزية مـن الصدمة المتمثّلة بمصرف سوميتومو ومنطقة الإبر العشبية. كانت الريح تنزع غالباً الجلد عن الجسد؛ تقشّره كأنه كان ملتصقاً بالجسد بغراء من النوعية التي يتم استخدامها في صناعة قفاز جلدي، ويمكن نزعه بسهولة متناهية.

عثر الجندي شيجرو شيموياما آنذاك، بعد أن نجا من رعب تثبيته إلى عارضة خشـبية نتيجة القنبلة، على حصان أبيض يقف وحيداً على دربه. كان كل جلده وشعره قد زال. أدهشه المنظر أكثر مما أرعبه، وقد أرعبه كثيراً. لم يبدُ أن الحيوان يعاني أيَّ ألم على الإطلاق، وفي الواقع حاول اللحاق بالجندي أينما ذهب.

كلمـا نظـر الجنـدي إلـى الخلـف، كان الحصان - جلـده مسـلوخ وتظهـر طبقـات مـن لحـم وردي شـاحب - يحدّق إليه ملتمسـاً ويسـير خطوات مترنحة نحوه. مثل سـوميكو كيريهارا والفتى إيتو، بدأ شـيجرو يتساءل إن كانت نهاية العالم تشبه ما يراه.

Twitter: @alqareah

3

ستسوكو

مقارنة بهيروشيما، كان انفجارا فيزوف (بركان في إيطاليا) وكراكاتوا (بركان في إندونيسيا) ثورتين هادئتين نسبياً، استغرقتا وقتاً طويلاً، وحرّرتا طاقتهما طوال ثوانٍ عديدة. ولأن نواة القنبلة الذرية كانت مضغوطة كثيراً، فقد تحرّرت طاقتها في جزء صغير من مدة حياة البرق، ضمن مرجل مقاس بسنتيمترات مكعّبة من المعدن، بدلاً من عشرات الكيلومترات المكعّبة من الصهارة المتفجّرة المشبعة بالغاز.

وبالرغم من كل قوتها، إلا أن قنبلة هيروشيما لم تصل إلى مستوى مواصفات مصمميها. ومع أنه سيتم إدراجها رسمياً مع قنبلة ناغازاكي ضمن نطاق 22 – 30 كيلوطن، فقد كانت في الواقع «خيبة أمل» لم تصل إلا إلى 10 – 12.5 كيلوطن فقط. لن يتم استخدام ذلك التصميم مجدداً. مضى بعض المهندسين والعلماء بعيداً ووصفوها بأنها «فاشلة»، لكن البشرية ستبقى إلى الأبد خائفة، ومتوجّسة، من قوة «خيبة الأمل» تلك.

عند الثامنة والربع، قرب مركز نواة اليورانيوم المضغوط، كانت الأغلبية العظمى من طاقة القنبلة قد تحرّرت نتيجة شرارة بالكاد أكبر من سبابة ستسوكو هيراتا. بحلول الوقت الذي انتشرت فيه كرة الغاز المؤين ثمانين كيلومتراً – في جزء صغير فقط من مدة البرق – كانت الشرارة قد أطلقت حقلاً مغنطيسياً قصير الأجل لكن قويّ. عندما انفجرت القنبلة، تحول القضيب المعدني وأداة التغليف حول مركزها، من أولها إلى آخرها، إلى كتلة من نواة معدنية صلدة؛ منزوعة النيترون، وموجبة الشحنة، ومحصورة مغنطيسياً ضمن قوى تحاول تفجيرها بسرعة

Twitter: @alqareah

الضوء. كانت العقول التي تخيّلت القنبلة قد ابتكرت لحظة عن غير عمد مكافئاً لمُصادم الأيونات - الثقيلة المشعّة الموجود في مختبر بروكهافن الوطني. كانت القنبلة مسرّعاً ذريّاً تصعد ماسورة رشاشه المغنطيسي وتهبط بالتناوب. صعد تيار من نواة الحديد والتنجستن إلى النجوم بنحو 90 بالمئة من سرعة الضوء، تجاوز مدار القمر بعد نحو ثانية ونصف، في حين اتجه التيار الآخر على طول خطوط الحقل المغنطيسي إلى الأرض.

كانت ستسوكو هيراتا تجلس في غرفة معيشتها، تحت الرشاش المغنطيسي مباشرة تقريباً. نفذت النيترونات السريعة والأيونات الثقيلة من الآجر وألواح السقف الخشبية وتوقفت داخل جسدها أو تابعت طريقها حتى أوقفتها طبقة صخرية قاسية على عمق مئات عدّة من الأمتار. هبطت النيترونات أيضاً عبر السقف، لكن بسبب ولادتها مما يدعى قوة ضعيفة، كانت تفاعلاتها مع العالم طيفية. تابعت سيرها عبر ستسوكو من دون أن تلحظها، ثم قطعت مسافة بالكتلة الكمّية نفسها عبر الأرض ذاتها. كانت النيترونات عينها التي مرّت من ستسوكو قد ارتدت نحو فضاء بين النجوم على بعد بضع مئات الكيلومترات إلى الغرب من البرازيل.

عندما انتشر رذاذ نيترونات ستسوكو على نحو غير ظاهر للعيان، قبالة ساحل الإكوادور تماماً، بعد 134 مليثانية من الانفجار، كانت لا تزال حيّة. كان آجر السقف الخزفي، الواقع على ارتفاع ثلاثة أمتار فوق رأسها، قد بدأ آنذاك يلتقط الأشعة تحت الحمراء التي نجمت عن الوميض؛ وصلت إلى ذروتها بعد 50 مليثانية من بداية انشطار أولى الذرات. ردّ الآجر قسماً ضئيلاً من الأشعة نحو السماء، لكنها في النهاية لم يحمِ ستسوكو أكثر من ثوب النوم الحريري الذي كان حبيبها كنشي قد أحضره لها قبل أسبوعين في أثناء شهر عسلهما الذي أمضياه في حدائق مياجيما.

Twitter: @alqareah

عالياً، فوق النصف السفلي للكرة التي تحوّل لونها من أزرق ذهبيّ إلى أزرق مجدداً، كانت قطرات ماء قد تحلّلت إلى نوى أوكسيجين وهيدروجين منزوعة النيترون. ارتطم عدد صغير جداً من نوى الهيدروجين تلك بعضها ببعض وانصهرت معاً، واختفت كمية من كتلة لا تعادل حبة من رمل الشاطئ من الكون، وسرّعت قليلاً من انصهار قوة الانشطار التي اندفعت نحو ستسوكو. نجم عن تحوّل المادة اللحظي ذاك إلى طاقة ضوء ساطع جداً، ولو أن ستسوكو كانت تنظر إلى الأعلى لرأت نصف الكرة السفلي يلمع عبر السقف المؤلف من طبقة واحدة من الآجر والألواح الخشبية؛ كأن مصباحاً كهربائياً يلمع عبر عظام أصابعها في غرفة مظلمة. وفي أول عُشرَين من الثانية، ربما كان لديها وقت يكفي لتسمع طنيناً إلكترونياً في أذنيها، وتشعر بوخز خفيف في عظامها، وينتابها إحساس بأنها ترتفع عن كرسيها، أو تزداد ثباتاً عليه بقوة أكبر، أو كلا الأمرين في الوقت نفسه، والكرة التي تتمدّد في السماء... ربما كان لديها وقت لتتخيل، إذا لم ترَ فعلاً، أبعادها المتسعة.

كان كنشي، زوج ستسوكو، يعمل محاسباً في مصنع ميتسوبيشي للأسلحة، على بعد أقل من كيلومترين عنها، وشاهد عبر النافذة أجملَ وميضِ برقٍ ذهبيٍّ كان قد رآه في حياته، أو تخيّل أنه قد يراه. في الوقت نفسه، سمع طنيناً غريباً في أذنيه، مثل أزيز، وصوت امرأة تصرخ في ذهنه. سيفترض بعد سنوات أنها ربما تكون جدّته؛ أو على الأرجح ستسوكو. صرخ الصوت: «احتمِ!».

بكل سرعة رد الفعل الغريزي، ألقى الأوراق التي كان يحملها، انبطح على الأرض، ووضع وجهه بين ذراعيه. لكن بعد ثلاث ثوانٍ طويلة، عندما لم تكن موجة الصدمة المتوقعة قد وصلت بعد، نهض في حالة نشاط محموم من فرط إفراز الأدرينالين؛ كان ذلك وقتاً مخصصاً للدعاء.

Twitter: @alqareah

في الخارج، بصمتٍ مطبق، تفتّحت زهرة حمراء عملاقة فوق المدينة، وارتفعت فوق ساق من غبار أبيض ضارب إلى الصفرة.

بدا أن أدعية كنشي قد تحققت مرة أخرى. كان قد نجا من القصف الذي تعرّضت له كوبي (سادس أكبر مدينة في اليابان) من دون أن يصاب بخدش أو كدمة، ولم يكن يظنّ في البداية أنه محظوظ؛ لأنه ما كان يجب عليه أن يكون هناك في المقام الأول؛ ولم يكن كنشي ليتواجد هناك أصلاً، لو أنه لم ينهِ عمله في أوساكا قبل يوم ويغادر إلى كوبي قبل الموعد المحدد. بعد ليلتين من نجاته في كوبي، عرف أن أوساكا قد تعرّضت لقصف عنيف أيضاً. وبالفعل، تلقى الفندق الذي كان ينام فيه ضربة مباشرة، ولم ينجُ أحد منه. في هيروشيما، يدين كنشي بنجاته لغريزة الامتثال لصوت داخلي، وحقيقة أن القنبلة قد خيّبت أمل صانعيها، التي نجم عنها موجة انفجار تلاشت تماماً قبل وصولها إليه.

غريزة كنشي الآتية لم تنفعه كما فعل امتثاله للصوت الداخلي. عندما انبطح على الأرض، كان انطباعه الأوّل أن قنابل حارقة ضخمة تنفجر على سطح المبنى مباشرة، وأنه سيحترق قبل أن يُنهي أدعيته. لكنّ خمس ثوانٍ كاملة انقضت بعد الوميض، وبدأ الضوء نفسه يتلاشى من دون أي إشارة على حدوث صدمة؛ لم تكن القنابل قد ضربت المبنى.

رفع كنشي رأسه ليرى ما يجري حوله. كانت شابة قريبة منه قد زحفت إلى نافذة ونظرت إلى الخارج. لم يعرف كنشي قط ما شاهدته في اتجاه المدينة. نهضت، تمتمت شيئاً متحشرجاً وغير مفهوم، ثم أصابتها موجة الدوي - التي تلكأت خلف أمواج وميض القنبلة - بقوة. بحلول الوقت الذي تراجعت فيه ألواح النافذة الزجاجية نصف متر، كانت قد انفصلت تماماً عن الشبكة الحديدية التي تحميها من الغارات الجوية، وتفتّتت إلى آلاف الشظايا الصغيرة. مثل كريات صغيرة (خرادق) في خرطوش بندقية رشّ، تسارعت كل شظية إلى نصف سرعة الضوء على

الأقل. تلقت الفتاة الواقفة عند النافذة ما لا يقل عن ربع كيلوغرام من الزجاج في وجهها وصدرها قبل أن تدفعها الريح نحو الجدار البعيد.

لم يرَ كنشي المكان الذي استقرت فيه أخيراً. بالتزامن مع تكسّر النافذة، كانت أرضية المبنى قد اقتُلعت عن أساساتها ورفعته أكثر من نصف متر في الهواء. سقط كنشي على ظهره، وعندما وقف شعر براحة؛ لأنه لم يصب بأي أذى، ثم شعر بالذعر عندما اكتشف أنه الشخص الوحيد الذي بقي حياً. بدا أن كل زملائه في العمل يسبحون في بركة دم.

ظنّ كنشي أن لا بد من أنهم تلقّوا ضربة مباشرة بالمحصلة. لم يدرك فداحة الهجوم حتى خرج من المبنى. من بعيد باتجاه منزله، لم يكن رأس الزهرة صامتاً آنذاك. كان يقعقع هناك في الجو منذ أكثر من دقيقة، على ارتفاع سبعة كيلومترات على الأقل، وقد تحوّل لونها من أحمر ساطع إلى بني داكن مائل إلى السواد. بينما كان يراقبها، انفصلت الزهرة عن ساقها وظهر برعم أسود أصغر حجماً مكانها. كان المنظر، كما يتذكره ناجٍ آخر، مثل تنين يُقطع رأسه وينبت له آخر جديد.

صدرت همسة من بين شفتي كنشي: «ستسوكو...».

سيتذكر الأب ماتياس أن وجود المرء محاطاً بالموت سيئ مثل كونه في عداد الأموات. في بيت كاهن رعية الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة في المدينة، على بعد 1.3 كيلومتر إلى الشرق من مركز الانفجار، كان الأب ماتياس، والأب هوبرت سيسليك، والأب لاسال قد سمعوا طائرتين تحلّقان عالياً في الجو، تطلقان العنان لمحركاتهما وتنقضّان، كأنهما تحاولان الهرب من شيء ما. كان الكاهن المبتدئ الذي سيصبح في ما بعد الأب ماتياس يطلّ على فناء حديقة، ورأى مظلّتين تهبطان عند الأفق ثم ومضت السماء الخالية بخلاف ذلك بلون أزرق ساطع، تحول إلى أصفر، ثم انهار السقف.

Twitter: @alqareah

لـم يعـرف ماتيـاس ما جرى بعد ذلك، وبدا أن ذاكرته لم تسـجل سوى لحظات منفصلة. كان أول شيء تذكره هو سيره باتجاه النهر، لكن الزمن كان يخدعه. كانت كل النقاط المرجعية المعتادة – الكنيسـة وكل علامة أخرى – قد اختفت؛ قبل بعض الوقت... دقيقة؟ ساعة؟

كان الأب ماتيـاس قـد انضم إلى مئات الأشـخاص أنصاف العراة المصابيـن بـدوار وأصبـح واحـداً مـن مشـاة النمـل. انسـلخ جلد رجل أمامه عن ظهره، مثل قطع من قميص بالٍ، وزال كل اللحم عن ذراعه؛ كأنـه قفـاز طويـل. تبـع الكاهن الجثة التي تمشـي علـى غير هدى حتى ارتطمت – والفزّاعـة التـي أمامها – برأسـها أولاً فـي عربة قطار محترقة. عندما نظر الأب ماتياس إلى الداخل، رأى أن ملابس الركاب وجلودهم قد انسـلخت عنهم، ومن بين الرّكاب امرأة واحدة كانت تتحرك: جنين يركل داخل والدته الميتة.

تراجـع ماتيـاس إلـى الخلـف، وتـرك الرجل الذي قـاده إلى عربة القطار يفغر فمه ويبتلع ريقه على الأرض، مثل سـمكة على يابسـة. لم يعرف ماتياس إلى أين يذهب، لكن أكثر من اثني عشر شخصاً انتظموا في صف خلفه بأي حال، وبدأوا يتبعونه.

استند أحد مشاة النمل الآخرين، ويدعى أكيهيرو تاكاهاشي، على القطـار المحطّـم. نظـر الفتـى المحروق جزئياً والبالغ عمره أربعة عشـر عاماً حوله ورأى كاهناً يقود صف نمل جديد. مشـى تاكاهاشـي خلف الكاهن، حتى سـمع صديقاً ينادي اسـمه، ثم غيّر مسـاره باتجاهه، وبدأ صف نمل جديد يتكوّن خلفه.

انتبه الفتى، بعد أن خرج من ذهوله، إلى الأشخاص الذين يتبعونه، لكـن معظمهـم لـم يكونوا يبدون من البشـر آنـذاك ويتدافعون على نحو مزعج. كيف يمكن أن يحدث ذلك على الأرض؟ فكّر في ذلك وحثّ الخطـى نحـو النهـر القريب، محاولاً أن يتخلص من مشـاة النمل خلفه. افترق الدخان والغبار أمامه؛ كأنهما يسخران منه ويقولان له إن لا مفر

Twitter: @alqareah

مما كان قد ابتعد عنه في عربة القطار المسودّة. كان هناك رضيع يصرخ إلى جانب أم تقشّر جلدها تماماً، وتحوّلت بشرتها كلها إلى قشرة رقيقة متفحّمة. لم يكن ذلك آخر أو أسوأ منظر مرعب يراه الفتى تاكاهاشي في أثناء بحثه عن منزله. كان هناك آخرون لا توجد كلمات لوصف حالاتهم. كان يقف قبل ساعة فقط، كما بدا له، في ساحة مدرسة مشمسة يراقب بي – 29 تقوم بحركات مناورة غريبة على ارتفاع أميال فوق رأسه؛ كأنها على وشك أن تتحطم. وبعد ذلك، ضمن دائرة شعاعها 1.4 كيلومتر من منطقة الهدف، دمّرت الحرارة الشديدة المدرسة وأرخى ظلام حالك ستارته على المكان.

بعد أكثر من خمس وعشرين سنة، سيجلس تاكاهاشي والكاهن معاً في محطة حافلات في واشنطن العاصمة، مع وصيف أميركيّ وبول تيبتس، قائد الطائرة التي ألقت القنبلة. كان الأب ماتياس يخبر تيبتس آنذاك كيف سمع هدير محركات طائرته وهي تحاول الابتعاد عن القنبلة في ذلك اليوم المشمس من آب. جلس تاكاهاشي صامتاً وقتاً طويلاً، يعرف بشأن سمعة تيبتس؛ عن استعداده لتمثيل القصف في معارض جوية، حتى المزاح بشأن دوره في التاريخ بتناول قطع من كعكات الميلاد على شكل سحابات فطر. أخبر تاكاهاشي تيبتس بغضب أنه بالرغم من أن وجود رجل قريب ما يكفي ليسمع محركات إينولا غاي وأن ينجو بحياته أمرٌ مدهش، إلا أنه في الواقع كان قد رأى طائرة تيبتس، فعلّق الأخير: «نعم، كان في مقدوري رؤية كل هيروشيما تحتي».

دفع تاكاهاشي يده المسلوخة جزئياً، التي لم تتعافَ تماماً، باتجاه تيبتس فسأله الطيار: «هل هذا تأثير القنبلة الذرية؟».

رد تاكاهاشي: «نعم»، وبدا له أن تيبتس متفاجئ ومصدوم، لكنه أمسك بيد تاكاهاشي، الذي قال: «يجب أن نتخطى ألم، وأسى، وكراهية الماضي. ويجب أن نعمل معاً لنكون واثقين أن البشرية لن تختبر هذا مجدداً».

Twitter: @alqareah

قال تيبتس: «أفهم ذلك»، وأضاف جملة واجبة قائلاً: «لكنني سأفعل الشيء نفسه، في الظروف ذاتها؛ لأنه عندما تندلع الحرب، لا يمكن للجنود أن يفعلوا شيئاً سوى تنفيذ الأوامر». ضمّ كلتا يديه حول ندوب تاكاهاشي وقال، على نحو غير متوقع وبصدق واضح: «يجب ألاّ نسمح باندلاع حرب مجدداً».

قال تاكاهاشي لاحقاً لأحد الناجين الآخرين إنه يظن أن تيبتس شعر ببعض الألم والندم في قلبه، لكن الصديق رد: «أشك في ذلك».

سواء أكان إحساس تيبتس حقيقياً أم لا، فقد خرج تاكاهاشي من الاجتماع شاعراً بطمأنينة داخلية. كتب لاحقاً: «ضمن قدرات الجنس البشري، يُقال إن التخيّل أضعفها والنسيان أقواها. لا يمكننا، بطبيعة الحال، أن ننسى هيروشيما، أو أن نفقد الرغبة في عدم اندلاع حرب. هيروشيما ليست حقيقة تاريخية فقط، وإنما هي تحذير ودرس للمستقبل أيضاً».

في ما يتعلق بأكيهيرو تاكاهاشي، كان هناك عزم وأمل في المستقبل، وفي ما يخصّ الكاهن، لم يكن أي منهما موجوداً، وبقي رجلاً حبيس ماضيه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

بعيداً عن عربة القطار وطابور نمل تاكاهاشي، كان أحد جدران مبنى سكني من الآجر - كل ما تبقى من البناء - يرتفع ثلاثة طوابق فوق رأس الأب ماتياس، الذي رأى ثلاثة أطفال عالقين فوقه، يصرخون. كانوا عراة، وحُفِر في أعماق ذاكرة الكاهن أن أحدهم كان ينزف من جسده كله.

كان في البداية شاكراً؛ لأنه بقي حياً آنذاك، وبعد أن تحول وهم حالة السير خدراً إلى حقيقة وضوح وحشية ما جرى، بدأ ببطء وثبات يلوم نفسه لأنه نجا. عندما وصل إلى النهر وبدأت أولى مراكب الإنقاذ تدفع الجثث إلى خارج الماء، وبينما كان يخوض في الماء بنفسه ويشاهد امرأة ترفع طفلها نحوه - ترجو أن يفتح الرضيع عينيه - ولا

Twitter: @alqareah

تكاد تلاحظ أنه مع اقترابها من الماء بدأ جلدها وعضلاتها تنسلخ عن عظامها، بدأت حالة الخدر اللطيفة تتداعى، وشعر بذنب عظيم.

بدأ في ذلك الوقت يفكّر، يمعن التفكير حقاً أول مرة، في شأن الأطفال الثلاثة الذين كان قد رآهم على جدار الآجر. لم تكن هناك علامات مألوفة تميز طريق العودة، وكانت الديدان النارية قد بدأت تندمج معاً لتكوين جدران متحركة من ألسنة اللهب. وسيتساءل، كل يوم طوال ما تبقى من حياته، عمّا كان قد حدث للأطفال على الجدار. سيصبح منظرهم آخر ما يفكّر فيه كل ليلة قبل أن يخلد إلى النوم، وسيحلم بهم، وسيكونون أول صورة تقفز إلى ذهنه عندما يستيقظ.

عندما كان كنشي يشق طريقه نحو مركز المدينة بحثاً عن زوجته، كانت الشوارع والحقول مليئة بما بدا أنها آلاف المصابيح المشتعلة الصغيرة. لم يستطع تحديد ماهية المصابيح، ولم يتمكن من ذلك أيٌّ من العلماء الذين سمعوا بذلك لاحقاً. كانت كل شعلة نارية بحجم حلوى الدوناتس وشكلها. كان كنشي يعرف أنه يستطيع بسهولة إخماد أيٍّ من «الشموع الأرضية» في طريقه بمجرد أن يدوس عليها، لكنه كان «متوجساً» على نحو غريزي من أن الدوس على الدوناتس النارية ربما يكون خطراً، لهذا ابتعد عنها. فكّر في ستسوكو. تجاوز رجالاً ونساءً كانت ظهورهم متغضّنة نتيجة التعرّض للوميض، لكن تلك الحروق لم تكن ما أثار اهتمامه وعلق بذاكرته. بدا أن أعشاباً خضراءَ جديدة تنبت من لحم الناس المحمّص. خطر لكنشي بعد وقت طويل فقط أن الأعشاب قد اقتُلعت من الأرض واندفعت في الهواء مثل سهام مصغّرة. تخيّل عموداً عملاقاً من ألسنة اللهب يمكن رؤية أعمدة فولاذية تنصهر فيه. فكّر في ستسوكو. في مكان أقرب إلى مركز الانفجار، ليس بعيداً عن مقر بلدية المدينة، مشى على طريق دافئ شهد بالتأكيد مرور نار عظيمة عليه، التي خمدت فجأة على نحو لا يمكن تفسيره. اختفى كل

Twitter: @alqareah

الناس ببساطة هناك، وتحوّلت كل المنازل الخشبية، على جانبي الطريق، إلى رماد أبيض - رمادي. فكّر في ستسوكو. بدا الشارع الرئيس الذي يؤدّي إلى منزله حقلاً أكثر منه طريقاً. في وسط الحقل، وجد عربتَي قطار مسودّتين. كان سقفاهما ونوافذهما قد اختفت وامتلأتا بأكوام من جمرات تبيّن أنها ركّاب تفحّموا في مقاعدهم. كانت عربتا القطار قد توقفتا على ما يبدو على جانبي الشارع ليصعد على متنهما مزيد من الركاب، وكان شخصان على وشك نزول درجات إحدى المركبتين عندما هبطت الحرارة، أصابتهما، وحوّلتهما إلى رزمتي فحم مع أزرار قميص وأسنان. فكّر في ستسوكو، وأخذ يلوم نفسه آنذاك على رحلة شهر العسل سيّئة الطالع قبل أسبوعين إلى جزيرة الضريح في مياجيما.

كان هناك شيء غريب في ما يتعلق بضريح مياجيما، المخصص لسيّدةٍ كانت أجيال أقدم تظن أنها تصاب بالغيرة إذا صعد زوجان متزوجان حديثاً الدرجاتِ المبجّلة المؤدية إلى مقامها معاً. قال كبار السن إنه إذا تم انتهاك ذلك المحظور، فستموت الزوجة بعد وقت قصير. لكن صديق كنشي، الذي يمتلك فندقاً محلياً ورتّب إقامتهما في شهر العسل قرب حدائق الجزيرة، كان قد سخر من ذلك وقال إن تلك محض خرافة. نصحهما، بعد أن قطعا كل المسافة إلى مياجيما معاً، أن يذهبا مباشرة إلى الضريح الشهير؛ وهذا ما فعلاه. وفي أثناء الرحلة آنذاك بين مكتبه وأرض الصفر، ندم كنشي على ذلك الأمر مرات عديدة.

كان ياساكو ميكامي قد تأخر عن القطار عدّة ثوانٍ، لهذا اضطر إلى انتظار آخر، ومن ثَمّ كان متأخراً نحو ربع ساعة عن موعده المعتاد حينما كان القطار الآتي يحمله مصادفة داخل نفق ميوكي باشي الآمن، وجعله ذلك أحد الناجين القلائل في كل هيروشيما.

كان أول شيء لاحظه - بعد الوميض الأزرق من الخارج وبعد أن

ملأت سحابة من دخان أسود العربة - أن الدخان يعبق برائحة كريهة. عندما خرج من العربة، إلى الجانب الخارجي لأرض الصفر، أصبحت الرائحة الكريهة والمألوفة أقوى. عرف مباشرة ما كان يشمّه؛ لأنه كان رجل إطفاء. كانت تلك الرائحة تصدر عن لحم بشري في أثناء احتراقه التي تشبه تماماً رائحة حبّار عندما يتم شيّه فوق جمرات ساخنة، مع بضع قطع من لحم حيوان مقزّز بينها. كان الهواء يعبق برائحة الحبّار ولحم الحيوان المقزّز المشوي، وهكذا بينما كان ياساكو يجري نحو المكان الذي يحتضن مقر فوج الإطفاء، كان يعرف ما يشمّه؛ رائحة عشرات آلاف الأشخاص.

لم يكن أحد قد نجا في فوج الإطفاء، ولم تبقَ سوى ثلاث شاحنات إطفاء في المكان الذي افترض ياساكو أنها موجودة فيه، بالرغم من أنه لم يكن واثقاً بذلك. لم يستطع سوى التعرّف إلى الشاحنات وأساسات المبنى، لكن الأرضية لم تكن مألوفة. عثر على قائده محترقاً حتى الموت خلف عجلة الشاحنة، وقد بدا أن الرجل كان يقف قرب الشاحنة حينما حلّ الوميض، وقد قفز إلى الشاحنة وهو على وشك أن يشغّل المحرّك حتى يتمكّن من مكافحة الحريق؛ لكنه بالطبع لم يستطع ذلك.

كانت شوارع هيروشيما مليئة بتناقضات تبدو مستحيلة بين أشياء مدمّرة تماماً وأخرى سليمة لم يمسّها سوء. كان آجر سقف منزل كنشي قد تعرّض لحرارة شديدة وتحطّم إلى آلاف القطع الصغيرة، وكان واضحاً أن المبنى برمته قد تحمّص في الوقت نفسه، ودُكّ إلى ارتفاع نحو نصف متر عن الأرض. على بعد بضع مبانٍ سكنية، كان ممكناً رؤية دليل على حدوث فقاعة صدمة عملاقة، التي كان الغلاف الجوي نفسه قد انكفأ بسببها بسرعة فوق صوتية عن مركز الانفجار، من نتائجها المباشرة، «تأثير الفراغ» الذي كان قد تكوّن خلف موجة صدمة سريعة جداً، سحبت كل شيء مجدداً نحو المركز، في اتجاه نقطة التكوّن

Twitter: @alqareah

الحقيقيـة لغيمـة الفطـر. كانت قـوة فقاعة الصدمة التـي انفجرت داخلياً قد سحبت أيضاً العواصف الهوائية التي تكوّنت على الرصيف. أشارت تلك المظاهر إلى قوى تحرّرت عندما انتشرت الفقاعة منخفضة الكثافة، التي لمعت جدرانها بقوة الغاز المؤيّن والهواء المضغوط بشدّة، وبردت إلـى نقطـة بـدأ فيهـا الضغط نحو الداخل من الهـواء المحيط بها يصبح أقوى من الحرارة وموجة الصدمة التي تخرج من عاصفة اليورانيوم. في تلك المرحلة، كان عمر فقاعة الصدمة نحو 250 مليثانية فقط؛ ربع ثانية بعد لحظة الصفر وشعاعها 400 متر. عندما انهارت الفقاعة، بعد أقل من عُشـرَي الثانية وباتسـاع قرابة عشـرين مبنى سكنياً، تضخّم التيار الهوائي الصاعد الذي اختُبر أسفل منها مباشرة، في حي كنشي، نتيجة الارتفاع المتزامـن تقريبـاً للغـاز المؤيّن المرتـدّ، الذي عمل بطريقة ما مثل منطاد هواء سـاخن. كانت الفقاعة، مع ارتفاعها وتراجع قوتها، قد بردت من كرة نار إلى رأس زهرة سوداء مشؤومة، وقد بدأت تنشر أنقاضاً بالطريقة التي تطرح فيها زهرةٌ غبار الطلع. كانت هناك درّاجات هوائية، وأجزاء من رصيف، ونصف بيانو ضخم، تسقط من السحابة، على بعد أكثر من 800 متر من مركز الانفجار.

وبالرغـم مـن ذلـك، وسـط كل تلك الفوضى، بقيـت قطع فخّارية ممتازة ومرطبات فاكهة هلامية سـليمة على الأرض. اكتشـف كنشـي أن الأشجار، بالرغم من تعرضها لحرارة شديدة وتعرّيها من أوراقها، كانت لا تزال تقف باسـقة على حالها في منطقة عرضها 30 متراً ضمن حيّه. بـدا أن منـزلاً مؤلفـاً مـن أربعـة طوابق قد نجا أيضاً بين الأشـجار، ولم يصـب إلا باهتـزاز عنيـف وبعض التصدّعات، وحروق بسـيطة. لم يكن المالكـون موجوديـن هناك آنذاك، بالطبع، لكن ليس من أجل الأسـباب التي سيكتشفها كنشي.

كان موريموتـو، صانـع الطائـرات الشـراعية الـذي كان يقيـم مـع قريبيـن ثرييـن فـي ذلـك المنزل فـي لحظة الصفر، قد نجـا من دون أن

Twitter: @alqareah

يصاب إلا بخدوش وكدمات بسيطة. جعل السقف المؤلف من ثلاث طبقات من الآجر والخشب السميك غالي الثمن، إضافة إلى الطبيعة الغريبة لتأثيرات القنبلة، المنزلَ قوياً بما يكفي لحماية الرجال الثلاثة في أثناء ارتشافهم الشاي في الطابق الأرضي. كان موريموتو وقريباه قد نجوا ببساطة من عين الانفجار النووي، ودخلوا كتب الأرقام القياسية كأعضاء في إحدى الأقليات الأشهر في التاريخ. لا بد من أن المنزل الكبير، بعوارضه الخشبية العريضة وطبقات الآجر السميكة، قد امتص ما يكفي من أشعة غاما، والسينية، ورذاذ النيترون مما أبقى على حياتهم؛ وقد ابتعدت انفجارات النواة الثقيلة التي وقعت بسرعة الضوء عن منزل موريموتو تماماً.

بالرغم من ذلك، عندما خرج موريموتو من كومة الخشب والطين التي كانت النار قد نسفتها تماماً وجعلت دخاناً يخرج منها، مشى في قفر مليء بالغبار يشعر بعطش شديد، وبدا أن كل سنتيمتر مربع من جلده قد تعرض لحرق شمس. كانت معدته وأمعاؤه تؤلمه أيضاً؛ كأن جانبيه قد تعرّضا كذلك لحروق شمس. شعر بأنه ضائع ومشوّش، وبحلول ذلك الوقت بدأ موريموتو يشك في أن دماغه قد تعرض لحرق شمس بسيط. وبعد أن وقف فوق كومة حطام، ونظر عبر الدخان، ازدادت حيرته. عادةً، لم يكن في مقدوره رؤية الجبال أو برج إرسال محطة الطقس من موقعه، لأن هناك مباني مرتفعة في الطريق. لكن كل العقبات زالت، آنذاك. كانت المدينة... قد سوّيت كلها أرضاً. لم يستطع أن يميز، وسط هبّات من غبار متحرك، سوى آلات خياطة محترقة، وأحواض ماء إسمنتية، ودراجات هوائية وعربات قطار محترقة، وأكوام من لحم محمرّ مائل إلى السواد في كل مكان، بعضها على شكل أجساد بشرية، أو أحصنة.

اشتد الشعور بالعطش والحروق بسرعة، وبدأ موريموتو يتقيأ؛ أول إشارة على التعرّض لجرعة من أشعة غاما ونيترونات، التي ترافقت

Twitter: @alqareah

بحالة صدمة غير ملحوظة مرّت فيها مدة غير معروفة من الزمن قبل أن يدرك صانع الطائرات الشراعية أنه كان قد هام على وجهه وحيداً ولم يعد يرى قريبيه.

سيكون في مقدور موريموتو، أكثر من أي شخص آخر في المدينة ذلك اليوم، أن يخبر مؤرخين في المستقبل أن مشكلاته قد بدأت آنذاك. كان يعرف أن هيروشيما، بالرغم من مرور مجموعات قاذفات فوقها في طريقها إلى أوساكا ومدن مستهدفة أخرى، قد بقيت سليمة. كان قد سمع شائعات عدّة عن السبب: أكثرها شيوعاً أن «في هيروشيما العديد من الحدائق والأضرحة وهي أجمل من أن تتعرض للقصف». لكن موريموتو كان ضمن أول من استنتجوا على نحو صحيح أن الأميركيين قد استثنوا هيروشيما من أجل شيء خاص. كيف يمكن بخلاف ذلك لمصممي سلاح جديد أن يفهموا الدمار الذي يمكن أن يُلحقه بمدينة إذا كانت مليئة بحفر القنابل؟ إذا كان هناك المزيد من تلك القنابل الخاصة، فسيتم استخدامها ضد تلك المدن التي تُركت عمداً على حالها من دون المساس بها.

عاش معظم أفراد أسرة موريموتو في إحدى تلك المدن؛ ناغازاكي؛ لهذا كان منطقياً، وليس استناداً إلى خرافة، أن يدرك ضمنياً بكل تأكيد أن زوجته وأولاده سيكونون الهدف الآتي، وأن قنبلة على وشك أن تتبعه إلى منزله، لكن موريموتو لم يكن يهتم بتلك الملاحقة.

قرّر: إذا كنت سأموت، فليكن ذلك مع أسرتي. لهذا، سأعود إلى ناغازاكي.

وانطلاقاً من ذلك المنطق، عرف التاريخ وجهتي نظر للوجود داخل شرنقة حماية من الصدمة من الشخص نفسه: عشرة إلى اثني عشر كيلوطن فوق رأسه مباشرة تقريباً، ونحو ثلاثين كيلوطن على بعد 2.4 كيلومتر (ميل ونصف) عنه.

كان الوالي (محافظ إمبراطوري) تيكجيرو نيشيوكا محمياً تماماً

Twitter: @alqareah

خلف تلة مرتفعة مع اقتراب قطاره من محطة كيديشي في ضواحي هيروشيما الجبلية. كان الوالي قد لاحظ الحلقة اللامعة، الصفراء المحمرّة في السماء؛ ضخمة وترتفع عالياً من خلف التلال في اتجاه المدينة. مع تلاشيها إلى كتلة على شكل قنّبيط من بخار متعدد الألوان، أعلن جنود على متن القطار أن ذلك ناجم على الأرجح من انفجار مخزن ذخيرة. كان نيشيوكا أوسع اطلاعاً. لم يكن قد نجم عن أي انفجار ذخيرة مثل تلك الغيمة فوق هيروشيما. كان الوالي يعرف ذلك، وأكثر. كان في طريق عودته من طوكيو مع تعليمات بنقل المطابع، والوحدات الإدارية، وأي أعمال عتيقة يمكن إنقاذها إلى أقبية في سفح الجبل.

في الأسبوع السابق، كان نيشيوكا قد حضر اجتماعات مع الأستاذ يوشيو نيشينا وتلميذه إيزو تاجيما، اللذين عبّرا عن مرارتهما الشديدة لامتناع الرايخ الثالث عن تزويدهما بمنتجات منشآته لتخصيب اليورانيوم. قدّر العالمان أنه بمعدلات الإنتاج الحالية آنذاك، والعمل أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع، فقد ينتج مسرّعا السيكلوترون في البلاد ما يكفي من مواد انشطارية لتصنيع قنبلة ذرية واحدة في سنة 2020. لم يكن يبدو أن خطط تصنيع سلاح أيونات ثقيلة يتقدم بسرعة أكبر. باستخدام كهرباء من المولدات الضخمة في محطة ساكيداريا، تمّ إثبات أن نواة من الذهب أقل تبعثراً وأكثر تركيزاً من نواة حديدية؛ ونظرياً، كان استهداف قاذفات بي – 29 بأسلحة ذرّية فتّاكة أمراً في غاية البساطة. لكن عملياً، هناك حاجة إلى مسرّع دائري الشكل قطره نحو كيلومترين، مع المحافظة على ثبات المدافع المغنطيسية، خاصة المثبّتة إلى الدائرة الكبيرة. كانت الآلات لهذا السبب عرضة للتوقف عن العمل حتى إذا لم يهاجم العدو المولّدات. كان كل ما على الأميركيين، والبريطانيين – ولاحقاً الروس – القيام به هو منع طائراتهم من التحليق ضمن المجال الجوي لتلك المفاعلات.

كان الشاب تاجيما قد سأل إن كان عليه متابعة خططه لبناء المسرّع

Twitter: @alqareah

الذرّي، لكن ممثل الإمبراطور لم يرد على ذلك.

ولهذا السبب فهم نيشيوكا مباشرة، بخلاف الجنود الآخرين على متن قطاره، ما كان قد حدث على الأرجح لهيروشيما. كان الجنود بحاجة إلى مزيد من الوقت لاستيعاب المشكلة. من باب الحيطة والحذر، أمروا بإيقاف القطار في محطة كيديشي والبقاء هناك حتى يتصلوا بالمدينة. سرعان ما اكتشفوا أن كل الخطوط الهاتفية معطّلة، وأن البث الإذاعي اليومي المعتاد قد توقف. ثم، وصل قطار من اتجاه محطة هيروشيما؛ كانت كل عرباته قد فقدت نوافذها، وكل ركابه - إلا قلّة قليلة منهم - تنظر إلى الخارج بوجوهٍ خالية من أي تعبير. كانت كل العربات محترقة، والنار لا تزال مشتعلة في اثنتين منها. لم يتوقف القطار. كان المهندس، الذي يبدو فزّاعة أكثر منه إنساناً، ينحني خارج النافذة الجانبية ويتقيأ صفراء (عصارة مرّة يفرزها الكبد) أو أنه لم يهتم أو شعر بسعادة بالغة من حقيقة أنه زاد السرعة في محاولة لإخماد ألسنة اللهب في أثناء تجاوزه إياها.

أمر الجنود على جانب نيشيوكا من السكة الحديدية بفصل عربات الركاب مباشرة عن قطارهم. تولّوا قيادة القاطرة وقرّروا متابعة طريقهم فوراً نحو المدينة المنكوبة. أسرع نيشيوكا، بعد أن طرد صورة المهندس الفزّاعة من ذهنه، نحو الطاقم، وأظهر أوراق اعتماده، وأمرهم بأخذه معهم في القاطرة. لم يكن يعرف ما يحدث آنذاك، لكنه كان قد بدأ واحدة من أغرب الرحلات في التاريخ.

بعد دقائق من تجاوز منعطف تل كيديشي، بدأ نيشيوكا والجنود يرون صفوفاً من الجرحى تتحرك على السكة الحديدية التي تخرج من المدينة. تقدموا ببطء وحذر إلى الأمام؛ أطلقوا الصافرة في إشارة إلى: أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق!؛ لاحظوا أن حروق اللاجئين تصبح أسوأ كلما تقدّموا، وكانت أعداد متزايدة من الجرحى تتمتم بأصوات خافتة: «ماء... ماء...».

Twitter: @alqareah

عندما اقتربوا من أعمدة الدخان الأسود الضخمة، بدأت السكة الحديدية تخرج عن مسارها ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى إيقاف القطار.

قرّر الوالي المضي قدماً سيراً على الأقدام؛ لحضور الاجتماع الذي كان قد رتّبه قبل يومين في منزل المشير هاتا. كان معروفاً عن نيشيوكا أنه دقيق جداً في مواعيده، ولم يكن تسونامي أو إعصار قد جعله يتأخر من قبل؛ لم يكن ليدع قنبلة ذرّية تلطخ سجلّه النظيف.

حتى بعد أن اكتشف نيشيوكا أن الأرض بين القطار الذي لا يستطيع متابعة طريقه ومنزل المشير مليئة بمشاعل نار غريبة تتراقص في الهواء، كان الحفاظ على سمعته يستحوذ على تفكيره، بغضّ النظر عن خطورة ألسنة اللهب تلك، التي ظهرت مثل أجزاء بركانية مصغّرة؛ كأنها قطع محترقة من الكبريت. كان من الممكن إخمادها بسهولة بالدوس عليها في أثناء تجاوزها، لكنه لم يكن يرغب في فعل ذلك، وفكّر لاحقاً في أنه بمجرد المشي بين تلك المشاعل الصغيرة، فقد عرّض نفسه لإشعاع سبّب نزيفاً تحت الجلد في قدميه وساقيه.

وصل في الوقت المحدد بالرغم من كل شيء. تأخر المشير في الوصول، بالرغم من حقيقة أن منزله كان محمياً في ظل تلة من تأثير بيكا-دون. توقع نيشيوكا أن يكون هاتا لا يزال في منزله في تلك الساعة المبكرة، لكن، استقبله ضابط كبير في السن كان أحد جانبي وجهه قد تعرض لحروق من الدرجتين الأولى والثانية وتمزّقت بذلته. سأل عن هاتا، ورد الضابط أنه يظن أن المشير قد لقي حتفه.

أضاف الضابط: «أظن أنه تم قصف هيروشيما بقنبلة ذرّية».

قال نيشيوكا: «أظن ذلك أيضاً»، وقرّر بعد ذلك أن يسير على الدرب مسافة أطول ويرى بنفسه.

توقف عند جسر كان فولاذه ملتوياً على نحو غريب، والعوارض الخشبية للسكة الحديدية تشتعل ناراً. لم يكن هناك المزيد من الناجين

Twitter: @alqareah

يخرجون من المدينة، لكن بعض هررهم كانت قد نجحت في عبور الجسر. كانت ستٌّ منها، سفعت النارُ شعرها قليلاً، تلعق كتلة لزجة من أمعاء تتدلى من حصان جريح بدا أنه لا يلاحظ ذلك.

لم يحب نيشيوكا على وجه الخصوص الهررة التي رآها قبل هيروشيما. بحلول الوقت الذي وصل فيه كنشي هيراتا إلى أرض الصفر، كان الوالي قد قرّر أنه يكرهها. قرّر أيضاً أن ليس بمقدوره فعل شيء في هيروشيما، وأنه سيخدم الإمبراطور على نحو أفضل بالعودة إلى مقرّ قيادته فوراً حاملاً أنباء ما كان قد رآه.

في طريق عودته من بحر الدخان، التقى تلميذاً كان معلّموه قد ساقوه إلى العمل في أحد المصانع. كانت تضاريس الأرض - وخاصة خندق قلعة هيروشيما وسورها الحجري القريب - قد ضغطت بطريقة ما موجة الصدمة ووجّهتها مثل طلقة مدفع عبر مبناه. شرح الفتى مراراً وتكراراً أنه على الأرجح الناجي الوحيد. كان قد ابتعد عن منطقة عرف نيشيوكا لاحقاً أنها تعرّضت لتساقط غبار نووي كثيف (قرب جسر ميساسا). يُقال إن الفتى مشى في وسط منطقة المطر الأسود، تبع مجموعة من مسارات السكك الحديدية متجاوزاً مستشفى الاتصالات في هيروشيما نحو إحدى محطات القطارات في الضواحي، إلى مكان كانت أسرته قد اختارته كنقطة تجمّع في حال تعرّض المدينة لضربة جوّية ساحقة.

عندما افترق درباهما، منح الوالي الفتى معظم زاده من الأرز والماء الذي كان يحمله معه، إضافة إلى بطاقة تحمل اسمه وعنوان مقره، وعرض عليه المساعدة وطلب أن تتصل به أسرته لاحقاً. لكنه لم يسمع قط عن الفتى مجدداً، وسيتساءل: هل كان السبب؛ لأنه وأسرته في عداد الأموات، أم لأنهم عدّوه هو في عداد الأموات؟ كان الاحتمال الثاني يبدو مرجحاً مثل الأول؛ لأن العنوان على بطاقة الوالي نيشيوكا كان مركز الانفجار في ناغازاكي.

Twitter: @alqareah

لم يستطع المؤرخون تحديد هوية الفتى بأي درجة من الدقة. وبالرغم من ذلك ستقدّم أسرة إيتو في هيروشيما إفادة ناجٍ تضم معلومات مطابقة؛ تبدو إلى حدٍّ كبير جانباً آخر من قصة نيشيوكا. كان هيروشي، الشقيق الأكبر لتسوجيو إيتو، تلميذاً تبيّن أنه الناجي الوحيد من المدرسة المركزية الذي سلك مجموعة من طرقات السكك الحديدية شرقاً إلى خارج المدينة، نحو نقطة محدّدة سلفاً؛ لالتقاء الأسرة قرب الموقع الذي التقى فيه الوالي. في وقت كان الطعام فيه قليلاً جداً ولا يمكن أن يقدّم أحد أرزه إلى غرباء، أخبر الفتى إيتو أسرته أن غريباً طويلاً يتمتع بسلطة قد منحه طعاماً وعرض عليه المساعدة.

في الساعات التي أعقبت اللقاء، أُصيب هيروشي شقيق تسوجيو بغثيان وضعف، تعافى منهما قليلاً، ثم عاوداه بقوة أكبر ما جعله يتقيأ الأرز الذي كان قد مُنح إياه. سواء أكان هيروشي إيتو هو الفتى الذي التقاه الوالي أم لا، فقد تعامل التاريخ مع أسرتي إيتو ونيشيوكا بمعيارين متمايزين. سار الاثنان في اتجاهين مختلفين، ولا يهم حقاً إن كانا قد ذهبا في نهاية المطاف إلى ناغازاكي أو ضواحي هيروشيما. سيسجل نيشيوكا لاحقاً أن شبح الموت الذرّي بدا مصمماً على مطاردتهم؛ كان يسري آنذاك في عروقهم، يشحذ مخالبه وينتظر الإجهاز عليهم.

كان كنشي هيراتا سينجو على الأرجح من دون أن يصاب بأي جرح ناجم عن الإشعاع لو أنه لم يذهب إلى مركز منطقة الانفجار بحثاً عن ستسوكو. عندما تنشّقَ الغبار الجاف، ونظّفه من حلقه بشرب ماء بني ضارب إلى السواد من أنبوب مكسور، كانت خلاياه تمتص أشياء جديدة غريبة من بعض أكثر العناصر شيوعاً. تكون هذه الأشياء، أو النظائر، متقلّبة جداً، وبحلول وقت استيقاظه في الصباح لم يكن لمعظمها أثر يذكر. كانت تحرّر طاقتها مثل مدّخرات مشحونة صغيرة. للأسف، كانت تفرّغ تلك الطاقة مباشرة في جلد كنشي ومعدته، وفي

Twitter: @alqareah

رئتيه ودمه. كانت الظاهرة التي أنقذته من التعرض لجرعة قاتلة هي انهيار فقاعة الصدمة وارتفاع سحابة الحرارة. كان مقدارٌ كبير من الأنقاض المسحوقة والملوثة بالأشعة قد ارتفع مع السحابة، ومعظم السموم قد سقطت آنذاك على بعد كيلومترات كمطر أسود. حتى في ما يتعلق بتأثيرات الإشعاع، وحدَها، كانت أرض الصفر بطريقة ما أكثر الأماكن أماناً. كان كل شيء طبيعياً نسبياً: كان حي السيد هيراتا لا يزال ساخناً نتيجة النشاط الإشعاعي، لكن أماكن أبعد كانت أكثر سخونة.

بحلول مساء ذلك اليوم الأول، كان كنشي قد حدّد عملياً حفرة معينة في الأرض بوصفها منزله. قبل يوم فقط، كان المنزل والحديقة محاطين بجدار آجري جميل، وآنذاك، كانت قطع من ذلك الآجر المميز متناثرة بين الجمرات. بدا أن الموقد الحديدي الضخم الذي يسخّن ماء الحمام لكنشي وعروسه قد دُمر، لكنه بالرغم من ذلك لا يزال في موقعه في المنزل. على بعد بضع خطوات فقط، نبش من الأرض أوعية مطبخ، التي بالرغم من تعرضها للتشويه في الحرارة والانفجار إلا أنها كانت تبدو مألوفة على نحو مؤلم جداً. كانت هدايا من والدَي ستسوكو.

كان ينتاب كنشي شعور فطريّ غريب أن الأرض نفسها قد تكون خطرة، وأن عليه أن يغادر المدينة فوراً. الفكرة التي أوقفته كانت ستسوكو: إذا كانت ميتة، فقد تشعر بالوحدة تحت الرماد، وفي الظلام، من دون أنيس. لهذا، سأنام برفقتها هذه الليلة، في منزلنا.

في منتصف الليل تقريباً، استيقظ على صوت طائرات معادية تحلّق على ارتفاع منخفض، تستطلع الأضرار. كانت السماء، على امتداد قوس واسع عريض من الشمال إلى الشرق، تلمع بلون قرمزي، وتعكس النيران على الأرض. بالرغم من أنه لم يتبقَّ الكثير ليحترق فيما كان الطيارون الأميركيون يدعونه آنذاك أرض الصفر، إلا أن ألسنة اللهب ازدادت في كل مكان حول طرف منطقة القنبلة، وابتعدت ببطء نحو الخارج.

Twitter: @alqareah

حلّقت الطائرات حول المكان وغادرت. وضع كنشي رأسه مجدداً على رماد منزله، وتمدّد في مركز المدينة المهجور الخالي من أي علامة على الحياة. كان يقطع صمت هيروشيما بين الحين والآخر صوت مزيد من الطائرات وانفجارات قرب الأفق في اتجاه الواجهة المائية ومحطة الوقود. مع اتساع حلقة النار إلى خزانات الغاز، لم يكن هناك خراطيم أو شاحنات إطفاء، وقلّة فقط من رجال الإطفاء كانوا لا يزالون أحياء، ويحاولون منع اشتعال النيران في الخزانات. سمع كنشي قطعاً معدنية ضخمة ترتفع في الهواء وتشتعل لهباً، وترتطم على الأرض واحدة تلو أخرى، وتطير عالياً مجدداً. لكن أرض الصفر نفسها كانت هادئة جداً، والأصوات التي وصلت إلى مسامع كنشي من خارجها لم تزعجه. كان مرهقاً جداً وقلقاً كثيراً بشأن مصير ستسوكو. كانت حسحسة ألسنة اللهب البعيدة - حتى أصوات الدوي والفرقعة - قد جعلته يغطّ في نومٍ عميق.

حاولت أسرتا سوميكو كيريهارا وساداكو ساساكي يائستين الخروج من المدينة، لكن بحلول منتصف الليل وجد العديد من الأشخاص، الذين كان الوالي نيشيوكا قد رآهم يترنحون في طريق خروجهم من هيروشيما، الطرقاتِ مسدودة من قبل سكان القرى النائية. كان الناجون في الأرياف، في ساعات عدّة فقط، قد تحوّلوا إلى لاجئين، وفقاً لما أوضحته المجالس المحلية عبر مكبّرات الصوت. بعد جدال وشهر سلاح أحياناً، دفعت السلطات المحلية الجرحى الذين يمشون على غير هدى نحو المحارق وأماكن يهطل عليها مطر أسود؛ لم يكونوا يعلمون آنذاك بوجود مثل تلك السموم التي تنجم عن التعرض لنشاطٍ إشعاعي.

لم يكن سكان المدن يجدون أنفسهم موضع ترحيب حتى قبل سقوط القنبلة. بعد تعرض أوساكا لقصف عنقودي بأسلحة محرقة، لم يعد أحد يرغب في العيش في أي مدينة. كان يتم إرسال الأطفال إلى

Twitter: @alqareah

أقرباء إذا كانت لهم عشيرة في الريف. كانت ساتوكو ماتسوموتو، امرأة أخرى كانت أسرتها قد هربت إلى النهر مع أسرتي كيريهارا وساساكي، قد تمنّت أن يستطيعوا جميعاً العبور معاً فوق جسر سكة حديدية إلى الطرف الآخر، حيث تم إرسال بعضٍ من ممتلكات والدها الشخصية قبل شهر لتخزينها هناك. ثم تذكرت ما كان والدها قد قاله في ذلك الوقت، وهو أن سكان البلدة كانوا على استعداد لقبول تخزين الأمتعة، لكنهم سيردّون كل اللاجئين على أعقابهم. كان الطعام شحيحاً في المجتمعات الزراعية التي أرهقتها الضرائب العسكرية. كان أهل الريف قد قالوا إن وجود أفواه إضافية من المدينة يجب إطعامها سيجعل أسراً كاملة تنتقل من حالة التقنين القاسي للطعام إلى الموت جوعاً.

في الوقت الذي وضع فيه كنشي هيراتا رأسه قرب قبر زوجته، عاد اللاجئون الأوائل إلى هيروشيما يحملون أخباراً لا يمكن تصديقها، وهي أن «القرويين» أعادوهم بعد تهديدهم وباستخدام القوة. لهذا قرّرت الأسر الثلاث اللجوء إلى مكان مكشوف تستطيع تمضية الليلة فيه.

سيُصاب والد ساتوكو ماتسوموتو بمرض القنبلة الذرّية في أسبوع واحد فقط. ستظهر كدمات أرجوانية اللون كبيرة تحت جلده، ويتساقط شعره، وينزف دماً كثيراً من أنفه، وسيقف السيد ماتسوموتو ذات مساء، يحدّق إلى الشمس الغاربة، ومن دون سابق إنذار أو جلبة يخرّ ميتاً.

في تلك الليلة الأولى، استلقت ساتوكو على ظهرها وشاهدت أعمدة دخان تتطاول نحو النجوم وتحجبها. عند قواعدها فقط كانت الأعمدة تتراقص في الضوء الذي ينعكس عليها من ألسنة اللهب. ولم تعكس الأعمدة في الأعلى أي شيء على الإطلاق، وبدلاً من ذلك، امتصت الضوء كأن أحداً قد أراق حبراً على السماء. ومثل والدها، لم تكن قد عانت أيَّ إصابة ظاهرة للعيان، وبالرغم من ذلك، وجدت أنه من الصعب أن تمضي تلك الليلة التي لا تبدو لها نهاية تستلقي على ظهرها وتستنشق رائحة الحبّار المشوي الكريهة تلك، وتصغي إلى

نيرانٍ تأكل ما تبقّى من المدينة. بين الحين والآخر، كانت ظلال سوداء لطائرات استطلاع أميركية تمرّ فوق رأسها. وعندما انقشع الدخان أخيراً ليكشف أكثر من نصف السماء، شاهدت ساتوكو في ذلك الوقت شُهباً أكثر مما رأته في حياتها من قبل.

جعل شيء ما قشعريرة تسري على عمودها الفقري - في أثناء ليلة كانت مليئة، حتى تلك اللحظة، بلحظات مروّعة، بدا أن حدوث شيء من دون أن يلاحظه أحد أمر محتمل - لكن ساتوكو ذُعرت عندما ذكرت امرأة أن العدد غير المعتاد للشهب يعني بالتأكيد أن أشخاصاً آخرين غير الذين رأوهم يموتون قد لقوا حتفهم، أو أن الموت على وشك أن يغيّبهم.

وصل أوائل الجنود إلى مركز الانفجار قبل ساعة فقط من شروق الشمس. كانت وزارة الحرب قد أرسلتهم إلى هناك مع نقّالات لم يفهموا الغاية منها. سيتذكر أحدهم لاحقاً: «لم يكن هناك شيء حي في مرمى البصر. بدا أن الناس الذي عاشوا في هذه المدينة الغريبة قد تحولوا إلى رماد مع منازلهم».

وبالرغم من ذلك، كان هناك تمثال يقف سليماً في مكان لا يوجد فيه حجر على آخر. كان التمثال في الواقع رجلاً متفحّماً عارياً يقف مباعداً بين ذراعيه وساقيه. كان واقفاً هناك، في حين أن كل شيء آخر قد سوّي بالأرض. كان الرجل قد تفحّم، عمودُ فحمٍ خفيفٍ وهشٍّ جداً إلى درجة أن أجزاء كاملة منه تفتّت عند مسّها. لا بد من أنه كان قد خرج من مخبئه بعد دقيقة تقريباً من وقوع الانفجار، وطاردته على الأرجح أدخنة ساخنة خانقة. قتلته النيران وحوّلته إلى فحم حيث كان يقف.

عثر الجنود على تمثال في حال أسوأ، مغطّى برماد رمادي. بدا أنه قد أمضى اللحظة الأخيرة من حياته يحاول التكوّر في وضعية جنينية.

Twitter: @alqareah

نخزه أحدهم بِعصاً، متوقعاً أن ينهار؛ لكنه فتح عينيه بدلاً من ذلك.

فزع الجندي وسأل: «كيف حالك؟». بدا أنه لا يوجد شيء آخر يقوله.

بدلاً من التعبير عمّا يشعر به بقوله: «كيف تظن أنني أشعر أيها الأبله؟»، رد الرجل إنه جريح، وشرح: «عندما عدت إلى المنزل من عملي، وجدت أن كل شيء قد اختفى، كما ترى هنا الآن». أصرّ الرجل على أنه ليس بحاجة إلى مساعدة لمغادرة المكان، وأنه لا يرغب في ذلك.

قال: «هذا موقع منزلي. اسمي كنشي».

في تلك الليلة الأولى، كان أكيرا أيواناغا قد لجأ إلى نفق قرب أنقاض منزله الخشبي. ذهل من قوة اندفاع الهواء على بعد نحو كيلومترين من مركز الانفجار. سيخبر أحد المديرين في مقر ميتسوبيشي: «تحول كل الزجاج الذي كان على أحد جوانب المنزل إلى شظايا انغرست في الجدار المقابل». في أول ليلة أعقبت إلقاء القنبلة وظهور الديدان النارية، كان قد عبر الطريق وزميله في المكتب تسوتومو ياماغوشي مرتين، لكن أياً من الرجلين لم يرَ الآخر.

كان أكيرا يقف خارج مصنع ميتسوبيشي الجديد في هيروشيما عندما ولدت بيكا - دون. حجبته تلة قليلة الارتفاع عن تأثيرها، على بعد 3.7 كيلومترات. وبالرغم من وجوده على بعد أكثر من ميلين قليلاً، وخلف تلّة، إلا أن أكيرا كان قد شعر بموجة حرارة قوية في الهواء، تبعتها بسرعة ريح عاتية وغبار عاصف. كانت سحابة الفطر فوق رأسه تلمع بوميض من ضوء ذهبي برّاق، ثم هطل مطر أسود وحل ظلام ابتلع كل أصوات العالم، وبدا أن لا نهاية له.

كان الشروق ذلك اليوم قصيراً جداً. كانت الرياح - التي اتجهت نحو المحرقة كما يتجه الهواء الساخن نحو عين إعصار - قد هدأت

Twitter: @alqareah

أخيراً، وديدان النار قد خبت. بحلول ذلك الوقت، كان قوس ألسنة اللهب خارج مركز الانفجار يحترق بحسحسةٍ ثابتة، واستطاع أكيرا أن يرى ما حوله بوضوح في ضوء الفجر.

كان النهر لا يزال مليئاً بالجثث والأنقاض، كما كان قد رآه عند غروب الشمس. في عالم قرى الريف، لا بد من أن منظر الجثث المنتفخة والذباب الأسود النهم الذي بدا أنه يطير في كل مكان كان مروّعاً، لكن أكيرا كان يظن آنذاك أن لا شيء يمكن أن يهزّه. واشتد ضوء النهار، فكشف امرأة يافعة نحيلة تحمل طفلاً ميتاً على ظهرها. كانت مجنونة، تصرخ على نحو يزداد قوة بمرور الوقت. كانت هناك فتاة ثانية بدا واضحاً أن عقلها قد مسّته لوثة. قبل أربع وعشرين ساعة، لا بد من أن ابتسامتها كانت جميلة من دون أدنى شك، وفي أثناء ذلك الوقت كان هناك شيء جميل على نحو حزين بشأنها. كان واضحاً أنها نجت من دون حروق أصابت جسدها الذي يبدو سليماً تماماً... إلا جرحاً كبيراً في بطنها. كانت تسند ظهرها بثبات إلى جدار، وبدا أنها أمضت معظم الليل تعيد بحرص ترتيب أمعائها وتحاول دفعها إلى داخل جوفها، لكن الطفل - الذي بدا في منتصف مدة الحمل - كان قد خرج مع أحشائها ومات، ولم يكن يبدو أنها تعرف ما تفعل به... تتركه خارج جسدها أم تستمر في دفعه إلى الداخل. ارتسمت على وجهها تكشيرة بشعة تحوّلت إلى ابتسامة، ثم تخبّطت على أحد جنبيها، وماتت؛ لم يتغير صوت المرأة الأجش التي تصرخ وتحمل الطفل المتفحّم والمنتفخ على ظهرها.

اندفع أكيرا إلى الأمام، انزلق على كومة من الآجر المكسور، وقع بقوة على قطعة حادة من خشب محروق، وأطلق صرخة. نهض وبدأ يجري مجدداً، انزلق على شيء طري، استعاد توازنه هذه المرة من دون أن يقع، وتابع الجري بأقصى سرعة يستطيعها، وزاد المسافة بينه وبين هاتين الفتاتين الجميلتين المروّعتين قدر استطاعته.

Twitter: @alqareah

تجاهل ياماغوشي، نعساً في مركب صيد متهالك، الصرخاتِ في قفر هيروشيما؛ كأنها أصوات تتردد في مكان بعيد في ذهنه. لم يكن قد تناول شيئاً منذ نحو أربع وعشرين ساعة، لكنه استطاع السيطرة على العطش بإرغام نفسه على شرب ماء متسخ من أنابيب مكسورة. كان المهندس لا يزال يحمل حصته من الطعام المؤلفة من قطعتي حلوى، لكنه يجد صعوبة في إبقاء بضع رشفات من الماء في جوفه، وقد فقد شهيته قبل ساعات من ذلك.

في الليل، أخبر جنديٌ ياماغوشي أن مصانع ميتسوبيشي المحلية قد توقفت على ما يبدو عن العمل، وأن أي مهندس لا يزال حيّاً يجب أن يعود إلى مقر الشركة في ناغازاكي. كان ياماغوشي قد افترض أن خدمات السكك الحديدية قد توقفت مثل مَسفِن (حوض بناء السفن) ميتسوبيشي، لكن الجندي أبلغه أن هناك خططاً لإرسال قطار من محطة كوي إلى ناغازاكي بعد ظهيرة ذلك اليوم.

بعد ساعتين فقط من الاستراحة في أنقاض مركب، شعر ياماغوشي أنه على ما يرام لينطلق نحو كوي. عادة، كان يقطع المسافة في خمس وأربعين دقيقة. لكن آنذاك، من يعرف إن كان في مقدوره الوصول إلى المحطة أصلاً، فضلاً على ناغازاكي!

كان الجندي قد طمأن ياماغوشي إلى أن الأولوية التي يحظى بها بصفته مهندساً ذا رتبة عالية في البحرية ستضمن له مقعداً على متن القطار. لم يكن هذا المهندس يهتم كثيراً آنذاك بالأولويات العسكرية أو المجهود الحربي. كان كل ما يريده هو أن يعود إلى زوجته وابنه الصغير في منزله.

لم يكن هناك شيء آخر يشغل ذهنه، واستطاع (بدرجات متفاوتة من النجاح) أن يجعل قلبه صلداً ضد كل الفظائع التي كشفها الشروق: أمٌّ تشدو بتهويدة لطفلها الميت، رأس حصان يحترق مثل مصباح زيت ويخرج منه لهب غريب أخضر ضارب إلى الأزرق. وجد ياماغوشي

Twitter: @alqareah

جثّة بدت في بادئ الأمر أنها قد حُجبت تماماً عن الأشعة الحارقة، ثم أدرك أن الرجل لم يكن محمياً إلا من خصره إلى قدميه. كان الثلث العلوي منه جثّة متفحّمة ذرت الريح معالمها، وحمل نسيم الصباح العضلات والأضلاع بعيداً مثل سخام، فكشف عن قلب مسود. لاحظ ياماغوشي أن هناك شيئاً حمى القسم السفلي من جسد الرجل وحوّل رأسه وصدره إلى هباء منثور، وأن الأمر ربما كان ببساطة أسوأ لو أنه معكوس: ترك القلب والعينين والدماغ بحالة سليمة في حين سمح للضحية برؤية حوضه عارياً وأدخنة تتصاعد منه قبل أن يموت.

كان على المهندس أن يعبر نهرين في طريقه إلى المحطة. لم يكن هناك جسر على النهر الضيق، لكن في الماء الضحل كانت الجثث مكدّسة مثل سد طبيعي يمكن عبوره أيضاً مثل جسر. حتى عندما حاول إبقاء ذهنه مشغولاً بالتفكير في وجهي زوجته وطفله فقط، آلمه عبور ذلك الجسر كثيراً.

عند النهر العريض، وصل إلى جسر مثّل تحدّياً أكبر له: دعامة سكة حديدية عالية، كان هيكلها الفولاذي ملتوياً كثيراً؛ كأنها على وشك الانهيار. كانت كل ألواحها الخشبية تقريباً قد احترقت، لهذا، كان مضطراً إلى الزحف على بطنه والمباعدة بين قدميه وشقّ طريقه على طول سكة فولاذية ضيقة؛ كأنه جندي يسير على سلك عالٍ.

قرب محطة القطارات، وجد المهندس جنوداً عسكريين عدّة مجتمعين مع الوالي نيشيوكا حول أسطوانة كبيرة من الألمنيوم. كان ذلك الشيء محترقاً من إحدى جهاته بشدّة وبدا أنه هبط بسرعة إلى الأرض مثل نيزك. أخبر أحد الجنود ياماغوشي أن الأسطوانة أُلقيت بمظلة فوق المدينة، قبل ثوانٍ فقط من حدوث الوميض. وجدوا داخل العلبة جهازَ إرسال لاسلكيًّا متّصلاً بأدوات جمع بيانات جوّية وعلمية.

ما لم يخبروا ياماغوشي به – لم يكن إلا الوالي وجنديّ آخر فقط يعرفانه في تلك المرحلة – هو أنهم قد اكتشفوا مغلّفاً بين حسّاسات

Twitter: @alqareah

موجـة الصدمة، وأشـعة غامـا، والنيترونات. كان المغلّف يضم مناشـدة موجهة إلى الأسـاتذة ريوكيشـي ساغين، ونيشينا، وتاجيما، وباقي علماء الفيزيـاء البارزيـن فـي اليابـان. جاءت المناشـدة من عالـم القنبلة الذرّية لويـس ألفاريـز، الـذي سـيترك بعد أربعة عقود بصمتـه على تاريخ الحدّ من انتشار الأسلحة الذرّية باكتشاف تأثير «الشتاء النووي».

تبـدأ الرسـالة بمـا يلـي: «كنتم تعرفون منذ سـنوات عـدّة أن صنع قنبلة ذرّية ممكن، إذا كانت أمة مستعدة لدفع ثمنٍ غالٍ لتحضير المادة الضرورية». يتابع ألفاريز: «بعد أن رأيتم الآن أننا قد بنينا مصانع الإنتاج، لا يمكـن أن يكـون هناك شـكّ في أذهانكـم أن منتجات تلك المعامل، التي تعمل 24 سـاعة في اليوم، سـتنفجر في وطنكم... بصفتكم علماء. نأسف للطريقة التي تم بها استخدام هذا الاكتشاف الرائع، لكن يمكننا أن نؤكد لكم أنه إذا لـم تستسـلم اليابان فوراً، فسـتزداد قوة هذا المطر الناجم عن قنابل ذرية أضعافاً عدّة».

لـم يكـن ألفاريـز يقول الحقيقة كاملة، بالطبع. كانت نهاية الحرب العالمية الثانية لعبة ميسر أكثر منها مباراة شطرنج، ومثل أي لاعب ميسر جيـد، لـم يكـن الأميركي يجرؤ على كشـف كل أوراقـه. كانت الحقيقة أن المصانـع المشـار إليهـا لا يمكنهـا إنتاج أكثر مـن أوقيتين من المادة الضرورية كل يوم. بعد أن يتم إلقاء القنبلة الثانية، لن تكون هناك أخرى قبل أيلول أو تشرين الأول.

لم يكن ما سيحدث في اليوم الآتي أو الذي يليه سيترك أثراً بالغاً في السلوك الأميركي أو الياباني. ما حدث بعد ذلك هو أن معظم تاريخ البشرية ارتبط بغرائز بدائية، لا بتفكير متحضّر. كان فجر الموت الذري قصة بَشَر بامتياز، سردتها نمور لها مخالب يورانيوم وبلوتونيوم.

في سـالف العصر والزمان لم تكن هناك سـوى ثلاث قنابل ذرّية في كل العالـم. اختبر النمور واحدة في صحراء نيومكسيكو؛ للتوثّق من عمل الآلة. بعد ثلاثة أسابيع تم إلقاء القنبلتين الأخريين.

Twitter: @alqareah

حتى عندما أدرك كنشي أن السحابة قد تكوّنت مباشرة فوق منزله، تلا أدعيته وامتلأ أملاً في أن تكون ستسوكو قد نجت بطريقة ما من الأذى. عندما غادر المَسفِن، كان قد حمل قطع حلوى إضافية من أجلها. آنذاك، في اليوم التالي، حفر، مستنداً إلى يديه وركبتيه، في رماد مطبخه، ونزل نحو نصف متر؛ على ارتفاع ركبة تقريباً. كلما توقف ليأكل قطعة حلوى أو يرتشف ماء من أنبوب مكسور، كان يضع حصة من الطعام والماء على نحو شعائري على الأرض؛ تقدمة إلى ستسوكو.

مع ارتفاع شمس آب إلى كبد السماء، وتساقط الرماد على الأرض، توقف الماء عن الجريان من الأنبوب. سرعان ما نفد الماء من كنشي ونقصت قطع الحلوى لديه، لكنه استمر في الحفر على أمل أن يكون فشله في العثور على أي عظام يعني أن ستسوكو ربما لم تكن في المنزل عندما حلّ الوميض.

مرهقاً، وعطشاً - وجائعاً آنذاك - بدأ كنشي يعاني أول أعراض مرض الإشعاع، في حين عادت ثلاث نساء من حيّه إلى الأنقاض. مثل كنشي، كن بعيدات ومحميات من بيكا-دون. كانت أكبرهن سناً، رئيسة لجنة حيّهم، قد تعرّفت إلى المكان الذي تم إخفاء مؤن الحالات الطارئة فيه، وعملت على إخراج ثلاث علب كبيرة مختومة من الأرز الجاف. رأت كنشي، وسمعته يسأل الجميع عن أي شخص ربما كان قد قابل ستسوكو، فذهبت إلى حفرة قريبة في الأرض مليئة بجمرات حمراء متوهّجة من الخشب، مزجت بعضاً من الماء الذي كانت تحمله مع الأرز وطهت مقدار طبق من عصيدة معتدلة الإشعاع من أجله. سيتذكر لاحقاً أنه تأثر حتى ذرف الدموع من لطف تلك المرأة، التي لم يرها مجدداً.

بعد أن تناول طبق حساء الأرز، شعر بالنشاط مجدداً، بالرغم من أن موجات خفيفة من الغثيان كانت تنتابه، واستأنف بحثه عن ستسوكو.

حفر المطبخ برمّته، وكان يعرف أن زوجته تحب الطهي أكثر من أي شيء آخر تقريباً في العالم، وأنها تعدّ نفسها طاهية ممتازة يمكنها

Twitter: @alqareah

تحويل أصغر حصّة من الطعام إلى وجبه شهية بإضافة توابل وأعشاب إليها مما يدعوه معظم الناس نملاً أبيضَ وأعشاباً ضارّة وذبابَ فاكهة. قرّر أن المطبخ سيكون المكان الذي سيجدها فيه على الأرجح عند الساعة 8:15 صباحاً؛ تخطط كيف تحضّر كوباً من فول الصويا البائت وتحوّله إلى ما كانت قد وعدت بأن يكون «مذاقه مثل المشي بين الغيوم».

عندما لم يكشف غبار المنزل عن أي أثر لها، بدأ كنشي يتمسّك بالأمل. سرعان ما انضم إليه عشرة رجال يعملون في منشرة المدينة ويعرفون الزوجين جيداً، وكانوا قد سمعوا بمحنة كنشي.

انتقلوا من المطبخ إلى غرفة المعيشة، حفروها إلى عمق ركبة تقريباً، ولم يعثروا على أي أثر لعظمة واحدة.

قال كنشي: «إنها ليست هنا. لا تزال حيّة في مكان ما».

قال أحد أصدقائه: «لنتوثّق من ذلك، يجب أن نحفر أعمق قليلاً».

مات الأمل بعد دقائق. عثر صديقه على ما بدا لكنشي أنها مجرد قطعة من صدفة بحرية.

أصرّ كنشي: «يحب كلانا المحار والأصداف البحرية العملاقة. تستخدمها ستسوكو كديكور للطاولة!». لكنه كان يعرف في قلبه آنذاك أنها كانت قطعة من جمجمة إنسان. تراجع الرجال بصمت إلى الخلف. نبش كنشي، وهو يكتم مشاعره، القطعةَ بين أصابعه، ووسع ببطء المنطقة التي خرجت «الصّدفة» منها ثم حفرها عميقاً. مسّ قطعاً بيضاء صغيرة من عمود فقري، ووجدها في ترتيب أعلمه بما كانت تفعله في لحظتها الأخيرة؛ كانت تجلس... في الوقت الذي حدث فيه ذلك.

نبش من المطبخ آنية معدنية، مسفوعة لكنها سليمة بخلاف ذلك. عرفها كنشي؛ لأنها كانت الآنية نفسها التي كان قد أحضرها وستسوكو من منزل والديها على متن قطار إلى هيروشيما قبل عشرة أيام فقط... انتحب قائلاً: عشرة أيام، وعظام هذه المرأة المسكينة ستوضع في هذه

Twitter: @alqareah

الآنية التي كانت قد أحضرتها معها من بلدتها الأصلية.

كان عطشاً تحت شمس منتصف الصيف اللاهبة. كان العرق يسيل على ظهره وقد بلل بنطاله. شعر بدوار، وعرض صديقه من المنشرة عليه ماءً فشرب منه، ثم رشّ بعضه فوق الآنية بقصد منح زوجته آخر شربة ماء في نهاية حياتها القصيرة.

قال صديقه: «احترقت منشرة الأخشاب ولا أعرف ما سيحل بنا الآن»، ثم أعلن أنه وزوجته كانا يدّخران حصة صغيرة من أرز أبيض فاخر وسمك مجفف، تحسباً لتحوّل ما كانت ظروفاً تسوء تدريجياً إلى ما يدعوه الغربيون «يوماً عصيباً».

قال مالك المنشرة: «حسناً، كانت السماء تمطر ناراً وبَرَداً أسود وأحشاء أحصنة. لهذا، لا بد من أن هذا هو اليوم المقصود». دعا كنشي إلى منزله لتناول عشاء متأخر لكنه لذيذ، وقدّم إليه مكاناً يقيم فيه حتى يقرر إلى أين سيذهب بعد ذلك.

كان كنشي قد قرّر ذلك. بصفته عضواً ناجياً من إدارة ميتسوبيشي، فإن له الأفضلية في الحصول على مقعد على متن أي قطار لا يزال يعمل. قال وهو يضم قطعة العظام إلى صدره: «إذا استطعت الوصول إلى كوي أو إلى الطريق المؤدية إلى محطة كيديشي، عندها سأجد طريقة لأنقل ستسوكو إلى منزل والديها».

أصرّ صديقه: «إذاً، هناك سبب وجيه لتتناول وجبة جيدة قبل أن تغادر».

في ضواحي المدينة، كان منزل مالك المنشرة قد نجا خلف تلة من دون أن يفقد شيئاً سوى بضع قطع آجر من السطح. كان كنشي يشعر بغثيان من وقت إلى آخر، مما سهّل عليه تناول طعامه ببطء والاقتصاد فيه. لم يكن يرغب في أن يستهلك بنفسه قسماً كبيراً من آخر وجبة جيدة في المدينة، وبعيداً عن أصدقائه. طوال ذلك الوقت، كانت الآنية التي أخرجها من مطبخه تقبع إلى جانبه. كانت نظائر البوتاسيوم واليود

Twitter: @alqareah

تتحرّر من عظام زوجته، واستقرت على بنطال كنشي وجلده وفي رئتيه.

بينما كانوا يأكلون، جاء جندي شاب إلى الباب يحمل أنباء مفادها أن محطة هيروشيما قد لا تعمل مجدداً قط، وإن كل المقاعد ذات الأولوية في محطة كوي قد حُجزت حتى ظهيرة 7 آب. لم تكن هناك قطارات تغادر محطة كيديشي، بسبب ما قال المراسل البالغ من العمر ستة عشر عاماً إنه «دمار القطارات الأكثر إدهاشاً على الإطلاق!».

شرح بإثارة كيف أن قطاراً كان يغادر هيروشيما في أثناء الوميض كان قد احترق بشدّة إلى درجة أن مكابح الطوارئ فيه قد تعطّلت: «اندفع القطار عبر كيديشي ومضى قدماً بسرعة كبيرة. قالوا إنه كان يسير بسرعة مئة وخمسين كيلومتراً على الأقل في الساعة عندما اصطدم أخيراً بشاحنة عند تقاطع وخرج عن السكة!».

شكر كنشي الجندي لنقل ذلك التقرير، وسأله إن كان هناك أي قطار سيغادر كوي في اليوم التالي.

قال: «نعم. هناك قطار يغادر عند الساعة 3 بعد الظهر، ولديك حجز مؤقت؛ هذا يعني أن في مقدورك أن تكون على متنه، إذا استطعت الوصول إلى هناك».

قرّر كنشي الانطلاق باكراً. كانت العديد من الطرقات والجسور قد اختفت من الوجود، ولم يكن أحد يعرف كم من الوقت ستستغرق الرحلة مشياً على الأقدام إلى كوي. ملأ قِربة الماء التي يحملها ووضع قطعتي حلوى وبعض الأرز في جيبَي بنطاله، ثم قطع بعض الخيوط وربط قطعة قماش بإحكام فوق الآنية حتى لا تتبعثر عظام ستسوكو إذا زلّت قدمه على الأنقاض التي تملأ الشوارع.

قبل أن يغادر، طلب كنشي إذناً من صديقه أن يقطف وردة من حديقته، ثم شكره وودّعه، واتجه نحو النهر، حيث رمى قربانين من وردة وحبوب أرز في الماء وانحنى ثلاث مرات، وفقاً لتقليد بوذي في تحية مكان الفقيد.

Twitter: @alqareah

كان يتم سحب الجثث آنذاك من كلتا ضفتي النهر، وعلى الطريق أمامه كان حرق الجثث قد بدأ.

تساءل كنشي كيف كان سيخبر والدي ستسوكو بما حدث لها؟ لم يستطع التفكير في أي شيء آخر. لم يكن يعرف آنذاك أن لديه أشياء أخرى غير ذلك يفكّر فيها. يمكن أن يقال أيضاً إن موعده مع التاريخ في اليومين الماضيين كان مجرد بصيص نورٍ قبل بزوغ الفجر. سيصل كنشي هيراتا إلى محطة كوي قبل الموعد المحدد لرحلته، وعند الثالثة من بعد ظهيرة 8 آب، سينطلق ليعيد عظام ستسوكو إلى منزل والديها، على متن آخر قطار إلى ناغازاكي.

Twitter: @alqareah

4

وكان الباقي نيترونات

في 6 آب 1945، عندما أعلن الرئيس ترومان أن تطوير قنابل أقوى من التي تم إلقاؤها على هيروشيما قائم على قدم وساق، كان في مقدور قلّة خارج الكرملين أو القصر الإمبراطوري في اليابان تخيّل أنه لا يوجد سوى سلاح نووي واحد إضافي في ترسانته. لم يخامر الشك أياً من ملايين الناس الذين اجتمعوا حول المذاييع في غرف المعيشة في العالم بشأن إعلان ترومان أن قوة قنبلة هيروشيما تعادل «أكثر من 20.000 طن من ت-ن-ت». سيتم تصنيفها، رسمياً، في كتب التاريخ ضمن فئة 22 كيلوطن، بالرغم من أن تقويمات علمية آتية ستعدّها أقل كثيراً. حتى لجنة 509 التي تم تأليفها لتقويم عملية سنتربورد (مهمة هيروشيما)، صنّفت في نهاية المطاف قوة القنبلة عند 12.5 كيلوطن. كان سلاح هيروشيما، مقارنة بالقنبلة التي ستلتهب قريباً فوق ناغازاكي، أضعف بنسبة النصف على الأقل.

كان عالم الفيزياء لويس ألفاريز قد طمأن الطيّار تشارلز سويني، قبل أن يصعد على متن طائرة الرصد العلمي غريت أرتيست (الفنان الكبير)، إلى أنه يتوقّع انفجار القنبلة، لكن ليس بالضرورة بأقصى قوتها. لم يكن سويني يعرف كثيراً عمّا يوجد داخل أداة «ليتل بوي». كان ألفاريز يعرف أدق تفاصيل الوحش، وقوة كل حلقة يورانيوم ودقتها الهندسية، وكل مقبس بيريليوم-بولونيوم فيه. كان يعرف ذلك وأكثر، ويدرك أن الأمر تطلّب جهود صناعة حكومة برمّتها لاستخراج ذرات يورانيوم-235 توجد على نحو طبيعي من الصخور، وأن تخصيب المعدن منزوع النيترون ببطء إلى مستويات عالية جداً من النقاء، ووضع اليورانيوم معاً في تصميم قنبلة فاعلة كانت مشكلة هندسية معقّدة.

Twitter: @alqareah

وبالنظر إلى درجة النقاء المطلوبة، والكميات الصحيحة، كان من الممكن تصنيع الأداة المتفجرة ببساطة بإلقاء كتلة من اليورانيوم-235 في أنبوب تصريف طويل يعلو آخر. كان التحدّي يكمن في الحصول على المواد المناسبة، وفي مرحلة معينة يستطيع هاوٍ (يجب أن يكون هاوياً ذكياً) أن يثبت فاعلية نموذج أنبوب التصريف لإنتاج قنبلة تصل قوتها إلى 5 كيلوطن. تكلم أساتذة مثل ألفاريز عن قنابل بقوة 20 كيلوطن، وظنّوا أن في مقدورهم تصميم سلاح يورانيوم بقوة 50 كيلوطن بسهولة.

في مرحلة ما من عملية إنتاج السلاح ونقله، كان خطأ في التصميم، أو سوء فهم، أو سوء تقدير في الحساب، قد تسلل إلى أداة «ليتل بوي» وخفّف من قوتها. لن يعرف أحد على الأرجح سبب ذلك. قضى السلاح على كل الأدلة في اللحظة التي انفجر فيها.

من بين كل تحدّيات التصميم، لم يكن أصعبها الحصول على اليورانيوم وجعله ينشطر، إنما في السيطرة على انشطاره بفاعلية ومنعه من الانفجار عندما لا يرغب المرء في ذلك.

كانت زمرة من الأشخاص، إضافة إلى لويس ألفاريز والطيارين بول تيبتس وتشارلز سويني، يعرفون المدى الحقيقي للقلق والجدال الذي دار بشأن درجة تحضير هندسة «الأداة» الداخلية للتفجير عند لحظة الإقلاع. إذا كانت القنبلة على متن إينولا غاي جاهزة للتفجير سلفاً، فقد تصطدم حلقات اليورانيوم المقسّمة بعناية في الطرف الخلفي من القنبلة بالإبرة مخروطية الشكل في مقدمة القنبلة، وتخضع لانشطار جزئي إذا تحطّمت الطائرة أو حتى إذا مرّت عبر مطبّ هوائي قوي جداً في مسارها. كانت حصيلة هذا السيناريو - الذي دعاه د. ألفاريز «تحرّر طاقة في غير موعده المحدد» - واحدة من خمس نهايات محتملة، ولم يكن أي منها جيداً. كان أدنى أسباب القلق الخمسة الذي يتعلق بانتشار ذرات يورانيوم منصهرة على مسافة مئات الأقدام في كل اتجاه، استنفادَ الحصة الأكبر من إمدادات اليورانيوم في أميركا (التي يمكن صنع قنبلة

Twitter: @alqareah

منها)، وأن تصبح تهديداً لصحة كل من يستنشق الهواء حولها. في أعلى تصنيف «مقياس العضلة العاصرة» الذي وضعه ألفاريز ويتكوّن من خمس نقاط، قد يؤدي تحطم الطائرة على مدرج واندلاع النيران فيها إلى قدح زناد القنبلة بسهولة، وتدمير كل القاعدة الجوية في جزيرة تينيان.

كان النقاش بشأن كيف ومتى بالضبط يتم تلقيم الأداة قد حُسم في صباح 5 آب عندما تحطّمت قاذفة بي - 29 على أحد المدارج. حتى تلك اللحظة، بدا أن النقاش قد استقر أخيراً على خطة تقضي بإقلاع الطائرة وعلى متنها القنبلة ملقّمة وجاهزة للتفجير. فسّر النقيب البحّار ويليام بارسونز، خبير الأسلحة من مختبرات لوس آلاموس، حادثة تحطم الطائرة في 5 آب على أنها إنذار أخير، وبدّل الخطة. أمضى مدة بعد الظهر يتدرب على تفكيك زناد القنبلة وتلقيمها حتى بدأ الجلد على أطراف أنامله ينسلخ من الاحتكاك. رفض بارسونز أن يتعامل مع الشحنات المتفجرة مرتدياً قفازاً يحمي يديه، وأصرّ على أن يختبر ملمس كل شحنة، ومقبسٍ، وبرغي في أثناء ما بدا أنه إجراء صعب على متن حاملة قنبلة تهتز وتتمايل في أثناء طيران إينولا غاي برفقة طائرتين علميتين نحو هدفها.

قبل وقت قصير من انتصاف ليلة 5 آب، أبلغ بارسونز فِرَق الطائرات الثلاثة التي ستشارك فعلاً في تلك المهمة بما يجري، وقال إنهم لن يحملوا أول مرة إلا قنبلة واحدة فقط؛ لم يأتِ على ذكر قوتها الذرّية قط. وبالفعل، لم يكن ثيودور فان كيرك، ملاح بارسونز، يعرف شيئاً، لكن كان ينتابه شك في أن كيميائيين قد طوّروا قنبلة نارية من نوع جديد.

كان راسل جاكنسباك، الملاح المعين على متن طائرة التصوير نيسيسري إيفل (شر ضروري)، قد عبّر عن تخمينات مماثلة بشأن حمولتهم، لكن حتى في تلك المرحلة المتأخرة، لم يكن أحد قد أبلغه

Twitter: @alqareah

شيئاً، وكانت لديه تعليمات بعدم طرح أي أسئلة. كان درب جاكنسباك ونيسيسري إيفل إلى جزيرة تينيان طويلاً وغريباً - من مدرسة ألتاون الثانوية إلى العمل في مصنعٍ مراقباً غلافَ القنابل، الذي وضعه هوسه بالطيران أخيراً على متن طائرات الحصن الطائر بي - 17 بصفته مشغّل أجهزة الملاحة والرادار الجديدة - حتى جاء أمر بنقله، في أثناء صيف 1944، من جهة غير معروفة على ما يبدو إلى قاعدة جديدة على طرف صحراء بحيرة الملح الكبيرة في يوتاه (غريت سولت ليك ديزيرت).

كانت القاعدة تحدد معنى كلمة «نائية»، وهي الفائدة المرجوة منها كما أدرك جاكنسباك. أخبر الضابط القائد الجديد، العقيد بول تيبتس، فريقه أن المهمة التي يتدرّبون عليها ستكون شيئاً مختلفاً تماماً، وأضاف: «ما تفعلونه هنا، وما ترونه هنا، اتركوه هنا عندما تغادرون هذا المكان». سيتذكر راسل جاكنسباك أنه في كل الوقت الذي سبق تلك الليلة: «أخبرونا فقط ما نحتاج إلى معرفته لنقوم بعملنا، ولم نكن نعرف ما هي وظائفنا».

منذ البداية، حتى قبل أن تغادر طائرات بي - 29 الجديدة يوتا، صدق ظن تيبتس أن لا شيء سيكون عادياً في مهمتهم تلك. في حزيران عام 1945، قاموا بطلعات تدريبية لاستهداف مناطق في كل أنحاء أميركا، ألقوا قنابل من أحجام مختلفة وأشكال غريبة في أغلب الأحيان، وفيها «يقطينة» كبيرة مع زعانف. مع تقدم التدريب، تم تعديل الطائرات وجعلها أكثر انسيابية لتحلق أعلى، وأسرع، وتقطع مسافة أطول، ومع حمولات أكبر. تضمنت «التحسينات» إزالة كل الأسلحة الخارجية، ما عدا رشاش خلفي واحد.

لاحظ الطيّار تشارلز سويني: «بضع رشقات وسنصبح عُزّلاً»، لكنه لم يكن قلقاً كثيراً. إذا أرسل العدو سرباً من الطائرات المقاتلة، فإن أقصى سرعة تستطيع زيرو اليابانية بلوغها هي 350 ميلاً في الساعة. كانت بي - 29 تطير بسرعة 450 ميلاً في الساعة، ومن ثَمّ لا يمكن

Twitter: @alqareah

اللحـاق بهـا، وإذا انقضـت زيـرو عليهـا مـن فوقها تماماً، فلن تسـتطيع إصابتها إلا مرة واحدة فقط.

في الشـهور التي كانت قد انقضت منذ الاسـتيلاء على تينيان من اليابان في شـباط، أصبحت الجزيرة متاهة من المدارج، وتعرّض وطن الإمبراطـور لغـارات شرسـة مـن بي - 29. كان غطاء أسـود من الدخان والرمـاد يغطـي أكثـر من سـتين مدينة آنذاك، قبل هيروشـيما. بدأت كل أنواع المواد الكيميائية المحرقة، من الفوسـفور إلى النابالم، تسـقط ليلة إثر أخرى بمجموعات تزيد أحياناً عن ثلاثمئة طائرة.

كانت تلميذة، في هيروشيما، تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً وتدعى هيروكو ناكاموتو قد لاحظت أنه منذ شباط على الأقل، كانت الحصص الدراسـية تبتعد بثبات عن الرياضيات والخط وتتحول إلى إنجاز أعمال تساعد على تصنيع قطع ميكانيكية في مباني الجيش. سمعت شائعات لا تكاد تزيد على الهمس تفيد أن مدناً أخرى قد تعرّضت للقصف. لم يكن البث الإذاعي ينشـر إلا أخبار الانتصارات المجيدة؛ عن الجزر الجديدة التي احتلّتها البحرية، والسفن الأميركية التي أغرقتها الطائرات اليابانية.

بحلول الوقت الذي نفّذ فيه راسـل جاكنسـباك تدريبه الأخير قبل أن ينتقل إلى تينيان، كانت الفتاة الأكبر سناً في صف هيروكو قد قالت: «لا أظن أنهم يخبروننا الحقيقة. لا أظن أن الحرب تجري على ما يرام بالنسبة إلى اليابان».

كرهـت هيروكـو الفتـاة ونعتتهـا بالكاذبـة، وتسـاءلت: هـل تلـك المغـرورة مناصـرة الأميركيين ويجب الإبـلاغ عنها؟! لكن بحلول ذلك الوقـت كانـت صفّـارات الغـارات الجويـة تـدوّي وتزعـق في سـاعات عشـوائية، ليـلاً ونهـاراً. بـدا أن الطائرات الفضية الجديـدة الغريبة، فوق هيروشيما، تمرّ فقط على ارتفاعات عالية جداً، ولا تلقي أي قنابل أبداً؛ كأن مجموعات صغيرة من اثنتين أو ثلاث منها تتيه عن هدفها بين حين وآخر، أو أنها أصبحت بحلول ذلك الوقت واثقة تماماً بسـيطرتها على

Twitter: @alqareah

المجال الجوي الياباني، ويمكنها من ثَم التحليق في مرمى البصر.

في أثناء بضعة شهور فقط، كانت هيروكو قد شهدت عالمها ينهار كله إلى أنقاض ويأس. كانت كل مخزونات الوقود والطعام قد بدأت تنفد، وبدا أن وتيرة الانحدار تتسارع.

كانت الصور التي تلتقطها قاذفات بي - 29 «التائهة» أو «تراها العين»، كما وصفتها هيروكو، لجزيرة تينيان تُظهر سفناً حربية ومراكب صيد بدا واضحاً أنها خالية من الوقود وترسو في الأماكن نفسها حول هيروشيما، ليلاً ونهاراً، أسبوعاً بعد آخر. وباستثناء عربات القطار والمركبات العسكرية، كانت كل الحركة في شوارع المدينة قد أضحت تتألف من أشخاص يمتطون أحصنةً أو يسيرون على أقدامهم أو يستخدمون درّاجات هوائية.

في اليوم الذي انسلخ فيه جلد أصابع ويليام بارسونز وهو يتدرب على طريقة تلقيم قنبلة هيروشيما، لم يكن هناك ما يؤكل في منزل هيروكو سوى حصص غذائية وزّعتها الحكومة من حبوب لونها بني ضارب إلى الحمرة تدعى كوريان؛ لم تكن تأكلها في سنوات سابقة إلا الأحصنة. كانت أسرٌ قد مُنحت أيضاً حصة من شيء يدعى «كعكة أعشاب»، وهو طعام جرى تحضيره من أعشاب فعلاً. كان مذاقه فظيعاً يسبب الغثيان، وقد تعلّمت هيروكو أن تحرق كعكة الأعشاب حتى تتحول إلى شيء يشبه الفحم تماماً؛ ستتذكر لاحقاً: «لأن طعم الرماد كان أفضل من مذاق الأعشاب».

بالرغم من شحّ الطعام، كان أحد دواعي قلق هيروكو ناكاموتو يتعلق بفأرين أمهقين منحها طبيب محلي إياهما. حتى الفأران رفضا تناول الأعشاب والكوريان. استطاعت هيروكو إبقاءهما حيَّين بعض الوقت بإطعامهما قطعاً صغيرة من أوراق فجل سرقتها من مزرعة. تمتّع حيواناها الأليفان وقتاً قصيراً بما يكفي من طاقة لاستخدام الأرجوحة الصغيرة التي كانت قد صنعتها لهما. ستتذكر هيروكو: «لعبا بسعادة ولم

Twitter: @alqareah

أسأم قط من مشاهدتهما»، لكن بحلول وقت تعيين راسل جاكنسباك ملاحاً على متن طائرة سُمّيت نيسيسري إيفل، كان مخزون هيروكو من أوراق الفجل قد نفد ومات فأراها جوعاً؛ كانا في عداد المحظوظين.

في جزء آخر من المدينة، سيعيش فتىً يدعى كيجي ناكازاوا ليقول كيف إن مواطنين أثرياء أرادوا الحرب ودعوها **قتالاً حتى الموت** - في معظم الأحيان كان أبناء جيرانهم يذهبون إلى الحرب ويموتون - قد بدأوا آنذاك يشعرون بأعباء الحرب.

على تينيان، كان بول تيبتس قد انتقى هدف القنبلة ليكون جسر أيوي، أو جسر «تي» الذي يربط بين ضفتي نهر أوتا في هيروشيما؛ لأنه كان معلماً بارزاً ويمكن أن يعرفه المدفعي مباشرة، حتى على ارتفاع تسعة كيلومترات (أو 30.000 قدم). بقيت نقطة التسديد، مثل طبيعة القنبلة نفسها، محجوبة عن الملاح جاكنسباك ومهندس الطيران جيمس أر. كورليس عندما كانا يجمعان معدّاتهما وتتم مرافقتهما إلى واحدة من ثلاث طائرات؛ ثلاث طائرات، لا تمثل إلا أقل من خُمس القوة الجوية التي كان يتم إرسالها في مهمة قصف. بدا أن عدداً كبيراً من الفريق هم علماء مدنيون، الذين كانوا يظهرون في تينيان بأعداد كبيرة أخيراً، منغلقون على أنفسهم تماماً ولا يتكلمون إلا عند الضرورة القصوى.

كان كل ما يتعلق بمهمة 6 آب سريالياً بطريقة ما. تقدّم القس داوني أمام الصفّ ودعا من الله أن يضع حداً للحرب، وكان وجهه يتورد احمراراً عندما يتكلم. سحب بول تيبتس، بالقرب منه، علبة وتكلم مع فريقه. شرح أن جرّاح الرحلة أعطاه حبوباً - واحدة لكل رجل - في حال هبطت الطائرات في أرض العدو. كان الجرّاح يعرف بعض أساليب التعذيب التي يمكن توقّعها، وأن معظم الناس تكلموا تحت التعذيب.

شرح تيبتس: «سأعطي أيَّ واحدٍ منكم الحبة إذا أرادها». كان جرّاح الرحلة قد أكّد: «ست دقائق وستلقون حتفكم. لن تشعروا بأي شيء».

Twitter: @alqareah

نظر الرجال ببساطة إلى العلبة بصمت، إلا الربّان بارسونز. قال الرجل من لوس ألاموس: «أود الحصول على واحدة». فهم تيبتس موقف بارسونز. إضافة إلى لويس ألفاريز، كان بارسونز يعرف تفاصيل تقنية عن طريقة عمل «الأداة» أكثر من أي شخص آخر على المدرج.

لم يقبل راسل جاكنسباك عرض تيبتس. لو كان لويس ألفاريز حمل معه إحدى حبوب الموت على متن غريت أرتيست، لما لاحظ أحد ذلك وقرّر هو ألا يتكلم عن الأمر أبداً. لم يكن جاكنسباك وكورليس يعرفان ما تحمله إينولا غاي، لهذا على الأرجح لم يكن هناك داعٍ لعرض الحبوب عليهما: نظارات داكنة فقط، مع تعليمات بوضعها عندما يُصدر ربّانهما الأمر، قبل نحو ثلاث دقائق من الوصول إلى الهدف. كان يجب ألا ينظرا إلى مصدر الضوء.

كان بارسونز، الذي وُجد في ألماغوردو عند اختبار نسخة البلوتونيوم من السلاح الذي كانوا على وشك تفجيره، قد أخبرهم أن هذا النوع الجديد من القنابل النارية «أسطع وأسخن شيء على هذه الأرض منذ بدء الخليقة». حذّر من أن جندياً يقف على بعد أكثر من خمسة أميال من مركز الاختبار قد أُصيب بعمى مؤقت نتيجة النظر إلى الوميض. لم يذكر بارسونز قط ذرّات أو كيلوطن، بالرغم من أنه كان يعرف أن شمس ألماغوردو الصنعية قد أطلقت نحو 22 كيلوطن من الطاقة – تزيد على قوة أداة إينولا غاي نحو 10 كيلوطن.

استند بعض أفراد الفريق على افتراضات سابقة أن ما يوشكون على إطلاقه كان كابوساً جديداً يحلم به الكيميائيون، وقليلون منهم ظنّوا أنه كابوس عالم فيزياء. كان قليلون فقط من النخبة يعرفون يقيناً ما سيحدث.

كان رقم طائرة جاكنسباك وكورليس 91، يقودها الربّان جورج ماركوارت. كانت الطائرة تشغل كل المدرج (سي) لنفسها. كان المدرج (بي) مخصصاً لطائرة غريت أرتيست بقيادة الربّان سويني، في حين أن

Twitter: @alqareah

المدرج الآتي (أيه) يشهد بعض الفوضى. كانت مصابيح تومض على نحو متقطّع حول بول تيبتس وإينو لا غاي، الوحيدة بين الطائرات الثلاث التي كانت تحمل اسماً مطبوعاً خلف مقدمتها. كان تيبتس قد سمّاها تيمناً بوالدته. كان كل ما يعرفه أيٌّ من المصوّرين عن الطائرة هو أن تيبتس يحمل «شيئاً مميزاً».

بعد أن أنهى جورج ماركوارت وأفراد الفريق الأرضي سيرهم حول 91 – نيسيسري إيفل – بحثاً عن تشققات في هيكل الطائرة أو علامات على تسرب زيت هيدروليك، تبعه جيمس كورليس إلى قمرة قيادة 91 وجلس على مقعد مهندس الرحلة، خلف الطيّار المساعد على ميمنة الطائرة، وفوق المدفعي. جلس راسل جاكنسباك على مقعد الملاح على الجانب الأيسر. كانت بي – 29، بالرغم من رحابتها مقارنة بتجاربه السابقة على متن قاذفات بي – 17، لا تزال طائرة ضيقة. كان في مقدور جاكنسباك، إذا أراد، أن ينتقل بسهولة من الميسرة إلى الميمنة ويصافح كورليس.

على المدرج (أيه)، أقلع بول تيبتس بإينو لا غاي عند الساعة 2:45 بعد منتصف الليل. وبعد ثلاث دقائق، أقلع تشارلز سويني بطائرة غريت أرتيست عن المدرج (بي)؛ وبعد ثلاث دقائق من ذلك، تبعهما جورج ماركوارت في نيسيسري إيفل. ستبقى الطائرات الثلاث بعيدة عن بعضها بعضاً مسافة ستة عشر كيلومتراً طوال رحلتها التي استغرقت ثلاث ساعات إلى أول نقطة لقاء لها. بعد ثلاث عشرة دقيقة من مغادرة تينيان، وفي أثناء التحليق على ارتفاع 4600 قدم فقط، نزل بارسونز إلى حجرة قنابل إينو لا غاي الخالية من الضغط وبدأ إدخال شحنات التفجير في القنبلة، ملتزماً باللائحة التفصيلية التي كان قد كتبها في أثناء جلسات تدريبه، وأبقى تيبتس على اطلاع عبر جهاز اتصال داخلي بالتقدم في عملية التلقيم. أغمض أعضاء الفريق العلمي عيونهم، على متن الطائرتين الأخريين، وحاولوا أخذ سِنة من نوم، حفاظاً على

Twitter: @alqareah

طاقتهم من أجل الجزء المهم الذي يجب إنجازه من المهمة.

عند الساعة 5:45 فجراً، شعر جاكنسباك وكورليس بحركة ميلان جانبية مألوفة، وهي تشير إلى أن وقت التجمّع قد حان. كان في مقدور كورليس من الميمنة رؤية الشعاع للشمس يبزغ من الأفق. تحته مباشرة، كانت مدارج أيوا جيما المستولى عليها تمتد أمام جبل سوريباتشي؛ ملاذٌ آنذاك لمئات فِرَق بي - 29 العائدين من مهامّ قصف بطائرات شبه معطّلة. اقترب سويني وماركوارت خلف كل من جناحي تيبتس، ودارا حول أيوا معه، وانطلقوا في مسارهم نحو اليابان.

بعد ساعتين، أطلقت طائرة الاستطلاع المبكّر التي يقودها كلود إيرثرلي، والمسمّاة ستريت فلش، إنذاراً قصيراً بوقوع غارة جوية في كل أنحاء هيروشيما في أثناء استكشافها الأجواءَ. ولأن المراقبين الجويين والأرضيين حكموا على الطائرة، على نحو صحيح، بأنها مجرد رحلة استطلاع أخرى على ارتفاع منخفض - مثل عشرات رحلات التقاط الصور السابقة - تم إلغاء الإنذار بإطلاق صفّارة أخرى. سرعان ما عادت دفاعات المدينة إلى وضعية الاستعداد المعتادة؛ تماماً كما كان لويس ألفاريز وبول تيبتس قد خططا. لم تكن فِرَق الاستطلاع تعرف آنذاك أن إحدى مهامّ رحلات تحليقهم السابقة على ارتفاع منخفض فوق هيروشيما هي منح الهدف شعوراً أن طيران قاذفة أو اثنتين «تائهتين» من طراز بي - 29 من دون مرافقة مقاتلات أمر شائع، وغير مؤذٍ على ما يبدو.

كان التكتيك بارداً وحسابياً، كئيباً ومنطقياً. ولأن هندسة «الأداة» الداخلية كانت دقيقة جداً، حتى إن ضربة واحدة من مطرقة كبيرة يمكن أن تجعل القطع تتزحزح من مكانها وتعطّلها أو تُبطل تلقيمها، كانت فكرة تمويه أفراد فِرَق المدفعية الموجودين على الأرض وطيّاري المقاتلات التي يعوزها الوقود تبدو «أفضل دفاع». وكما رأى سويني الأمر، كان الرضا الذاتي يخفف احتمال اختراق رصاصة أو شظية هيكل

Twitter: @alqareah

الطائـرة و«إتـلاف» هندسـة القنبلـة الدقيقة. كانـت كل رحلة طيران، في نظر تشـارلز سـويني، «مسـالمة» على ارتفاع منخفض حتى ذلك اليوم، قـد اسـتفادت مـن نظرية احتمـالات رياضية مقترنة بعلـم النفس. باردة، كما أقرّ لنفسه، لكن في مكان ما على طول الخط، أصبحت الرياضيات الباردة طيّارنا المساعد الجديد. كان يجب أن يحدث ذلك منطقياً.

أرسـلت سـتريت فلش عند السـاعة 7:30 صباحاً رسـالة مشـفّرة: «سي – 1»؛ كانت تعني «طقس صافٍ، هدف رئيس». في تلك اللحظة، كانـت طائـرات تيبتـس الثـلاث تعبـر الأجـواء فـوق المحيـط إلـى البر الرئيس لليابان، وتهبط في الوقت نفسه إلى ارتفاع القصف البالغ تسعة كيلومترات. كان بارسونز خارج حجرة القنبلة المتجمّدة، وقد تمّ إغلاق القمرة الخالية من الضغط خلفه والأداة فيها جاهزة للاستخدام. كان كلُّ شيء يسير كما وعد تيبتس: كانت المهمة التي تدرّبوا من أجلها مختلفة تماماً عمّا ألفوه من قبل. كانت القاذفات تحلّق عادة على خُمس ذلك الارتفاع فقط.

قبـل ثـلاث دقائـق مـن الوصـول إلـى جسـر أيـوي، أمـر الربّـان ماركـوارت أفـراد فريقـه بوضـع النظـارات. وقبل أن يخيـم الظلام على عالمهم، كانت قراءات أجهزة جاكنسباك وكورليس عادية، ووفقاً للمنظر من سقف نيسيسري إيفل الأمامي، لم تكن هناك قذائف مدفعية مضادة للطائرات؛ ولم يكن هناك على ما يبدو طائرات معادية تهدر لاعتراض طائرات تيبتس «التائهة» الثلاث. لم تكن ظلمة النظارات تمثل عقبة ذات شـأن للملاح أو مهندس الطيران. وأياً كان هدف تلك المهمة الغريبة، بدا أن لا أحد ولا شيء سيتدخل في ما سيحصل.

وفقاً للخطة، انحدرت طائرة ماركوارت إلى أحد الجانبين وابتعدت ميلين خلف إينولا غاي وغريت أرتيست. استعد الأستاذ برنارد والدمان، في القسـم الخلفي، للضغط على زر تشـغيل آلة تصوير عالية السـرعة، مصممة لالتقاط أول خمس عشرة ثانية من الانفجار بسرعة بطيئة جداً.

أمام نيسيسري إيفل، على متن غريت أرتيست، انتظر كيرمت بيهان ولويس ألفاريز إشارة ليفتحا أبواب حجرة القنبلة ويطلقا أسطوانات الأدوات العلمية المزوّدة كل منها بثلاث مظلات. كانت أوامر المهمة تقضي أن تقوم إينولا غاي وغريت أرتيست بإلقاء حمولتيهما في الثانية نفسها تماماً. كانت القنبلة ستهبط على نحو حر إلى ارتفاع أقل من 579 متراً (1900 قدم) قبل أن تنفجر، على أن تفتح الأدوات مظلاتها قبل نحو عشرين ثانية وعلى ارتفاع 12000 قدم. كان مأمولاً أن تقاوم سطوح العلبة التي تشبه المرآة والمظلات البيضاء الناصعة تأثيرات الوميض وتمنح أجهزة الإرسال ثانية أو اثنتين قبل أن يصيبها الغاز المؤيّن والانفجار.

لم تكن الطائرتان في المقدمة أبعد كثيراً من العلب الصغيرة؛ كانتا تتحركان في عالم مجهول تماماً. لم يكن أحد قد حاول قط الهروب من انفجار نووي من قبل، لكن إذا كان التعرض لذلك الخطر الذي لا سابق له ثمناً لفتح أبواب جبهة نووية، عندها يمكن التضحية بالطائرات وأفرادها.

كان ربّان بيهان وألفاريز، الذي خطط للأسوأ وتمنّى الأفضل، يراهن على ما سيدعوه لاحقاً **مناورة تيبتس**، وما دعاه أحد النقّاد بعد أن سمع بها أول مرة **مناورة الأحمق**. كانت تتطلب عكس المسار وهبوطاً حراً - في مرحلة ما على نحو مستقيم إلى الأرض - في وقت كانت فيه القنبلة نفسها تسقط أيضاً نحو الأرض.

كان أصل المناورة مسألة هندسة فراغية بسيطة: في أثناء ثلاث وأربعين ثانية بين إطلاق القنبلة وانفجارها، ما المسافة التي تستطيع بي - 29 أن تبعد نفسها عن القنبلة وتبقى سالمة؟

كانت مناورة تيبتس أحد أشكال صيغة هندسية قديمة كان قد تعلّمها في المدرسة الثانوية؛ قال: «هبة من البابليين والمصريين، يمكننا عبرها قياس المسافة من نقطة على ظلّ زاوية إلى نصف دائرة». إذا

Twitter: @alqareah

كانت الطائرة تحلّق بسرعة 450 ميلاً في الساعة (أو 727 كم/ سا) على ارتفاع 30000 قدم، ستبدأ لحظة إطلاق القنبلة الاندفاع بكل عزمها، والهبوط على مسار منحنٍ نحو هدفها. كان آخر شيء في العالم يريد أي طيّار لا يزال يتنفس الهواء وفي كامل قواه العقلية القيام به، هو ما تدرّب قادة القاذفات على فعله: البقاء في تشكيل محكم بعيداً عن الهدف؛ يشبه ذلك الطيران في تشكيل مع القنابل.

كان يُفترض بتشكيل هيروشيما، وفقاً للقواعد القديمة، أن يكون قد ابتعد نحو 5.5 أميال بحلول وقت انفجار القنبلة في الأسفل، وفي أفضل الأحوال، أكثر من ميل خارج نطاقه. رأى تيبتس مباشرة أنه إذا انطلقت الطائرات ببساطة عمودياً إلى خط المسار المنحني، فسيصيبها عزم القنبلة الأمامي على بعد نحو أربعة أميال في أثناء الثلاث والأربعين ثانية الحاسمة؛ وأنه بدلاً من الطيران جانبياً بزاوية 90 درجة فقط، يجب أن يندفع نحو الأرض بضع ثوانٍ ويستفيد من الجاذبية ليجعل طائرته تتجاوز أقصى سرعة لها، والتحول في أثناء ذلك إلى عكس اتجاه المسار المنحني للقنبلة، مما يجعله يبتعد بالطائرة أكثر من تسعة أميال عن الانفجار.

لم يكن الطيّاران سويني وماركوارت قد سمعا بذلك التكتيك من قبل. جاءت أول علامة، على متن نيسيسري إيفل، إلى الملاح راسل جاكنسباك على أن عالمه على وشك أن يتغير إلى الأبد بعد أن أرسلت إينولا غاي إشارة تحذير إلى مرافقتيها. بعد ثلاثين ثانية، عند الساعة 8:15:15 تماماً، توقفت الإشارة وتم إلقاء أربعة أشياء معاً: الأوّل من إينولا غاي، والثلاثة الباقية من غريت أرتيست.

لم يرَ جاكنسباك ذلك، أو جورج ماركوارت. كان ماركوارت، قبل صدور تحذير الثلاثين ثانية، قد ألقى نظرة من فوق كتفه ورأى هيروشيما تمتد مطمئنة ضمن أنهارها السبعة التي تبدو مثل خطوط متعرجة، وستنطبع في ذاكرته على أنها أحد أجمل مناظر الصباح وأكثرها صفاءً

Twitter: @alqareah

وإشـراقاً التي سـبق أن رآها، ممزوجة بإدراك أنها لا يمكن أن تسـتمر على تلك الحال.

فـي مـكان مـا داخـل نيسيسـري إيفـل، كان لويس ألفاريـز ملازماً آنذاك بمقعده بسـبب قيام سـويني بتنفيذ مناورة تيبتس. اكتشـف سويني، لانزعاجه المتزايد، أن النظارة الداكنة تجعل من المستحيل قراءة أجهزة قياسـه، أو حتـى تقديـر مـدى اقترابه مـن الأرض نتيجة منـاورة الهبوط الحاد. كل ما كان مهمًّا آنذاك هو القدرة على الرؤية بوضوح، لهذا، دفع النظارة إلى أعلى جبينه، معتبراً أن أي ضرر وشيك يسببه الوميض لبصره أمـرٌ ذو أهميـة ثانويـة. على بعد أكثر من ميلين خلف سـويني وألفاريز، كان جاكنسباك وكورليس يلازمان مقعديهما مع تنفيذ نسخة أقل خطورة قليلاً من مناورة الهروب نفسها.

انفجرت القنبلة على بعد نحو اثني عشر ميلاً خلف سويني وألفاريز في غريت أرتيسـت، لكن سـويني، الذي لم يكن يضع نظارة، بدا له أن ألف شمس تجعل السماء ناصعة البياض، أمامه مباشرة. أغمض الطيّار عينيه على نحو لاإرادي، لكن الضوء جعل رأسـه يضج ألماً، في حين بدأ شـخص ما في القسـم الخلفي يصرخ بكلام غير مفهوم عبر جهاز الاتصال الداخلي.

علـى بعـد ثلاثـة أميال تقريباً خلف شـعاع انفجار سـويني، سـمع الربّان ماركوارت صرخات غير مفهومة مشابهة من عالم الفيزياء برنارد والدمـان. كان المدفعيـان فـي القسـمين الخلفييـن مـن غريت أرتيسـت ونيسيسري إيفل يحاولان وصف ظاهرة لم يكن أحد قد رآها من قبل.

كان والدمان قد وجّه آلة التصوير عالية السرعة على متن نيسيسري إيفل نحو ما سيصبح معروفاً لأجيال مستقبلية بأنها قبة سلام هيروشيما. كان مقعد مدفعي القسم الخلفيّ، محاطاً بألواح زجاجية قوية، يطل على منظر لا يُضاهى بزاوية 180 درجة. رأى والدمان بالضبط كيف بدأ كل شـيء، قرب جسـر أيوي. كانت بقعة الضوء الأولى قوية جداً، وبالرغم

Twitter: @alqareah

من التزامه الكامل بتحذير ألفاريز تغطية عينيه، ومع أنه ضمّ كلتا يديه بإحكام فوق نظارته الداكنة في أثناء الثواني الثلاث الأولى، إلا أن الضوء ملأ رأسه بوهج أحمر ساطع، كأنه يشع مباشرة داخل جمجمته ويصل إلى شبكية عينيه؛ وذلك، في الواقع، ما حدث.

عندما أبعد والدمان يديه عن بعضهما بعضاً، كانت كرة النار ترتفع آنذاك بسرعة هائلة، تسحب خلفها ساقاً من غبار أسود عكر يشتعل ناراً. في أثناء تلك الثواني القليلة الأولى، كان والدمان قد أضاع فرصة تشغيل آلة التصوير في اللحظة المحددة، والتوثّق من أن الآلة موجهة في الاتجاه الصحيح تماماً، ووضع المُرشحات المناسبة بالتتابع المناسب. كان التصوير بعيداً عن الهدف، وسيئ التوقيت، وأصيب بأضرار بالغة.

في مقعد الملاح، وجّه راسل جاكنسباك آلة تصويره أغفا 620 عبر النافذة والتقط صورتين لسحابة الدخان المتصاعد بعد نحو دقيقة من الانفجار، حين كانت نيسيسري إيفل قد ابتعدت نحو اثني عشر ميلاً عن أرض الصفر. كان فيلمه قد سجّل أيضاً عدداً من نقاط بيضاء متوهجة صغيرة، ناجمة على ما يبدو من جزيئات غريبة تطير بما يصل إلى سرعة الضوء، مثل أشعة كونية إلى حدٍّ ما؛ ما عدا أنه في تلك الحال، كانت تأتي من الأسفل، لا من السماء.

إلى يمين جاكنسباك، نظر مهندس الرحلة جيمس كورليس إلى ما يجري بصمت وذهول، لكنه كتب لاحقاً عن سحابة الفطر: «كانت طوال الوقت ترغي وتزبد، وأحياناً من الداخل إلى الخارج، بألوان حمراء وصفراء وبنفسجية وبنية». كان يعرف أنه في الأسفل في المدينة، أو ما تبقى منها، كانت الدوّامة ترفع السيارات، والأبنية، والأجساد، والغبار إلى السماء. لم يكن من الممكن وصف الوميض الأولي إلا بلغة صمت وعدم تصديق. حتى خلف حماية النظّارات، كان كورليس مضطراً إلى إغماض عينيه. ملأ الضوء الحيّز الداخلي للقمرة كله، مثل مصباح مغنزيوم ضخم يضيء في الداخل ومباشرة في وجهي كورليس

Twitter: @alqareah

وجاكنسباك. تعرض جلد وجهيهما الذي لا تغطيه النظارتان لحروق شمسية طفيفة.

أمامهما في القمرة، كان جورج ماركوارت قد أصيب آنذاك بعمى جزئي من صورة خضراء ساطعة، طفت في وسط مجال رؤيته. بخلاف سويني، الذي كان أقرب إلى مركز الانفجار ورفع نظارته كي يستطيع آنذاك الرؤية بوضوح، كانت رؤية ماركوارت تعود ببطء شديد. يكمن الفرق في حقيقة أن سويني كان ينظر بزاوية 180 درجة تقريباً بعيداً عن الانفجار، في حين أن ماركوارت قد نظر إلى الخلف إلى المدينة المشؤومة في لحظة الصفر. طوال نحو دقيقة بعد وقوع موجة الصدمة - «مثل وحش لطم جانب الكوكب» - لم يستطع رؤية الطيار المساعد. في ذلك الجزء الأول من الثانية، حتى عبر الزجاج الداكن للنظارة، استطاع ماركوارت تمييز العمود الضخم من الدخان الأسود الذي ارتفع مباشرة من كل شجرة، وسطح، وجدار خشبي مسّه الوميض. كان ضباب أسود قد غطّى بسرعة أكثر من نصف المدينة. تذكّر لاحقاً: «دار الدخان حول الوميض في أثناء ارتفاعه. بدا أن الشمس قد اقتربت من الأرض وانفجرت».

شعر ماركوارت وأفراد آخرون في فريقه بطعم يشبه طعم الرصاص في أفواههم. تعرض أكثر من فيلم تصوير للعطب نتيجة الجزيئات والأشعة. كان واضحاً أن شيئاً من القنبلة نفسها قد اخترق أسنانهم وتفاعل مع حشواتها. بدأ ماركوارت يتساءل عن الطائرتين الأخريين، وكان يعرف أنهما أقرب إلى مركز الانفجار بميلين على الأقل.

خلف دفة إينولا غاي، كان بول تيبتس قد انتابه القلق أيضاً من الطعم الغريب. ومع امتداد الوميض نحوهم، كان قد سمع طقطقة في فكّه وشعر بها، وفي الوقت نفسه أحسّ بطعم غير مستساغ «مثل رصاص متدفق». كانت قطع من القنبلة (جزيئات كمّية) قد استقرت في حشوات أسنانه واخترقت جسده. سيتذكر الطيّار لاحقاً أن الضوء من القنبلة بدا محسوساً؛ ضوءاً يمكن أن يشعر المرء به، وأن يتذوقه.

Twitter: @alqareah

في أثناء ذلك الجزء من الوقت، كانت أكثر الجزيئات تدميراً لحسن الحظ نادرة. كان في مقدور نواة ثقيلة، موجبة الشحنة من الحديد أو التنجستن من داخل القنبلة، وتسير بما يصل إلى سرعة الضوء تقريباً على خطوط حقل القنبلة المغنطيسي القوي جداً لكن قصير الأجل، اختراق الألواح الزجاجية المقوّاة والأشخاص، وتحرير طاقة في أثناء مرورها بهم. يمكن لأثقل وأسرع نواة أن تطلق كمية من الطاقة تعادل قوة كرة قاعدة يرميها رامٍ محترف؛ على طول خط تدمير يكاد لا يكون أوسع من بضع كريات دم حمراء مصطفة جنباً إلى جنب. عندما تعرّض أفراد الفريق لاختراق أيونات ثقيلة، لم تقتصر التأثيرات على خلخلة الحشوات في الأسنان فقط، وإنما تسبّبت أيضاً بإحداث خطوط كيّ عبر اللحم أرفع من شعرة إنسان، لكنها وصلت إلى كل أنحاء الجسم البشري أو معظمه. طوال بضع ثوانٍ بعد ذلك، ستطلق أوردة وشرايين في خط النار خثرات من دم محترق في اتجاهات عشوائية. ومع كل ما كان يحدث داخل الطائرات وحولها، ربما لم يشعر أحد بوخزٍ أو لسعٍ مؤلم على الإطلاق.

في مقعد الطيّار المساعد في إينولا غاي، وفي حين كانوا يحلّقون دائرياً لإلقاء نظرة أقرب، لاحظ الربّان روبرت لويس أنه بخلاف الإنجاز الناجح لمهمة قصف عادية، لم تكن هناك تنهدات ارتياح، أو هتافات. بدا تيبتس ذاهلاً. ما كان يبدو صفوفاً مميزة من المنازل، أصبح آنذاك في نظره مثل حقول قطران أسود يغلي. قال لاحقاً إن أيوا جيما وأوكيناوا وهجمات الكاميكاز قد جعلته مستعداً ذهنياً لقبول فكرة أن شعب اليابان كله سيقاتل حتى الموت، وكان الغبار الذي يخرج من الأرض والحقول التي امتلأت أنقاضاً مشتعلة تعني له أنه إذا لم تنهِ القنبلة الحرب، فسيكون عدد أفراد العدو الذي سيواجهونه في أثناء الغزو الأخير للبر الرئيس أقل. احتفظ آنذاك بتلك الفكرة لنفسه، واستعدّ لنقل زمام القيادة إلى الطيّار المساعد روبرت لويس. أراد أن يذهب إلى القسم الخلفيّ للطائرة، حيث خطط للنوم ثلاث ساعات في أثناء العودة إلى تينيان.

Twitter: @alqareah

على بعد أميال، راقب راسل جاكنسباك من مقعد الملاح على متن نيسيسري إيفل الضرر على الأرض، وراودته فكرة تيبتس نفسها - أضحى عددهم أقل آنذاك - في حين كانت لدى مساعد تيبتس فكرة مختلفة، وقال لاحقاً: «عندما نظرت إلى الأسفل من ارتفاع آلاف الأقدام فوق هيروشيما، كل ما استطعت قوله كان يا الله، ما الذي فعلناه؟».

في الأسفل ضمن دوّامات النار والأنقاض، كانت هيروكو ناكاموتو تشم رائحة لم تألفها من قبل؛ تبيّن أنها رائحة جلدها المحروق حتى اللحم. بدا أن كل المنازل، في الاتجاه الذي كانت تمشي فيه، قد اختفت وأن أطول الكتل هي عربات القطار المليئة بالجثث. كان بعض الناس محترقين حتى التفحّم ويستحيل معرفة هل هم مستلقون على بطونهم أم ظهورهم؛ بالفعل، كان من الصعب تصديق أنهم بشر. شعرت هيروكو بأن جانب وجهها الذي كان مكشوفاً للوميض منفصل عنها بطريقة ما، ولم يعد جزءاً منها. حدّقت امرأة خرجت من الدخان إلى هيروكو، ثم استدارت مبتعدة، تلهث رعباً. تساءلت هيروكو عن السبب.

في قمرة غريت أرتيست، كان المنظر الذي رآه تشارلز سويني بعيداً. بعد أن ابتعد عن موجة الصدمة، وبدأ يستدير عائداً، كانت هيروشيما تقع إلى الغرب، في اتجاه ميمنة الطائرة. نظر إلى الأسفل ورأى بقعة بنية متسخة على الأرض، تغلي فوق المدينة؛ تنتشر أفقياً من دون تفاصيل. كان قد انبثق منها عمود دخان يحتوي على كل لون يمكن تخيّله، إلى جانب ألوان لم يتصوّرها من قبل قطّ. أقسم سويني إنه كان يرى ألواناً لا توجد ببساطة في الطيف الكهرومغنطيسي، بالرغم من أنه كان يعرف أن ذلك مستحيل؛ ألواناً جديدة، لم ترها عيون بشر من قبل. دار حول المكان مرة حتى يستطيع العلماء تصوير السحابة، لكن معظم معدّات التصوير والأفلام داخلها كانت قد تعرّضت للعطب. كان ارتفاع عمود الدخان يصل إلى أكثر من ثلاثة أميال ولا يزال يتطاول حين استدارت بي - 29 عائدة في اتجاه جزيرة تينيان. كانوا على بعد

Twitter: @alqareah

نحو نصف ساعة و200 ميل عن هيروشيما قبل أن تختفي سحابة الفطر عن مرمى بصر مدفعيي القسم الخلفيّ للطائرة.

بعيداً خلف طائرات تيبتس، في طوكيو، كان د. يوشيو نيشينا وإيزو تاجيما يحاولان آنذاك إقناع وزير الحرب أنامي أن الانقطاع المتزامن لكل الاتصالات السلكية واللاسلكية من هيروشيما يتوافق مع قنبلة ذرّية. حتى بعد أن استطاع الوالي نيشيوكا الاتصال باستخدام خط من الضواحي، وتأكيد تقويم د. نيشينا بإفادة شاهد العيان التي قدّمها ورسالة ألفاريز في يده، لم يصدّق أنامي ذلك. حتى بعد أن أفشى الرئيس الأميركي السر للعالم كله بعد ساعات عدّة - «سيلاحظ العالم أن أول قنبلة ذرّية تم إلقاؤها على هيروشيما، وهي قاعدة عسكرية» - رفض وزير الحرب قبول ذلك.

قرّر في الوقت نفسه أنه سيبدو منطقياً اكتشاف ما يعرفه الطيّارون الأميركيون الأسرى عن برنامج القنبلة الذرّية لبلادهم. كان أنامي يعمل وفقاً لأمرين مؤكدين هما أن الجميع يتكلّمون تحت التعذيب، وأن البرنامج الأميركي سر معلن مثل برنامج د. نيشينا. كانت «الحقيقة» الثانية خرافة. بأي حال، كان تيبتس وبارسونز يدركان منذ البداية أن الحقيقة الأولى صحيحة، ولهذا السبب كانا يحملان أسلحة فيها ذخيرة في أثناء مهمتهما، لا للدفاع عن النفس إذا كانا على وشك الوقوع في الأسر، وإنما لإنهاء حياتهما في حال فشل السيانيد. بالفعل، لم يعرف راسل جاكنسباك في الواقع طبيعة القنبلة التي كان فريقه قد ألقاها حتى اليوم الثاني للمهمة. وكتب لاحقاً: «لم يخبرونا مباشرة، وقرأنا عن ذلك في الصحف». كان أحد الأسباب التي جعلت سويني وماركوارت يحافظان على طبيعة مهمتهما سراً عن ملاحيهما ومهندسي الرحلة قد منحهم على الأقل فرصة ضئيلة للنجاة، إذا وقع الأسوأ.

مات أول طيّارين استجوبتهم وزارة الحرب اليابانية من دون أن

Twitter: @alqareah

يكشفوا شيئاً. كان أنامي قد بدأ يشك في أنهم ربما لا يعرفون شيئاً على الإطلاق - جعله ذلك يتعلق بأمل أن القنبلة الذرّية قد لا تكون موجودة - حتى أحضر المحققون إليه في صبيحة 7 آب الملازم ماركوس مكديلدا، قائد مقاتلة تم إسقاطها قرب أوساكا. لم يكن ماركوس يعرف شيئاً عن اليورانيوم أو المواد الانشطارية، لكن بدا مما أخبر به المحققين أن كلمة يورانيوم مزروعة في دماغه، وكانوا يبلغونه أكثر مما يعرف. بصفته طيّاراً، ما كان يعرفه جيداً جداً آنذاك هو حساب الهندسة الفراغية. في تلك الأثناء، كان في حوزة الأشخاص الذين حقّقوا معه أحد أعظم أسرار قنبلة اليورانيوم: كان الجزء المهم من القنبلة يتعلق بالهندسة الفراغية؛ وبسيط على نحو مدهش؛ عند الحصول على كمية كافية من المعدن النقي منزوع النيترون، هناك طرائق عديدة لتطبيق تلك الصيغة الرياضية الخاصة، لكن الجزء الصعب حقاً كان تصميم قنبلة لا تنفجر عندما لا تريد ذلك.

بعد أن جرح جنرال شفة ماركوس السفلى بسيف وعرض عليه رأساً مقطوعاً لملاح كان قد «تظاهر» أنه لا يعرف شيئاً عن اليورانيوم، بدأ الطيّار فوراً تصميم قنبلة ذرّية خيالية تماماً؛ من دون أن تكون لديه أي فكرة حقيقية عمّا يقوم به، لكنه اخترع كل شيء في أثناء عمله. وصف ماركوس كرتي يورانيوم منفصلتين على طرفين متقابلين من درع رصاصي، داخل صندوق على شكل قنبلة صغيرٍ بما يكفي لوضعه داخل إحدى حجيرات بي - 29. عندما يتم إلقاء القنبلة من الطائرة، يتحرّر الدرع وتدفع القاعدتان الفولاذيتان كرتي اليورانيوم كي ترتطما معاً فتنفجرا.

تراجع الجنرال إلى الخلف، يتملّكه الرعب. كان ما وصفه الطيّار متوافقاً مع نسخة مبكرة من تصميم نيشينا - ساغين.

شعر ماركوس أن شيئاً لا سابق له قد حدث آنذاك. لم يكن قد سمع قط بأسير يثير الرعب والخوف في نفس محقق ياباني.

سأل الجنرال: «ما هو الهدف الآتي؟».

Twitter: @alqareah

كشّر ماركوس وبصق دماً، ثم قال: «هنا! سيتم قصف طوكيو في الأيام القليلة المقبلة. سنلقي بها على أعناقكم!».

في تلك الأمسية، بينما كانت هيروكو ناكاموتو تجد الطمأنينة بين أقربائها في الضواحي، وبينما كان كنشي هيراتا يرمي وردة في نهر هيروشيما ويستعد لنقل عظام زوجته إلى ناغازاكي، خصص وزير الحرب أنامي طائرتين لنيشينا وأفراد فريق سيزو أريسو، وزوّدهم بتعليمات للذهاب إلى هيروشيما في اليوم التالي وتحديد إن كانت القنبلة ذرّية أم لا.

كانت عشرات الطائرات، قبلهما، قد عادت آنذاك إلى تينيان من رحلات استطلاع وتصوير الأنقاض، وألقت منشورات في طريقها إلى ومن اليابان. نقلت فرق الاستطلاع أنها في رحلاتها فوق معظم المدينة لم تستطع التعرّف إلا إلى معالم الجغرافية الطبيعية؛ بدت كما كانت قبل ألف سنة مضت، قبل أن يصل بناة المدينة إلى ضفة النهر. كانت قلّة من الجسور لا تزال قائمة، لكنها كانت قد «ابيضّت» من الحرارة، وفي ذلك اليوم الأول كان الأشخاص الظلال على جسر «تي» أيوي أكثر وضوحاً مما سيبدون لوافدين متأخرين، بعد شهرين أو ثلاثة من هطول أمطار غزيرة أول مرة. في وسط «الأرض المنبسطة» المعروفة للعلماء باسم أرض الصفر، كانت القبّة وبعض مباني البلدية وأعمدة الهاتف التي تحيط بها لا تزال قائمة؛ وفي مكان أبعد، أُصيب خبراء الاستطلاع بصدمة عندما رأوا مبنى كنيسة سليماً جزئياً.

في مكان بعيد خلف الكنيسة، وسط مجموعة من الأبنية المشوّهة والمدمرة، صعد تسوتومو ياماغوشي على متن ثاني وآخر قطار متجه إلى ناغازاكي. كان قد أصيب بحمّى شديدة ويعاني باستمرار نوبات غثيان، لكن لم يكن هناك شيء يمكن أن يتقيأه. بحلول ذلك الوقت كان قد اكتشف لاشمئزازه المتزايد أنه لا يتمكّن أيضاً من الاحتفاظ برشفات صغيرة من الماء في جوفه، وأن العطش يمزّق حنجرته.

Twitter: @alqareah

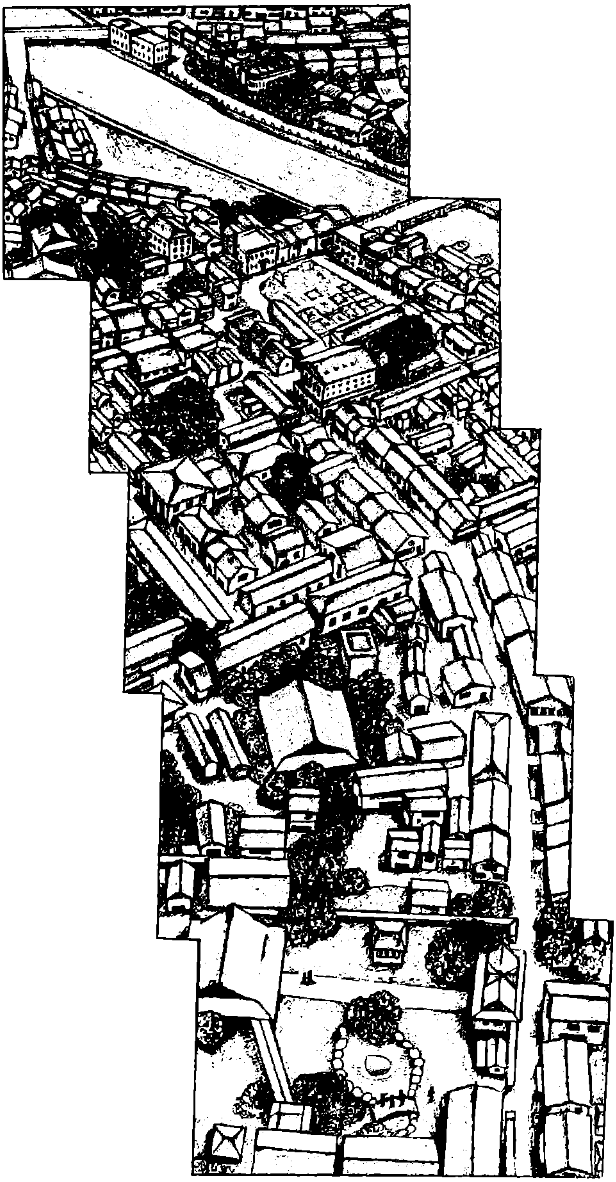

هيروشيما، الساعة 8:00 صباحاً، 6 آب 1945: «القبة الذرّية» وجسر «تي» في الأعلى. بركة الأسماك والجسر المقنطر في الأسفل يبعدان نحو 500 متر عن مركز الانفجار. (باتريشا واين)... صفحة 80.

Twitter: @alqareah

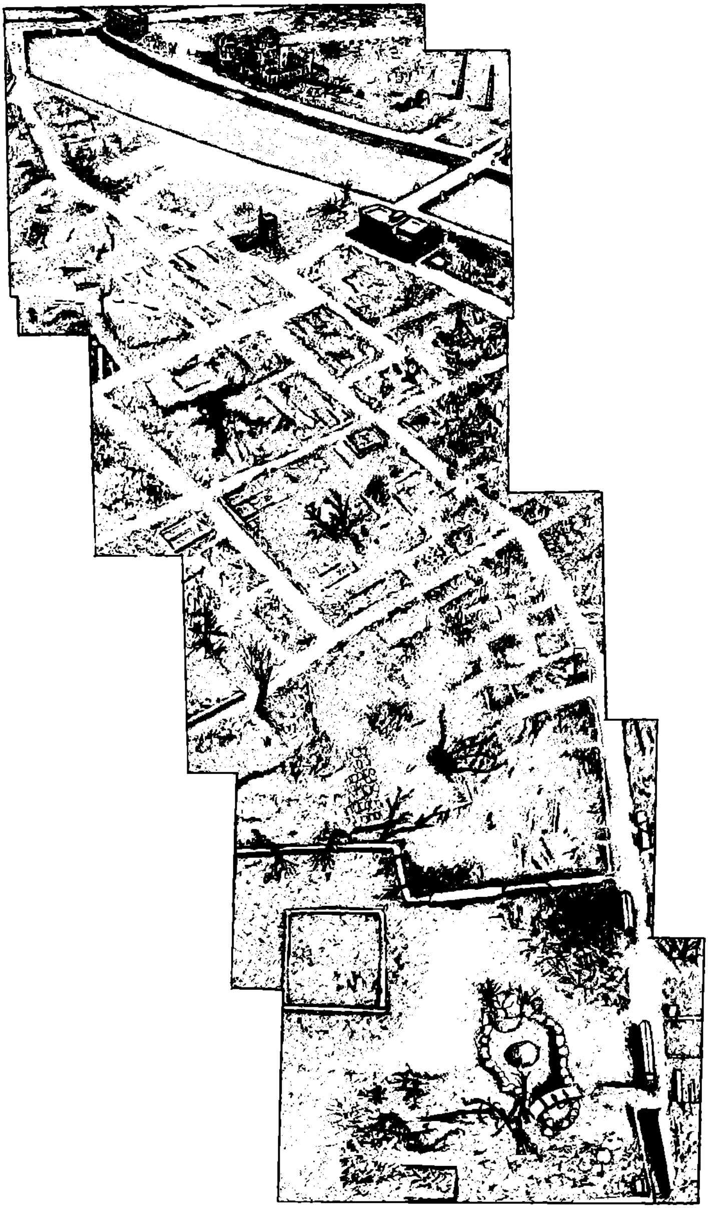

هيروشيما، الساعة 8:00 صباحاً، 7 آب 1945، وفقاً لصور استطلاع قاذفات أميركية.
(باتريشا واين)... صفحة 81.

Twitter: @alqareah

كان الوالي تيكجيرو نيشيوكا على متن القطار نفسه، والعارض الوحيد الذي ظهر عليه نتيجة التعرض للإشعاع كان الشعور بحكّة في ساقيه، وعزاها إلى «حديقة الشموع» الغريبة التي كان يتمنّى آنذاك ألا يكون قد عبرها قط.

كان المهندس أكيرا أيواناغا على متن القطار أيضاً، عطشاً ويعاني نوبات معتدلة من الغثيان.

كان مصير الرجال الثلاثة أن ينجوا مرتين من القنبلة الذرّية. سيلقى راكب رابع هو د. سوسومو تسونو، عميد كلية الطب في ناغازاكي، مصيراً مختلفاً بطريقة ما. كان قد نجا من أول قنبلة من دون أن يصاب بخدش، ولم تظهر عليه أي أعراض إصابة بإشعاع. بالرغم من ذلك، في أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة، سيقوم برحلة إلى مقاطعة على وشك أن تختفي من التاريخ.

على تينيان، بعد أن رأى بأم عينيه ما جرى وسمع إعلان الرئيس ترومان، لم يعد السلاح سراً آنذاك، فبدأ راسل جاكنسباك، ونظرياً كل جندي آخر، الاحتفاظ، كتذكار، بعيّنات من آلاف المنشورات التي ألقتها طائرات استطلاع فوق اليابان، تحثّ على الإخلاء و«الاستسلام المشرّف» وتحذّر من صحة بيان الرئيس ترومان أن القوة موجودة آنذاك لتدمير قدرة اليابان على شنّ حرب.

كان مطبوعاً على أحد وجهي كل منشور بحجم ورقة نقدية صورة طبق الأصل عن عملة يابانية، وعلى الوجه الآخر الرسالة. أدرك القائمون على الأمر أن المدنيين الذين يلتقطون المنشورات ويقرأونها قد يلقون عقاباً من الشرطة العسكرية، فموّهوها كأوراق نقدية لجعل إخفائها وقراءتها سراً أكثر يسراً. ما لم يستطع الطيّار تشارلز سويني تفسيره هو أن يكون رد الفعل على القنبلة ورسالة الرئيس، وعلى المنشورات، صمتاً مطبقاً من طوكيو.

مع غياب الشمس عن هيروشيما وتينيان، أمر كورتيس ليماي 152

Twitter: @alqareah

وبي – 29 بالإقلاع لتوجيه ضربات جوية تقليدية إلى اليابان.

حلّت ليلة 7 آب وانقضت، وبالرغم من ذلك لم يأتِ ردٌّ من طوكيو.

مع اقتراب بزوغ فجر 8 آب على تينيان، تم استدعاء تشارلز سويني إلى كوخ الاستخبارات. وفقاً لصور الاستطلاع، كانت نشاطات هيروشيما بصفتها قاعدة صناعية قد توقفت. كانت التقديرات الأوّلية لعدد الإصابات تقترب من 100.000 شخص.

مشى سويني إلى المقصورة المكيّفة، قدّم نفسه، ووضع يديه على غلاف قنبلة البلوتونيوم. كان عددٌ من زملائه الضباط قد وقّعوا أسماءهم على سطحها المطلي بلون أصفر. كان سويني يعرف أن البلوتونيوم يطلق موجات مستمرة من جزيئات ألفا. كان غلاف القنبلة دافئاً عند مسّه. وقد أخبر مؤرخين في ما بعد: «كأنها كانت كائناً حياً».

قال سويني لنفسه إنها «شكل الأشياء المستقبلية». كان لويس ألفاريز قد شرح له آنذاك إن تلك القنبلة مجرد فرقعة نارية مقارنة بما سيظهر قريباً على ألواح الرسم. اقتبس د. ألفاريز بحماسةٍ عن صديق له يدعى هارولد أوري كان قد أعلن: «عندما ترى البشرية ما توصّل إليه العلم، ستدرك فوراً أن تلك نهاية الحرب».

لم يصدّق سويني أن العلماء يفهمون الجنس البشري جيداً. سأل: «لم نتلقَّ أي كلمة من اليابان، كما افتُرِض؟».

قال العالم: «لا. يبدو أننا سنكون مضطرين إلى فعل هذا مجدداً».

قال سويني: «مفهوم»، وخرج من المقصورة من دون أن يقول أي شيء آخر. استعار سيارة جيب وقادها بعيداً عن سرب قاذفاته، 509، واتجه نحو السرب 313. كان النقيب داوني، القس الذي منح فِرَق هيروشيما الثلاثة بركته في صبيحة 6 آب، لوثرياً (كنيسة بروتستانتية تعمل وفقاً لتعاليم مارتن لوثر). كان سويني كاثوليكياً، وبحاجة إلى العثور على قس.

Twitter: @alqareah

5

السوسنة المجنونة

من فوكوياما إلى هيروشيما 160 كيلومتراً، وعلى مسافة نحو مئة ميل كان من الممكن سماع الانفجار. ظنّ ماسوجي آيبيوز أنه لولا التلال المحيطة به، لكان بالتأكيد قد رأى وربما شعر بتأثيرات القنبلة.

كان شاكراً للتلال. في ميهارا، وهي بلدة أقرب 49 كيلومتراً فقط إلى هيروشيما وتقع على سفحٍ يجعل الجميع يرونها بكل وضوح، تلقت التلة نفسها ضغط موجة الصّدمة وعكسته. فقدَ شهودٌ توازنهم نتيجة الاهتزاز، وتحطمت كل نافذة تواجه المدينة.

كان ماسوجي كاتباً وشاعراً يقيم مصادفة في منزل صديق في ضواحي فوكوياما، وظنّ أن القنبلة كانت مسؤولة بطريقة ما عن السوسنة الأرجوانية الجميلة التي رآها تظهر فجأة وفي غير موسمها. عندما لاحظ السوسنة للمرة الأولى عبر نافذة، لم يكن واثقاً تماماً أنها حقيقية، وظّن بدلاً من ذلك أنها من دون شك ورقة ملونة تطير قرب حافة بركة صديقه.

في ذلك الصباح، بقيت ضواحي فوكوياما قائمة وحدها، وكان واضحاً للشاعر أن الورقة قد طارت عالياً مع رماد المدينة. في أثناء الليل، كانت قاذفات مخيفة قد حلّقت فوق الوادي مثل أسراب جراد عملاق. وعند الفجر، عبر شقٍّ بين التلال، استطاع ماسوجي رؤية عمودٍ من نار يرتفع فوق موقع برج قلعة عتيقة. كان العمود الناري ساطعاً جداً، حتى في ضوء النهار كان وهج البرج المحتضر يلمع على قبة ضخمة قريبة مشيّدة من حجر كلسي. كانت «الورقة»، كما ظنّ ماسوجي، قد سقطت من سخام ودخان بقايا فوكوياما.

Twitter: @alqareah

تساءل ماسوجي: ما هي حقيقة هذا الشيء؟. استحوذ الظهور غير المتوقع للونٍ في عالم كان يطغى بسواده على تفكير الشاعر على نحو متزايد، وجعله يقترب من حافة البركة. وعندما اكتشف أخيراً السر، سحب ماسوجي، الذي كان يفتخر دائماً أنه يبقى رابط الجأش ويحلل الظاهرة حتى في أكثر الأوضاع تعقيداً، نَفَسه رعباً وأطلق صرخة غير إرادية.

كانت السيدة في البركة ترتدي ثوب نوم جميلاً مربوطاً بحزام أحمر، رُدْناه الطويلان يهتزان قرب سطح الماء مثل زعانف سمكة ذهبية كبيرة. كانت تستلقي على ظهرها؛ والشيء الأرجواني: كان سوسنة في المحصلة. كانت ساق الوردة قد انحنت إلى أحد الجانبين، نحو سطح الماء، كأن السوسنة، كما ظنّ ماسوجي، تحاول مسّ وجنة الفتاة.

عرف ماسوجي آيبيوز لاحقاً أن المرأة كانت في العشرين من عمرها فقط. بعد أن استدعاها مجلس فوكوياما إلى «الخدمة الطوعية»، تم إرسالها إلى معمل ذخيرة في هيروشيما، وباستثناء حرق بسيط على وجنتها، كانت قد نجت من دون إصابات ظاهرة وشقّت طريقها وسط بحر من الموت والمحتضرين الذين لا يزالون يتحركون إلى محطة كوي وعلى متن القطار الأخير إلى فوكوياما. تعرّضت المدينة لقصف عنيف بعد وصولها بساعات فقط، وبدا أنها قد نجت من ذلك أيضاً من دون أن تصاب بأذى.

عثر ضابط الشرطة، الذي حضر لفحص الجثة، على خُفّيها قرب حافة البركة. بدا أنها قد ركضت بتهوّر مبتعدة عن المدينة المحترقة واستلقت، من دون أي إشارات على نزاع أو تردد، على الأرض وأغرقت نفسها بإخراج كل الهواء من رئتيها واستنشاق نَفَسٍ عميق من الماء على نحو متعمّد.

عندما كان الضابط يشرح نظريته عن شابة خافت حتى الجنون، كان اهتمام ماسوجي منصّباً على السوسنة بساقها الملتف على نحو

Twitter: @alqareah

غريب وبراعمها المتفتّحة.

سأل الشاعر: «هل تظن أن السوسنة خافت فتفتّحت؟».

جاء الرد: «هذا غير اعتيادي. لم أسمع قط بسوسنة تتفتح في هذا الوقت المتأخر. لا بد من أنها فقدت صوابها».

قال ماسوجي في نفسه إنه تحليل ملائم، ثمّ قال: «السوسنة التي تفتّحت في هذه البركة المجنونة تماماً، وتنتمي إلى عصر مجنون».

قال الجنرال سيزو أريسو لطيّاره: «هذا غير ممكن». حلّقت طائرة مدير الاستخبارات فوق الأنقاض أمام طائرة د. نيشينا؛ حتى بعد أن دار حول المكان مرتين، لم يكن شيء في الأسفل يبدو منطقياً باستثناء معالم الأنهار الطبيعية.

كان الجنرال أريسو قد رأى أوساكا، وكوبي، وأقاليم شاسعة من طوكيو بعد تعرّضها لقصف شامل بقنابل حارقة، وفي كل الحالات الثلاث كانت مخيّمات ومطابخ مؤقتة تظهر وسط الأنقاض في أثناء ثمانٍ وأربعين ساعة. حتى ذلك الوقت، لم يكن هناك في الأسفل سوى صحراء صفراء مائلة إلى الرمادي تمتد من الثكنات العسكرية المفقودة إلى موقعي القلعة ومركز الاتصالات، والرماد ينتشر كيلومترات عدّة خلف ذلك، من دون أي إشارة بتاتاً على وجود نشاط بشري.

قال الجنرال مجدداً: «لا، هذا غير ممكن. أين هيروشيما؟».

قال الطيّار: «سيدي، يُفترض أن تكون هذه هيروشيما».

كانت القبة وجسر «تي» في وسط المكان في الأسفل، يقفان بتحدٍّ بطريقة ما. كان كل ما حول القبة، ومنها جذوع الأشجار – بالرغم من فقدانها أغصانها – لا تزال تقف أيضاً بتحدٍّ، في حين بدت صفوف كاملة من الأشجار تنحني بعيداً عن القبة على امتداد كيلومترات في كل اتجاه. تذكر الجنرال مشاهد كان قد رآها لمنطقة حرجية حول تونغوسكا في سيبيريا. في 30 حزيران 1908، كانت شواظ شمسية

Twitter: @alqareah

قـد ضربـت الغـلاف الجوي بسـرعة تزيـد على 30 كيلومتـراً في الثانية، واحترقت فوق تونغوسكا مثل كرة نارية بيضاء شديدة السطوع، وتسبّبت بسلسـلة من الاهتزازات التي سُـمعت أصواتها في كييف ولندن. عندما وصل أفراد فريق اسـتطلاع إلى مركز التأثير بعد أكثر من عقد، وجدوا الأشـجار تنتصب عمودياً في الوسـط، في حين أن كل الأشـجار على بعـد كيلومتـرات حول المنطقة تميـل نحو الأرض عكس اتجاه المركز. كان انفجار هيروشيما، في نظر الجنرال، يبدو مثل تونغوسكا على نحوٍ صارخ.

عندمـا هبطـت طائرته على حقل معشوشـب قـرب الميناء، أصبح التشـابه واضحـاً تماماً. كانت أوراق أعشـاب قـد احترقت حتى التوهّج علـى أحـد الجانبيـن حتى تحول لونها إلـى بني داكن، وكانت كل ورقة تميل - مع أشـجار هيروشـيما ومثل أشـجار تونغوسكا - بعيداً عن مركز الانفجـار، كأن مكـواة عملاقـة مرّت عليها. التقى أريسـو والطيّار مُقَدّماً وبدا أن جانباً واحداً من وجهه، مثل الأعشاب تماماً، قد احترق.

سأل أريسو: «ماذا حدث لك؟».

رد الضابط الشاب: «بيكا - دون»، وبدأ يصف الوميض والانفجار الـذي تبعـه. قاطعـه الجنرال، راغباً فـي أن يعرف على وجه التحديد إن كان الجانـب السـليم مـن وجهه محجوباً عـن بيكا، وهل لحمه المتورّم كان يواجه مركز المدينة حين سطع الوميض.

أكّد الضابط شكوك أريسو في أن تدمير هيروشيما كان قد بدأ من دون شك بانفجار واحد، وُجد عالياً فوق القبة والمجموعة الصغيرة من الأشجار بالقرب منها.

أول شيء فعله د. نيشينا بعد أن هبطت طائرته كان فحص الأعشاب المسحوقة والمحترقة. ثم مشى بخطوات سريعة في الاتجاه الذي تشير إليـه الأعشـاب، حيـث ملأ قوارير بعينات مـن التربة في أثناء ذلك وبدا أنـه لا يهتـم إن كان الجنـرال أو أي شـخص آخـر يتبعه. مرّ نيشـينا بين

Twitter: @alqareah

أنقاض مصرف سوميتومو واقتفى أثر مركز الانفجار نحو القبة وجذوع الأشجار المتفحّمة والمتقشّرة، واكتشف أن عظام الجماجم والأفخاذ البشرية السميكة قد تحوّلت إلى شيء مثل أوراق محترقة وغبار. كانت الأسنان أكثر صلابة من العظام، وعند أحد التقاطعات، حيث كان أكثر من ستين شخصاً يقفون مكشوفين تماماً تحت الوميض، لم يبقَ من أثر على وجودهم إلا بقايا متفحّمة مع أسنان على رصيف.

عندما قرّب د. نيشينا حفنة من طواحن وأنياب متفحّمة من عدّاد جايجر (أداة كشف إشعاعات وتبيان كثافتها)، كشفت له الطقطقة المميزة على نحو لا ريب فيه ما كان قد حدث بالضبط.

قال عالم الفيزياء لأريسو: «لا يصدر عن الرفاة البشرية عادة إشعاع».

قال الجنرال: «إذاً، هل عرفنا ما الذي جرى؟ هل كشفت لنا تلك الطقطقات القليلة كل شيء؟».

قال د. نيشينا: «عرفنا ذلك. تلك الطقطقات الصغيرة فقط، ونقطة انتهى. يجب أن نجعل وزير الحرب أنامي يفهم: إذا كان الأميركيون يمتلكون المزيد من تلك الأسلحة، فعندها، صدّقني يا جنرال، ليس هناك دفاع ضد هذا النوع من القوة».

في موسكو، لم يكن ستالين متشككاً مثل وزير حرب طوكيو. بحلول الوقت الذي بدأ فيه يوشيو نيشينا ملء قوارير أدلّة بأسنان إشعاعية النشاط، تم استدعاء سفير اليابان في روسيا إلى الكرملين، حيث تلقى إعلان حرب رسميًّا يدخل حيز التنفيذ في منتصف الليل. ظاهرياً، كان ذلك إيفاءً بعهد لكل من إنكلترا والولايات المتحدة أن الاتحاد السوفييتي سيدخل حرب الأطلسي بعد ثلاثة أشهرٍ من دحر ألمانيا.

آنذاك، كان جيشان سوفييتيان موجودَين على حدود الأراضي التي

Twitter: @alqareah

تحتلها اليابان في منشوريا، وقد بدأت طليعة القوات تعبرها. بعد مرافقة السفير ناوتيك ساتو إلى خارج الكرملين، تم مرافقة السفير الأميركي أفريل هاريمان إلى الداخل لشرب أنخاب عدّة من الشراب الروسيّ. وجد هاريمان ستالين في مزاج مرح ومهذاراً على غير العادة. علانية، هنّأ الرجل الأكثر ترويعاً في روسيا سفير الولايات المتحدة على نجاح بلاده العلمي، وعبّر عن شكره للخالق لأنّه قد وضعه إلى جانب الشعب الذي اكتشف القنبلة الذرّية.

سراً، كان الديكتاتور يعرف بالاكتشاف الأميركي قبل شهور من حادثة هيروشيما، وقد عيّن آنذاك لافرنتي بيريا، مفوّض أمن الدولة، مسؤولاً عن حشد أبرز علماء الفيزياء والمهندسين الروس في مختبر واحد وتنشيط البرنامج النووي الذي كان غارقاً في سبات منذ أمدٍ بعيد. أخبر ستالين بيريا أن برنامجه سيحظى بأفضليتين كبيرتين على مشروع مانهاتن الأميركي.

أولاً: كانت روسيا قد أسرت نحو نصف علماء الصواريخ في ألمانيا، وكان ستالين واثقاً بأن مهارات بيريا ستحثّهم على العمل لبناء صاروخ قادرٍ على إلقاء قنبلة ذرّية من مدار فلكي. كانت صعوبة تكرير موادَّ انشطارية ووضعها في قنابل فاعلة ستصبح أكثر بساطة إذا تمكّنت القوات الروسية من التقدم بسرعة في البر الياباني الرئيس وإلقاء القبض على الأساتذة ساغين، وتاجيما، ونيشينا.

كانت أفضلية ثانية وأكثر أهمية، هي أنه عندما بدأ الأميركيون برنامجهم، لم يكن أحد يعرف أنه يمكن في الواقع حل المشكلة. أخبر ستالين بيريا: «الآن، يعرف العالم أنه يمكن القيام بذلك. ذلك هو الجزء الأصعب من المشكلة. الأكثر أهمية من معرفة كيف يمكن القيام بذلك، هو معرفة أنه يمكن فعل ذلك».

في طوكيو، لم تلقَ الرسالة اللاسلكية المشفّرة من د. نيشينا آذاناً

Twitter: @alqareah

صاغية. أكّد إيزو تاجيما لوزير الحرب أنامي أن الرفاة البشرية والتربة ذات النشاط الإشعاعي من وسط هيروشيما تعني أن قنبلة ذرّية موجودة في الواقع؛ لم يغيّر تأكيده شيئاً.

دعم د. ريوكيشي ساغين نتائج بحث نيشينا، لكنه وزمرةً من الزملاء ضمّنوا في تقريرهم إلى أنامي ملحوظة أنه إذا كان مسموحاً لطيّار مقاتلة أميركية عادي مثل ماركوس مكديلدا أن يحظى بفهم أوّلي لطريقة عمل قنبلة يورانيوم، فإن الأميركيين، لسبب ما، يريدون أن يكون «سرهم» معروفاً.

ظنّ ساغين أنه قد اكتشف السبب. قدّر أن كل منشآت التعدين الأميركية ومحطات الطاقة التي يمكن أن تعمل لإنتاج موادَّ انشطارية فقط - إذا استطاعت العمل أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، طوال ثلاث سنوات - قد تستطيع إنتاج قنبلتين ذريتين أو ثلاث. استنتج أن العدو سيكون قد اختبر قنبلة واحدة؛ للتوثّق من فاعليتها، وأنه بعد هيروشيما، إذا لم تكن القنابل الذرّية قد نفدت لديهم آنذاك، فلم يبقَ في ترسانتهم إلا قنبلة واحدة فقط.

كان ذلك بالضبط ما يريد أنامي سماعه. كان تقدير ساغين مستنداً إلى استنتاج منطقي وليس بعيداً عن الحقيقة. بالرغم من ذلك، لم يأخذ في الحسبان الصناعة النووية المتسعة آنذاك التي تم تكريسها لإنتاج البلوتونيوم، أو الكمية الإضافية التي وصلت قبل شهرين إلى ميناء نيويورك على متن سفينة تحمل أكثر من ثلاثمئة أوقية من اليورانيوم الألماني المستولى عليه، المكرّر إلى نحو 10 بالمئة من نقاء اليورانيوم-235. ولم يتخيّل ساغين عامل فوبار الذي لا يمكن تجنّبه؛ والذي كان مكافئاً تقريباً للبلوتونيوم واليورانيوم. كانت آخر اختبارات تفجير صاعق البلوتونيوم على الأرض قد أخفقت في إحداث الأثر المطلوب - لم تكن تتوافق مع تصميم الانفجار الدقيق جداً داخل الجسم الكروي - وقد انفجر قبل الموعد المحدد له، مما يعني أنه إذا

Twitter: @alqareah

تـم تزويـده بنـواة بلوتونيوم حقيقيـة وإلقاؤه من بـي - 29، فإن الصاعق سـيحطّم كلاً مـن القنبلـة والطائـرة. لم يكن آخر أغلفـة قنبلة اليورانيوم وصاعقها أفضل حالاً. كان مصير هذه القنبلة الفشـل عندما تم إلقاؤها (مـن دون اليورانيـوم الثميـن) بالخطـأ قرب مدرج في شـيكاغو، ولهذا كانوا مضطرين آنذاك إلى العمل على بديل من المربع الأول.

لم تكن قنبلة ذرّية رابعة ستصبح جاهزة قبل منتصف شهر أيلول، أو ربمـا حتـى شـهر تشـرين الأول. كان الواقـع يفـرض ذلـك. ومعادلة سـاغين تفيـد بذلـك أيضـاً بالرغـم من عيوبهـا: كان قد تـم اختبار قنبلة واحدة، وإلقاء ثانية، ولم تبقَ إلا الثالثة فقط.

رأى وزير الحرب أنامي الدليل على حسابات ساغين في القصف الجـوي المتعـدد الليلـة الفائتة. أخبر أنامي باقي الجنرالات: «ليس لدينا إلا كلمـة الرئيـس ترومـان عن وجود قنابـل ذرّية تكفي لتدمير كل مدننا وموانئنا. بالتأكيد، إذا كانوا يمتلكون تلك الأسلحة، لن يضيّعوا وقتاً في إلقاء قنابل حارقة عادية على مدننا».

بقـي وزيـر الحـرب مصمماً على «الاسـتمرار في مـا يقومون به»، بالرغـم مـن اعتـراض وزيـر الخارجيـة شـيجنوري توغـو الـذي قال إن الأميركييـن علـى وشـك الانتهاء مـن القضاء على السـفن اليابانية، وإنه لـم يعـد لديهـم إلا القليـل من الوقود الثمين لما تبقّـى من بحرية أنامي وقواته الجوية.

شـرح توغـو: «حاليـاً، يمتلـك الأميركيون البحر والجـو. حتى إذا اتضـح أن نظريـة د. سـاغين صحيحـة وأن العـدو لم يعـد يمتلك قنابل ذرّية، فإن القصف الجوي وحده سيدمرنا جميعاً».

كان الجنرال يوشـيجيرو يوميزو حاداً في إصراره على موقفه مثل وزير الحرب أنامي. حتى مع عجز البحرية آنذاك واشتعال المدن بألسنة اللهب، كان يثق بإمكانية تحقيق إنجاز كبير أخير يستطيع فيه شـعب بر اليابان الرئيس إما إلحاق خسائر غير متوقعة بالقوات البرية الغازية وردّها

Twitter: @alqareah

على أعقابها، أو أن يموت مهزوماً ويأخذ الأميركيين معه إلى الجحيم.

أدرك وزير الخارجية توغو أن محاولة توجيه هؤلاء الرجال نحو حقيقة الوضع، كانت مثل محاولة دفع إعصار بعيداً عن اليابسة. كان غزو منشوريا من قبل الروس قد أثار قلقاً أكبر من قصف هيروشيما، وإذا كان هناك أي شيء يمكن أن يقال عنه مؤكد في تلك الأيام، فهو أن الخطوة الروسية، لا هيروشيما، قد جعلت أنامي ويوميزو أكثر خطورة من ذي قبل.

قرّر وزير الخارجية أنه عاجلاً أم آجلاً-وعاجلاً لا آجلاً-يجب أن نتخلى عن التظاهر بالشجاعة ونطلب من الإمبراطور التفكير في الاستسلام، ما دام هناك شعب ياباني يمكن إنقاذه.

كان شيجنوري توغو يدرك تماماً آنذاك أنه ود. نيشينا يحاولان المشي بهدوء في منزل يحترق، وهو عمل لا طائل منه حين يكون المنزل مليئاً بحيوانات جريحة.

على جزيرة تينيان، استُقبلت أنباء الغزو الروسي بذعر.

في الكوخ، استقبل لويس ألفاريز أميرالاً أراد أن يناقش المخاوف بشأن قيام روسيا بالاستيلاء على أراضٍ من أوروبا الشرقية كانت ألمانيا قد احتلتها سابقاً، وفي ذلك ضمُّ برلين الشرقية. في أسابيع ماضية، واجه فيرنر فون براون وفريق بناء الصواريخ الذي يعمل بقيادته خياراً بين الوقوع في أيدي الروس أو الأميركيين، وكان معظم المهندسين قد اندفعوا بتهور وجنون قاتل تقريباً نحو طلائع الأميركيين. واجه علماء من برنامج القنبلة الذرّية الألماني الخيار نفسه وهربوا غرباً على أمل أن يكون السجن عبر الأطلسي، في الولايات المتحدة، أفضل من سيبيريا.

لم يصل جميعهم إلى الأميركيين، كما شرح الأميرال. استطاع الروس إلقاء القبض على نحو نصف العلماء الألمان البارزين. ومثل الذهب والفضة، والأعمال الفنية الثمينة، كان الناجون من لينينغراد،

Twitter: @alqareah

وستالينغراد، وجيب تشيركاسي يعدّونهم مجرد غنائم حرب.

كان الأميرال مهتماً بسباق تسلح نووي قادم، لكن ألفاريز بدأ يسمّي علماء ألمان ويسأل من منهم استطاع الوصول إلى جانب أيزنهاور وباتون (جورج: قائد الجيش الثالث)، ومن علق في الشرق وأمسك به الروس على ما يبدو. بعد انقضاء ثلثي اللائحة تقريباً، رفع عالم الفيزياء يداً وقال: «لا تقلق. ألماننا أفضل من ألمانهم».

«وماذا تظن أن الأمر سيعني لنا إذا استولى الروس أو الصينيون على اليابان قبلنا؟».

قال عالم الفيزياء: «إذاً، يجب ألاّ نسمح بحدوث ذلك. بحلول هذا الوقت، آمل أن يكون ساغين ونيشينا قد استلما رسالتنا. إذا حدث ذلك، فأنا واثق أنهما ذكيان كفاية ليعرفا ما يعنيه استسلامٌ متأخر لليابان. إذا لم يستلماها، فعندها، لن يكون وقوعهما في أيدي دولة أخرى ببساطة خياراً. يجب أن نصل إلى هناك بسرعة، ونُخرج هذين العالمين حيين أو ميتين».

بحلول ذلك الوقت، وحدهم ألفاريز ومجموعة منتقاة من علماء الفيزياء والقادة العسكريين، إضافة إلى الرئيس ترومان، كانوا يعرفون أنه لم تبقَ إلا قنبلة ذرّية واحدة في كل العالم.

خارج المقصورة، كان كل أفراد فرَق بي - 29 الآخرين تقريباً يظنون، بعد أن استمعوا إلى بيان ترومان، أن عدداً آخر على الأقل من تلك القنابل موجود فعلاً وينتظر إيصالها إليهم.

في المطعم العسكري، كان جوٌّ من الفزع والخوف يسيطر على المكان كلما نوقشت أوضاع الجبهة الروسية التي تتسع بسرعة: من أوروبا الشرقية عبر منشوريا، ونحو اليابان. كان الاتفاق الأخير بين تشرشل، وروزفلت، وستالين قد حدّد معالم إعادة بناء الدول المهزومة، وفيها سياسة إعادة سيادة كل الدول إلى شعوبها. كان يُنظر إلى استيلاء الروس على السلطة على أنه فعل خيانة مروّع.

Twitter: @alqareah

كان لا بد من إيجاد حلٍّ سريع يتضمّن الإجهاز على اليابان في أسرع وقت ممكن باستخدام قوة نووية، ثم الانتقال إلى روسيا مع القوة نفسها.

لم تكن القنبلة الذرّية الثانية قد انفجرت بعد فوق ناغازاكي، وكان المحاربون الذين اشتركوا في أول مهمة نووية شهوداً آنذاك لأصدقاء ألقوا أبصارهم ما وراء اليابان نحو روسيا، وأطلقوا أول مرة عبارة «اضربوهم بقنبلة ذرّية». هزّ الألماني فان كيرك، ملاح بول تيبتس، رأسه غير مصدق ذلك. بعد نحو ستين سنة، كان لا يزال يهزّ رأسه، وقال لمنتج أفلام: «يكون لديك دائماً أولئك الحمقى الذين يقولون: آه! يجب أن نُلقي قنبلة ذرّية على العراق. لا يعرف ذلك الأبله الغبي ماهية القنبلة الذرّية حقاً. لو كان يعرف، ما كان ليقول ذلك».

لم يكن أحد خارج تينيان يعرف، في 8 آب 1945، ما يعنيه «اضربوهم بقنبلة ذرّية» حقاً. حتى الرجال الذين شاركوا في مهمة هيروشيما وشاهدوا مدينة تتحول إلى أنقاض لم يكن في مقدورهم أن يضعوا معياراً لفهم ما جرى على أكمل وجه. لم يكن أحد يفهم حقاً ما جرى إلا على الأرض فقط، في هيروشيما نفسها.

عندما كبر، حاول كيجي ناكازاوا أن يخبر العالم - بدءاً بحكايات بعنوان **رأيت ذلك** - أن كل شخص يجب أن يبدأ الإصغاء وفهم ما جرى، في حين لا يزال هناك وقت.

أكثر ما علق في ذهنه، بعد يوم من الحادثة، هو أنه كان يجري عبر الدخان والجمرات فعثر على والدته تحاول عبثاً أن تحفر بيديها طريقاً بين الألواح والعوارض الخشبية نحو شقيقه الصغير العالق تحت منزل مدمّر يحترق. تذكر كيجي شقيقه يصرخ: أمي، المكان حارٌّ، حارٌّ جداً! وآنذاك، في اليوم الثاني بعد القنبلة، اكتشف أن الكائنات الوحيدة التي نجت ولا تزال تتحرك في هيروشيما كانت الذباب، إذ كان يحوم

Twitter: @alqareah

فوق الموتى. قال لمؤرخ في ما بعد: «كان مكاناً بائساً، مليئاً بجثث الموتى. تشعر في البداية بأن لا حول لك ولا قوة، ثم تصبح خدراً ولا تحسّ بشيء».

كان ناكازاوا شاهداً ومؤرخاً استثنائياً، نجا من وميض القنبلة والانفجار. في الوقت المناسب، سيكسب الفتى ناكازاوا لنفسه لقب «الجنرال حافي القدمين» ويجسّده. سيتضمن تاريخه لذلك النوع - أحياناً بطريقة متناقضة أو مركّبة - قصص كيجي ناكازاوا ووالدته، وكل ناجٍ آخر أثّر في حياتهما. كان بحاجة إلى سرد القصة كاملة وقتاً طويلاً - عبر كتب، ومقالات، ورسومات، ومقابلات متعددة - كأنه عندما يتذكر كل مشهد دمار من هيروشيما، يستطيع إطلاق زفير أمل إلى العالم.

سيتحول تدّفق ذكريات ذلك الجنرال عن هيروشيما في نهاية المطاف إلى شيء يشبه تقنية تأمل بوذا، التي تُدعى **الأخذ والعطاء**. كان في مقدوره استيعاب الغضب، والأيتام، ورائحة عربات القطار المحترقة الكريهة، وقسوة الناس الذين يحلمون بإلقاء ألف قنبلة ذرّية أخرى على العالم وفهم ذلك كله. ثم، عندما يُخرج ذلك في أعماله الفنية وكتاباته، يدعو من الله أن لا يبقى إلا عبرة الأمل، وتسامح البشر، وكره الناس الحربَ في الأثير. وصف أحد حكماء بوذا الطريقة بالقول: «أستوعب في جسدي كل تلك الأشياء السيئة، ثم أستبدل بالسموم هواءً جديداً؛ أخذٌ وعطاء».

قال الفتى الذي دعا نفسه الجنرال بعد ستين سنة: «كنت في السادسة من العمر. أتذكر كل تفصيل. لو كان علي أن أصنع فيلماً منها، لفعلت». وهكذا، أخبر العالم كيف أن جداراً إسمنتياً على طرف ساحة مدرسته قد حماه من الوميض، وكيف أن قطعة نقدية سقطت منه في اللحظة المناسبة تماماً قد أحدثت كل الفرق بين الحياة والموت.

انحنى كيجي، «الجنرال حافي القدمين» من هيروشيما، ليلتقط قطعة نقود. كان قريباً على نحو كافٍ حتى لا يسمع الانفجار؛ أن يرى

Twitter: @alqareah

فقط ما حدث. على شعاع سبعة أبنية سكنية فقط، نزل الضوء بزاوية نحو 45 درجة. وباستثناء بقعة صغيرة على رأسه، حمى الجدار الجنرال الصغير تماماً، لكن قوة الإشعاع برمّتها أصابت فتاةً أكبر سناً كانت تتكلم معه. في أثناء أول ثانية أو اثنتين، غشا الوهج كل شيء، وبدا أن حي الجنرال برمّته قد اختفى ببساطة. بعد ثانية من ذلك، كان الضوء يتلاشى وبدأت التفاصيل تعود إلى عالمه. شعر كأنه قد توارى لحظة في مكان آمن خالٍ من المعالم وأُعيد فجأة مجدداً إلى أرض غريبة ومتغيّرة. كان وجه الفتاة الأخرى وذراعاها قد تحلّلت عندما مسّتها الأشعة، وعمود من دخان أسود كثيف يخرج من رأسها. إذا صرخت، فلا بدّ من أنها كانت صرخة صامتة. كانت موجة الانفجار صامتة على نحو غريب أيضاً.

عندما استعاد الجنرال أحاسيسه ونظر حوله مجدداً، كانت الفتاة والمدرسة قد اختفتا؛ مع معظم هيروشيما، على ما يبدو. بدا أن الإصابة الوحيدة التي لحقت به كانت حرقاً واحداً في رأسه. لم يكن يؤلمه كثيراً، لكنه كان شديداً. كان الفرق بين الظل والحرارة التي تحمل الموت معها حاداً مثل نصل سكين، وترك أثراً في الجزء الوحيد من جسد الجنرال الذي لم يكن الجدار يحميه. كان شعره قد تبخّر من كل البقعة التي تعرضت للإشعاع واحترق الجلد تحتها مثل أوراق متفحّمة حتى عظام جمجمته؛ كأنها تعرّضت لضربة من سيف ضوئي.

آنذاك، في اليوم الثاني بعد القنبلة، كان الجرح يتقيح وعرف الجنرال أن والدته وشقيقة رضيعة هما الفردان الوحيدان من أسرته اللذان بقيا على قيد الحياة. عندما ذهب إلى ثكنات الجيش المدمّرة خلف ما كان يُعرف سابقاً بقلعة هيروشيما، قوطعت مهمة الجنرال التي كلّف نفسه بها للعثور على طعام لوالدته بنوبات مفاجئة من الغثيان تناوبت مع قشعريرة وحمّى. شعر الجنرال أولاً أنه مريض، ثم أُصيب بالمرض فعلاً. عندما رفع يده ليبعد مجموعات من ذباب مزعج عن

Twitter: @alqareah

رأسه، اكتشف الجنرال أن شعره يتساقط على ما يبدو، وفي أثناء بضع دقائق فقط ظهرت عليه أعراض الإشعاع وانهار ببساطة قرب كومة من الجثث وغطّاه الذباب.

أنقذه جندي؛ بينما كان يستلقي مغشياً عليه، مرّت فرقة تنظيف وكوّمت كل الجثث معاً من أجل حرقها، ورمت الجنرال الصغير على القمة. لاحظ الجندي، الذي سيعرفه الجنرال باسم «السيد» فقط، أنه لا يزال يتنفس، وسحبه بعيداً عن الكومة قبل أن يُحرق حياً.

بدا أن بضع رشفات ماء من قِربة قد أنعشت الجنرال. كان مرض الإشعاع متقلّب الأطوار، فأعراضه تظهر مثل الصاعقة وتختفي بالسرعة نفسها. منح السيدُ الجنرالَ بعض الطعام من أجل والدته وقرّر مرافقته إلى ما كان منزله بين الأنقاض. لكن على الطريق، فاجأ المرضُ السيدَ، وانهار من دون سابق إنذار. تغير دورهما بسرعة كبيرة. آنذاك، كان الفتى يحاول مساعدة الجندي على الوقوف والمضي قدماً إلى الأمام، بدلاً من العكس.

كان السيد يعرف أن مستشفى الاتصالات لا يزال يستقبل المصابين، على بعد مسافة قصيرة فقط من أساسات القلعة. لم يكن أمامهما إلا ستون أو سبعون متراً يقطعانها فقط، لكنها أصبحت رحلة طويلة. كانت أشعة الشمس لاهبة والرطوبة نحو 100 بالمئة؛ وبالرغم من ذلك كانت أسنان السيد تصطك وادّعى أنه يتجمّد حتى الموت. قبل ثلاثين متراً من المستشفى، فقدَ الجندي السيطرة على أمعائه؛ وبعد عشرة أمتار، بدأ يتقيأ شيئاً أسود. حاول الجنرال أن يسحبه الأمتار القليلة الأخيرة، وتلقّى توبيخاً من أول طبيب يصل إلى المكان؛ لأنه أحضر إليه رجلاً ميتاً.

قال جين: «لا. إنه ليس ميتاً!».

سأل الطبيب: «هل كان يعاني إسهالاً؟ وهل قال إنه يشعر بالبرد؟».

«نـ... نعم».

«إذاً، فقد احتضر بالطريقة نفسها التي مات بها كثير من الناس،

Twitter: @alqareah

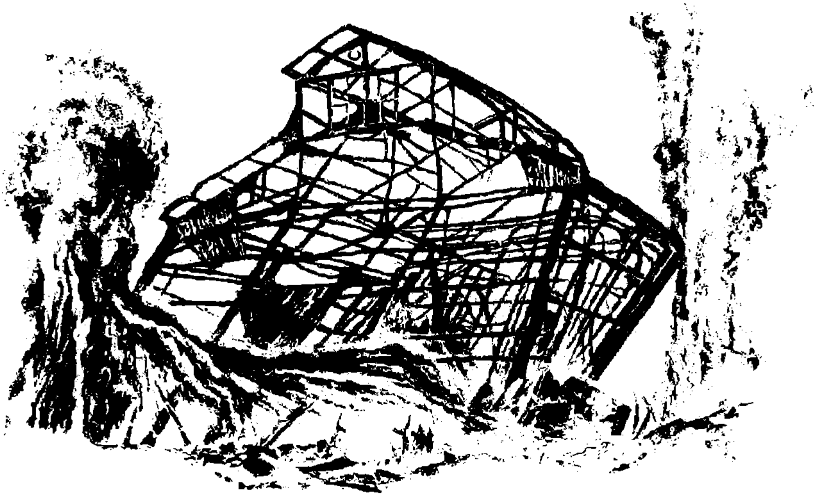

في أثناء أول دقيقة بعد الانفجار، على سطح الأرض التي ارتفعت درجة حرارتها إلى أضعاف درجة غليان الماء، بدأت الديدان النارية التي طاردت إيزو نومورا وأسرة ساساكي ترتفع بشكل مريب. (سي - أر - بي)...

بالرغم من أنهم بدا عليهم أنهم نجوا من بيكا - دون».

«لكن لماذا؟».

هزّ الطبيب رأسه وبدأ يمشي مبتعداً. تمتم: «لا أعرف».

في الوقت نفسه تقريباً الذي توفي فيه منقذ الجنرال، وصل رجل سيدخل التاريخ بصفته الناجي الأقرب إلى مركز الانفجار يعاني الأعراض نفسها، والتي كان الجنرال قد قرّر ألا يدع والدته تلاحظها. عندما انشقّت السماء، كان إيزو نومورا يبعد مسافة قصيرة جداً عن قبة هيروشيما، في قبو قاعة اتحاد التقنين في المدينة. بالرغم من وجوده تحت الأرض، إلا أنه شعر بالوميض؛ وتعرّضت القاعة كلها لضربة ساحقة.

تلمّس السيد نومورا طريقه إلى خارج المبنى المنهار، وخرج إلى أرض لم تكن تبعد أكثر من 100 متر (328 قدماً، أو مبنى سكني واحد)

Twitter: @alqareah

عن مركز الانفجار. وقف على رصيف ساخن بما يكفي ليحرق نعلي حذائه، وشعر بأن الأرض قد اختفت من أمامه وأنه في مكان جديد غريب. لم يكن تخمينه غير صحيح تماماً؛ كان ركن نومورا الصغير من كوكب الأرض قد اختفى في الواقع، وأصبح معظمه في الطبقة العليا من الغلاف الجوي. الذي جرى أن تلك البقعة الصغيرة من عقارات هيروشيما قد تحولت إلى شيء غريب جداً لم يسبق له مثيل، وأنه في المستقبل ستصبح أساسات وهيكل قاعة اتحاد التقنين الذي بقي سليماً على نحو لا يُصدّق موقعاً لدار راحة، قرب متنزه السلام التذكاري في المدينة.

عندما نفض نومورا الغبار عن نفسه ونظر إلى الأعلى، كانت السماء سوداء بالدخان، وبدا أن شرارات نارية تمطر من كل مكان. على جانبه من جسر موتوياسو، لم يكن قد وجد شخصاً أو شيئاً حيّاً، إلا إن كانت حركات مزاريب الماء والديدان النارية التي تشبه الأفعى تعد شيئاً ينبض بالحياة. في نظر السيد نومورا، كانت تتحرك وتتصرف مثل مخلوقات واعية، تتقدم بخطوات عملاقة من ضفة النهر المقابلة وتطارده بعيداً عن الجسر وتحت الماء، حيث حبس أنفاسه حتى شعر بألم فظيع. عندما صعد أخيراً إلى السطح وملأ رئتيه بالهواء، وأبعد الشعر والماء عن عينيه، كانت الديدان تتحرك بعيداً عنه، وشعر بابتهاج لأنه نجا، لكنه كان قد بدأ يشعر أيضاً بأول أعراض مرض الإشعاع يسري في جسده ويبدأ بقضمه، مثل عضات من أسنان ألف جرذ صغير.

بعد يومين، لم يكن هناك عدد كافٍ من أطباء وممرضين أصحاء لمساعدة السيد نومورا، أو أي شخص آخر. كانت كل الأدوية قد نفدت، ولم تكن هناك مجاهر تعمل ويستطيع الأطباء استخدامها لوضع تشخيص أوّلي عن طبيعة المرض الذي أصاب نومورا والجنرال، وقتل السيد.

كان المبنى الذي وصل إليه نومورا أخيراً يبعد 1500 متر فقط

Twitter: @alqareah

عـن مركـز الانفجـار. كان معظم طابقه الثاني قد دُمِّر واحترق، في حين أن الطابـق الأول لا يـزال سـليماً إلـى حـدٍّ مـا، بعـد أن تكوّنـت حولـه شـرنقة حمايـة مـن الصدمة خلف قلعة هيروشـيما. كان أحد المديرين، د. ميشيهيكو هاشيا، مريضاً في المستشفى الذي يعمل فيه.

كان د. هاشـيا أحـد المشـاة – النمل الذيـن رآهـم إسـاو كيتـا مـن محطـة الأرصـاد الجويـة. في اليوم الأول، تجوّل محترقاً ومنهكاً وعارياً بيـن تيـارات صاعدة وهابطة عنيفة جداً.كانت ألواح من سـقوف معدنية تطنّ وتدور فوق رأسه، وقطَع من أشجار محترقة تهبط من السماء مثل طيور سـنونو نارية. تذكر الطبيب على نحو مبهم أنه رأى طيوراً تموت على الأرض عند قدميه الحافيتين، وأن أجنحتها وريشها محترقة. وتذكّر بوضوح أنه تبع صفاً من الناس العراة مثله، وقد تسـاءل ذاهلاً عن قوة الطبيعة التي جرّدتهم من ملابسهم.

لـم يتذكّـر الطبيـب الكثيـر أيضاً عن السـاعات الثمانـي والأربعين السـابقة. معظـم الوقـت الـذي فقد فيه رشـده كان يُصـاب بحمّى وينام ثـم يصحـو. بعـد ظهيـرة 8 آب، لم يكن يريد شـيئاً فـي العالم أكثر من النهـوض عـن الأرض والبـدء بمسـاعدة المرضى الآخريـن، لكن رئيس قسم الجراحة د. كوتسوبي قال: «أنت نافد الصبر. يجب أن تكون شاكراً لأنك ستعيش».

لم يكن قد خطر له أنه اقترب كثيراً من الموت.

سأل هاشيا: «هل كانت حالتي سيئة جداً؟».

رد كوتسوبي: «كنا جميعاً قلقين بشأنك»، وشرح أنه قد نزف دماً كثيراً وتعرّض لأربعين جرحاً. كان السيد إيغوشي، سائق سيارة الإسعاف، قد جهّز غرفة عمليات مؤقتة بتجميع مصابيح سـليمة ووصلها معاً إلى واحدة من مدّخرات شاحنة عدّة لا تزال تعمل؛ بهذه الطريقة، كان ممكناً علاج د. هاشـيا ونحو سـتين مريضاً آخرين – وفيهم «الناجي الأعجوبة» إيـزو نومورا – حتـى فرغـت آخـر المدّخرات. بينما كان كوتسـوبي يخبر

Twitter: @alqareah

هاشيا بما كان قد جرى في اليومين الماضيين، لاحظ الطبيب الذي تحول إلى مريض أن يدي الجرّاح كانتا محترقتين بشدة.

أثارت ضوضاء خارج النافذة انتباههما لمريض كان د. كوتسوبي قد نسي ذكره.

تذكّر هاشيا أنه كان يسمعه، من وقت إلى آخر في أثناء نومه الطويل والمتقطّع، يكبو في الحديقة. نظر هاشيا عبر نافذة محطّمة بدا أن إطارها الفولاذي قد اقتُلع من أساسه، ووضع المريض أنفه على الإطار المكسور.

سأل هاشيا: «هل تم إطعامه؟».

جاء الرد: «لا تقلق يا دكتور. هناك كثيرٌ من أوراق البطاطا في الحديقة، لهذا لا أظن أنه سيجوع».

كان المريض حصاناً، احترق أحد جانبي جسده كله، وبدا أنه أُصيب في الوقت نفسه بالعمى نتيجة بيكا (الوميض). كان قد جاء يترنح إلى البوابة الأمامية في الوقت نفسه الذي وصل فيه د. هاشيا، وشرح د. كوتسوبي أن قلبه لم يطاوعه بإبعاد المخلوق البائس عن المكان، لهذا وضعه في الحديقة، خارج نافذة الطبيب.

في ما يخص هاشيا، لم يكن الحصان رفيقاً منذ أمدٍ بعيد فحسب لكن وفياً أيضاً. كانت الرفقة تعني كثيراً له كلما استفاق في الليل وتذكّر ما رآه على طول صف النمل وشعر باليأس. في البداية، شعر بالوحدة. كتب لاحقاً أنها «كانت وحدة بهيمية. أصبحت جزءاً من ظلمة الليل. لم يكن هناك مذياع، ولا مصابيح كهربائية، ولا شمعة في الغرفة. كان الضوء الوحيد الذي رأيته هو انعكاس ظلال نيران المدينة المحترقة. كانت الأصوات الوحيدة أنين الضحايا المحترقين ونشيجهم».

في وسط مثل تلك الوحدة، كان هاشيا يسمع دائماً الحصان الأعمى يرتطم بجدار وتضرب حوافره أوراقاً.

بحلول ذلك الوقت، كان المريض قد تناول معظم أوراق بطاطا

Twitter: @alqareah

الطبيب. كانت الحديقة سابقاً ملعب كرة مضرب، لكن المجهود الحربي كان قد تطلّب تحويل كل قطعة متوافرة من الأرض إلى ما تدعى **حديقة انتصار**. أصبح هاشيا سيئ السمعة في كل المستشفى؛ لأنه كان يزرع نباتات فراولة وبطاطا تتميز بأوراق كبيرة ووفيرة، لكن ثمار فراولة صغيرة بحجم الفستق وبطاطا بحجم الفراولة.

رفع د. هاشيا رأسه وسأل: «ألا تظن أننا يجب أن نقتلع البطاطا؟ لا بد من أنها أصبحت كبيرة الآن».

ضحك د. كوتسوبي وممرضته كادو، ولحظةً (وإن كانت لحظة واحدة فقط) نسوا البؤس.

عندما بدأ د. كوتسوبي يشرح كيف أن المرضى يعانون من التقيّؤ والإسهال، وأن المياه غير متوافرة، وغرفة العمليات تعمل على مدخرات تكاد تنفد – وكيف أن الجيش لا يحضر طعاماً إلى المستشفى – بدأت حقيقة جديدة تظهر للعيان، وبزغت بكل قوة الإدراك والفناء المفاجئ: كان رفيق د. هاشيا الدائم قد أصبح المصدر الوحيد للبروتين الذي يمكن للمرضى الاعتماد عليه طوال أيام قادمة.

كانت هاناكو إيتو وزوجها أكيو قد انتظرا هدوء العاصفة النارية قبل أن يندفعا إلى وسط هيروشيما، حيث كان ابنهما هيروشي يذهب إلى مدرسة المتفوقين في الإقليم. كانت المدرسة قفراً من الرماد والآجر المحطّم، والعلامة المميزة الوحيدة عنها حوض سباحة أولمبي، لجأ إليه أكثر من مئتي شخص؛ سعياً إلى النجاة من ألسنة اللهب. كانت الجثث مسلوقة ومنتفخة، ويبدو أن وجوهها قد احترقت قبل أن يبدأ السلق.

بحلول الوقت الذي عرف فيه تشارلز سويني أنه سيفعل ذلك مجدداً، واندفاعه تحت جنح الظلام بحثاً عن قس، كان السيد والسيدة إيتو قد رأيا ما يكفي. كان هناك جنود يتحركون ذهاباً وإياباً في صمت وذهول، يسحبون جثثاً – لا يمكن معرفة أيٍّ منها – من حوض السباحة

Twitter: @alqareah

ويكدّسونها في محارق. تبعت هاناكو مجموعة من عربات القطار نحو المنزل، متشبّثةً بذراع زوجها، والضوء الوحيد الذي ينير دربها يأتي من عدد متزايد من محارق مشتعلة على كلا جانبي الطريق. أرشدها ضوء النار، وشيء بلون ضوء القمر.

كتبت شاهدة: «بين المحارق، كنا نستطيع رؤية آثار من فوسفور فضي تتحرك في كل مكان. كانت تبدو لكل العالم مثل أرواح الموتى في كتب القصص القديمة».

ظنّت هاناكو أنها ربما كانت أشباح هيروشيما تبحث عن أحبائها، وتساءلت هل سيأتي هيروشي الصغير بحثاً عنها بتلك الطريقة. عندما وصلت إلى سفح التلة الشرقية، وجدت ابنها حياً، بالرغم من أنه كان مرهقاً تماماً من المحنة التي تعرّض لها.

شرح: «طاردتني النار واضطررت إلى تغطية أذنيّ؛ لأنني سمعت أشخاصاً يصرخون طلباً للعون خلفي». بينما كان يروي حكاية ديدان النار والمطر الأسود، شعر هيروشي بقشعريرة وتقيأ. استُدعي طبيب إلى المنزل لكنه لم يستطع تشخيص أي مرض معروف، ولم يكن ذلك يبدو مهماً؛ لأنه بحلول منتصف الليل بدأت شهية الفتى للطعام تعود، وفي صباح 8 آب كان يشعر أنه بخير ليساعد زملاء شقيقه في الصف الخامس على إنجاز مهمة جديدة وكّلهم بها جهاز الأمن الداخلي.

كانت بلدة إيتو بين بضع مدن لم تردّ الناجين من غير سكّانها على أعقابهم إلى هيروشيما. بدلاً من ذلك، تم إرسال شاحنات وعربات تجرّها الأحصنة غرباً خلف حطام قطار كيديشي لجلب جرحى هيروشيما إلى المدرسة المحلية. بالرغم من حجب إعلان ترومان عن البلدة، إلا أن تسوجيو إيتو كان يعرف من حجم سحابة 6 آب المرعب، ومن الانفجار الذي حطم النوافذ على بعد نحو ثلاثة عشر كيلومتراً، أنه وشقيقه هيروشي شاهدا قنبلة غير عادية. أكّدت حروق الوميض وتقشير الجلد الذي عاناه أشخاص وصلوا في الشاحنات، استثنائية القنبلة بما

Twitter: @alqareah

لا يدع مجالاً للشك.

بحلول عصر اليوم الثاني بعد القنبلة، ملأ 360 ناجياً غرف الصف الصغيرة. عيّن الأمن الداخلي صغاراً لمداواة الجرحى، لكنه لم يقدّم مراهم أو أدوية. قدّم مزارع محلي شرائح خيار رفيعة ونصح الصغار بوضعها على الحروق - كان تسوجيو قد فكّر في مرارة ضمادات خيار على جروح بيكا - دون. بدت مهمة ميؤوساً منها تماماً. كان بعض الناس ينزفون، ويتساقط شعرهم، ويحتضرون بالتأكيد؛ وشعر تسوجيو بنوبة رعب عندما رفع هيروشي قبعة العمل التي يعتمرها وخرج معها معظم شعره ملتصقاً بالقش.

قال تسوجيو لنفسه: لكن الأمر ليس بذلك السوء. لم يكن شقيقه قد تعرّض لأي من الحروق التي بدا أنها تقتل الناجين الآخرين؛ وبالمحصلة، عندما انتهى يوم العمل في المدرسة، شعر هيروشي بأنه على ما يرام ليلعب الكرة، ولم يكن يتقيأ مثل الآخرين، وشهيته للطعام جيدة. إلاّ أنه مات في الأسبوع الثاني من أيلول.

أخبر سوسومو تسونو الطبيبين كويانو أكيزوكي: «يجب أن تتذكرا. يجب ألاّ تنسيا قطّ أن السبب الذي أبقاني حياً لأقول لكما هذا هو أن القنبلة الذرّية منحتكما وقتاً للاحتماء. إذا رأيتما الوميض، فسيكون لديكما ربما ثلاث ثوانٍ لتنبطحا وتتدحرجا وتحاولا الاختباء قبل أن تضرب موجات الصدمة».

كان عميد مستشفى ناغازاكي الجامعي قد جرى مباشرة من قطار هيروشيما إلى الكلية في مهمة تحذير واستعداد أسندها إلى نفسه. بدا أن ما روّعه كثيراً هو موجات الحرارة الشديدة؛ حتى إذا كانت القنبلة تمنح ثلاث ثوانٍ للانبطاح والاحتماء، تحرق تلك الموجات أي شخص يقف تحت الوميض.

حذّر تسونو: «أياً كان الذي تفعلونه، يجب ألا تبقوا ساكنين

Twitter: @alqareah

من دون حراك، تنظرون حولكم. كانت حروق أولئك الذين انبطحوا مباشرة ووجوههم إلى الأرض، وفي ظلٍّ خلف جدران أو في قنوات ري، معتدلة نسبياً».

تابع تسونو كلامه ووصف، في درسٍ كان المستمعان إليه سيتذكّرانه ويحفظانه عن ظهر قلب، كيف أن رجلاً كان يجلس في محطة القطار، يقرأ صحيفة، نجا ولم يصب إلا بنمطٍ من الحروق يشير إلى أن الورق الأبيض عكس وهج بيكا وحمى وجهه والجزء الأعلى من جسده - وإبهاميه - بالرغم من أن أصابعه التي كانت تلتف حول الصحيفة احترقت وذابت معاً. كان الرجل يرتدي بنطال بذلة أسود امتصّ الضوء، فازدادت حرارة الصباغ وحرق الألياف وصولاً إلى أرْبيّته وساقيه.

نقل د. تسونو حالات عديدة عن نساء وأطفال يرتدون ملابس مزدانة بنقوش، تحمل أحياناً أشكال ورود على قماش أبيض. كانت الورود الداكنة قد طُبعت على نحو دائم على جلدهم.

من باب الحيطة والحذر، نصح الطلاب بارتداء ملابس واعتمار قبعات عريضة بيضاء، وتعليق ملاءات بيضاء على كل نوافذ المستشفى. كان العميد يصف كيف أن صحفاً عادية من ورق الكتابة، التي علّقتها مدرّسة على نافذة، كانت كافية لحماية وجه المدرّسة من الوميض. مع اقتراب درسه من نهايته، الذي كان القصد منه التحذير، دخل طالب الغرفة، وكان أكيزوكي يعرف أنه «الشاب فوجي من كلية اللاهوت».

خلص تسونو إلى القول: «بالنظر إلى ما كنت قد رأيته من هذه القنبلة الجديدة، أشعر واثقاً أنه لن يكون كافياً أن تتخذوا التدابير المعتادة من غارة جوية وأن تكونوا ببساطة على استعداد عندما تسمعون طائرات العدو تقترب. يجب عليكم جميعاً - وطلابكم خاصة - أن تكونوا أكثر حذراً من ذي قبل وتستعدوا للأسوأ».

بينما كان د. تسونو يتكلم، كان غضبه يزداد حدّة، وبدا أن ذلك

Twitter: @alqareah

ينتقل إلى غيره. قال: «ما كان مدينة تحول الآن إلى قفر أجرد أصفر ضارب إلى الحمرة». أصبح صوته أجشَّ حين سرد قصة الفتاة الصغيرة التي كانت قد حاولت مساعدة رجل ينادي طلباً للماء. طلب منها، جالساً على عمود خشبي، أن تساعده على الوقوف والسير إلى النهر. كان كل جانب وجهه من جهتها أسودَ بعد أن حرقه الوميض. كان الخشب خلفه قد احترق واسودّ أيضاً، وعندما أمسكت يد الرجل وساعدته على الوقوف، رأت أن ظلّه كله بقي مطبوعاً خلفه على الخشب، مثل صورة باهتة على فيلم سلبي.

شرح العميد تسونو قائلاً: «إنّ ذلك كان على بعد أقل من كيلومترين من مركز الانفجار»، وأضاف أنه لم يكن ليصدّق الحكاية التي سردتها الفتاة لو أنه لم يرَ مثل تلك الأشياء المرعبة بأمّ عينيه.

على بعد ذلك الشعاع نفسه من بيكا، كانت أوراق أجمة خروع وأغصانها قد تناثرت تماماً قرب أنقاض جسر ميجي. كان عمود الهاتف خلف الأجمة قد احترق تماماً وتحول لونه من بني فاتح إلى أسود متفحّم؛ وبالرغم من ذلك كانت كل قطعة من الأوراق المتناثرة تعيش على ظلٍّ بني فاتح في ذلك السواد. كان ساق نبات الخروع لا يزال موجوداً، لكنه أصبح كتلة صغيرة سوداء من الحطب. في مكان أقرب إلى قلعة هيروشيما - التي «اختفت ببساطة» - عبر تسونو جسر ميساسا، وهناك رأى دراجة هوائية تستند إلى حاجز الجسر الحديدي، وراكبها المتفحّم الذي تحوّل إلى هيكل عظمي لا يزال عليها. قال تسونو، محاولاً استيعاب أمر لا يمكن تفسيره، إنه قد بحث عن ظل الرجل، لكنه لم يعثر عليه.

عند ذلك، خرج طالب اللاهوت من الغرفة مسرعاً، وجرى د. أكيزوكي خلفه. كانت حبيبة الطالب ووالدها يعيشان في هيروشيما، وقد استولى الغضب والخوف عليه؛ لأنه حتى ذلك الوقت كان قد صدّق الإعلان الرسمي من طوكيو. رسمياً، كانت المدينة قد تعرّضت لضررٍ

Twitter: @alqareah

بسيط بعد تلقّيها ضربة بسلاح جديد، وقد لقي أشخاص عدّة حتفهم.

صرخ في وجه د. أكيزوكي: «ضرر بسيط. وفقاً لما كنا قد سمعناه للتو، فإن خمسة عشر كيلومتراً مربعاً على الأقل قد احترقت عن بكرة أبيها!».

فهم د. أكيزوكي مباشرة ما كان الطالب يرمي إليه. قال: «لا، يجب أن تبقى بعيداً عن ذلك المكان».

«طالما أن القطارات لا تزال تسير في ذلك الاتجاه، سأحاول. حتى هذه اللحظة، كان كل ما نعرفه حقاً هو عدم ورود أي أنباء من تلك المنطقة. يجب أن اكتشف ما حدث لها».

حاول أكيزوكي إقناعه بالعدول عن رأيه، محذّراً إياه أن مدناً عدّة على طول السكك الحديدية قد تعرّضت لقصف عنيف في الليلة الماضية، وأنه قد يلقى حتفه في طريقه شمالاً إذا استمر القصف تلك الليلة. لكن الشاب انطلق إلى محطة القطارات يحمل حقيبة على ظهره، وقد ذكر د. أكيزوكي لاحقاً: «لم يكن أحد يعرف أن الحظ قد ابتسم له ذلك اليوم؛ لأنه غادر ناغازاكي إلى هيروشيما».

كما دوّن أيضاً، بصفته أحد الأطباء الناجين القلائل في إقليم ناغازاكي، أن أولى مهامّه كانت تتضمن الفرز، مما يعني أساساً القتل الرحيم. كان المستشفى يبعد نحو 1600 متر عن مركز انفجار أقوى بثلاث مرات من القنبلة الذرّية السابقة. كانت تأثيرات عشوائية من شرنقة الحماية من الصدمة قد ارتدت عن التلال، وتركت جدران السور الإسمنتية وطوابق عديدة من المستشفى سليمة على نحو غامض. بالطريقة نفسها، بقي 42 طبيباً، و206 إداريين، و109 ممرضات، و535 طالباً سالمين لم يمّسهم أذى.

سيعزو د. أكيزوكي دائماً نجاته ونجاة آخرين إلى تحذيرات العميد تسونو.

لم يمت العميد، كما عرف لاحقاً، في المستشفى. في لحظة

Twitter: @alqareah

الصفر، كان يسرد حكايته التحذيرية للسلطات العسكرية في مقر قيادة الوالي، في مركز طبي مبني من الخشب، أقرب نحو 1500 متر إلى مركز الانفجار. في أقل من أربع وعشرين ساعة، كان مصير العميد تسونو النجاة في شرنقة حماية ثانية من الصدمة، لكنه كان قريباً هذه المرة لتلقّي جرعة إشعاع قاتلة من بيكا. الغريب أنه بينما حظي تسونو ببضعة أيام إضافية يعيشها، فإن الناس على بعد خمسة عشر متراً منه (أكثر من 49 قدماً قليلاً)، في الغرف الخارجية من المبنى الخشبي نفسه، تبخّروا وأصبحوا جزءاً من الرذاذ الإشعاعي الذي استنشقه أكيزوكي وناجون آخرون.

لم يكن الوالي تيكجيرو نيشيوكا يرغب في شيء لنفسه أكثر من أن يكون موجوداً مع أسرته، قبل أن تتعرض ناغازاكي للدمار نفسه الذي كان قد رآه في هيروشيما. بالرغم من رغبته في رؤية زوجته وصغيره، إلا أن إحساساً بالمسؤولية أرسله مباشرة من محطة القطار في ناغازاكي إلى مكتب الحاكم ناغانو.

لم يكن الحاكم يعرف حتى ذلك الوقت، في عصر 8 آب، إلا أن قنبلة جديدة كانت السبب في فقدان الاتصال مع هيروشيما، وأن ذلك حدث نتيجة تأثير نبضات عطّلت شبكات الإرسال. قيل إن القنبلة قد قتلت مئات الأشخاص وألحقت أضراراً ببعض المباني إضافة إلى الشبكة الكهربائية. كانت تهديدات الرئيس الأميركي بتدمير شامل، وفقاً لمستشاري الحاكم ناغانو العسكريين، مبالغاً فيها كثيراً. ثم دخل الوالي نيشيوكا المكتب مسرعاً، ووصف أعاصير من نار ترتفع من بحر ألسنة لهب يسد الأفق... وأشجاراً ضخمة سقطت نتيجة الانفجار على شعاع كيلومترات عدّة... ومبانيَ وجسوراً فولاذية اقتُلعت من مكانها وسوّيت بالأرض.

سأله الحاكم إن كان يصف شيئاً رآه فعلاً، أو شائعات قيلت له.

Twitter: @alqareah

قال نيشيوكا: «رأيت ذلك فعلاً. كلّ من كان على متن القطار معي رأوا ذلك، وهم يخبرون الجميع عنه».

بدا الحاكم أكثر اهتماماً، في تلك اللحظة، بانتشار القصة من الحقائق الفعلية خلفها؛ وعندما أدرك نيشيوكا ذلك، طلب من ناغانو ألا ينقل عنه ما رآه. كان نشر «قصص سيئة» و«شائعات عن الهزيمة» يعد اتهامات بالخيانة لا تهدّد الوالي بعقوبة عسكرية فقط وإنما أسرته كلها أيضاً.

قطع ناغانو لنيشيوكا عهداً بألا يخبر أحداً، وأثبت أنه كاذب في اللحظة التي خرج فيها الوالي من الباب. استدعى مباشرة مسؤولي الشرطة والحكومة وأخبرهم بما كان الوالي قد كشفه له. فهم كلٌّ منهم التلميح من نبرة صوت الحاكم ناغانو وتعبير وجهه، وشعر بالخوف والحاجة إلى الاستعداد، بدلاً من ردّ الفعل القديم المعتاد بالانتقام من المراسل.

في سنوات قادمة، سيندم الوالي لأن مراسم الرقابة على حالات الوفاة قد أرغمته على حصر تقريره بأذني الحاكم فقط. سيكبر نيشيوكا قبل الأوان، ويعرف أنه لو سُمح له أن ينشر ما كان والعميد تسونو يعرفانه في الصحيفة التي يملكها، لربما كان من الممكن إنقاذ حياة آلاف لا تحصى من البشر.

من مكتب الحاكم، ذهب الوالي مباشرة إلى الموقع الذي كان قد اختاره لإخفاء أضخم المولدات والمطابع وأعظم الكنوز الوطنية. كان معه مسؤولو شرطة الوالي ورئيس توكو، الشرطة العسكرية السرية الخاصة في اليابان. كانت ستُخزَّن، مؤقتاً، معدّات أساسية وكنوز في مخبأ الحاكم الخاص، الذي سيصبح مركز إدارة الأزمات الأخير، والمنيع نظرياً. كان سيتم حفر نفق طويل يسمح بنقل معدّات ثقيلة على شاحنات إلى تجويف تحت تلة ضريح غوكوكو. كان المكان يقع خارج مركز الانفجار الآتي، في منطقة ستتلاقى فيها موجات الضغط وترتد

Twitter: @alqareah

بقوة لا تُبقي حجراً واحداً في مكانه يشير إلى حيث كان الضريح، حتى جغرافية التلة الأصلية ستتعرض فيه إلى تغييرات، فتصبح غير مألوفة.

رتّب نيشيوكا الأمور حيث يلتقي الجميع عند الضريح وتكون معدّاتهم جاهزة؛ على نحو عاجل عند الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، 9 آب.

تدخّل مرض الإشعاع وجعل الوالي يتقاعس عن موعده مع القدر. كان رجلاً موفور الصحة طوال حياته؛ وآنذاك، من حيث لا يدري - من مكان بعيد مجهول - كان يسيطر عليه تماماً غثيان وإرهاق شديد، وشعور أنه ينسلخ من الداخل. تذكّر أعمدة الدخان البركانية المصغّرة التي كانت قد ظهرت قرب منزل المشير هاتا، وكيف فهم حتى وقتها أن عليه الابتعاد عنها، لكنه مشى عبرها بأي حال.

جلس على الأرض آنذاك ورفع بنطاله، ولعن نفسه. تحت الجلد تماماً، ظهرت على ساقي نيشيوكا بقع زرقاء داكنة نجمية الشكل، تصطبغ بلون أصفر على أطرافها؛ كأنه قد أُصيب فجأة بشيء يشبه الناعور.

بتلك السرعة، أصبح شغله الشاغل ببساطة أن يذهب إلى منزله ويبعد أسرته عن ذلك المكان. لم يظن أن في مقدوره قطع مسافة طويلة، لكن لم يكن لديه مكان بعيد يذهب إليه. كان المنزل يبعد مسافة قصيرة سيراً على الأقدام من ضريح غوكوكو، قرب كاتدرائية ماريا للكاثوليك.

سألت السيدة نيشيوكا: «يا الله! أين كنت؟»، حين رأت زوجها مغطى برماد ويبدو متوعكاً ومتسخاً.

ردّ: «لقد كنت في مدينة الجثث. الآن، لا تسألي عن أي شيء آخر. التزمي بتعليماتي إذا أردتِ أن تعيشي».

أمر الوالي زوجته أن تغادر فوراً مع ابنهما إلى قرية إنزين، على بعد نحو ساعتين بالسيارة. ملأ خزان السيارة بآخر كمية تملكها الأسرة من الوقود (كانت مخزّنة منذ أكثر من ثلاثة أشهر)، ورفض أن يسمح لها بحزم أي مقتنيات. كانت إنزين أقل من بلدة؛ لا شيء أكثر من قرية

Twitter: @alqareah

صغيرة وضريح وفي وسط متنزه وطني، وكان ذلك يناسب الوالي تماماً. لم يكن هناك وقود يكفي إلا لرحلة الذهاب، وكان ذلك مُرضياً أيضاً. لم يكن أحد سيستهدف متنزهاً وطنياً، وكان الابتعاد ساعتين بالسيارة، باتجاه واحد، عن ناغازاكي كافياً.

أمر قائلاً: «اذهبي. ارحلي الآن ولا تنظري إلى الخلف!». لم تكن زوجة الوالي قد رأته على وشك أن يفقد رباطة جأشه من قبل. تذكرت السيدة نيشيوكا، التي كانت نصرانية، فجأة تعليمات لوط (عليه السلام) لزوجته.

كان أكيرا أيواناغا، مصمم السفن من هيروشيما، قد ترجّل من قطار الوالي في بلدة تدعى إساهايا، على بعد نحو 29 كيلومتراً شمال ناغازاكي. كان والدا أكيرا يعيشان في إساهايا، وفي أثناء اقتراب القطار منها، أخذ يشعر بأنه مريض جداً ولا يستطيع الانتقال إلى مَسفِن ميتسوبيشي. قرر تمضية باقي اليوم والليلة التالية في منزل والديه، على أمل أن يشعر بتحسّن بعد استراحته القصيرة. بعد الظهر، اكتشف أن ذلك أمل زائف. كان الألم في بطنه يزداد سوءاً، وعندما أصبح ممكناً أن يفقد الوعي من شدّة الألم وقضّ الأرق مضجعه، أدرك أن النوم ببساطة مستحيل.

لم يكن حال تسوتومو ياماغوشي أفضل من أكيرا أو الوالي. كانت ذراعه ووجهه المحترقان منتفخين، وكانت ذراعه تؤلمه، وشعر بحكّة شديدة عند وصوله إلى محطة ناغازاكي. بحلول الوقت الذي اكتشف فيه الوالي نيشيوكا النزيف تحت جلده، كان ياماغوشي يدخل مستشفى شركة ميتسوبيشي طلباً للعلاج. كان قد وصل في أثناء انطلاق إنذار من وقوع غارة جوية، الذي جعل الفريق الطبي يهرب إلى ملاجئ تحت الأرض. كان ياماغوشي يشعر بأنه ضعيف جداً ولم يستطع اللحاق بهم، لهذا تجوّل في أنحاء المستشفى الذي تحول فجأة إلى بلدة أشباح.

Twitter: @alqareah

كانت ذراعه اليسرى متورّمة جداً ويتجمّع فيها سائل، وظنّ أن الجلد سينفجر مثل بالون عند أقل مسّ له. كان اللحم على الجانب الأيسر من وجهه مشدوداً بإحكام لم يستطع معه الصراخ طلباً للعون؛ ليس من دون أن يشعر بألم فظيع. ونتيجة ما سيعدّه لاحقاً عناية إلهية، كان أحد الأطباء قد تجاهل إنذار الغارة الجوية وبقي في الطابق الأرضي. كان طبيبَ عيون يدعى ساتو، وصديقاً سابقاً لتسوتومو ياماغوشي في المدرسة.

كان واضحاً أن صديقه القديم مهتم جداً بالناجي من القنبلة، لكن ما أزعج ياماغوشي أن ساتو لم يتعرّف إليه حتى عرّف عن نفسه. أدرك مصمّم السفن فجأة أن جروحه تبدو أسوأ مما يشعر بها.

اصطحب ساتو ياماغوشي مباشرة إلى مكتب حيث بدأ يعالج الحروق في قسم طب العيون. عندما انتزع د. ساتو طبقةً رقيقة من الجلد الميت عن ذراعه، امتلأ الحوض الذي يحمله ياماغوشي بمادة سائلة وفاض حتى انسكب على الأرض. كان الطبيب صادقاً معه، وصف اللحم تحت «الطبقة الميتة» بأنه «أحمر لامع متغضن مثل لحم حوت». وضع زيوتاً على الحروق وضمّدها. لم يكن متوافراً إلا دواء عيني، والعلاج الوحيد الذي كان في مقدور د. ساتو تقديمه لحروق فروة رأس ووجه صديقه هو قص الطبقات الخارجية من الجلد الميت والشعر المحترق، وتعقيم المنطقة، وتغطيتها بضمادات. لم يفهم أي من الرجلين في ذلك الوقت أن ساتو قد دخل التاريخ، كأول طبيب يعالج ناجياً من قنبلة ذرّية في ناغازاكي.

عندما خرج ياماغوشي من المبنى، حرقت شمس بعد الظهر كل بقعة مكشوفة من جلده، بالرغم من أنها كانت قد بدأت تنحدر في السماء. لحسن الحظ، كان الطبيب قد غطّى وجهه جيداً بضمادات تحميه من الشمس؛ يفسر ذلك جزئياً لماذا أطلقت والدته صرخة بعد أن دخل المنزل، ودعته «شبحاً!».

Twitter: @alqareah

في أثناء علاج ساتو إياه، كانت قصص من قطار هيروشيما قد انتشرت بسرعة في إقليم ناغازاكي، وبدأ والدا ياماغوشي يجهّزان نفسيهما لقبول فكرة أنه قد يكون ميتاً. وبينما كانت أسرته تختبئ في ملجأ في أثناء إنذار غارة جوية آخر، دخل منزل والديه، أشعل شموعاً عند مذبح الأسرة، وتلا أدعيته بصمت. وفي تلك الحالة – وجهه مغطى بضمادات بيضاء ويجلس واضعاً ساقاً على أخرى أمام المذبح وقدماه محجوبتان عن البصر – عثرت عليه أسرته بعد انطلاق صفارة انتهاء الغارة. كما في الأسطورة اليابانية، ليس للأشباح أقدام.

سألت والدته بخوف: «هل قدماك سليمتان؟».

أظهر ياماغوشي قدميه، وطمأنها أن لديه فعلاً قدمين وليس شبحَ ابنها. جاءت زوجته، هيساكو، مسرعة إلى المنزل وأمسكت بذراعه السليمة، وقبّلته كأن شيئاً لم يحدث إطلاقاً لوجهه.

نسي ياماغوشي ألمه وحاول طمأنتها أنه بخير بالرغم من كل الضمادات. كتب ياماغوشي لاحقاً أنه عندما رأى ابنه ينام مطمئناً على شبكة حبال على ظهر هيساكو، «ربتُّ على رأسه بلطف؛ لأنني لم أرغب في مفاجأته بمظهري المضمّد».

أعلنت هيساكو أنهم يمتلكون آنذاك منزلاً جديداً خاصاً بهم، كانت قد اشترته من بعض مدّخراتهم ولم يره زوجها بعد. كان منزل المزرعة الصغير يبعد مسيرة أكثر من نصف ساعة عن منزل والديه، لكنه اكتسب القوة من فكرة أنه عندما يصبح الثلاثة في المنزل وحدهم، يستطيعون الركون إلى الراحة بهدوء. قطع الرحلة التي استغرقت خمساً وأربعين دقيقة مترنحاً ولكنه سعيد.

كان المكان صغيراً، لكنه مبني على نحو جميل من الخشب القاسي. كانت هناك شرفة تَسَع لشخصين، يستطيع ياماغوشي وزوجته النظر منها عبر النهر في اتجاه كاتدرائية ماريا وتلال يوراكامي. بأي حال، لم ينعم ياماغوشي بوقت الأسرة الهانئ الذي كان يتمنّاه. كما

Twitter: @alqareah

هي حال معظم أسر ميتسوبيشي، كانت أحياء السكن التي يتم تشييدها لهم تقع على مقربة من المِسفَن ومكاتبه. كان الجميع يعرفون أن ذلك يعرّضهم لخطر أن يلقوا حتفهم، إذا جاءت قاذفات بي - 29.

قبل أسبوع فقط، كانت دراسة خرائط عدّة قام بها كهنة قد كشفت أن كل مدينة ذات أهمية قد دمّرت تماماً، واحدة تلو أخرى نتيجة غارات القصف. لم يكن قد بقي سالماً إلا منطقة وحيدة في طوكيو يقع فيها القصر الإمبراطوري، ومركز كوكورا الصناعي، وكيوتو، وناغازاكي، وهيروشيما. لم يعد هناك آنذاك إلا منطقة القصر، وكوكورا، وكيوتو، وناغازاكي. توقع أولئك الذين كانوا يدركون الوضع - منهم آل ياماغوشي وجيرانهم - أن تترك غارات بي - 29 القصر وإمبراطوره سالمين؛ لأن فيه الأمل الوحيد بانتزاع استسلام من اليابان. كان ذلك يعني بنسبة واحد إلى ثلاثة أن ناغازاكي ستكون التالية.

منذ اللحظة التي وصل فيها تسوتومو ياماغوشي وهيساكو إلى منزلهما مع ابنهما، بدأ الجيران يتوافدون إليهم، راغبين في معرفة ما كان السيد ياماغوشي قد رآه في هيروشيما. كان لا يزال يشعر بالغثيان والإرهاق وحرارته تزداد، لكنه قرّر الإجابة عن كل سؤال، وتقديم نصيحة: «ارتدوا ملابس بيضاء لأنها تعكس شعاع الحرارة. الثياب السوداء تلتقط النار بسهولة. أبقوا كل النوافذ مفتوحة؛ لأنه إذا علقت شظايا الزجاج في الجسد، تصبح المعالجة صعبة جداً. وإذا رأيتم بيكا، يجب عليكم في تلك اللحظة تحديداً الاختباء خلف شيء صلب».

كان يأمل ألا تكون نصيحته لجيرانه ضرورية. رجا الله ألا يلحق به الوميض الأبيض والسحابة السوداء إلى ناغازاكي. كان يأمل، لكنه لا يظن ذلك حقاً.

بعد إبعاد زوجته وابنه إلى غابة إنزين، جمع الوالي نيشيوكا أكبر عدد وثائق يستطيع حملها من مكتبه، طلب من رجاله وضع

Twitter: @alqareah

بعض الوقود في شاحنة عسكرية صغيرة، وانطلق نحو إنزين. بعد أن قطع 33 كيلومتراً، نفد الوقود وتوعكّت صحّته بمئات الخثرات الدموية السوداء الصغيرة. وقف الوالي بصعوبة على قدميه ومشى بخطوات مؤلمة مترنحة الكيلومترات المتبقية إلى خان عتيق يطل على البحر.

فكّر في قرارة نفسه: أنا أحتضر، ثم أبعد الفكرة عنه. لم يكن سيدع نفسه يموت حتى يرى زوجته وابنه مجدداً. كان يأمل أن تكون إنزين بعيدة كفاية لهما، لكنه لم يكن واثقاً بذلك. كانت حالته إثباتاً كافياً على أن المرء يجب ألاّ يكون قريباً جداً من قنبلة ذرّية حتى يُصاب بجروح ويتسمم منها. كانت الحقيقة المؤكدة الوحيدة في ذهنه أن هيروشيما ليست النهاية، وأن ناغازاكي ستكون التالية.

على تينيان، عرف تشارلز سويني في اجتماع بعد الظهر أن المصانع العسكرية في كوكورا ستكون الهدف التالي. كانت كوكورا محاطة بمدافع مضادة للطائرات، وأحد المواقع القليلة الباقية التي لم يُسيطر على أجوائها. كانت شبكة واسعة من المهابط والمقاتلات الاعتراضية لا تزال موجودة هناك.

في حالة مستبعدة، بالنظر إلى ظروف الطقس السائدة، وحجب سحب كثيفة رؤية كوكورا، تصبح ناغازاكي الهدف الثانوي.

كان سويني يأمل أن يكون الهدف كوكورا. بعد أكثر من أسبوع من الدراسة المكثّفة، أصبح يعرف الشوارع والأبنية في كلا المكانين كما يعرف تخطيط بلدته. تقع ناغازاكي وبلدة يوراكامي المجاورة في وسط وادٍ سحيق. وفقاً لألفاريز، سيكون الانفجار وتأثيرات الارتداد أقوى ما يمكن إذا تم تفجير القنبلة فوق السهل المنبسط قرب مصانع ميتسوبيشي لإنتاج الطوربيدات ومنشآتها لصيانة الغواصات. كانت المناطق التجارية والسكنية في وسط ناغازاكي تقع أيضاً في منطقة التأثير الأعظم نفسها،

Twitter: @alqareah

ووفقاً لما كان سويني يعرفه، ستكون الإصابات بين المدنيين في ناغازاكي أعلى من هيروشيما.

وهكذا عقد سويني العزم على إيلاء الأمر كل جهد يستطيعه من أجل إلقاء حمولته على كوكورا. كانت لديه شكوك، بأي حال، في أن القنبلة ستصل إلى ذلك الحد. كان سويني يعرف بشأن أعطال الصمام الكهربائي التي، في حال وقعت في قنبلة محشوّة بالبلوتونيوم، ستطلق غضب ألف شمس تحت جسد بي - 29 مباشرة. تمنّى أن يكون فريق ألفاريز قد توصل أخيراً إلى حلٍّ للمشكلة.

كانت قنبلة البلوتونيوم أكبر حجماً بمرات عدّة وأكثر تعقيداً من أداة يورانيوم هيروشيما، ولا يمكن تلقيمها بالذخيرة في الطائرة، ويجب تجهيزها قبل أن يتم إغلاق أبواب حجرة القنابل عليها.

كان قد تم تركيب أربعة أنواع من الصواعق آنذاك؛ مع صمامين لكل نوع، مما لا يدع مجالاً للمصادفة. وُضع حسّاسا هواء مضغوط معدّان لتحرير صماميهما على ارتفاع 1890 قدماً. سيحترق الصمامان الموقوتان بعد ثلاث وأربعين ثانية من إطلاق القنبلة، وستكون قد هبطت آنذاك من ارتفاع 30.000 قدم إلى نحو 1890 قدماً. سيُربط الصمامان بأداة ترسل موجات لاسلكية إلى الأرض وتسجل زمن ارتدادها، حتى ارتفاع 1890 قدماً. إذا فشلت أول ثلاثة أزواج من الصواعق واستمرت القنبلة في الهبوط إلى أقل من 1890 قدماً، سيفجّر الصاعقان الأخيران، الموجودان على مقدمة القنبلة، نواة البلوتونيوم ويطلقان سلسلة التفاعل في أثناء جزء من مئة مليون من الثانية، قبل أن يُلحق التأثير نفسه ضرراً بالقنبلة.

كان صاعقا الملاذ الأخير هما ما يقلق تشارلز سويني. كان اهتزاز قوي واحد على مدرج كفيل بتحويل الجزيرة كلها إلى رماد.

كان يفكّر في ذلك، تحت القنبلة نفسها، حين ظهر الأميرال ويليام بورنل خلفه وسأل: «بنيّ، هل تعرف كم كلّفت تلك القنبلة؟».

Twitter: @alqareah

رد سويني: «لا يا سيدي».

قال بورنل: «ملياري دولار».

قال سويني بعد أن أطلق صافرة خافتة: «حسناً، تلك أموال طائلة يا سيدي».

«وهل تعرف تكلفة طائرتك؟».

«أكثر من نصف مليون دولار قليلاً يا سيدي».

أومأ الجنرال بحزم، وقال: «سأقترح أن تتذكر هاتين القيمتين النسبيتين في هذه المهمة».

كان آخر قطار يصل ناغازاكي يغادر آنذاك محطة هيروشيما. كان صانع الطائرات الشراعية الماهر موريموتو وثلاثة من مساعديه - دوي، وشينجي، وماساو - يسافرون معاً في العربة نفسها، وقد نجوا جميعاً من قنبلة هيروشيما من دون إصابات ظاهرة، لكن موريموتو يحاول مقاومة غثيان متواصل، ودوي يتصبب عرقاً، وقد اشتكى في الوقت نفسه من نوبات قشعريرة متقطّعة.

في عربة أخرى من القطار، كان ناجٍ يدعى كونيوشي ساتو يجلس قبالة شخص شاحب اللون يتصبّب عرقاً مثل دوي. سيتذكر كونيوشي بعد أكثر من عقدين أن المسافر المجهول كان يضع آنية مغطاة بقطعة قماش على حجره، ويراقبها بحرص شديد؛ كأنها مليئة بذهب.

سأل كونيوشي: «ماذا لديك هناك؟».

رد الغريب: «تزوّجت الشهر الماضي، لكن زوجتي توفيت. أريد أن أعيدها إلى منزل والديها». وبعد أن توقف عن الكلام قليلاً، رفع الرجل الغطاء عن الآنية.

«أترى؟ هل تريد أن تنظر إلى الداخل؟». تكلم تلك الكلمات بنبرة تقول أيضاً أترى؟ هذا ما تحصل عليه إذا دسست أنفك في حياة أشخاص آخرين.

Twitter: @alqareah

كان مبنى مستشفى الاتصالات محمياً من موجة ضغط القنبلة (جاءت من اتجاه قلعة هيروشيما)، بعد أن تلقّت القلعة وسورها جزءاً كبيراً من قوة الموجة وردّته. أقام فريق إنقاذ د. هاشيا قاعدة عملياته في أصغر المبنيين؛ كان محمياً خلف المبنى الأكبر الذي تعرّض لدمار أشد. يمكن رؤية جسر ميساسا في الزاوية اليمنى السفلية. الخط الحديدي في الجانب السفلي الأيسر من الصورة هو نفسه الذي عبر النهر إلى منزلَي هاشيا وساساكي. (باتريشا واين)...

كانت الآنية مليئة بقطع عظام بشرية. وبالرغم من أن القطار كان مكتظاً وبدا من غير المحتمل قط أن يعثر كونيوشي على مقعد آخر، إلا أنه نهض وأسرع بالابتعاد عنه. لم يعرف كونيوشي قط اسم الرجل الذي يحمل آنية العظام، لكن لن يكون هناك شك كبير لدى مؤرخي المستقبل في أنه كنشي هيراتا.

خلف كنشي، وكونيوشي، وصانعي الطائرات الشراعية، كانت فرق الإنقاذ تتحرك آنذاك من الريف إلى هيروشيما، ويصل المزيد منها مع انقضاء كل ساعة.

عرّج طبيب يدعى مينورو فوجي على مستشفى الاتصالات مع

Twitter: @alqareah

فريق كان قد جمعه في الضواحي. في الطريق إلى مستشفى ميداني آخر، ترك د. فوجي خلفه صندوقاً من المراهم والضمادات وطعاماً يكفي ليومين. لم يكن طعام يكفي ليومين يعني الكثير، في أي أربعاء آخر، لكن في ذلك اليوم كان مهماً جداً. بالنظر إلى انتشار ما بدا أنها أعراض تشبه الإنفِلونزا وفقدان الشهية، ظنّ د. هاشيا أن الطعام المتوافر قد يدوم أربعة إلى خمسة أيام. بدا له أن ذبح الحصان في الحديقة (شبكة أمان تغذية المستشفى) قد أُرجِئ آنذاك، وإن يكن إلى أمدٍ قصير. كان مستشفى الاتصالات، مثل قبة هيروشيما وسوق فوكوياما، يقف وحيداً في البيئة المحيطة به، يصرخ طلباً للعون. على امتداد فدانين في كل اتجاه، كانت تلك المنطقة من المدينة قفراً لا أعشاب فيها، وصخورها آجر وقرميد سطوح تذروها الرياح. في وسط ذلك، كان المستشفى مثل صخرة بارزة من طبقة صلبة، ويشبه مغنطيساً أيضاً. وهكذا، وعلى نحو محتّم، جذب المبنى مجموعة من الجنود إلى مدخله. طلبوا ضمادات وطعاماً للجيش الثاني، شاهرين أسلحتهم. بعد أربعة أيام، عندما شعر أنه معافى بما يكفي ليكتب، سجّل د. هاشيا في مذكراته أن قطّاع الطرقات لم يتركوا خلفهم شيئاً لمعالجة أكثر من ثمانين مريضاً وإطعامهم.

بالرغم من أن د. هاشيا كان يبدو العضو الوحيد من فريقه الذي لا يزال يتمتع بشهية جيدة ويشعر أنه يصبح أكثر قوة، إلا أنه لم يكن على ما يرام ليغادر السرير، ويسير في أرجاء المستشفى، ويزور المرضى. في الواقع، منع الأطباء الآخرون صراحة عضو قافلة النمل السابق من محاولة الحركة. لهذا، تلقّى تقارير بدلاً من ذلك، وسجّل أحداثاً تاريخية.

لم يكن أي من المرضى يتمتع بشهية لتناول الطعام. ظهرت عليهم الواحد تلو الآخر أعراضٌ تراوحت بين شقيقة وقشعريرة وبين التصبّب عرقاً، والنزف تحت الجلد، ونوبات تقيؤ شديد.

Twitter: @alqareah

بحلـول ذلـك الوقـت، كان التقيؤ يتحـول إلى نوبات غثيان جاف، وقال عدد من المرضى إنهم يشـعرون بألم في أسـفل عمودهم الفقري، الذي كان ينتشر غالباً إلى منطقة الكليتين.

كان أكثر ما أثار قلق هاشيا هو أن العديد من أولئك المرضى - مع تحول بياض عيونهم آنذاك إلى أحمر لامع نتيجة النزف تحت سطحها وظهور بقع حمراء نجمية الشـكل تحت جلد وجوههم - لم يصبهم أو يحرقهـم بيـكا - دون قـط. بـدا أن كثيراً من الأشـخاص الذين لم تظهر عليهم أي إصابات ظاهرة للعيان لم يعودوا يعرفون مكانهم بدقة.

لعـن صديـق هاشـيا، كويانـو، الجنودَ الذين نهبـوا آخر المضادات الحيويـة، لكـن د. هاشـيا كان قد بدأ يشـك فـي أن الأدوية التقليدية لن يكـون لهـا تأثير في المـرض. كانت الأعراض تتوافق مع حدوث نزيف حادّ في كل أنحاء الجسد. كانت هناك أمراض معروفة من إفريقيا وغينيا الجديدة تسبب نزيفاً للأشخاص، ومنيعة ضد المضادات الحيوية وعقاقير السّـلفا. بدأ هاشـيا يقلق من أن يكون الأميركيون قد أتبعوا بيكا - دون بحرب جرثومية، وقد ملأه ذلك رعباً.

مع انتقال التقارير من الغثيان إلى الموت المفاجئ بين المصابين، نقل طبيب كان يعالج ضحايا الوميض (بيكا) إلى هاشـيا نبأً أبعد ذهنه عن التفكير في أسلحة بيولوجية.

سـأل بطريقـة واقعيـة تمامـاً: «دكتـور، هل تظن أن فتـاة يمكن أن ترى إذا اقتلع الوميض (بيكا) عينها من محجرها؟»؛ وفي سنوات آتية، سيُعجب د. هاشـيا بالسـرعة التي يمكن للعقول البشرية أن تنسجم فيها مع ما يحدث حولها، وتستوعب أموراً لا تُصدّق.

بالأسلوب الواقعي نفسه، سأل هاشيا: «هل كان العصب البصري لا يزال متصلاً بها؟».

قـال الطبيـب: «أظـن ذلـك. كانـت تضم راحـة كفها إلـى وجنتها والعين تستقر فيها، وأصرّت على أنها تستطيع رؤيتي؛ ويمكن أن أقسم

Twitter: @alqareah

إن بؤبؤها كان يحدّق إليّ مباشرة».

في يوم عادي، ومكان عادي، كان هاشيا سيشعر بقشعريرة تصل إلى عظامه. لكن ذهنه تحوّل ذلك اليوم بسهولة إلى التفكير في الطريقة التي كان دماغ الفتاة قد حاول فيها التعامل مع مشكلة تركيب صورة ثلاثية الأبعاد من مثل تلك الرؤية المشوّهة من العين.

قاطعت بعض المخاوف المروّعة سلسلة الأفكار تلك. نقل د. كويانو أن المرضى أصبحوا ضعيفين جداً ولا يمكنهم الابتعاد عن حُصر طوابقهم ومغادرة المبنى للتخلص من البول والبراز. كان أكثر من نصفهم يستلقون آنذاك في برك من براز سائل ملطخ بالدماء. فكّر د. هاشيا أن ذلك يفسّر سبب انبعاث رائحة من المبنى تشبه ما يصدر عن دارٍ لحفظ الجثث تمتلئ ببطء بمياه صرف صحي.

تضمّن الجزء الأكثر إثارة للقلق في تقرير د. كويانو ذِكرَ مريضين كان قد ظهر عليهما بعض التحسّن في الصباح لكنهما في أثناء ساعة واحدة فقط أصبحا أسوأ حالاً. اتسعت البقع الحمراء تحت الجلد إلى كدمات واسعة، وأصبح لون وجهيهما أرجوانياً. وبعد وقت طويل من التقيؤ طوال اليوم السابق، الذي أفرغ معدتيهما إلى مستوى غثيان جاف فقط، بدأ دم يخرج من فميهما. خمّن د. هاشيا أن شيئاً كان يمزّق الأوعية الشعرية والأوردة الدموية في حين يخفض شيء آخر على نحو كبير قدرة الدم على التخثر؛ كأن نقي العظام قد بدأ يموت. بحلول الوقت الذي تقيأ فيه الرجلان أول كمية من الدماء، لا بدّ من أن كليتيهما ومناطق كبيرة من عموديهما الفقريين ودماغيهما قد بدأت تنزف من الداخل وتتوقف عن العمل، وتتبع نقي العظام إلى الموت.

بينما كان د. كويانو ينقل أخبار ما يحدث، انقلب أحد المريضين على جانبه وتقيأ أكثر من لترين من الدماء، في حين صدر عن الآخر صوت يشبه تمزيق ورقة حرير طويلة - صوت بطانة أمعائه الميتة التي تكافح جاهدة للحصول على أوكسجين تتمزق وتخرج إلى الأرض مع

Twitter: @alqareah

أحشائه - أو ما تبقّى من أحشائه.

قال د. كويانو مراراً وتكراراً: «لم يصب بيكا - دون أياً من هذين الرجلين قط. على الإطلاق!».

كان د. هاشيا مقتنعاً أنه يتعامل مع مرض مُعدٍ ويُستخدم كسلاح على الأرجح، وفي كلتا الحالتين لم يكن هناك خيار إلا التوثق من قيام شعبه بحرق الموتى بسرعة، وعزل المصابين. تم اختيار د. كويانو، بصفته نائب المدير المؤقت الجديد، لإنجاز مهمة تجهيز جناح العزل. بمساعدة عمّال الإنقاذ والإغاثة من الضواحي الذين جاؤوا إلى المبنى الوحيد الذي لا يزال قائماً في الحي، استطاع إنشاء ما يشبه سُرادقَ بدائياً في الهواء الطلق ومغطّى جزئياً بخيام وراء الطرف الجنوبي من المستشفى. لم يكن ما فعلوه يستحق العناء على الأرجح، كما تذكّر د. هاشيا لاحقاً، لكن التفكير في أنهم يفعلون شيئاً رفع معنوياته.

كانت الخطوة الآتية نقل كل المرضى غير المصابين بالعدوى والفريق الطبي إلى الهواء الطلق بعيداً عن خطر التلوّث بالإسهال الدموي في أروقة الطابق الأرضي. كان الطابق العلوي قد انهار واحترق في أثناء الهجوم ولم يعد له سقف، لكنه بدا خياراً أفضل كثيراً من البقاء في الأسفل.

نُقل د. هاشيا على نقّالة إلى مقر جديد في الطابق الثاني، حيث كانت كل الجدران تقريباً قد اختفت، لكن صفوفاً من أسرّة ملتوية ومحترقة لا تزال قائمة على نحو غامض في مكانها. كان في مقدور المرء أن يشتكي من السخام والرماد، كما لاحظ د. هاشيا، لكنه لم يكن أحد قد عاش على الأرجح في جناح مستشفى خالٍ تقريباً من البكتيريا مثل ذاك، الذي عقّمته ألسنة اللهب.

دُفنت ستسوكو ثورلو البالغة من العمر ثلاث عشرة سنة آنذاك تحت كومة من أنقاضٍ نجمت عن الانفجار؛ ستصف الوضع بعد

Twitter: @alqareah

خمس وستين سنة بأنها بطانة نجاة من الموت. بخلاف ابني السيدة ماتسوياناغي، لم ترَ السحابة الذرّية حين كانت لا تزال تشتعل ساطعة في السماء. حماها جدار من الإصابة بحروق الوميض، في أثناء تلك الثواني الحاسمة الأولى، ثم تكوّنت حولها شرنقة حماية في جيب هوائي تحت ركام سميك من الآجر، الذي أضعف قوة أشعة غاما والنيترونات. عندما خرجت الفتاة ثورلو أخيراً من تحت الركام، كان مبنى قيادة الجيش الذي تم تجنيدها لإنجاز مهمة عسكرية فيه قد اختفى، والعالم كله قد أصبح مظلماً. عبر انقشاعات متقطّعة في الغبار، رأت أن كل أبنية التدريب العسكرية القريبة - وخلفها تماماً قلعة هيروشيما - قد اختفت على ما يبدو مع مقر قيادة الجيش. لم يكن هناك وقت كافٍ للسؤال عن السبب. بدأت النيران تخترق الغبار بوهج برتقالي يصدر من أماكن قريبة وبعيدة، ومن كل حدب وصوب على ما يبدو. كانت قد بدأت ترى أشياء مسودّة تمر أمامها مثل أشباح في ضوء الوهج الذي يزداد حدّة. اقتربت ثورلو منها، وهي لا تصدّق ما تراه.

بدا أن قوة رهيبة قد وصلت إلى داخل وجوه الناس وسحبت العيون عبر محاجرها من جماجمهم؛ بغض النظر عن القوة التي أطبقوا بها جفونهم عندما رأوا الوميض. كان كثير منهم يحاولون يائسين ضم أيديهم قريباً من وجوههم، وحمل مُقَل عيونهم. كان كل شخص في القافلة تقريباً قد تعرض لجروح بالغة، ومقلتا العينين - اللتان كانتا لا تزالان معلقتين بأعصاب بصرية تشبه الخيوط - هما الشيئان الوحيدان اللذان استطاعت ستسوكو ثورلو بوساطتهما تمييز رأس أحد مشاة - النمل من بعيد. كانوا ضعيفين جداً ومصدومين لا يستطيعون الصراخ طلباً للنجدة. عندما مشت إليهم، تمتموا ببساطة طلباً للماء. جرى الناجون الشبان إلى النهر، وتجاوزوا موقع سجن شيموياما الخاص الغريب. انتزعت خرقاً من ملابس بدا أنها موجودة في كل مكان، وغمستها في ماء النهر، ثم جرت عائدة إلى مشاة - النمل، وحاولت أن تساعدهم

Twitter: @alqareah

بالطريقة الوحيدة التي تعرفها، وهي الاستجابة لتمتماتهم برشفات ماء من الخرق.

تمنّت ستسوكو ثورلو أن تستطيع نسيان المشاة - النمل، وطوال سنوات آتية كان الصمت بشأنهم يساعدها على ذلك، على الأقل حتى حصلت على منحة للدراسة في أميركا. هناك، ستبدأ الحديث عن النجاة من القنبلة الذرّية؛ أثمر ذلك عن مقالة صحفية أثارت سيلاً لا ينقطع من بريد الكراهية. نصحها زملاؤها أن تلتزم الصمت مجدداً بشأن الحادثة وأن تحاول نسيانها، لكنها عقدت العزم على ألا تفعل كلا الأمرين.

كانت طالبة أخرى، هي شيجكو ساساموري، قد خرجت من أرض الصفر مصابة بفقدان ذاكرة انتكاسي. تتذكر أنها كانت برفقة زملاء من مدرستها، مكلّفين بإحداث حاجز ناري بين قسمين من حي بتفكيك منازل قرّر الجيش تدميرها. كانت الوحيدة من صفها التي نجت من شعاع الحرارة. كان كل منهم مكشوفاً تماماً؛ في الخارج، في حين حمى عمود خشبي أو جدار 75 بالمئة من جسد شيجكو، باستثناء وجهها ويديها. كان آخر شيء تتذكره، قبل أن تستيقظ على صوت أحد مشاة - النمل، هو مناداتها أصدقاءها وإشارتها إلى طائرة فضية جميلة تلمع في السماء الزرقاء، التي تجرّ خلفها سحابة طويلة من دخان أبيض. ثم بدا أن خطباً ما وقع للطائرة، وانفتحت مظلة فجأة في السماء. تذكرت شيجكو أنها اعتقدت آنذاك أن أي شخص خرج من تلك الطائرة لا بد من أن يكون رجلاً شجاعاً جداً؛ لأنه سيهبط بمظلة في وسط مدينة يابانية.

كانت ذكرى شيجكو القادمة عالماً أسودَ حالكاً وصامتاً تماماً بتأثيرات الغبار المكتومة؛ وإلى أن بدأت النيران تلمع وسحابة الغبار تنقشع بما يسمح بوصول صرخات طفل إليها، كانت تظن أنها قد أصبحت عمياء وصمّاء. في وهج الديدان النارية المتجوّلة التي كانت تزداد قوة بمرور الوقت، أدركت شيجكو أن هناك أشياء - أشياء

Twitter: @alqareah

رمادية - تتحرك أمامها في الضوء البرتقالي. كانت واحدة منها. كانت ملابسهم وجلودهم تتساقط قطعاً عنهم، وفي أثناء سيرهم بتثاقل نحو النهر، يهمسون ويتمتمون طلباً للماء. سار مشاة - النمل، واحداً إثر آخر، بخطوات واسعة نحو النهر، ماتوا وجرفهم التيار بعيداً. عندما بدأت تستعيد تفكيرها الواعي، قرّرت شيجكو السير في الاتجاه الآخر، والانضمام إلى قافلة نمل أخرى، تمشي شمالاً وبعيداً عن المدينة.

بحلول اليوم الثاني بعد القنبلة، كان والدا شيجكو قد عثرا عليها واصطحباها إلى منزل أقرباء لهما في الريف. لم يستطع جهاز مناعة التلميذة الضعيف التغلب على الحروق والأمراض الثانوية التي أصيبت بها حتى تشرين الثاني، وشعرت آنذاك أنها على ما يرام ويمكنها المغامرة بالخروج من المنزل. لم تلاحظ أن والدتها وخالاتها قد أزلن أو أخفين كل مرآة في المنزل، وكان تفسيرهن الوحيد أن وجهها لا يزال يتعافى ويجب ألاّ تراه.

طمأنتها والدتها: «ستتحسّنين».

ستعد شيجكو كلمات والدتها حقيقة؛ إلى اليوم الذي عثرت فيه على قطعة مرآة مكسورة في الحديقة، وستقول لأجيال مستقبلية: «صدمة تشبه قيام شخص بإلقاء دلو ماء مثلج على ظهري. كانت أول نظرة إلى المرآة مثل ألف سكين مثلجة تطعنني في الوقت نفسه، لكن أسرتي استمرت تقول لي - بلطف وهدوء - إنني لا أزال في مرحلة التعافي، وإنني إذا استسلمت لليأس، فلن أصل إلى اليوم الذي سيصبح فيه كل شيء على ما يرام».

ستصبح وتيرة التعافي أسرع في نهاية المطاف، بمساعدة ما كان يبدو في آب 1945 المصادر الأكثر استبعاداً في العالم. أحضر الصحفي الأميركي نورمان كوزينز، بمساعدة جرّاحي تجميل تطوّعوا لتقديم خدماتهم - وتبرّعات تضمنت صكاً من الطيّار المساعد على متن إينو لا غاي روبرت لويس - شيجكو وناجين آخرين من بيكا - دون إلى أميركا؛

Twitter: @alqareah

لإجراء جراحات تهدف إلى السماح لعذراوات هيروشيما بالخروج من مخابئهن، وعيش حياة طبيعية.

ستبدأ شيجكو ساساموري، أول مرة، إخبار العالم بما تتذكره.

أول شيء تتذكر والدة تيكهيسا ياماموتو رؤيته، بعد دخول هيروشيما بحثاً عن زوجها، كان امرأة وضعت وليدها في اليوم الأول، وخرج وليدها من بين عضلات بطنها نتيجة قوى الانفجار والضغط. كان صعباً على والدة تيكهيسا أن تتوثق من الحالة تماماً، وما كان قد جرى للشابة؛ لأن السيدة ياماموتو تبعت ضفة النهر إلى المدينة بعد يومين من انفجار القنبلة، وكانت معظم الجثث قد أصبحت سوداء وتنتفخ مثل مناطيد في شمس آب. كان العديد منها ينفجر مثل مناطيد في الواقع، وتخرج أحشاؤها منها إضافة إلى غازات تعفّن متراكمة في الداخل.

كان تيكهيسا ياماموتو يافعاً جداً ولا يتذكر أياً من ذلك، وعمره سنة واحدة وأربعة أشهر حين حملته والدته إلى أرضٍ قاحلة على ظهرها. وجدت أخيراً والده – مصاباً برذاذ النيترون ومطر أسود لكنه لا يزال حياً. كان يدرّس أحد الصفوف القليلة التي لم يتم إلغاؤها في أثناء الاستعدادات من أجل «المعركة الأخيرة». كان في بناء المدرسة، ربما ليس أكثر من عارضة قوية واحدة مثبّتة في الاتجاه المناسب، قد جعلت قوة الانفجار تنحرف عنها – وعن جسد السيد ياماموتو – وكوّنت شرنقة حماية حوله على بعد كيلومتر واحد فقط من مركز الانفجار، في حين أن المبنى نفسه حماه من شعاع الحرارة، وإلى درجة أقل من أشعة غاما. مات كل تلميذ أمام ياماموتو مباشرة.

كان السيد ياماموتو يعاني مرَض الإشعاع عندما عثرت عليه زوجته، لكن بحلول الوقت الذي اكتشفت فيه شيجكو ساساموري المرآة المكسورة، بدأ بالتعافي.

كل سنة بعد ذلك، دعت والدة تيكهيسا 6 آب يوم الذكرى،

Twitter: @alqareah

وأصرّت على أن يقوم أفراد الأسرة بسرد - وأن يحفظوا عن ظهر قلب - قصص ما فعلته القنبلة الذرّية، على أمل أن يؤدي نقل هذا التاريخ الشفهي إلى تمكين الناجين من الحيلولة دون أن تصبح مدينة أخرى في وقت آخر هيروشيما أخرى.

لم يكن تيكهيسا يرغب في سماع ذلك، أو أن تقوم والدته بوصف الفتاة المنتفخة المسودّة ووليدها المنتفخ البشع على نحو متكرر له. عندما يكبر، سيهرب تيكهيسا بعيداً عن والدته مع اقتراب 6 آب.

لم يكن يريد أن يحتفظ بأي من ذلك في ذاكرته، وسيبذل جهداً ناجحاً في نسيان تاريخ أسرته، حتى توفي ابنه بمرض اللوكيميا (ابيضاض الدم)، يافعاً تماماً. في سنوات تالية، ازدادت الإصابة بمرض اللوكيميا إلى نسب وبائية في هيروشيما حتى أصبحت معروفة باسم «مرض القنبلة الذرّية».

أخبر تيكهيسا تجمعاً لطلاب أميركيين بعد نحو سبع عقود، مع اقتراب يوم ذكرى آخر: «من جيل إلى آخر بعد التعرض للقنبلة، هذا ما يفعله الإشعاع بالناس».

كانت نانسي كانتويل قد غيّرت اسمها مرات عدة. ولدت باسم نامسن كوه، وبصفتها ممرضة كورية شابة تعمل في مستشفى عسكري ياباني، كانت قد عانت الأمرّين من الغطرسة العنصرية السائدة آنذاك، إلا أنها تحمّلت ذلك. كان الكوريون المهزومون يعدون طبقة عبيد أدنى شأناً. كانت الأعمال الموكلة إلى نامسن مرهقة جداً، لكنها أثارت إعجاب رئيسة الممرضات بالتزامها بالعمل الجاد، وقالت: «لأنني بالتأكيد لن أموت من العمل».

نُقلت الممرضة نامسن إلى مستشفى جديد في ضواحي هيروشيما، ومُنِحت اسماً جديداً له وقع ياباني: مينامي.

كان المستشفى محاطاً بتلال عالية، وبأرض معشوشبة تم تحويلها

Twitter: @alqareah

إلى مزارع. في أثناء الشهور التي سبقت القصف، أُوقفت كل مساعدات الطعام، وجاء قرار من الجيش أن على المستشفى «العيش على ما تجود به تلك الأرض». ضاعفت مينامي وباقي أفراد الفريق الطبي جهودهم، وأصبحوا مزارعين وممرضين للجنود الجرحى والمصابين بمرض السل. كان معظم مرضاهم من النوع الأخير. بدا غريباً لمينامي أن عدد الجنود الذين يعودون إلى الديار جرحى يصبح أقل فأقل. كانت أغلبية الأسرّة مشغولة بمحاربين قدماء مرضى. خطر لها أن الحرب ربما تصبح أكثر فتكاً بالجنود مما يقرّ أي شخص.

كانت المشكلة في زراعة محاصيل في حديقة مستشفى مع اقتراب نهاية الحرب هي ندرة البذور، وقد خرجت الذرة والطماطم من لائحة الطعام منذ أشهر. لحسن الحظ، كان من الممكن الحصول على براعم بطاطا وإكثارها بسهولة كبيرة، وبالرغم من كل جهودها الكبيرة، إلا أن مينامي لم تكن تحصل إلا على حبتي بطاطا من محصولها بين الفينة والأخرى. كانت تتعلم آنذاك أن الجوع المستمر يمكن أن يجعل الصغير والعادي يبدو ضخماً. ستتذكر مينامي بعد أكثر من ستين سنة أنه لا توجد أشياء كثيرة مذاقها أفضل من حبة بطاطا عادية.

حتى الأسبوع الأول من آب 1945، كان المرضى يضعفون تدريجياً ويموتون من دون خطر المطر الأسود والسقوط الإشعاعي الإضافي. شرح د. مينورو فوجي، الذي كان قد أصبح في ذلك الوقت المشرف على مينامي، أن العناصر الثلاثة الرئيسة في معالجة السل هي الراحة، والهواء النقي، والتغذية الجيدة؛ وتعد الأخيرة حجر الزاوية فيها. يائساً، في أثناء الأسابيع الأخيرة قبل 6 آب، استنبط د. فوجي خطّة لتجفيف بركة في الحديقة الملحقة بالمستشفى. كان مخطَّط عملية التجفيف بسيطاً لكن مرهقاً، بالرغم من أنهم استفادوا من ذلك العمل. كانت مئات أسماك الشبّوط والسلّور عالقة هناك، تحتضر وتتخبّط في الطين. بعد تنظيفها، وتمليحها، وتجفيفها تحت الشمس، تكوّنت المواد الغذائية

Twitter: @alqareah

الضرورية في أثناء الأسبوع الأخير من تموز والأسبوع الأول من آب؛ لم يبقَ إلا القليل لفريق الإنقاذ الذي توجّه إلى هيروشيما. قبل «عملية قتل الأسماك الكبيرة»، تسلل مرضى، أقوياء كفاية ليغادروا أسرّتهم، من المستشفى إلى الريف ليلاً بحثاً عن أوراق فجل وجذور نباتات طرية، وقاموا بطهيها بماء مالح مع كميات صغيرة من عصيدة البطاطا والأرز. ادّعى أحد المرضى أن الفضل يعود إليه في اعتماد وصفة تضم حساء مغذياً من «مصيدة فئران» المستشفى. كان قد صفّى عصيراً مما تتقيأه القططة.

بعد أن اختبروا مثل ذلك الجوع، وبالرغم من معرفتهم أنهم قد يعانونه مجدداً، إلا أن الفريق والمرضى قرروا تغليف نحو نصف مخزونهم الباقي من أسماك وبطاطا (لم يكن كثيراً)، وجعلوا د. فوجي يأخذه معه إلى المدينة المنكوبة. كان قيام الجيش بنهب حصة طعام صغيرة من مستشفى الاتصالات يعدّ، لهذا السبب، خسارة أكبر مما قد خمّنه د. هاشيا.

في أمسية 8 آب، أحضر د. فوجي مينامي وباقي أفراد فريقه إلى أنقاض مدرسة موتوكاوا الابتدائية، حيث أُنشئ مستشفى مؤقت جديد في قاعة ألعاب لا سقف لها آنذاك. وجدوا مئات الناجين المحترقين، الذين ينزفون، والعراة على الأغلب محتشدين خارج بوابات المدرسة. كانت الحال في المستشفى الجديد أسوأ كثيراً من مستشفى الاتصالات. كانت مجموعات متطوعين من بلدات مجاورة قد دُهشت بما رأته وشمّته، وبدأ أفرادها يتجولون في أرجاء المكان مثل مشاة - النمل، لا يعرفون ماذا يفعلون.

افترض د. فوجي أن الكلمات التي تصف ما وجده موجودة في مكان ما، في قاموس ما، وفي لغة ما، لكنه لن يستطيع العثور عليها أبداً. عندما رأى الجروح أول مرة، ظنّ أنه ربما يكون فقد رشده تماماً. لن يفيد هذا أحداً، كما حذّر نفسه، واتخذ قراراً أن يجعل قلبه قاسياً.

Twitter: @alqareah

سمح فوجي لنفسه بتمضية خمس دقائق بالضبط في وسط المكان، وأن يشعر برهبة شديدة منه، ثم عندما دقّت ساعته الثانية ثلاثمئة، كان قد استطاع تخدير أحاسيسه، وتولي زمام الأمور، ودعا باقي أفراد فريقه الطبي إلى العمل.

بدت مينامي ذاهلة مثل أي شخص آخر، لكن د. فوجي رأى أنها تخرج من تلك الحال بسرعة أكبر من الآخرين. ذهب إليها مباشرة، وأخبرها بمَثل قديم: «يقولون إن الصياد لا يرى الجبل».

لم يكن د. فوجي يعرف ما تعنيه تلك الكلمات على وجه التحديد، وشعر بسعادة؛ لأن مينامي لم تسأله قط. كان كل ما يعرفه حقاً أن المَثل يبدو مناسباً بطريقة ما، ويجدي نفعاً.

كان أول شيء فعله هو إصدار تعليمات الفرز، التي تم بمقتضاها معالجة أولئك المرضى الذين تفيدهم أي مساعدة طبية متوافرة. كان ذلك يعني أن أولئك الذين يبدو أنهم سيموتون على الأرجح في أثناء ثمانٍ وأربعين ساعة سُيتركون وشأنهم. كانت الأغلبية العظمى منهم تقع في تلك الفئة.

حتى المرضى الذين بدا أن لديهم فرصة للنجاة من الرعاية الطبية لم يحظوا إلا على أرز وماء. كان العلاج الوحيد المتوافر للحروق والجروح أدوات غرز، ووسائل تعقيم، ومزيج من مسحوق أوكسيد الزنك والزيت للحروق. كانت أي أفكار عن إجراء جراحة ببساطة خارج المعادلة.

لم يكن في مقدور مينامي تحديد من سينجو ومن سيلقى حتفه. انتقلت ببساطة من مريض إلى آخر، والتزمت بفلسفة بوذية أن تشع ضوءاً كلما استطاعت ذلك. فركت مزيج الزنك والزيت على وجوه الضحايا المحترقة، الذين كانت معالمهم متورّمة جداً إلى درجة أنه كان من المستحيل تفريق الذكر عن الأنثى بمجرد النظر إليهم.

مع اقتراب الغروب، كانت كميات كبيرة من الطعام قد جُلبت

Twitter: @alqareah

إلى قاعة الألعاب. أصبح التناقض بين المستشفى المؤقت ومستشفى الاتصالات الذي هو على بعد مئات عدّة من الأمتار صارخاً. لم يفهم أحد في البداية من أين جاء كل الأرز الأبيض، والخضار الطازج، والدرّاق، وصناديق الأسماك والدجاج. حضر معها «أشخاص مهمون»، ثم أدرك الأطباء أن أسرة ثرية من خارج المدينة قد اكتشفت أن لديها أقرباء أحياء في قاعة الألعاب؛ وكانوا يشحنون - بكل ما في الكلمة من معنى - إمدادات إليها. شعرت مينامي، بعض الوقت، بغضب؛ لأن مرضى في بلدة فوق التلال كانوا يحاولون الحصول على موادّ مغذية من قيء القططة، بالرغم من وجود مؤن من طعام جيد بالقرب منهم. لم تكن، بأي حال، من النوع الذي يسمح لغضبها بالغليان وقتاً طويلاً؛ أو من النوع الذي، كما يقول الأميركيون: «يتوقع لقمة في الفم». ولهذا تناولت بعض الأرز واللحم ومشت إلى البوابة الأمامية.

لم تدم شهيتها وقتاً طويلاً. كان لا يزال هناك بعض مشاة - النمل يتجولون في الأنحاء، بالرغم من أنه بحلول ذلك الوقت لم يكن هناك عدد كافٍ منهم لتشكيل صفوف طويلة، لذا، هام معظمهم على وجوههم في مجموعات من شخصين أو ثلاثة، أو فرادى. كان آخر المشاة - النمل يعانون جروحاً متقرّحة في كل مكان من أجسادهم تعرض للوميض، وقد احترقت جلودهم مباشرة تقريباً ثم تقشّرت. انسلخ الجلد كله تقريباً عن تلك الأماكن حتى أضحت عضلات الذراعين والساقين مكشوفة. كانوا ينزفون مادة سائلة من العضلات نفسها، وتسيل منهم في أثناء سيرهم.

شرح د. فوجي أن مراكز التفكير في أدمغة المشاة قد ماتت آنذاك من دون شك، ومُحيت بذلك شخصياتهم ولم تبقَ إلا غريزة أساسية حيوانية تدفعهم إلى الاستمرار في المشي على غير هدى إلى الأمام. نصح مينامي بالتوقف عن النظر إليهم والعودة إلى قاعة الألعاب، لكنها بقيت في الخارج وقتاً أطول بأي حال، حتى رأت ما يكفي لتعرف أنهم لم يعودوا يشعرون بالألم، وأن المادة السائلة التي تتدفق بانسيابية كبيرة

Twitter: @alqareah

من أجسادهم أوقعتهم أخيراً ميتين في طريقهم نتيجة العطش.

لم تكن المناظر داخل قاعة الألعاب أقل إزعاجاً كثيراً.

علّم د. فوجي مينامي تقنية - مبتكرة حديثاً - لإخراج مئات الديدان من جرح بحقن محلول مالح تحت الجلد الأسود المتقشّر والميت. عبّر فوجي وأطباء آخرون عن خوف كبير من تفشي الديدان، ووجّهوا الجميع إلى التخلص منها باستخدام الماء أو نزعها واحدة تلو الأخرى باستخدام ملاقط صغيرة. ذُعرت مينامي عندما وجدت أن الهواء نفسه مليء بأعداد كبيرة من الذباب. اكتشفت أن على كل مريض كيلوغراماً أو أكثر من الديدان. كانت العديد من تلك المخلوقات تنحدر مباشرة من أبوين تفاديا تأثيرات الوميض في أثناء تلك الأجزاء المليثانية القليلة الأولى من بيكا. ووجدت مينامي أنه من الصعب تصديق أن أعداداً كبيرة من يرقات الذباب يمكن أن تخرج إلى الحياة تحت جلد البشر. كانت الوفرة المفاجئة من البروتين البشري في هيروشيما، كما خمّنت، تدفع الديدان البيضاء إلى النمو بسرعة.

أرادت مينامي أن تبكي وتتقيأ، لكنها تذكرت نصيحة د. فوجي، قسّت قلبها، ونزعت الديدان، ونظّفت الحروق، ووضعت عليها مطهّراً، ودهنت الجلد وأي عضلة مكشوفة بمزيج الزنك والزيت.

ما لم تكن مينامي ود. فوجي يعرفانه - كان يعرفه بضعة أشخاص في كل أنحاء العالم، حتى صنّفت إدارة الأغذية والأدوية الأميركية يرقات الذباب رسمياً «وسائل طبية» في العام 2007 - هو أن انتشار الديدان في هيروشيما كان على الأرجح مفيداً لا ضاراً. بالرغم من أن ذباب المدينة كان يحمل على الأغلب عدوى بكتيرية في أثناء انتقاله من جثث متحللة إلى مرضى أضعف الإشعاع أجهزة مناعتهم، إلا أن البيوض التي وضعتها على الجروح وفيها كان يطلق إحدى أكثر فرق التنظيف فاعلية في الطبيعة. كانت الديدان البيضاء، مثل كل المخلوقات التي تتغذى على الجيف، تأكل بنهم؛ وقد تجنّبت اللحم الحي، وتناولت

Twitter: @alqareah

الميت والأنسجة التي اخترقتها البكتيريا فقط. آنذاك، لاحظ جرّاحو الجيش الأميركي أن الناجين في أوكيناوا الذين تغزو الديدان جروحهم كانوا أفضل حالاً من الجنود الذين تعرضوا لجروح مماثلة من دون أن تظهر يرقات عليها. عرفوا أيضاً أنه كان من المستحيل تقريباً التخلصُ من كل الديدان؛ لأنه بعد القضاء على كل مخلوق منها ساعات عدّة كانت تظهر عشرات أخرى من بيوض تفقس أخيراً. واكتشف الجرّاحون بعد ذلك أن الأعضاء المصابة المقرّر بترها لم يعد يصدر عنها روائح كريهة من بكتيريا تعفّن وغنغرينا، وبدأت تتماثل إلى الشفاء.

بعد نحو ثلاث ساعات على الغروب، تركت مينامي عرين الدودة البيضاء لتمدّد عضلاتها، وتشدّ عمودها الفقري، وتستنشق هواءً نقياً.

رأت من البوابة الأمامية أن بعض المباني البعيدة لا تزال تحترق، وأن محارق جنائزية ضخمة تشتعل في أماكن قريبة وبعيدة. وقبل شروق شمس 9 آب، سيشهد مئات المنقذين والناجين الآخرين ظاهرة «اليراعات» نفسها. كان أسوأ ما في الإشعاع قد انتهى آنذاك؛ وهكذا، حتى وفقاً لما يعرفه علماء فيزياء القرن الحادي والعشرين، لم يكن هناك تأثير معروف للقنبلة يفسّر بدقة ظهور الكرات النارية الزرقاء اللامعة التي تندفع مثل فوسفور عبر الهواء.

ذكرت مينامي في ما بعد قائلة: «ظهرت ببساطة هنا وهناك في الظلام. لم تكن جامدة، وتشبه ناراً تتحرك في الهواء، تختفي وتظهر مجدداً. لم تكن تشبه ألسنة اللهب أو خيوطاً صغيرة تماماً، كانت أكثر شبهاً بنقاط ضوء، مثل يراعات؛ لكنها أكبر. كانت إحداها تندفع مبتعدة وأخرى تظهر في مكان آخر؛ أو ربما كانت نفسها تندفع بعيداً وتظهر مجدداً. لم تكن هناك طريقة للتوثّق من ذلك. ما كنت واثقة منه ببساطة هو: لم تكن تظهر حيث تشتعل النيران، فقد كانت شيئاً مختلفاً؛ كانت تظهر في كل مكان وتندفع إلى أي مكان».

كان ظهورها في أي مكان يبدو منطقياً لدى مينامي. كانت

Twitter: @alqareah

الشرارات الزرقاء تتحرك بسرعة جيئة وذهاباً فوق أنقاض المدينة برمّتها، وعرفت مينامي بحلول ذلك الوقت أن أشخاصاً ماتوا وآخرين لا يزالون يحتضرون في كل مكان.

حتى المشاة - النمل الذين ينزفون ماءً لم يكونوا قد ملأوها رعباً مثل الذي عرفته في ليلة 8 آب، في أثناء وقوفها وحيدة في الظلام، فيما كان سابقاً مركز مدينة هيروشيما. أطلقت مينامي أنيناً، خفضت رأسها، وجلست على الأرض الرطبة، تضم ركبتيها بقوة إلى صدرها وترتعش. لم تكن قد شعرت بمثل ذلك الخوف من قبل، بالرغم من أنها تعرضت لإطلاق نار في كوريا، وستعيش لترى رحلة الخطوط الجوية الأميركية رقم 11 تمرّ فوق رأسها في هيلز كيتشن (حي في مانهاتن، نيويورك) في طريقها إلى ما أصبح يُعرف بحادثة 11 أيلول 2001؛ حتى تلك الأحداث لم تستطع إخافتها إلى ذلك الحد مجدداً.

كانت هيروشيما مدينة أشباح، وهذا ما ستتذكره مينامي من تلك الليلة. كانت قد خرجت من عرين الدودة البيضاء إلى أرض اليراعات الزرقاء.

كاد كنشي هيراتا يغفو، لكن اهتزاز القطار على نحو مفاجئ ووميضاً ساطعاً خارج نافذته جعلاه يتأهّب. في الخارج على أحد جانبي القطار، بدأ وهج برتقالي يشعُّ في السماء، وينتشر لمعانه هناك. كانت مدينة ياهاتا تتعرض لما ظنّ أنها غارة من خمسين طائرة بي - 29 على الأقل.

فكّر في ستسوكو.

كان كنشي يشعر بأن أمعاءه ليست على ما يرام، ولاحظ أنه ينزف تحت جلد أصابعه - وبالرغم من أنه كان يشعر بضعف وألم، إلا أنه كان يخشى إذا نام أن تفلت منه آنية العظام الثمينة التي يضعها على حجره.

ساعدته مجموعتا طائرات إضافية تقوم بغارات ليلية على إبعاد

Twitter: @alqareah

النوم عن مقلتيه. وفي الطريق إلى ناغازاكي، شاهد قصف مدينتين أخريين: توباتا وياواتا. أدخلت الأخيرة عامل فوبار جديداً إلى معادلة ألفاريز، التي ضمنت أن يتلاقى طريقا كنشي هيراتا وتشارلز سويني مرة ثانية في يوم آتٍ.

طوال سنوات قادمة، سيفيق د. هاشيا عند الساعة 2:00 بعد منتصف الليل فزعاً من الكابوس نفسه الذي يعاوده دائماً؛ وجد نفسه في مدينة عظيمة - أكبر من طوكيو - ترتفع مبانيها نصف كيلومتر، ومع بزوغ الفجر، تومض أبراج من كل الأشكال والأحجام مثل بلق (مادة شبه زجاجية)، وبحلول الظهيرة لا يبقى إلا رماد ودخان، وفولاذ ملتوٍ. كانت المدينة، في كل مكان حوله، تمتلئ جثثاً متعفّنة، تنظر جميعها إلى كنشي متوسّلة. رأى عيناً تستقر في راحة كف فتاة. وعالياً فوق مدينة أخرى، تبدو أبراجها أكبر من أطول ناطحات سحاب في أيامه، طرفت العين، ثم فُتحت مجدداً ككرة نارية ضخمة.

عند الثانية بعد منتصف الليل في 9 آب، استفاق عالم الفيزياء على رائحة سردين يحترق. تساءل لحظة عن مصدر مثل تلك الرائحة، ثم تذكّر المكان الذي كان يوجد فيه. نظر إلى الأسفل من الطابق الثاني المحطّم والمحترق في المستشفى، ورأى حرائق عدّة تنتشر بين الأنقاض، على كل الطريق إلى أبعد التلال. في البداية، كانت النيران في معظمها أنقاضاً تحترق، لكن ليس آنذاك. في اتجاه نيجيتسو، كان هناك حريق هائل ينافس ديدان 6 آب النارية. هناك، كان الموتى يُحرقون بالمئات، وأدرك هاشيا فجأة أن هيروشيما أصبحت مدينة المحارق الجنائزية، وهذا جعله يرتعش.

قرب مركز المدينة، كانت القبة وواحدٌ أو اثنان من الأبنية الإسمنتية المجاورة لها - تركها بيكا - دون قائمة بطريقة ما - لا تزال تشتعل من الداخل. في مدينة لم تعد فيها إنارة شوارع آنذاك، كانت الحرائق

Twitter: @alqareah

ترسـم ظلالاً غريبة تحت سـماء الليل. جعلت تلك الأنقاض المتوهجة والمحارق الملتهبة - وشرارات الفوسفور الأبيض التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى - د. ميشـيهيكو هاشـيا يتسـاءل: هل بدت بومبي (مدينة رومانيـة مدمـرة قـرب نابولي) على هذه الحال في تلك الليلة الأخيرة؟! وخطـر لـه أنـه لـم تقع وفيات في بومبي كما حدث في هيروشـيما تلك الليلةَ.

Twitter: @alqareah

6

كيتن والفيلة الوفية

بعد أن أعلن الرئيس ترومان للعالم عن وجود القنبلة الذرّية آنذاك، بدأ غطاء السرية يتفكك. كان مع العلماء الذين سيصعدون على متن طائرة تشارلز سويني مراقبٌ من نيويورك تايمز، وبصفته مدنياً، لم يكن يعرف آلية التغيير التي لا تنتهي أبداً في السرب كأنها لعبة كراسٍ موسيقية، وستسجل كتب التاريخ طوال أكثر من عقدين من الزمن أن الطائرة التي ألقت القنبلة على ناغازاكي هي غريت أرتيست.

كان فريد بوك يقود عادة الطائرة التي ألقت القنبلة في الواقع، وقد أسماها سيارة بوك تيمناً بنفسه. لم يكن من الممكن تمييز غريت أرتيست وسيارة بوك إلا عبر رقميهما، ولا تحملان أسماء وشعارات على جانبيهما، وكل منهما معدّلة بطرائق محددة: واحدة لمراقبة أكبر قنبلة في العالم، والأخرى لإلقائها. منطقياً، لم يكن أحد سينقل أطناناً من المعدّات الخاصة من طائرة إلى أخرى عندما يغيّر الطيّاران تشارلز سويني وفريد بوك طائرتيهما. لم يخبر أحد المراسل بشأن التغيير، لهذا، عندما اختير ليصعد على متن طائرة مليئة بالعلماء بقيادة فريد بوك، استنتج منطقياً أن طائرة المعدّات العلمية هي سيارة بوك، وأن حاملة القنبلة هي طائرة سويني، التي تدعى غريت أرتيست.

عند الساعة 2:00 بعد منتصف الليل، ربط تشارلز سويني نفسه بحزام إلى مقعد في قمرة سيارة بوك، وبدأ عملية تفقّد الأجهزة قبل الطيران مع الطيّار المساعد دون ألبري ومهندس الطيران جون كوهارك. كان سويني على وشك تشغيل المحرّكات عندما انحنى مهندس الطيران إلى الأمام وقال: «لدينا مشكلة. الوقود في خزاننا الاحتياطي في

Twitter: @alqareah

التجويف الخلفي قرب حجرة القنبلة لا يُضخّ. لدينا ستمئة غالون من الوقود عالقة هناك».

سأل سويني: «أي فكرة عن سبب المشكلة؟». اقترح مفعماً بالأمل: «هل تتعلق بالأدوات؟».

رد المهندس بأن التفقّد والتوثّق أثبتا أن الأجهزة تعطي قراءات دقيقة؛ كان ذلك يعني أن الوسيلة الوحيدة لمعالجة المشكلة هي استبدال المضخّة.

أجرى سويني بعض الحسابات السريعة في ذهنه. كان جورج ماركوارت قد قاد طائرة رصد جوي إلى منطقة الهدف الرئيس فوق كوكورا. كانت حالة الطقس تشير إلى أجواء صافية، لكنها لن تستمر وقتاً طويلاً، ويُتوقع أن تتحرك كتلة هوائية محمّلة بأمطار وضباب من المحيط الهادئ نحوها، وقد تبقى الأمور على تلك الحال أياماً عدة. بالفعل، كانت السحب ستغطي معظم أرجاء الجزيرة الجنوبية الكبيرة في اليابان طوال أسبوع أو أكثر؛ وبعدها سيبدأ موسم الأعاصير.

أمر سويني بإيقاف كل شيء، نزع حزامي كتفيه، وهبط على سلم المقدمة. كان بول تيبتس ينتظر آنذاك تحت الجناح حين ظهر سويني. كان كل نقاشهما عن الرياضيات.

كانت سيارة بوك، المزوّدة بكامل حمولتها من الوقود، تحمل 7000 غالون، منها 1000 غالون في خزانين احتياطيين – 600 غالون منها لا يمكن استعمالها آنذاك. إذا غُمّ هدفهم الرئيس، وكان عليهم الطيران أميالاً إضافية من كوكورا إلى ناغازاكي – أو جعلهم أي شيء آخر يستهلكون وقوداً إضافياً؛ فلن تعود الطائرة إلى قاعدتها. كان استبدال المضخة سيستغرق ساعات، وقد يؤخر المهمة أياماً إذا بدأت السحب تتحرك فوق الأهداف. ومجدداً، كان موسم الأعاصير يلوح في الأفق القريب. كان نقل القنبلة إلى طائرة أخرى سيستغرق وقتاً أطول، ومستحيلاً؛ لأن صمامات الاحتكاك فيها تعمل.

Twitter: @alqareah

إذا غادر سويني آنذاك، فإن في مقدوره على الأرجح التغلب على مشكلة الطقس، لكن كان لا يزال عليه الطيران على ارتفاع 17.000 قدم للبقاء فوق جبهة عاصفة المحيط الهادئ المضطربة، وسيجعله ذلك يستهلك وقوداً أكثر من الطيران على ارتفاع 8.000 قدم. ووفقاً لمخطط تصميم لم يأخذ في الحسبان تلك الحال، لم يكن من الممكن سحب 600 غالون من الوقود من دون إصلاح المضخّة. وهكذا ستكون سيارة بوك مرغمة على حمل- إضافة إلى قنبلة بلوتونيوم أثقل كثيراً من أداة هيروشيما - 600 غالون من الثقل الإضافي ونقلها، مما يجعل الطائرة تستهلك وقوداً أكثر فقط لتحمل وقوداً «ميتاً».

قال قائد سويني: «إنه قرارك».

كان سويني يعرف من حساباته أن في مقدوره من دون شك الطيران ألفَي ميل (أو 3.200 كيلومتر) إلى الهدف والعودة إلى تينيان، إذا لم تطرأ عوامل أخرى تتدخل عادة في أفضل الخطط وتؤدي إلى تغيير الهدف أو تأخيرات أخرى.

قال سويني: «اللعنة عليها أيها القائد. سنذهب». وهكذا، ثبّت تشارلز سويني نفسه إلى مقعده الجلدي مرة ثانية في تلك الليلة. بعد أقل من عشر دقائق، ومتأخراً قليلاً فقط عن الموعد المحدد، أقلع عن المدرج (أيه). أشارت الساعة إلى 2:56 بعد منتصف الليل بتوقيت تينيان، 1:56 بتوقيت كوكورا وناغازاكي.

كان د. بول ناغي، مثل د. هاشيا، مريضاً آنذاك في مستشفاه، لكن لسبب مختلف تماماً. كان السرطان الذي تم تشخيصه قبل أشهرٍ عدّة فقط قد بدأ ينتشر في جسده، وكما قال أقرب زملائه عندما حاولوا تخمين طول المدة التي سيعيشها: «أحياناً قد يبقى أشخاص في هذه المرحلة نشيطين على نحو معقول ستة أشهرٍ. أحياناً يمكن أن يبقوا أحياء ما يصل إلى ثلاث سنوات. وأحياناً أخرى يخدعوننا جميعاً».

Twitter: @alqareah

قال بول: «آمل أن أخدعكم». كان يأمل ذلك، لكنه لم يكن يصدّق فعلاً أن ذلك ممكن. لم يقوَ في تلك الليلة على أن يهبط التلة إلى منزله ليكون مع زوجته. انهار ببساطة في أثناء عمله على سرير مستشفى إضافي. كان التقويم اليومي لقوته يشير إلى أن صحته تتدهور بثبات ويبدو أن سرعة ذلك تزداد. افترض الطبيب أنه سيعيش ما بقي من الصيف إلى الخريف أيضاً، وصولاً إلى ما كان يأمل أن يكون شتاءً قصيراً.

عند الساعة 3:00 بعد منتصف الليل، استفاق د. ناغي على أحلام مزعجة واكتشف أن النوم يجافيه؛ لم يكن ذلك معتاداً؛ لأن السرطان في مراحله المتقدمة كان يجعله لا يرغب في شيء أكثر من النوم.

ذهب إلى نافذة ونظر إلى الأسفل على بلدة يوراكامي، من تلة مجمّع ناغازاكي الطبي. كان التعتيم زمن الحرب يحجب آنذاك وادي نهرٍ يقطن فيه أكثر من ربع مليون نسمة عن الرؤية، لكن في ضوء النجوم وحدها، وبعينيه اللتين تكادان لا تنسجمان مع الليل، استطاع تحديد موقع منزله، حيث كانت زوجته ميدوري تنام مطمئنة من دون شك وفوق الأغطية.

انقضى الوقت من الثالثة إلى الرابعة إلى الخامسة فجراً، ولم يستطع د. ناغي النوم. مستلقياً في السرير يشاهد أولى إشارات الشروق تتجمع في السماء الشرقية، فكّر في عدد المرضى الذين سيزورهم ذلك اليوم، وكلما فكّر في الأرق الذي يقض مضجعه والعمل الذي يجب إنجازه، ازداد جفاء النوم إياه.

لم يكن من الممكن نسيان الكابوس الذي جعله يستيقظ فجأة في المقام الأول. فُتحت عين، في مكان ما من الليل، وكانت تبحث عنه. حاول الطبيب - المريض إبعاد ذلك الرعب عن ذهنه وعدّه حلم حمّى أصابته نتيجة الخوف الطبيعي من السرطان الذي كان ينمو داخله. كان هناك تفسير معقول لذلك الوهم الذي يقرع ناقوس الخطر لديه، يحذّر أن رعباً أسوأ من السرطان آتٍ من ذلك الطريق.

Twitter: @alqareah

عند الساعة 6:00 صباحاً بتوقيت ناغازاكي، بدأت مصابيح الإنذار الرئيسة على متن غريت أرتيست تشير إلى أن صمّامات الأمان، المصممة لمنع القنبلة من الانفجار داخل الطائرة، لا تعمل كما يجب. كان واضحاً أن البلوتونيوم لا يتوافق قطّ مع الأنظمة الكهربائية.

نظر الملازم فيليب بارنز إلى الأعلى من مقصورته السوداء (حجرة مراقبة الصمامات المتصلة بالقنبلة) ونادى سويني: «لدينا إنذار رئيس».

ردّ سويني، يريد أن يتوثّق أنه قد سمع ذلك على نحو صحيح: «كرّر ذلك».

أكّد القائد فريد آشورث ملحوظة بارنز أن مصابيح الإنذار الحمراء على شاشة الصمامات قد بدأت تومض. إذا كان ذلك التحذير، مثل تحذير الوقود، صحيحاً، فإن دارات إطلاق سلاح نووي قوته كيلو أطنان عدّة قد أُغلقت، وزناد تفجير أو أكثر على وشك القدح. في ثلاث ثوانٍ، استرجع سويني لائحة تفقّد الصمامات في ذهنه. إذا كان أي من صمامي الاحتكاك في مقدمة القنبلة ذاتيَّ التشغيل، فسيصبح وفريقه شروقاً زائفاً فوق المحيط الهادئ، وعلى وشك الظهور على مراسم الزلازل اليابانية. وإذا كان صمام مقياس الضغط الجوي أو الرادار سبب المشكلة، فستكون الأمور بخير، إلا إذا هبطت سيارة بوك أدنى من 1.890 قدماً... أو أرسلت مقاييسُ الارتفاعات قراءات غير صحيحة إلى الصواعق. مجدداً، سيتحول إلى أيونات وأشعة غاما إذا كانت الحالة الأخيرة صحيحة. لم يترك ذلك إلا صمام التوقيت؛ في تلك الحالة لم يكن لدى بارنز وآشورث إلا أقل من أربعين ثانية لحل المشكلة.

آه، معاناة صعبة يا مولاي على مزالج جليد...

في أثناء الثانيتين الآتيتين، عمل ذهن سويني في نشاط محموم، وفكّر في خيارين: إلقاء القنبلة والأمل في الهروب من الانفجار، أو الدعاء ألا يكون صمام التوقيت هو المشكلة، والرجاء في حال كان

Twitter: @alqareah

كذلـك أن يتمكّـن مختصـو الأسـلحة من تحديد العطـب وإصلاحه في نصف دقيقة. لـم تكن لديه نية بالتخلّص من السلاح. بدا كلام الأميرال عـن القيمتيـن النسـبيتين للقنبلـة والطائـرة آنـذاك توقّعاً علـى نحو مقزّز للنفـس. إذا تحـول السـيّئ إلـى أسـوأ وأصبحـت الطائـرة مليئـة بثقوب وتسـرّب الوقـود مـن محركاتهـا المعطّلة، فـإن سـويني كان يعقد العزم علـى إخـراج فريقـه منها والانقضاض مع كيرميت بيهان في سـيارة بوك علـى اليابـان، مسـتهدفاً خـزّان وقـود أو بقـرة في حقـل أرز إذا لـم يكن هناك هدف آخر.

ظنّ سويني أن الأمر لن يصل إلى ذلك الحدّ أبداً. كان يثق برجاله، وطائرتـه، ونفسـه. خلفـه، كان فيليب بارنز قـد فتح حجرة القنبلة وتفقّد متاهة الأسلاك، والدارات، والمفاتيح في واحدة من أسرع الفحوص في التاريخ. مع بقاء نحو سبع ثوانٍ فقط (كما كان صمام التوقيت يشير إلى الوقت)، قرّر بارنز أن لا دخل للمؤقّت بما يجري. بعد بضع لحظات، اقتفى أثر المشكلة إلى أداة أطلقت إنذاراً غير صحيح وأصلحها.

صرخ بارنز: «إنذار غير صحيح. لم تكن أي من دارات الإطلاق مغلقة».

فكّـر سـويني: جيـد، يمكننـي التنفّس مجـدداً. كان ردّه المسـموع همسة: «آه! يا الله».

كان هاجيمي أيواناغا البالغ من العمر أربعة عشر عاماً قد استيقظ شـاعراً بألم في معدته نحو السـاعة 3:00 بعد منتصف الليل، ولـم يخلد إلـى النـوم بعـد ذلـك قـط. كان عمله في المدرسـة سـيتأثر نتيجة ذلك بالتأكيـد، بالرغـم مـن أنهـا لم تكن آنذاك مكاناً يتلقـى فيه المرء تعليماً. كانـت المدرسـة ملحقـة فـي الواقع بمصانـع ميتسوبيشـي للطوربيدات، وبـدلاً مـن الخـط والرياضيـات، كان يُطلـب من الطـلاب إنجاز أعمال يدوية مضنية.

Twitter: @alqareah

في أثناء الأسبوع الماضي، مُنح هاجيمي واثنان من أصدقائه - كان قوامهما، مثله، صغيراً مقارنة بأعمارهم - شرف العمل يوماً واحداً على الطوربيدات نفسها. تضمّن «العمل» تحكّماً يدوياً بنظام توجيه الطوربيد، مع انكباب العامل على وجهه واللِّحَام في الداخل. كان المراهقون يمثّلون أنظمة التوجيه المثالية؛ لأن الطوربيدات - التي كانت في الواقع غوّاصات مصغّرة معدّلة إلى قنابل موجهة - لم تكن تستوعب من يزيد عرض كتفيه على 55 سنتيمتراً (نحو 22 بوصة).

في تلك الأيام، كانت غواصة آي - 58 القتالية مزوّدة عادة بأربعة طوربيدات كيتن خاصة، يمثّل كل منها مزيجاً من غواصة صغيرة وقنبلة طويلة. كانت كيتن غوّاصة تكافئ «الريح المبجّلة» أو محاربي الكاميكازي، لكن تحت سطح البحر.

عند الساعة 11:40 من ليلة 29 تموز (بعد استنفاد معظم ترسانتها من كيتن)، انطلقت مجموعة من الطوربيدات التقليدية من آي-58 لتمزّق كل الحجيرات المانعة نفوذَ الماء في الطرّاد الحربي الأميركي إنديانابولس، بعد ثلاثة أيام من نقله مكوّناتِ قنبلة هيروشيما الأساسية. دخل «إندي» التاريخ لسببين آخرين: أسوأ حادثة معروفة في التاريخ تقتات فيها أسماك القرش على بشر، وآخر سفينة أميركية تغرق في الحرب العالمية الثانية. في ذلك الوقت، كانت آي - 58 تعود إلى الميناء، وقد طلبت أربعة طوربيدات كيتن جديدة.

كان هاجيمي، مثل باقي الطلاب، قد كبر لا يعرف إلا ما يتم تلقينه إياه عن الحرب. بالرغم من أنه لم يكن كبيراً كفاية كي يفهم تماماً معنى الموت، إلا أنه كان مستعداً للموت من أجل الإمبراطور. عُلّم أن يكون جندياً شجاعاً وفخوراً بنفسه في حرب مبجّلة ستحقق سلاماً راسخاً. كان الأميركيون، والبريطانيون، والصينيون أقل من حيوانات؛ هؤلاء المجهولون الذين يفتقرون إلى هوية واضحة ولا يكادون يصلحون عبيداً. حلفاءُ اليابان، الألمانُ والإيطاليون وحدهم، يمكن عدّهم من

Twitter: @alqareah

البشـر. كان اليابانيون شـعباً مختاراً. هذا ما كان يتم تعليمه للكيتن، وما يعتقدون به حقاً(*).

كمراهقيـن آخريـن في مثل سـنه، وفـي ذلك الوقت والمكان، كان هاجيمـي يثـق بمـا يقولـه الضباط الذيـن يأتون إلى مصنع التسـليح؛ لم يشـكك قطّ في تعليماتهم، حتى عندما قيل له إن المهمة الخاصة التي سـيتم تدريبه عليها يجب أن تبقى سـراً عن والدته، وشـقيقه، ومدرّسـه. كان قد اختير من قبل الإمبراطور نفسه، كما قيل له.

عندما كانت تظهر علامات خوف على المنتقين، كان يتم تذكيرهم بالمعانـاة التـي تعـرض لها القائمون على حديقـة الحيوانات في طوكيو لإثبات حبهم وإخلاصهم للإمبراطور. كانت حكاية الفيلة الوفية أسطورة آنـذاك؛ رهيبـة ووطنيـة علـى نحـو رائع في الوقت نفسـه. سـتصبح إلى جيل لاحق أسـطورة عن قسـوة الحرب وسـخافتها، لكنها آنذاك كانت تـرد بصفتهـا مثـالاً علـى مجد الحرب. فـي ما يتعلـق بالمراهقين الذين سـيصبحون كيتـن، كانـت آلام القائميـن على حديقـة الحيوانات التي لا مثيل لها آنذاك، التي يُعبَّر عنها بأعمال عظيمة لا بكلمات فارغة، شهادة علـى أن المـرء يجـب أن يكون مسـتعداً ليعانـي كل ما هو ضروري من أجل مصلحة اليابان.

تعـود بدايـات ذلك الميثاق إلى شـحّ الطعام زمـن الحرب. عندما

(*) لم يكن صغر سن بعض عمّال كيتن، في تلك المرحلة من التاريخ، شيئاً تختص به اليابان وحدها. تبين أن إحدى آخر الغواصات الألمانية التي أغرقت في أثناء الحرب (قبالة الساحل الجنوبي لجزيرة لونغ، نيويورك)، حين جرى استكشافها في الثمانينيات، تحتوي على جماجم أعضاء طاقم لا تتجاوز أعمارهم 14 عاماً. وفي فيلادلفيا، كان مسموحاً لفتية إيطاليين مهاجرين تسجيل أسمائهم للعمل في مواقع قتالية بعمر 17 عاماً، ودخل بعضهم الخدمة في عمر 16 عاماً. وعلى متن سفن بريطانية، كان العمر القانوني لدخول الخدمة العسكرية في أثناء الحرب العالمية الثانية 15 عاماً، وأحياناً 14 عاماً. في معظم القرن العشرين، نادراً ما كان يتم عدّ المراهقة مجموعة عمرية متمايزة، ومنفصلة عن مرحلة البلوغ.

Twitter: @alqareah

أدّى القصف الليلي للمصافي، والمستودعات، ومراكز النقل إلى جعل البلد برمّته يعاني تقنيناً حاداً، وضع الجيش بسرعة حديقة حيوانات أوينو في طوكيو في أسفل لائحة أولويات الطعام والوقود، وقطع الإمدادات عن الحيوانات فوراً. في مكان ما من سلسلة القيادة، تذكّر أحدهم أن أعضاء من أجساد بعض الحيوانات نفسها - وخاصة من دببة، ونمور، وأفاعي كوبرا - تُستخدم أدوية علاجية، وتساوي أحياناً وزنها ذهباً. أُرغم كل القائمين على العناية بالحيوانات على قتلها جميعها بأمرٍ من الجيش، باستثناء فيلتها الثلاثة، وذلك باستخدام أعيرة نارية، وضرب بالسيف، وجرعات قاتلة من عقارات مسكّنة. حمل الجيش الذبائح التي كان يُظنّ أنها قيّمة على متن عربات إلى أماكن بعيدة، في حين سُحب الباقي إلى مكبّ نفايات المدينة.

يمتلك المخططون العسكريون فكرة خاصة في أذهانهم عن القائمين على حديقة الحيوانات وفيلتهم. كان المشير يفهم أن الفيلة، بصفتها من أذكى الحيوانات، تقيم عروة وثيقة مع مدرّبيها والأشخاص الذين يعتنون بها. كان جنود قد شاهدوا بأم أعينهم أن الرابطة متبادلة وعميقة.

حُرم القائمون على حديقة الحيوانات من الحصول على أسلحة وسيوف وأي وسائل إنسانية أخرى لقتل فيلتهم على نحو رحيم. لاحقاً، صدرت إليهم أوامر بالعيش في الحديقة مع حيواناتهم، ومراقبتها تتضور جوعاً حتى الموت.

مات أصغر الفيلة، الذي كانوا ينادونه جون، بعد سبعة عشر يوماً. وعندما اشتد الجوع بالجميع، سُمح لعمال حديقة الحيوانات بزراعة بطاطا لتكون غذاءً لهم، ومن يوم إلى آخر قدّموا إلى الفيلين اللذين بقيا على قيد الحياة - تونكي ووانلي - حصتين من طعامهم القليل، بالرغم من أن البطاطا الحلوة كانت بالنسبة إلى فيل مثل إضافة قطرة مطر إلى البحر. أطال ذلك، في أفضل الحالات، مدة الألم. ورأى المشير ذلك

Twitter: @alqareah

وفهمه. قيل للمدربين والأشخاص الذين يعتنون بالحيوانين أن تضحيتهم صغيرة مقارنة بما كان جنود على جزر خارجية قد عانوه أخيراً: «لأن ذلك ما يعنيه أن تكون ابناً حقيقياً للإمبراطور».

بيقين حسابيّ مؤكد، سادت قاعدة الثلاثة: يمكن للفيلة أن تعيش ثلاث دقائق من دون هواء، ما يصل إلى ثلاثة أيام من دون ماء، وثلاثة أسابيع من دون طعام؛ والرجال أيضاً.

بعد انقضاء الأسبوع الثالث، بدأت آذان تونكي ووانلي تبدو أكبر كثيراً من جسديهما - وكما سيصف أحد العاملين في حديقة الحيوانات لاحقاً، كلما كان يقترب منهما مع الماء، كان صديقاه يقفان على قوائمهما الضعيفة ويرفعان جسديهما عالياً، وعيونهما المليئة حباً تتوسل: «من فضلك، امنحنا شيئاً نأكله».

بحلول ذلك الوقت، كان القائمون على الحديقة أنفسهم يتضورون جوعاً وعلى وشك الموت. وبالرغم من ذلك، عندما كانوا يظنون أن الجنود لا ينظرون، كانوا يقدمون إلى الفيلين حصة من طعامهم، حتى بدأت أضلاعهم تبرز وملابسهم تصبح كبيرة جداً على أجسادهم.

أحب المدرب الرئيس الفيلة، كما قيل، كأنها أبناؤه. بعد أكثر من أسبوعين على موت جون، وجد المدرّب تونكي ووانلي ميتين في قفصهما، وجسديهما ممددين على قضيب أفقي، وبدا أنهما قد ماتا وهما يحاولان تنفيذ حركتهما الشهيرة التي تسعد الجمهور. قال ضباط كيتن: «وفيان إلى الأبد. وفيان للصديق الذي قد يكافئهما مجدداً بطعام، وكان يكافئهما كل يوم، قبل أن يغزو العدو أيوا جيما وأوكيناوا».

جلس المدرّب على الأرض الإسمنتية وعانق بمحبة جسدي الفيلين الميتين وقوائمهما. لم تكن لديه دموع يذرفها، لكن جيلاً لاحقاً سيقول إن ذلك لم يكن مهماً؛ لأنه في حديقة حيوانات أوينو كان هناك اعتقاد أن الصخور نفسها قد ذرفت دموعاً ذلك اليوم.

كانت عبرة القصة، كما قيل لهاجيمي، أن عليه أن يكون مستعداً

Twitter: @alqareah

للتضحية بأي شيء لجعل الحرب تضع أوزارها. في كل مكان من اليابان، كان يتم تلقين مثل تلك الدروس، مراراً وتكراراً، لجيل كان يشبه، أكثر فأكثر، حملة صليبية طفولية. شمالاً في هيروشيما، كان كيجيرو ماتسوشيما، البالغ من العمر ستة عشر عاماً، الذي كان شقيقه قائد مقاتلة زيرو، يحفظ كل قصة تضحية عن ظهر قلب وينتظر بنفاد صبر اليوم الذي سينضم فيه إلى قوة الكاميكازي. لكن بعد أن رأى المدينة تحترق آنذاك مثل فوسفور على كلتا ضفتي النهر، استنتج أن الأميركيين قد اخترعوا بالتأكيد «سلاحاً قاسياً حقاً»، يجعل الفوز بالحرب مستحيلاً. ذكر كيجيرو في الذكرى الستين للقنبلتين: «في ذلك الوقت، لم أكن أفكّر في الاستسلام قطّ. كنا مستعدين لتنفيذ هجمات انتحارية». بعد جيل، سيُخبر وصغار قنابل آخرون حكايةً مختلفة تماماً عن تلك التي كانوا يسمعونها بشأن الشرف والتضحية الكبرى؛ حكاية كيف وثقوا من دون سؤال بما قاله الراشدون، والحكومة، والرجال الذين يرتدون بزّات رسمية وعمّا كانت مستويات عالية في الحكومة تنوي قوله.

سيحاول هاجيمي والطلاب زملاؤه أن يعلّموا: «لكن الأهم هو أننا يجب أن نسأل ونثق أيضاً».

كان معسكر أسرى الحلفاء رقم 17 يقع على بعد 63 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من ناغازاكي، على الطرف الآخر من خليج إرياكي. في 6 آب، كان العريف ديل فرانتز قد لاحظ سحابة غريبة تخترق الطبقة العليا من الغلاف الجوي في اتجاه معاكس لناغازاكي؛ على بعد 237 كيلومتراً، 145 ميلاً إلى الشمال الشرقي في اتجاه هيروشيما. كانت السحابة قد ارتفعت آنذاك أكثر من 10 كيلومترات عندما لاحظها للمرة الأولى، واستمر الشكل الغريب في الارتفاع عالياً وبسرعة. رأى زميله الأسير إيرل بريانت السحابة أيضاً، وشاهد قمتها تتحول إلى أبيض شاحب، وتتلوّن بوميض قرنفلي. تبع عمود رفيع رأس الفطر إلى

Twitter: @alqareah

السماء، لكنه كان أسود ويبدو مزيجاً من دخان وضوء.

في صباح 9 آب، في الوقت الذي كان فيه الملازم بارنز يلغي تحذيرات الإنذار الرئيس على متن سيارة بوك، كان أسرى المعسكر 17 يعملون آنذاك على عمق 439 متراً تحت سطح الأرض في منجم فحم فوكوكا في مقاطعة أوموتا. كان بريانت وفرانتز يعملان في المنجم منذ نحو سنتين تقريباً، لكن لم تظهر عليهما أي علامات نتيجة ذلك. تميّز كلارنس غراهام، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاماً، بمزيج غريب من عضلات قوية ونحول، وبدا في ضعف عمره الحقيقي على الأقل. تعرض للأسر على جزيرة كوريجيدور (تقع في مدخل خليج مانيلا في الفيليبين) في أيار 1942، وبقي حياً يعمل في منجم لمدّة سنة كعبد أكثر من أي شخص آخر.

على عمق نحو نصف كيلومتر، كان الجو مليئاً بغبار من الفحم الطري على نحو غير معتاد. كانت المضخات ترسل هواءً يكفي فقط لبقاء الحياة، لهذا، كان الجو خانقاً وحاراً، في حين أن مضخات الماء تكاد لا تتخلص مما يتسرب تحت الأرض. كانت جداول الماء التي تصل إلى الكاحل والركبة تمثّل مصدر الانتعاش الوحيد لكلارنس غراهام وباقي عمّال المناجم. كان في مقدورهم غسل العرق والغبار عن جبينهم، وشرب الماء الأسود لإزالة الفحم من حلوقهم، والتخلص من التجفاف، والسماح لهم بسدّ جزء صغير من جوعهم بملء بطونهم بالماء. كان كلارنس قد عاش مدة أطول من أي شخص آخر؛ لأنه لم يصب بأذى في أي انهيار أرضي، وبقي متيقظاً لما يدور حوله. إذا اكتسب رجل لنفسه سمعة بأنه يبقى صامتاً، ولا ينظر إلى عيون آسريه، ويعمل بجد، كان يُترك عادة؛ كي يعيش ويعمل حتى الموت على طعام لا يسد رمقه. كان عمله الرئيس يتضمن هندسة أكوام ضخمة من الصخور على شكل دعامات هرمية تحمل السقوف عندما تبدأ تضعف؛ كان ذلك يحدث كثيراً في كل مكان. في نوبات عمل لنقل الصخور

Twitter: @alqareah

تمتد اثنتي عشرة ساعة، كان يعيش على ثلاثة أطباق من الأرز كل يوم، يسعل أحياناً كمية كبيرة من بلغم أسود، ولا يخفف ذلك من الشعور بالألم في رئتيه أبداً، وكان عليه نزع مئزره وغمسه في الجدول ولفّه حول وجهه كي يستطيع التنفس.

عرف كلارنس أن عليه إبقاء ذهنه مركّزاً على رؤية أسرته مجدداً، خشية أن يرفع مجرفة، ويلعن حارساً في وجهه، ويهاجمه، كما فعل آخرون: انتحار على يد حارس مسلح.

من العالم فوقه، لم يكن ينزل في الواقع إلى المناجم مع الأسرى إلا جنود يابانيون. كان الضباط يعرفون أن الموت تحت الأرض يمكن أن يصل إليهم من اتجاهات مختلفة، لهذا كانوا يبقون في الأعلى، في حين كانت طبقة الجنود الأقل شأناً تصبُّ جام غضبها وإحباطها على الفريسة. ذكّر كلارنس نفسه: الفحم يذهب إلى أسفل التلة، ونحن في قاع تلك التلة.

كلما كانت مناوبة جديدة من العمال تدخل متثاقلة إلى الأنفاق، كان الموجودون هناك يسألون: «ما الجديد في الأعلى؟». طوال سنتين، كان الجواب إما «لا شيء»، أو شائعات لا أساس لها من الصحة عن اقتراب نهاية الحرب. كان الجواب في ذلك اليوم «لا شيء. الهراء القديم نفسه؛ إلا أن شيئاً جعلهم يتحركون مثل دبابير، وقد قرروا التوقف عن إطعامنا».

في 9 آب، ظهر فريق كلارنس غراهام إلى ضوء النهار بعد نحو ساعة على بدء المناوبة البديلة العملَ. تلقى والقادمون والآخرون من مناوبة الليل أمراً بالاصطفاف والوقوف من دون حراك تحت الشمس. لم يحصلوا على طعام، وأعلن ضابط أنهم لن يحصلوا على ماء أيضاً. كان أي شخص يتكلم أو يسقط، أو يصدر عنه أي صوت، سيُقطع رأسه مباشرة.

صرخ ضابط: «بسبب هيروشيما، كان الإمبراطور قد أمر أن تعملوا

Twitter: @alqareah

من دون طعام حتى يقرّر أن عليكم التوقف عن ذلك».

كان كلارنس يشعر بحرارة، لكنه افترض أن الشمس لن تؤذيه على نحو سيئ ذلك اليوم. كانت مجموعة غيوم تتحرك من الشرق نحوهم، وتحجبهم عن الشمس. على بعد نحو عشرين أو ثلاثين ميلاً في اتجاه كوكورا، أثار لمعان فضي انتباهه. خمّن أنها إحدى طائراتنا، تستطلع وتجمع تقارير عن الطقس. مع انطلاق صفارة إنذار بعيدة، وإغلاق محطة الكهرباء مضخات مياه المنجم، تساءل كلارنس لماذا لا تتوقف الطائرات عن التحليق على ذلك النحو وتأتي إلى هنا فتفعل شيئاً؟

لم يكن كلارنس يمتلك ساعة يد، لكنه خمّن من زاوية الشمس أنها الساعة الثامنة تقريباً.

عند الساعة 7:45 صباحاً، وصلت طائرة الرصد الجوي الثانية إلى كوكورا ووصلت سيارة بوك إلى مكان اللقاء، على ارتفاع 30.000 قدم فوق جزيرة ياكوشيما. ظهرت غريت أرتيست على ميمنة تشارلز سويني، لكن طائرة التصوير بيغ ستنك لم تكن في مرمى البصر. بعد خمس عشرة دقيقة وحرق 125 غالوناً من الوقود، لم تظهر الطائرة الثالثة. باستخدام إشارات مشفّرة، أرسلت طائرتا رصد جوي بعيدتان رسالتي «سي-1» و«سي-2/ 10-2». بالرغم من أن ضباب الصباح كان متوقعاً فوق كلا الهدفين، إلا أن جو كوكورا كان صافياً، ونحو عُشري غطاء السحب المتوقع يظهر فوق الهدف الثانوي.

كان ذلك أول نبأ جيد يتلقاه سويني في كل مهمته، وسرعان ما بدا أنه سيكون الأخير.

عند الساعة 8:30، بعد ثلاثين دقيقة إضافية من التحليق في مكان اللقاء – واستهلاك 250 غالوناً آخر من الوقود الثمين – جال سويني ببصره في السماء الخالية مرة أخيرة، ثم قال للطيّار المساعد والمدفعي: «هذا يكفي. لا يمكننا الانتظار وقتاً أطول». حافظ على الصمت اللاسلكي،

Twitter: @alqareah

وهزّ جناحي سيارة بوك، مشيراً إلى غريت أرتيست أنهم سيغادرون مكان اللقاء ويتابعون الطريق إلى الهدف الرئيس.

كانت طائرة التصوير المفقودة تحوم على ارتفاع ميلين تقريباً أعلى منهم، وفوق نقطة غير صحيحة على سطح الأرض. عند الساعة التاسعة، خرقت بيغ ستنك الصمت اللاسلكي واتصلت بقاعدة تينيان: «هل ألغى سويني المهمة؟». كان صوت الطيّار حاداً ومنهكاً، وجاءت الرسالة وكأن مفادها: «سويني ألغى المهمة».

على تينيان، كان يمكن تفسير خرق الصمت اللاسلكي المخالف للتعليمات، الذي لم تتبعه أي اتصالات أخرى، بأنه إشارة على أن خطأً ما قد وقع لطائرة سويني. كان السيناريو الأكثر ترجيحاً هو إسقاط سيارة بوك، أو أنها تحلّق في مكان ما بين ياكوشيما وكوكورا. كان أولئك الذين يعرفون سويني يفهمون أنه في حال وقع في أزمة سيلقي السلاح فوق أقرب هدف عسكري يمكن أن يعثر عليه، بدلاً من إعادة طائرة معطوبة إلى القاعدة توشك أن تتحطم وعلى متنها قنبلة ذرّية صماماتها لا تعمل كما يجب، على مسار عودة سيأخذه فوق ياكوشيما نحو مهبط طوارئ على أيوا جيما. استُنفرت كل فرق البحث والإنقاذ الجوي والبحري على طول طريق عودة سويني الجديد؛ الذي لم يكن واضحاً تماماً آنذاك، وهامش الحياة والموت فيه يبلغ مئات عدّة من الأميال.

إذا نفد الوقود من سيارة بوك وكان عليها فعلاً أن تهبط اضطرارياً في المحيط، كانت كل سفن وطائرات الإنقاذ قد أُرسلت في الاتجاه غير الصحيح.

في ناغازاكي، كان الحاكم ناغانو لا يزال متشككاً في شأن الوصف الذي قدّمه الوالي نيشيوكا إلى هيروشيما. ما منعه من وصف التقرير بأنه محض مبالغة كان معرفته أن الوالي رابط الجأش تماماً. في النهاية، وازن بين المنطق والشك. إذا كان وصف الوالي دقيقاً فعلاً ولم يتخذ

Twitter: @alqareah

إجـراءات احترازيـة إضافية لحماية أسـرته وموظفيه، فقـد تكون النتيجة كارثيـة. إذا قـام بـأي عمـل ولـم يحدث شـيء، فعندها، لـن يكون هناك ضرر ويمكنه معاقبة الوالي على نشره شائعات زائفة.

علـى تلـة تطـلّ علـى ميناء ناغازاكـي من أحـد جانبيهـا وضاحية يوراكامي من الجانب الآخر، حُفر نفق عريض كفاية ليتسـع لشـاحنتين جنباً إلى جنب بسرعة كبيرة في الشهرين الماضيين، ووضعت محركات كهربائية وأنظمة تنقية هواء مزوّدة بأحدث أجهزة طرد غاز أول أوكسيد الكربون وهيدروكسـيد الليثيوم في مواقعها منذ أكثر من أسـبوعين. كان بـاب خارجـي مضاد للانفجار من الإسـمنت المقـوّى بالفولاذ والحرير الصخري يجعل نظام النفق محكم السد كأنه غوّاصة مغلقة داخل جبل ومقاومة إعصاراً نارياً أيضاً.

كانـت أعمـال فنيـة عظيمـة مخبـأة آنـذاك عميقاً فـي الداخل، ولا ينقص إلا أسرّة، ومخزون طعام، وباقي معدّات طباعة الوالي نيشيوكا.

بينمـا كانـت سـيارة بـوك وغريـت أرتيسـت تقطعان المسـافة بين ياكوشـيما وكوكـورا، نقـل ناغانو أسـرته إلى الملجأ مـع كل ما يمكنهم حملـه. ثـم اسـتدعى إدارييه وضباطه مـن وزارة الدفاع الجوي الإقليمية لتقويم الوضع ووضع خطة ما يجب إنجازها في ذلك اليوم. كان الكلام الرسـمي من طوكيو مفاده ألاّ خطر متوقع، لكن يجب البقاء على أهبة الاستعداد. رسمياً، كان كل شيء تحت السيطرة.

لـم يكـن الحاكـم ناغانو واثقاً تمامـاً بذلك. إذا كان وصف الوالي شبه دقيق، سيكون الوضع كله قد خرج عن السيطرة.

طلب الحاكم من المجتمعين التزام الهدوء، وبدأ يصف ما قيل له عن هيروشيما عندما دخل عمدة بلدة تدعى ساسبو مسرعاً إلى الملجأ، يتلعثم بأنباء عاجلة.

صـرخ ناغانـو: «هـل هـذه هي الطريقـة التي تقدّم بها نفسـك إلى حاكمك؟». وبعد أن توقف عن الكلام قليلاً، لاحظ أن ملابس الرجل

Twitter: @alqareah

تقطر عرقاً، وأدرك أن هناك سبباً وجيهاً جعله يبدو مثل متشرّد.

مشى ناغانو إلى العمدة، وسأله بلطف: «أين كنت؟».

حدّق العمدة بشراسة إلى عينيه ورد: «أنا في الجحيم».

على بعد أكثر من كيلومترين في اتجاه منبع النهر، كان د. تاتسويشيرو أكيزوكي قد بدأ آنذاك يفحص العديد من المرضى الخارجيين، منهم بول ناغي. بالرغم من أنه نام على نحو متقطّع في الليل، إلا أن د. ناغي أصرّ أنه يشعر بخير ليتابع واجباته، ووافق أكيزوكي على ذلك. كان كلا الرجلين يعتقدان أن أفضل دفاع ضد الجلوس على كرسي القلق والسماح للأسى بالهيمنة على حياة المرء هو القيام بعمل يُبقي الحزين مشغولاً بأفكار عن الجميع إلا نفسه.

ترك أكيزوكي ناغي مع المرضى الخارجيين وكان يمشي نحو جناح ثانٍ عندما اقتربت طائرة بي - 29 أخرى للرصد الجوي، التي بعثت رسالة عبر موجات لاسلكية مفادها «سي - 2/ 10-4»، وتعني: «غطاء غيوم يحجب أربعة أعشار المنطقة، هدف ثانوي». في الوقت نفسه، أطلقت صفّارة إنذاراً طويلاً ومستمراً يشير إلى «إنذار أصفر» ويعني: «العدو في الطريق. استعدوا للاحتماء».

أسرع د. أكيزوكي من غرفة إلى أخرى، يحذّر المرضى للبقاء بعيداً عن النوافذ. بموجب «الإنذار الأصفر»، كان على كل الأطباء التخلي عن كل ما يقومون به والتحرك مباشرة إلى ملاجئ القبو. ذهب أكيزوكي إلى نافذة بدلاً من ذلك، يبحث عن طائرات بي - 29. لم يرَ شيئاً، وتوقفت الصفّارة، ثم أُطلِقت بإشارة تشير إلى انتهاء الإنذار، أو «الحالة الخضراء». كان ذلك ثاني إنذار زائف في ساعات عدّة. كان الجو يبدو غائماً قليلاً، مما يجعل رؤية الطائرات صعبة؛ لكن بخلاف ذلك، لم يكن هناك داعٍ للقلق. بالفعل، كان تراكم الغيوم سبباً لعدم القلق. لم تكن تشكيلات بي - 29 ترغب في إلقاء قنابل، ليلاً أو نهاراً، عند وجود غيوم فوق

Twitter: @alqareah

الأهداف. كان معروفاً أن الأيام الماطرة هي الأكثر أماناً.

كان الجو حاراً في الخارج والرطوبة ترتفع بثبات. يبدو أنها ستمطر؛ كما قال د. أكيزوكي في قرارة نفسه، لهذا، كان يدندن مبتهجاً في أثناء نزوله السلالم إلى غرفة الفحص. عندما دخل، وجد د. يوشيوكا تجري عملية جراحيّة عاجلة لمريض؛ كانت تقوم بذلك الإجراء منذ نحو عشر دقائق.

قال أكيزوكي، محاولاً أن يبدو صارماً: «يجب أن تتوقفي عن العمل عندما تنطلق صفّارات الإنذار من غارات».

ردّت: «شكراً لك، لكن كان هناك عدد كبير من المرضى ينتظرون».

لم يكن د. أكيزوكي يظن أن ذلك ممكن، لكن د. يوشيوكا بدت أكثر إرهاقاً من د. ناغي. أخيراً، بدا أن خدمة القطار قد توقفت عن العمل، لهذا كانت قد بدأت تمشي أكثر من خمسة كيلومترات عبر ناغازاكي، تبدأ عملها كل يوم بعد الفجر مباشرة، وتستمر فيه اثنتي عشرة ساعة على الأقل.

سأل أكيزوكي: «هل أكلتِ اليوم؟».

ردّت: «لاحقاً».

أصرّ أكيزوكي: «لا، \الآن. إنها أوامر الطبيب. سأساعدك على إنهاء ما تقومين به هنا، ثم أريدك أن تصعدي إلى الأعلى وتأخذي قسطاً من الراحة. سأحل محلك بعض الوقت».

قالت: «حسناً... شكراً لك»، وابتسمت. «لكن إلى متى؟».

قال أكيزوكي: «الوقت الذي تحتاجين إليه. أظن أننا سنرى ذلك».

عند الساعة 9:45 صباحاً، ظهرت كوكورا أمامهم مباشرة. حدّد تشارلز سويني مسار القنبلة وكان على وشك تسليم التحكم إلى المدفعي كيرميت بيهان عندما صرخ الأخير قائلاً: «لا يمكنني رؤيته! لا يمكنني رؤيته! هناك دخان يحجب الهدف».

Twitter: @alqareah

بين الوقت الذي بعث فيه جورج ماركوارت آخر تقرير «سي - 1» عـن حالـة الطقـس ولحظة الاقتراب النهائية، كان اتجاه هبوب الريح قد تغير. في الأسـفل، وبعكس الريح التي تأتي من اتجاه مصانع كوكورا، كانت بلدة ياواتا لا تزال على الحالة نفسـها التي كان كنشـي هيراتا قد رآهـا عليهـا مـن قطاره قبل ليلة؛ تحترق على نحو خارج عن السـيطرة. كانت المصانع محجوبة تماماً تحت طبقة كثيفة من الدخان.

صرخ سويني عبر جهاز الاتصال الداخلي: «لا تُلقوا القنبلة. أكرّر. لا تُلقوا القنبلة».

كان التحليق مرة واحدة فوق المكان يترك سـويني مع وقود يكاد لا يكفي للعودة إلى تينيان. إذا كان عليه الدوران ثلاثين ميلاً ليمر ثانية فوق المكان ثم يتجه إلى الهدف الثانوي، فلن يتمكّن من الوصول إلى أقرب قاعدة في أوكيناوا.

انحـدر سـويني جانبـاً نحـو اليسـار وبـدأ رحلـة طويلـة فـي اتجاه الجنوب على مسـار العودة، وغريت أرتيسـت على مسافة قصيرة خلفه. بـدأت فـي ذلـك الوقت أولى قذائف المدفعية المضادة للطائرات تنفجر علـى كلا الجانبيـن. قـال مدفعي الذيل بابـي دهارت إن التفجيرات تقع بعيـداً عـن الطائرة، لكـن المدفعيين على الأرض يوجهون قذائفهم على ارتفاع صحيح؛ «بفارق بوصة تقريباً».

ردّ سويني: «تلقيت ذلك يا بابي». عبر التجريب وتصحيح الخطأ، كان المدفعيـون «يوجهـون» آنـذاك القذائـف نحوه، ويقتربـون ببطء من إصابته. في شـهر تموز، وصولاً إلى غارة 8 آب، نجحت الخدعة التي كان جوزيف فوكو قد اقترحها جيداً. كان معظم مراقبو العدو ومدفعيوه يستسـلمون لشـعور زائـف بالطمأنينة بشـأن طائرتين بـي - 29 أو ثلاث تحلّق معاً من دون أن تلقي قنابل؛ كأنها قد ابتعدت عن مسـار السـرب الرئيـس أو تـؤدي فقـط مهـامّ رصد جوي أو اسـتطلاع. كان واضحاً أن خدعةً قد نجحت مرة واحدة فوق هيروشـيما لا يمكن أن تجدي نفعاً

Twitter: @alqareah

مرة ثانية فوق كوكورا.

سيتذكر تشارلز سويني لاحقاً أنه كان يقوم آنذاك بشيء نادراً ما يفعله قائد قاذفة في طائرة على ارتفاع 30.000 قدم؛ معرّضة للإصابة بقذائف مدفعية مثل منطاد مطاطي: التحليق مرة ثانية فوق هدف محصّن جداً. كان التحليق مجدّداً يمنح أطقم المدفعية المضادة للطائرات فرصة ثانية. كان سويني يعرف أنه إذا أصابت قذيفة سيارة بوك، فإن صمامات الاحتكاك ستفجّر بالتأكيد القنبلة في أثناء الجزء الأول بالغ الأهمية من مئة مليون من الثانية. لم يكن واثقاً بإمكانية وصول تأثير انفجار بقوة عشرين أو ثلاثين كيلوطناً على ارتفاع 30.000 قدم إلى الأرض والقضاء على مصانع الأسلحة. لكن حتى إذا لم يقتل الانفجار هؤلاء الموجودين في الأسفل، كما فكّر، سيمنحهم بالتأكيد شيئاً يفكّرون فيه.

عقد سويني العزم على التحليق فوق كوكورا مرة ثانية. لم يكن استهلاك الوقود الإضافي الذي يتطلّبه الذهاب إلى ناغازاكي السبب الوحيد الذي دفعه إلى اتخاذ ذلك القرار. كان هدفه الثانوي يمتد على مساحة أكبر من مصانع كوكورا، ويقطن بين ناغازاكي وضاحية يوراكامي أكثر من ربع مليون نسمة. لهذا، رفع سيارة بوك ربع ميل آخر، على أمل الابتعاد عن نطاق الارتفاع الذي يستهدفه المدفعيون، لكن بابي نادى بإثارة من الذيل: «اللعنة. قذائف المدفعية خلفنا مباشرة وتقترب منا!».

قال سويني بهدوء: «انسَ الأمر يا بابي. نحاول الهروب من القذائف». لكن الاقتراب الثاني كشف عن أدخنة تنبعث فوق الهدف أكثر من المحاولة الأولى. كانت قذائف المدفعية المضادة للطائرات تلك المرة قريبة ما يكفي لجعل الطائرة تهتز. قرّر سويني الارتفاع بها خُمس ميل إضافي لتضليل المدفعيين مجدداً، بالرغم من أن الهواء الأقل كثافة سيكون عبئاً إضافياً على مخزون الوقود المتضائل. حلّق حول المكان في مسار قوسي الشكل طويل جداً وبدأ يخطط للاقتراب مرة ثالثة من زاوية مختلفة، متشبثاً بأمل ضئيل أنهم قد يستطيعون من تلك

Twitter: @alqareah

الزاوية الجديدة العثور على ثقب في الغطاء الدخاني. لكن المحاولة الثالثة لم تكن أكثر نجاحاً من سابقتيها، وبدأت قذائف المدفعية تنفجر قرب الطائرة. كانت هناك تلك المرة أصوات قعقعة حقيقية إضافة إلى اهتزازات الطائرة، وبدأ بابي يتساءل: كيف ورّطت نفسي في هذه الفوضى الرهيبة؟

أعلن سويني: «يمكنكم الاسترخاء أيها الرجال. حان الوقت لترك كل هذا خلفنا. سنذهب إلى الهدف الثانوي».

هز سويني جناحي الطائرة في إشارة إلى غريت أرتيست أن تلحق به واتجه جنوباً. بعد دقيقة، انحنى مهندس الرحلة كوهارك إلى الأمام وقال: «أخشى أن الوقود لدينا قد أصبح في وضع حرج».

«حدّد ماذا تعني بكلمة حرج».

«لدينا ما يكفي للوصول إلى ناغازاكي والتحليق فوقها مرة واحدة فقط. لكننا لن نصل إلى أوكيناوا. سنهبط اضطرارياً قبل خمسين ميلاً على الأقل».

سأل سويني: «هل لديك المزيد من تلك الأنباء الجيدة؟»، وردّ إيد بوكلي، مشغّل الرادار، عبر جهاز الاتصال الداخلي: «هناك مقاتلات في الأسفل وترتفع لاعتراضنا!».

بدا الأمر لسويني مثل الدعابة السمجة القديمة عن الطبيب الذي يقول: «أنباء سيئة وأنباء جيدة. آسف لقول إننا بترنا القدم السليمة. لكن لا تقلق، الأخرى تتحسن».

كانت انعطافة سويني جنوباً قد أصابت فريد بوك بدهشة. كان يقود غريت أرتيست عبر قذائف المدفعية، إلى يمين سيارة بوك وخلفها قليلاً عندما حدث ذلك. كانت غريت أرتيست آنذاك إلى يساره وأبعد قليلاً إلى الخلف. نظر سويني إلى الميمنة ولم يرَ طائرة بوك حيث يُفترض أن تكون، وصرخ نحو مواقع المدفعيين: «أين بوك؟».

تدخّل عامل فوبار، مجدداً. كان مرفقٌ أو لوح كتابة قد ضرب

Twitter: @alqareah

زر التحويل. بدلاً من التحدث إلى فريقه عبر جهاز الاتصال الداخلي، انتشرت عبارة «أين بوك؟» مئات الأميال في كل اتجاه.

مباشرة، جاء ردٌّ من قائد بيغ ستنك المفقودة منذ بعض الوقت: «تشك؟ هل هذا أنت يا تشك؟ أين أنت بالله عليك؟».

في تلك اللحظة، لم يكن سويني يعرف من يرغب أن يركله بقوة أكبر؛ نفسه لأنه ضغط على الزر غير الصحيح، أم قائد بيغ ستنك، الذي كان واضحاً أنه يتوقع منه أن يعلن هويته ومكانه لكل الإمبراطورية.

توثّق من تحويل زر الاتصال إلى الجهاز الداخلي، عض بقوة على شفته السفلى، ووجّه ملاحه إلى تحديد مسار «مباشر» من كوكورا إلى ناغازاكي.

في أثناء تعرّضهم لقذائف المدفعية، كان الملاح جيم فان بيلت قد أنهى الحسابات وفي جعبته اتجاه دقيق على البوصلة. أضاف بسرعة: «لكن بالطبع، سيأخذنا هذا المسار فوق مهابط مقاتلات كيوشو مباشرة».

مما كان سويني يراه، لم يكن لديه خيار آخر. إذا انحرف أكثر من خمسين ميلاً غرباً فوق البحر، ثم قطع ستين ميلاً إضافياً بالانحراف في اتجاه الجنوب الشرقي نحو ناغازاكي، سيصبح وضع الوقود حرجاً جداً. كان الطيران في خط مباشر في اتجاه الجنوب الشرقي هو الخيار الوحيد. كان جيم محقاً بشأن مخاطر المسار فوق اليابسة. بالرغم من أن سيارة بوك وغريت أرتيست كانتا آنذاك خارج نطاق مدفعية كوكورا وقد سبقتا المقاتلات مسافة كبيرة، إلا أن العدو كان ذكياً. قياساً بأي شخص يراقب من الأرض، كان أثر البخار الذي تخلّفه الطائرات يشير مثل إبرة بوصلة إلى اتجاهها. حاول سويني الاسترخاء بتذكّر حسابات الخبراء الذين كانوا يطمئنون كل فريق أنه، بالنظر إلى سرعة قاذفات بي - 29 الكبيرة، فإن أفضل ما يمكن لمقاتلات زيرو اليابانية القيام به هو الاقتراب منها وأقل من ثانية واحدة لإطلاق النار. ذكّر نفسه: لكن لا. كم مرة رأينا هؤلاء الخبراء يطيرون حقاً داخل الطائرات التي يدّعون

Twitter: @alqareah

أنهم قد صمموها جيداً إلى درجة أننا لسنا بحاجة إلى أسلحة للدفاع عن أنفسنا؟

قال سويني: «لا يمكننا تفادي كيوشو يا جيم»، واختار المسار المباشر. كان قد خسر 600 غالون منذ اللحظة التي أقلع فيها بطائرته، وآنذاك بعد ساعة ونصف من التحليق فوق جزيرة ياكوشيما وكوكورا، كان قد استهلك 750 غالوناً آخر. فوق ناغازاكي، سيكون لديه وقود يكفي للتحليق على ارتفاع منخفض مرة واحدة فقط إذا أراد الهبوط اضطرارياً في أي مكان قرب المياه التي يسيطر عليها الأميركيون في أوكيناوا. فكّر سويني في كل الكائنات الغريبة الصغيرة الأخرى التي كانت تدسّ أيديها المخرّبة في تلك المهمة، وافترض أنه حتى مع وقت إطلاق نار أقل في المرة الثانية، فإن ذلك ربما يكون يوم سعد بعض مقاتلات زيرو.

كاد يطرح السؤال الممنوع، لكنه أحجم عن ذلك. ثم مع انكشاف أكثر من مئة ميل أمامه، رأى بحراً فضياً من سحب متراكمة يتجه نحو المنطقة المستهدفة. فقد سويني أخيراً قبضته على لجام الأسئلة، استدار إلى طيّاره المساعد، وطرح السؤال الذي لا يلفظه العاملون في سلاحي الغواصات والجو: «هل يمكن أن يحدث أي خطب آخر؟».

وصل كنشي هيراتا إلى منزل والديه، على ما سيصبح الجانب الظليل من تلة عالية، في الوقت نفسه تقريباً الذي طرح فيه تشارلز سويني السؤال الممنوع. بعد ثوانٍ، قال مهندسا الرحلتين على متن سيارة بوك وغريت أرتيست إن محطة رادار أرضية في اتجاه ناغازاكي قد بدأت رصد الطائرتين. كانت أقل من ساعة آنذاك تفصلهم عن لحظة الصفر، وأكثر من 3.3 كيلومترات تفصل كنشي عن مركز الانفجار التالي.

في أثناء اقترابه من الدرجات، خرج والداه يجريان عبر الباب

Twitter: @alqareah

والدموع في أعينهما. في تلك اللحظة نفسها، بدأت صفّارة غارات جوية تطلق ما بدا أنه على الأرجح إنذار زائف من سلسلة لا تنتهي. لم يكن كنشي ليجازف سواء أكان الإنذار زائفاً أم لا. منتبهاً إلى إمكانية ظهور وميض ثانٍ، طلب من والديه الدخول معه إلى المنزل بسرعة والبقاء بعيدين عن النوافذ.

كان والد كنشي مصدوماً لرؤيته، شاحباً، ويداه ترتعشان، والعرق يسيل على وجنتيه وصدره وساقيه؛ بدا مثل رجل يتضوّر جوعاً.

سألت والدته: «هل أكلت؟».

قال: «لست جائعاً. يبدو أن لا شيء يبقى في جوفي». ضم آنية الزفاف إلى صدره وهزّها بلطف، وأحنى والده رأسه.

قالت السيدة هيراتا: «عرفت أنك حي. حتى عندما لم تكن هناك أنباء من هيروشيما، كنت أعرف أنك لا تزال في هذا العالم».

سأل والده بهمس تقريباً: «وستسوكو؟».

رفع كنشي الآنية وأحنى رأسه وقبّلها، ثم ردّ: «هذا كل ما تبقّى منها».

قالت الوالدة: «نعرف هذا سلفاً».

«كيف ذلك؟».

شرحت: «لأن والدة ستسوكو وصلت في الصباح الباكر إلى منزلنا تحمل النبأ معها. عرفت أن ابنتها ماتت في هيروشيما، لأن ستسوكو كانت تزورها في أحلامها».

لم تجعله كلمات والدته يشعر بأي ارتياح، وإنما بمزيد من الغضب. تذكّر، عندما حلّ بيكا-دون على هيروشيما، كيف أن صوت امرأة قد صرخ في ذهنه وجعله يبقى منبطحاً، في حين وقف كل شخص آخر وتعرّض لإصابة خطرة أو لقي حتفه. في البداية، كان قد ظنّ أنها ربما تكون روح جدّته، ثم فكّر لاحقاً في أنها ستسوكو من دون شك، تحثّه على العيش. كان يعرف آنذاك أنها هي. يعرف ذلك حق المعرفة.

Twitter: @alqareah

حبس كنشي دموعه، نهض، وقال لوالده: «يجب أن نذهب حالاً إلى والدي ستسوكو، مع هذه الآنية، ونعيدها إلى الديار».

عندما خرجوا من المنزل، وبالرغم من انقضاء دقائق معدودة فقط، كان النهار قد أصبح أكثر جفافاً. كانت غيوم كثيفة تغطّي أكثر من نصف السماء آنذاك.

توقفت صفّارة الغارة الجوية وأطلقت إشارة التوقف. طمأن كنشي نفسه أنه إنذار زائف آخر. كان انفجار هيروشيما قد ظهر فجأة في سماء زرقاء وصافية تماماً. كان الجو الغائم أنباء جيدة في تلك الأوقات. لم يكن الأميركيون يلقون قنابل قطّ إذا لم يستطيعوا رؤية الأرض. كان الجميع يعرفون ذلك، ويعدّونها حقيقة لا لبس فيها.

بعد أن تجاوزوا صفاً من المنازل ومعبداً بوذياً، سمع كنشي ووالده مذياعاً يزعق عالياً. لسبب ما، كان كل من يمتلك مذياعاً يعمل تلك الأيام يجد متعة في رفع الصوت حتى يسمع الحي كله البث. كان شخص آخر أبعد قليلاً في الطريق نفسه يستمع إلى المحطة نفسها. آنذاك، قاطع مذيع بثّ الموسيقى ليخبر مستمعيه أنه تم التصدّي لقاذفات بي – 29 عدّة حاولت قصف كوكورا وأنها على ما يبدو إما سقطت أو تتجه نحو البحر. ومن ثم، رُفعت حالة الإنذار من الغارات الجوية في كوكورا وولاية ساغا في الشمال والإنذار الأصفر في ناغازاكي.

بينما كان كنشي يسير، ازدادت كثافة السحب بسرعة، وتقلّصت معدته قليلاً. ظنّ أن في مقدوره شربَ قليلٍ من الماء آنذاك، أو أن يحتفظ به في جوفه. كل ما كان يحتاج إليه هو فسحة صغيرة للتنفس، وأن تبقى ناغازاكي بأمان ذلك اليوم.

كان مصمم السفن أكيرا إيواناغا قد وصل من هيروشيما إلى منزل والديه في 8 آب. كانا يعيشان على مسافة آمنة من ناغازاكي، قرب ينابيع أوباما للمياه الحارّة.

Twitter: @alqareah

كان المرض قد ألزمه الفراش في الليل، لكنه استيقظ في الصباح وهو يشعر بأنه أفضل حالاً وقد استعاد بعضاً من شهيته. لهذا، استقل قطاراً من المحطة المحلية ولحق بآخر رحلة بين هيروشيما وناغازاكي.

في مقصورة مختلفة في القطار نفسه، كان ماساو كوماتسو، أحد معاوني موريموتو صانع الطائرات الشراعية العسكرية، يعود أيضاً من هيروشيما إلى ناغازاكي. في 6 آب، كان قد ذهب إلى مستودع للحصول على مستلزمات عمل ذلك اليوم، وخرج منه بعد أن سمع هديراً يشبه بي – 29 على وشك أن تتحطم فوقه مباشرة. على بعد ثلاثة كيلومترات من مركز الانفجار، كان ماساو محجوباً عن الوميض وداخل شرنقة حمته تماماً من الانفجار. تحطّم المستودع وانهار إلى أحد جانبيه، لكن جلده لم يُصب إلا بموجة من هواء حار جداً. لم يحترق، ولم يُصب بمرض.

في الوقت نفسه الذي وصل فيه كنشي إلى منزله، كان ماساو وأكيرا يقتربان من ضواحي ناغازاكي الخارجية. كان ماساو يشعر بأنه بخير ويستطيع تناول آخر قطعة حلوى لديه. فقد أكيرا، بالرغم من أنه كان قد استيقظ في منزل والديه شاعراً بقليل من النشاط، شهيته مجدداً، وقوته أيضاً. عميقاً في أنسجة أكيرا، استمرت الأشعة والمطر الأسود في إنجاز عملهما. كان قد استرخى في مقعده واستغرق في نوم عميق لم يتخلله أي حلم.

كان زميل أكيرا وصديقه مصمم السفن ياماغوشي يعمل آنذاك. بالرغم من أنه كان لا يزال يشعر بألم من حروقه ويكاد لا يستطيع إخراج نفسه من السرير حتى إن ساعدته زوجته، إلا أنه بقي مطيعاً أمرَ تقديم تقرير كامل عن هيروشيما في المقر الرئيس إلى شركة ميتسوبيشي للصناعات.

أخبر هيساكو: «الأوامر أوامر. تلك هي بداية الأمر ونهايته».

في قاعة المؤتمرات، أخبر المديرين والمهندسين، بالرغم من أنه

Twitter: @alqareah

كان مضمداً وينزف، عن المرأة التي ترتدي مومبي أسود، وكيف أن أي شخص يرتدي ملابس داكنة قرب منطقة الوميض قد احترق وانسلخ جلده في الوقت نفسه. أخبرهم كيف أن غصناً صغيراً طرياً يمكن أن يندفع بقوة تخترق العظام.

حذّر ياماغوشي: «يتضاعف خطر الاختراق مع الزجاج المتطاير. إذا انفجرت قنبلة مشابهة هنا، في اللحظة التي ترون فيها الوميض، يجب أن تقصدوا أي ملجأ متوافر، حتى إذا كان كل ما يمكنكم فعله هو الاحتماء خلف طاولة أو كرسي». أمر بعد ذلك زملاءه بفتح كل نافذة في الغرفة.

قاطعه رئيس قسم: «لا يبدو هذا منطقياً. إن الضرر الذي لحق بهيروشيما لا يشبه قطّ ما تحاول نسجه هنا. كيف يمكن لقنبلة واحدة إطلاق مثل تلك الطاقة لتدمير مدينة برمّتها؟ أنت مهندس، احسبها!».

قال ياماغوشي بفظاظة، وهو يشير بيده السليمة نحو ذراعه اليسرى والجانب الأيسر من وجهه قائلاً: «لقد فعلت ذلك».

قال رئيس القسم: «بالضبط. لقد أُصبت يا ياماغوشي. لم يكن دماغك يعمل على نحو صحيح».

خارج النافذة، نبضت فجأة صفّارة إنذار بالحياة من جديد.

كان لا يزال لدى الوالي نيشيوكا هدف واحد فقط: أن ينضم إلى زوجته وابنه في الأمان المفترض لمتنزه إنزين الوطني. استطاع الحصول على سيارة خدمات خاصة أُرسلت إليه من محطة قرب بلدة إساهايا. كانت تعليمات المراسل من المقر العام العودة بالوالي مباشرة إلى ناغازاكي، لكن نيشيوكا أنقذ حياة السائق بكلمتي «خطة جديدة».

سأل السائق: «هل تعني أننا لن نذهب إلى ناغازاكي؟».

قال الوالي: «سنذهب إلى إنزين».

«لكن لماذا؟ تلك على مسافة بعيدة في الاتجاه المعاكس».

Twitter: @alqareah

قـال: «أعـرف ذلـك»، وأضاف أن أوامره الجديدة تتضمن الذهاب إلى إنزين.

مـرة أخـرى، لـم يذهب نيشـيوكا بعيـداً. أوقفه المـرض في منطقة أكيرا، في بلدة أوباما التي تطل على خليج إرياكي. عندما توقف بجانب السيارة، مسح القيء عن شفتيه وحاول استعادة قوته، كشفت ثغرة كبيرة في الغيوم أثر دخانٍ لطائرة تحلق على ارتفاع عالٍ جداً، يصل إلى أحد عشر كيلومتراً أو أكثر. رأى وميضين فضيين أمام أثر الدخان؛ يعني أن قاذفتين من بي - 29، لا واحدة، تطلقان أثر دخانٍ في الأجواء، وتطيران جنباً إلى جنب. كانتا تتجهان مثل رأس سهم نحو ناغازاكي، وعلى بعد ثلاثة وثلاثين كيلومتراً فقط عنها.

كأن لا شـيء غيـر معتـاد علـى الإطلاق كان يحـدث آنذاك، ابتعد الضابط الذي كان إيشيرو مياتو قد عيّنه للمراقبة عن شاشة الرادار، فرك عينيـه، وعـرض علـى مياتـو أن يجلس. عـادة، كان «الفنيّـان» يحبّان أن يتكلما عن التسوق أو الفتيات بين المناوبات، لكن ليس ذلك الصباح. لقد كانا منهكين بعد تمضية اثنتين وسبعين ساعة صعبة جداً في المراقبة. كلما كانا يرتاحان من مراقبة الشاشـات التي تستمر عشـر ساعات، كانا ينقـلان فـي شـاحنات معدّاتٍ جديدةً إلى أنفاق مضـادة للقنابل، والتي، عند اكتمالها، ستصبح محطة رادار أكثر قوة يمكنها نظرياً اكتشاف سفن الأميركيين الغزاة وطائراتهم على مسافات تصل إلى 1000 كيلومتر.

كان في مقدور مياتو رؤية أن كل ما يريده صديقه هو الخروج من الغرفة والخلود إلى النوم. نظر إلى نقطة مضيئة على الشاشة تقترب من اتجاه أوباما، وحاول إجراء حوار بأي حال.

سأل مياتو: «ماذا لديك؟».

جـاء الـرد: «مجـرد إنـذار زائف آخر». لم يزعج نفسـه بالنظر إلى الخلف، في حين كان يعتمر قبعة ويغادر مجمّع جنوب كيوشو. افترض

Twitter: @alqareah

مياتو أن الأعمال المكثّفة وجو الهزيمة كانت كافية لإنهاك أعصاب أي شخص، لكنه كان قد توقع أفضل من ذلك. في نهاية المناوبة السابقة، بـدا صديقـه منهـكاً جـداً وقـرر مياتو في تلك المرة منحه اسـتراحة عند السـاعة 10:40 صباحـاً، بالرغـم مـن أن جولته كان يُفترض أن تبدأ عند الساعة الحادية عشرة.

جلس مياتو على مقعده وراقب النقطة المضيئة تقترب من الشمال مع كل شعاع رادار. لم يكن ذلك جديداً عليه. كانت طائرات الاستطلاع تحلـق كمـا يحلـو لها آنذاك فـوق الإقليم كلّه، وأطلقـت ثلاثة إنذارات زائفـة علـى الأقـل فـي صبـاح ذلـك اليـوم وأسـهمت في تحقيـق غفلة ازدادت خطورتهـا بشـأن صفّـارات الإنـذار مـن غارات جويـة. لم يكن مياتـو يرغـب فـي تحمّل مسـؤولية إطلاق إنذار أصفـر زائف آخر، لهذا سـجل ملحوظة في سـجل المناوبة، ووثّق التوقيت عند السـاعة 10:45، وعـدّل تـردد موجـات الرادار. في الشـعاع التالي، بدا الشـيء على نحو مبهم مثل صدى من نقطتين مضيئتين منفصلتين، لكن في شعاع الرادار اللاحق لم يسـتطع التوثّق من ذلك. كان الجسـم الدخيل يرسـل آنذاك إشارات متداخلة، ويشوّش على مياتو باستخدام راداره.

رفع سمّاعة الهاتف واتصل بمقر القيادة.

صدر صوت من الطرف الآخر: «ماذا ترى؟».

ردّ مياتـو: «يبـدو أنهـا موجة رادار بي - سـان واحدة. تخميني أنها طائـرة اسـتطلاع. الارتفـاع يزيـد على 10.000 متـر؛ على الأرجح أعلى من نطاق المقاتلات».

ردّ عليـه: «شـكراً لـك»، وأنهـى المكالمة. مثـل معظم المكالمات تلـك الأيـام، تكلـم الشـخص علـى الطـرف الآخـر بمزيـد غريـب مـن التهذيب، والملل، والتذمر.

بعد شعاع آخر من الرادار، لاحظ مياتو أن الشيء يسلك على ما يبدو مساراً مستقيماً. حدّد الاتجاه ورفع سمّاعة الهاتف مجدداً.

Twitter: @alqareah

صدر عن الصوت نفسه: «ماذا ترى؟».

«إذا استمر الشعاع على المسار الحالي، سيصل مباشرة إليك. سيمر فوق ناغازاكي تماماً في نحو عشر دقائق. ربما ترغب في اتخاذ إجراءات مضادة».

وضع مياتو الهاتف على وضعية التخاطب عبر مكبّر الصوت ليحرّر يديه، عدّل موجة الرادار وحاول إظهار النقطة المضيئة بوضوح أكبر، لكنها كانت تشوّش عليه مجدداً باستخدام رادارها. سكب لنفسه كوباً من الشاي وانتظر إجابة. ستة إشعاعات، رشفتان، وبقي يتبع المسار المستقيم نفسه. كان مياتو يتوقع «شكراً لك» مهذّبة وإنهاء المكالمة. عرف متيقناً تقريباً أنه لن يتم إرسال مقاتلات اعتراضية. كانت بوينغ بي - 29 عالية جداً، ولم يكن هناك ببساطة وقود كافٍ لتبديده في محاولة غير مجدية لإسقاط طائرة «تائهة» وحيدة، أو وقتٍ كافٍ لذلك.

لم يتلقَّ مياتو الرد الذي كان يتوقعه. كان رجلان غاضبان يتكلمان في الخلفية، وسأل صاحب الصوت المهذّب: «هل أنت واثق أنك ترى طائرة واحدة فقط؟ هل هناك أي احتمال أن تكون اثنتين أو ثلاثاً، تطير في تشكيل قريبة جداً من بعضها بعضاً؟».

«لاحظت فعلاً شذوذاً قبل نحو عشر دقائق. في لحظة، بدا أنني أرى طائرتين».

قال الرجل: «ابقَ على الخط!»، ووضع يداً فوق السمّاعة حتى لا يسمع مياتو أي شيء مما كان يقال. بقيت النقطة المضيئة تتجه في خط مستقيم إلى ناغازاكي. لم تكن المدينة تبعد أكثر من 25 كيلومتراً عن مياتو. مرّت ثلاثون ثانية أخرى، واقترب الشيء من مقر القيادة.

عاد الصوت بنبرة أكثر صرامة هذه المرة وخالية من أي لطف: «أيُّ تغيير؟».

«لا. لا تزال في مسار مستقيم نحو ناغازاكي. سأغيّر الترددات مجدداً وأرى إن كنت أستطيع الحصول على دقة أكبر لـ».

Twitter: @alqareah

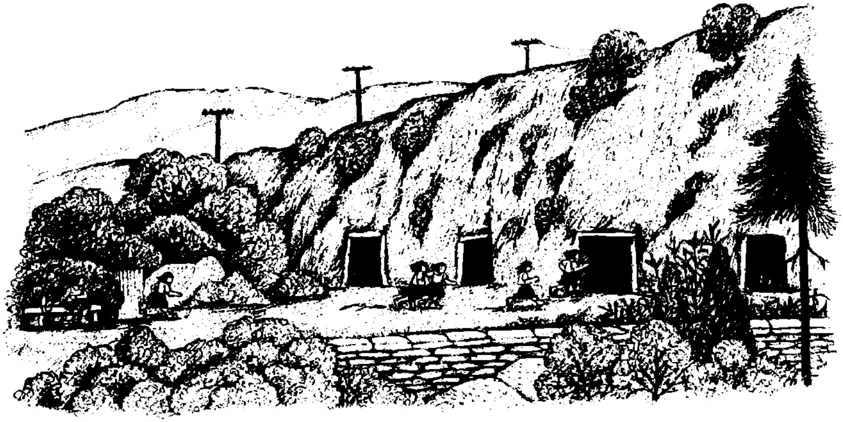

«لا! أبقِ هذا الخط مفتوحاً!».

قال مياتو بجفاء أكثر قليلاً: «أسمعك عبر مكبّر الصوت!». وأضاف بعد ذلك بلطف أكبر: «أريد فقط أن تكون كلتا يديّ حرّتين حين أعمل على الرادار».

قال صاحب الصوت المتجهّم: «مفهوم»، وشرع يقول شيئاً آخر لكنه أحجم عن ذلك؛ كأنه لا يرغب في قول: أنت لا تفهم. في سنوات لاحقة، سيخطر لمياتو أن صاحب الصوت المجهول كان يرغب في القول له: أرجوك ابقَ معي. أرجوك.

كانت ميشي البالغة من العمر خمسة عشر عاماً على وشك النجاة برفضها التفكير، مثل كل شخص آخر في صفها تجاهل تحذير الغارة الجوية الأخير مثل سابقاتها، أنه مجرد إنذار زائف آخر.

عند الساعة 10:55 صباحاً، كانت ميشي تبعد 600 متر (أو ستة أبنية سكنية) عن مركز انفجار سيصبح قريباً أقوى بثلاثة أضعاف من تفجير هيروشيما. عندما بدأت الحصة الثانية من اليوم المدرسي، صدح الإنذار الأصفر، فأمرت مدرّستها كل الطالبات بالخروج من قاعة الصف والتوجه إلى الأنفاق التي كان عمّال الحاكم ناغانو قد حفروها في

Twitter: @alqareah

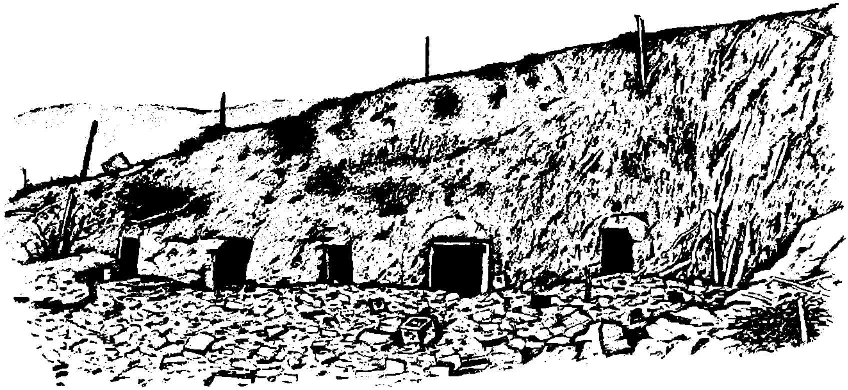

صرخت سومي - تشان: «سأسابقك!»، وأدركتها مباشرة. تبعهما أحد الأولاد، ثم خمسة آخرون، يصرخون ويضحكون. وضعت والدة سومي - تشان تطريزها جانباً وبدأت تلحق بهم أيضاً.

سفح إحدى التلال، خلف ساحات اللعب وبستان الخيزران في ساحة المدرسة.

لم تقلّل مدرّسة ميشي قطّ من خطورة أي إنذار. صرخت على فتياتها أن يركضن إلى الملجأ، وتبعتهن ببطء للتوثّق من عدم تخلّف أي منهن. مثل قبطان سفينة تغرق، لم تكن المدرّسة تستطيع النجاة بنفسها حتى يكون الجميع بأمان أمامها. لكن معظم صديقات ميشي مشَين بتثاقل عبر الحقل، تحدّثن بهدوء بين أنفسهن وتوقفن لينظرن حولهن، بعد أن تجاوزن مبنى سكنيًّا في اتجاه مركز الانفجار التالي.

وحدها ميشي وستّ فتيات أخريات ركضن في الواقع إلى النفق. وكالمعتاد، دخلت قبل كل أفراد صفها.

ستنجو إيميكو فوكاهوري البالغة من العمر سبعة أعوام نتيجة رد الفعل نفسه. كانت تلعب مع صديقتها المقرّبة سومي - تشان في بستان خيزران قريب. كان البستان مكاناً مفضلاً لتجمّع أسر الحي. كانت والدة سومي - تشان قد فرشت حصيرة على الأرض وشرعت في التطريز اليدوي، في حين كان أولادها يلعبون بين الخيزران الطويل.

Twitter: @alqareah

كانت إيميكو مستغرقة تماماً في لعبة غمّيضة مع سومي - تشان وثلاثة أولاد آخرين حين انطلقت صفّارة الإنذار. توقفت وجالت ببصرها في السماء، وعبر فتحة في الشمال لاحظت بقعة مضيئة بعيدة.

صرخت إيميكو: «طائرة معادية!».

صاحت والدة سومي - تشان: «لا يمكن أن يكون هجوماً؛ لأنه تحذير أوّلي من غارة جوية».

صرخت إيميكو: «لا! طائرة سيئة! طائرة سيئة!». وانطلقت تجري نحو أحد الأنفاق.

في 9 آب 1945، كان الفرق بين الحياة والموت معلقاً بأفعال تتم في أثناء الثواني القليلة الأخيرة قبل الوميض. بفارق ثوانٍ، ستنجو ميشي هاتوري في أحد الأنفاق خلف مدرستها، في حين أن عدداً من صديقاتها، اللواتي شوهدن وهنّ يتجهن نحو الأنفاق أو يجلسن على مقاعد في الخارج، اختفين مع معظم مقاطعة يوراكامي في ناغازاكي. (باتريشا واين)... صفحة 149.

بالمحصلة، ما الفائدة من تقديم مثال سيّئ في أثناء إنذار؟ إذا اقترب شيء سيّئ جداً بعد أسبوع أو شهر من ذلك، قد يعني الجلوس بهدوء خارج الملجأ - إذا قلّد الأولاد مثل ذلك السلوك - كل الفرق في العالم بالنسبة إليهم. كان الفرق بين البطيء والناجي، والسريع والميت، ضئيلاً جداً. كان ذلك يميّز بحدّة الأخت عن الصديقة والوالدة عن البنت.

على بعد نحو كيلومتر عن المدرسة وبستان الخيزران، كان هاجيمي أيواناغا، الفتى الذي يتدرّب ليصبح قائد كيتن، يسبح مع زميل دراسته في نهر يوراكامي. كان يتمتع ببعض الميزات كونه متدرّب كيتن، فقد كان المتطوّعون يحصلون على طعام أفضل من باقي الأطفال، ويتم

Twitter: @alqareah

تشجيعهم على نيل قسط من الراحة من العمل في مصنع ميتسوبيشي للطوربيدات. عادة، كانت تلك الاستراحات تتضمن ألعاباً مائية، ومنافسات لتحديد مَن ينجح في حبس أنفاسه أكثر من دقيقتين ونصف تحت سطح الماء.

كان الصبيّان قد أمضيا نحو نصف ساعة من استراحتهما الصباحية عندما أعلنت صفّارة قرب انتهاء برنامج كيتن. نظرا حولهما، وشاهدا عبر فتحة في الغيوم ما ظنّ صديق هاجيمي أنها «طائرة شجاعة جداً، تحلق وحدها فوق أراضي العدو». لم يوافق هاجيمي على ذلك. صرخ: «لا، طائرة صديقة»، ثم غطس تحت سطح الماء، أمسك ببعض أعشاب الأنقليس الثابتة في القاع، وبدأ يحبس أنفاسه أطول مدة ممكنة.

في البداية، لم يكن تشارلز سويني يرغب في تصديق ما تراه عيناه. لو أنه كان رجلاً متطيّراً، لكان ألقى باللائمة على حظه السيئ؛ لأنه طرح السؤال الممنوع. كانت ناغازاكي محجوبة آنذاك بغطاء من السحب يحجب أكثر من 80 بالمئة منها.

في أعقاب ذلك الإدراك البائس، أكّد مهندس الرحلة كوهارك لسويني مجدداً أن سيارة بوك ستطير شراعياً في نحو نصف ساعة. بالرغم من حقيقة أنه استطاع أخيراً جعل المضخة المعطوبة تسحب كميات صغيرة من الوقود من الخزّان الإضافي، إلا أن 300 غالون فقط من الوقود كانت ستصل إلى المحركات. كان ذلك يعني وقت طيران يكفي جولة تحليق واحدة لإلقاء القنبلة، تتبعها اندفاعة قصيرة للهبوط اضطرارياً في مياه صديقة. نادى سويني النقيب البحري فريد آشورث إلى قمرة القيادة؛ كان خبيرَ الأسلحة، ومسؤولاً عن القنبلة نفسها. رسمياً، لم يكن سويني مسؤولاً إلا عن الطائرة.

شرع سويني في القول، ملخصاً ما يجري بأسرع ما يستطيع: «إليك القصة أيها النقيب. إذا لم نستطع إلقاء القنبلة في الجولة الأولى وكان

Twitter: @alqareah

علينا الدوران من أجل جولة ثانية، فقد نجد أنفسنا مرغمين على الهبوط اضطرارياً على اليابسة في اليابان. ورد في كتاب التعليمات أنه علينا رؤية الهدف بوضوح وإلا، فلن نستطيع إلقاء القنبلة. إذا لم نره في الجولة الأولى وغادرنا المكان، فإن أفضل سيناريو سيكون على الأرجح خسارة القنبلة والطائرة والفريق عندما نهبط اضطرارياً في المحيط».

قال آشورث: «هذا إذا التزمنا بالتعليمات».

أقرّ سويني: «وفقاً للتعليمات. لهذا، لنقل تباً للتعليمات، وسيناريو «الفشل» المرتبط بها، ولنضع ثقتنا بالرادار الجديد. سأضمن شخصياً أننا... حسناً، سنلقي القنبلة ضمن دائرة قطرها مئة قدم من الهدف».

«تعني، ربما ضمن نصف ميل؟».

«لنكن أكثر واقعية هنا، اتفقنا؟ مع هذا الشيء، الهامش يصل إلى ميل».

قال آشورث: «لا أعرف يا تشك».

«هذا أفضل من فقدانها في المحيط، أليس كذلك؟».

أومأ آشورث، وسأل بحرص: «هل أنت واثق بالدقّة؟».

قال سويني: «سأتحمل المسؤولية كاملة عن هذا».

«إذاً، حسناً. لنفعل ذلك».

لم يكن هناك وقت للنقاش مع الملاّح أو المدفعي. كان سويني يثق بأنهما يعرفان تماماً ما يفعلانه. تفقّد جيم فان بيلت أرقامه الملاحية وراقب إيد بوكلي مخطط المدينة على شاشة راداره، وتوثّق مما يراه من فان بيلت. صرخ بوكلي بعد ذلك بالإحداثيات الدقيقة للمدفعي كيرميت بيهان، الذي قام بإدخال البيانات في أول حاسوب محمول في العالم؛ كان بوزن عربة جيب تقريباً ومتصلاً مباشرة بمنظار قذف القنبلة.

لم يكن مخطط المدينة واضحاً عند الأطراف، لكن النهر وخطوط السكك الحديدية كانت مرئية بسهولة، وكان الرجال الثلاثة واثقين من أن الأجهزة ستعمل كما يجب. في الوقت نفسه، استمر بيهان في البحث

Twitter: @alqareah

عن فسحة في غطاء السحب.

أعلن سويني: «إنها ملكك»، ونقل قيادة الطائرة وحمولتها إلى المدفعي.

صرخ بيهان فجأة: «لقد وجدتها! لقد وجدتها!». لم يكن يعلن السيطرة على الطائرة، وإنما عثوره على فتحة في غطاء السحب قرب مصانع ميتسوبيشي للأسلحة في الوادي الصناعي. كانت الفتحة على بعد أكثر من كيلومترين في اتجاه منبع النهر عن الهدف المحدد: في بلدة بعيدة، ومعظم ناغازاكي محمية آنذاك خلف تلال منخفضة. بدا لسويني أن ضاحية يوراكامي، لا منطقة ناغازاكي، ستكون أرض الصفر. حدّد بيهان المخطط بيضوي الشكل لمضمار سباق يوراكامي بصفته نقطة مرجعية، وقام بإدخال تعديلات اللحظة الأخيرة التي يمكن إجراؤها على المسار في لوحة مؤشر سويني.

تم تشغيل نغمة خاصة قبل ثلاثين ثانية من الإطلاق، وفُتحت أبواب حجرة القنبلة؛ في حين فتحت غريت أرتيست، التي تطير على مسافة قريبة ومستعدة لإلقاء أسطوانات المراقبة الثلاث، أبواب حجرة قنابلها في الوقت نفسه.

أطبق الصمت واهتزت سيارة بوك في أثناء صعودها إلى الأعلى، وقد أصبحت فجأة أخف وزناً بخمسة أطنان.

أعلن بيهان: «القنبلة بعيدة»، ثم صحّح بسرعة: «القنبلة أُلقيت».

Twitter: @alqareah

7

دخانٌ في الأجواء

على بعد ثلاثمئة كيلومتر في هيروشيما، استلقى د. هاشيا على ظهره على هيكل سرير متفحّم، ينظر إلى السماء الملبّدة بالغيوم ويتساءل عن الهاجس الذي كان قد أيقظه من نومه. تسلل شيء متأصل وغريزي من لاوعي هاشيا، وملأه بشعور غريب أن آلاف الأصوات قد صرخت آنذاك.

ألقى نظرة على قفر هيروشيما وحاول تحديد جهة الشمس، وخمّن أن الساعة تشير إلى نحو 11:00 قبل الظهر. لم يكن أحد يصرخ من المنطقة الجرداء قارعاً ناقوس الخطر، أو يُصدر أي أصوات أخرى. كان وسط هيروشيما صامتاً مثل قبر؛ وهو ما كان عليه أساساً.

الليلة السابقة، عندما استطاع هاشيا قبول أن المدينة بومبي أخرى، خفّ قلقه قليلاً، وتمكّن من الظفر بساعتين أو ثلاث من النوم في ذلك الوقت. قبل الشروق قليلاً، غفا ثم استغرق في نوم عميق حتى استفاق نحو الساعة التاسعة على وقع خطوات مفاجئة لزميل دراسة قديم، السيد أوكاماتو من وزارة الاتصالات. قبل ثلاثة أيام، كاد أوكاماتو أن يصبح جزءاً من رماد وأنقاض أساسات قلعة هيروشيما، وكانت تلك ستصبح نهايته، لولا أنه تعرض للسعة نحلة على بعد 40 كيلومتراً في بلدة كوري.

كان هاشيا قد قال: «أنقذت تلك النحلة حياتك». وبينما كان الرجلان يضحكان على تحوّل القدر الغريب، أدرك الطبيب أن في مقدوره الجلوس من دون ألم.

بعد أن غادر صديقه، انتظر حتى لم يعد أي شخص آخر من الفريق الطبي يشاهده وحاول الوقوف، لكن القُطَب بدأت تضغط على كتفيه ووركيه، ووجد نفسه مرغماً على الاستلقاء مجدداً، خائباً ومنهكاً.

Twitter: @alqareah

كان قد نام منذ ذلك الوقت حتى الآن.

تساءل: لماذا شعر وكأن يد شبح قد امتدت إليه وهزّته لتوقظه من نومه؟ لم يكن د. هاشيا يعتقد بقدرة الوعي الذاتية، أو بأي شيء مثل المعنى الذي كانت الممرضة مينامي وباقي أفراد فريق د. فوجي قد فهموه من اليراعات الزرقاء. وبالرغم من ذلك، ولحظة واحدة، سرى شعور مخيف تقشعرّ له الأبدان في جسده، وبدا أنه لن يفارقه.

أمسكت اليد نفسها التي أيقظت هاشيا قوائم سريره الأربع وهزّتها مجدداً، وبدأ الطبيب يضحك على نفسه، ويهدأ. بعد انتهاء الأمر، سُجِّل اهتزاز خفيف جداً: موجة جيبية صغيرة تتحرك عبر أرض لينة، كما قال هاشيا في قرارة نفسه. ريختر 2؟ ريختر 3 أو 4 على أنها أقصى حدّ.

استمر الاهتزاز بضع ثوانٍ إضافية، وأزاح قطعاً صغيرة من السخام كانت تستقر منذ أيام على الأنبوب المسودّ فوق رأسه.

ريختر 3 أو 4، كما أخبر نفسه مجدداً. إنها مجرّد هزّة أرضية، لا شيء أكثر. ثم على بعد 183 ميلاً إلى الجنوب، ترددت أصداء هدير مجلجل عبر الأجواء، تطوّرت إلى فرقعة عالية لم تكن بالتأكيد صوت هزّة أرضية.

سحب هاشيا نفسَاً عميقاً، حبسه بحزن، ثم أطلق تنهيدة.

كانت محطة رادار إيشيرو مياتو تقع في منتصف المسافة تقريباً بين معسكر الأسير كلارنس غراهام وأرض الصفر. عند الساعة 11:02 قبل الظهر، كان مياتو قد أخبر مسؤول التحكّم المجهول في مقر القيادة أن «الشيء يجب أن يكون فوق ناغازاكي الآن...» عندما توقف راداره عن العمل وأضحت الشاشة سوداء. في الوقت نفسه، ذابت أسلاك الهاتف. في أثناء الجزء من الثانية التي بدأ فيها الهاتف على الطرف الآخر من الخط يتبخر، تعرّضت الكيلومترات العديدة من أسلاك الاتصالات لمقدار صغير من موجة بيكا الإلكترومغنطيسية، ونقلت تدفق النبض

Twitter: @alqareah

نحـو مياتـو بسـرعة عاليـة. لو أنه كان يحمل سـمّاعة الهاتـف إلى أذنه، لـكان لقـي والضابـط على الطرف الآخر من الخـط حتفهما في اللحظة نفسـها تمامـاً، بالرغـم مـن أنهما كانـا يبعدان أكثر مـن 25 كيلومتراً عن بعضهما بعضاً.

على شعاع 63 كيلومتراً، لم يكن في مقدور كلارنس غراهام معرفة الاتجاه الذي ظهر الوميض منه. ظهر ساطعاً بشدّة، ملأ السماء كلها وبدأ يتلاشى بعد ذلك ببطء. كانت الطاقة التي أطلقتها قنبلة هيروشيما تكاد لا تعادل أكثر من 10 كيلو أطنانٍ من تي. أن. تي. أطلقت قنبلة ناغازاكي قـوة أكبـر مـن 22 كيلـو طنـاً، ووصلـت إلـى نحـو 28 أو 30 كيلو طناً؛ لهذا، حتى على بعد 38 ميلاً حيث كان كلارنس غراهام موجوداً، بدت هائلـة: أولاً بضوئهـا السـاطع البـرّاق، ثم بعد ثوانٍ عـدّة، باهتزاز عظيم في الأرض. وصلت موجة الانفجار بعد نحو نصف دقيقة من الاهتزاز الأرضي على شكل رياح قوية جاءت من اتجاه ناغازاكي. وبعد الرياح الأولى، هبّت رياح أخرى حارة جداً؛ «حارة على نحو فظيع»، كما ذكر غراهام في ما بعد، «أكثر سـخونة من شـمس مباشـرة على وجهك». ثم سـاد سـكون وقتاً قصيراً؛ كأن إعصاراً قد مرّ فوق الرؤوس والأسـرى يقفون في عينه؛ وكما تمر عين الإعصار بسرعة، وقع انفجار قوي فجأة مـن الاتجـاه المعاكـس، واندفع إلى الخلف في اتجـاه ناغازاكي. كانت الرياح الثالثة قوية جداً وأوقعت بعض الأسرى الضعفاء أرضاً.

بقـي كلارنـس واقفـاً مرتبكاً، لكنه لاحظ أن أحد حرّاس الأسـرى يبـدو علـى درايـة بمـا يجري، بل يفهمه. ظهرت القبة الضخمة لشـمس ترتفع فوق التلال في الجنوب الغربي، وحدّق ذلك الحارس إليها كأنه يحلـل الكـرة الناريـة، في حيـن كانت تصبح بيضاء وترتفـع على عمودٍ من الدخان.

وقف كل الحرّاس باسـتثناء ذلك الشـخص خائفين وصامتين. عرض الحـارس الـذي فهـم – كان كلارنـس قـد صنّفه بأنه أحد أكثر السـاديين في

Twitter: @alqareah

المعسكر - على سجين ماءً وبعض الطعام، وقال: «أنا وأنت صديقان الآن».

قال كلارنس في قرارة نفسه، لا بدّ من أنك تمزح. وتساءل: ماذا فهم الحارس حقاً بشأن الوهج في السماء؟

في مكان أقرب ثلاثين كيلومتراً إلى مركز الانفجار، وعلى شعاع نحو عشرين ميلاً، غطّى الوالي نيشيوكا وجهه من الوميض. وبالرغم من ذلك، عندما فتح عينيه بعد ثوانٍ عدّة، كانت الكرة البيضاء - الذهبية التي ترتفع فوق المدينة ساطعة جداً إلى درجة أنها أرغمته على إغماض عينيه مجدداً.

صرخ على سائقه، وأي شخص آخر كان يستمع إليه: «لا تنظر إليها! احتمِ منها... فوراً!».

اختلس الوالي نظرة ثانية ورأى، على سطح الماء، قوساً أبيَض واسعاً يندفع نحوه من الخليج. خلف القوس الواسع، كان سطح البحر قد أصبح أبيض. قدّر نيشيوكا أن لدى سكان أوباما نحو خمس عشرة ثانية.

صاح مرة أخيرة: «أسرعوا!». تنتقل موجات الصدمة عبر الصخور بسرعة أكبر من الهواء، لهذا، لم يكن عليه أن يصرخ بأوامره مرة ثالثة. كانت الأرض نفسها تهدر آنذاك، وتدفع الجميع إلى التحرك مباشرة. جرى ستة رجال أمام الوالي ولجأوا إلى فسحة محمية جيداً خلف حافلة. وقع سائق نيشيوكا عليه، تبع ذلك رأس مطرقة من هواء مضغوط حطم النوافذ وكاد يقلب الحافلة على جانبها. أبقى نيشيوكا رأسه منخفضاً في أثناء الهدوء المؤقت والموجة الارتدادية، التي سحبت الحافلة في الاتجاه المعاكس وكادت تقلب منزلاً. عندما نظر مجدداً، كانت معظم أعمدة الدخان التي ظهرت هناك قبل دقيقة قد اختفت، والغيمة الذرّية ترتفع آنذاك أكثر من ستة عشر كيلومتراً فوق المدينة، بلون قماش أبيض ملطخ بالطين ممزوج ببقع دماء.

Twitter: @alqareah

لم يكن يظن أن أي شيء يمكن أن يصل إلى ذلك الارتفاع، في بضع ثوانٍ فقط.

سأل السائق: «هل نتابع طريقنا إلى إنزين؟».

ردّ الوالي: «لا»، وفجأة لم يعد مهتماً بالألم الذي يشعر به. «يجب أن نعود إلى ناغازاكي».

صرخ كنشي لوالده: «آه، لا. ليس مجدداً».

في ذلك الوقت، سمع في الواقع إحدى الطائرات تهدر لتغيّر اتجاهها وتبتعد عن القنبلة، وبدت في مرحلة ما كأنها تطير نحوه مباشرة. مرة أخرى، كان على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من مركز الانفجار، ويدين بذلك لحقيقة أن منزل والدي ستسوكو - الواقع في بقعة ميتة بين أهداف عسكرية رئيسة عدّة، وبالتالي قرب النقطة الأصلية التي كان سويني ينوي التسديد عليها - كان محجوباً بالغيوم في أثناء الدقائق الثلاث الحرجة من مناورة التسديد الأخيرة التي قامت بها سيارة بوك.

في لحظة إطلاق القنبلة، كانت الغيوم البيضاء الكثيفة التي تغطي معظم وادي النهر تنجرف في الاتجاه المعاكس لتلة كومبيرا، فوق يوراكامي. بدلاً من أن يرى كنشي الانفجار الذرّي الثاني من أسفل نقطة التسديد الأصلية، كان مكان الهدف قد تغيّر على نحو مفاجئ، وانتقل ميلين في اتجاه منبع النهر، بعيداً عن تلة كومبيرا الجنوبية ووسط ناغازاكي.

في المرة الأولى، كانت المسافة، التي ترافقت مع صوت في رأسه وغريزة بالبقاء بعيداً عن النوافذ حتى انتهت موجة الانفجار، قد أبقت كنشي حياً. هذه المرة - مع قنبلة قوتها ثلاثة أضعاف الأولى - لم يكن ما أنقذ كنشي المسافة وردّ الفعل، إنما حماية تلة كومبيرا. بالرغم من القوة الرهيبة لقنبلة البلوتونيوم، وجد كنشي أن الانفجار والدويّ

Twitter: @alqareah

«ليسا رهيبين كما كانت الحال في هيروشيما». لن يعرف بعض الوقت كيف أن تلة صغيرة (ترتفع 366 متراً فقط) قد أظلّته ووقته من أشعة الحرارة وكوّنت شرنقة حماية من صدمة الانفجار حوله. ليس بعيداً عن المكان الذي كان كنشي ووالده يقفان فيه، وضمن الشعاع نفسه من مركز الانفجار - وكل ذلك في أثناء تلك الثواني القليلة نفسها - حرق الوميض في الوقت نفسه أشخاصاً في المَسفِن، ورفعهم عن الأرض، فجعل زجاجاً متطايراً يخترقهم، ودفعهم بقوة عبر الجدران. على الجانب الآخر من تلة كومبيرا، تعرض كل من شاهد بيكا تقريباً إلى حروق شديدة أو لقي حتفه.

سار كنشي في حي كان سيقع، لولا طبقة كثيفة من الغيوم، ضمن دائرة أرض الصفر، ولفحته رياح قاسية، ولم يرَ إلا بضع قطع آجر تفككت من سقوف المنازل. وبعد أن توقف هبوب الرياح، كانت حشرات يعسوب لا تزال تطير في الأرجاء، لم تتأثر على ما يبدو بما جرى. لكن العظام - عظام ستسوكو الصغيرة، التي قدّم إليها وروداً وأرزاً وضمّها إلى صدره طوال يومين - كانت القنبلة قد نزعت الغطاء عن آنية زفاف كنشي وذرت العظام من بين يديه.

قال كنشي لوالده وهو ينتحب: «قطعت كل هذه المسافة، لكن عظامها تبعثرت الآن ولا أحد يعرف مكانها... وما الهدف؟».

لم يكن هناك هدف. لا كرامة في ذلك أيضاً كما قال كنشي في قرارة نفسه. لا هدف، لا كرامة، لا هدف.

ربما كانت ستسوكو ستقول: من أجل أن أكون شاهدة على ما جرى.

كان مئة ألف صوت قد صرخ مرة واحدة فقط قبل ذلك معاً بدهشة وخوف. صاح النصف مجدداً، في حين صمت النصف الآخر.

ستوثّق صور استطلاع القصف - وكذلك كتب التاريخ - أن

Twitter: @alqareah

معظم أبنية ساحل ناغازاكي بقيت قائمة وسليمة، وسيساعد ذلك على منح كثيرين انطباعاً زائفاً أن قنبلة ناغازاكي لم تكن بمثل سوء قنبلة هيروشيما. ستُظهر معظم صور أرض الصفر الباقية، ومنها التي تظهر فيها الكنيسة الكاثوليكية، ومدرسةُ يوسي للبنات، ومصانعُ ميتسوبيشي للفولاذ - كلها تحولت إلى أكوام من أنقاض على سهل يخلو من أي مَعلَم بخلاف ذلك - يوراكامي، لا ناغازاكي.

بالرغم من طمأنة تشارلز سويني للنقيب آشورث، أخطأت القنبلة ناغازاكي وأزالت المقاطعة التي بجانبها من الوجود. انفجرت في السماء الحارة الملبّدة بالغيوم فوق ماتسوياما، الواجهة النهرية ليوراكامي. ارتدّت موجة الانفجار عن جدران الوادي على كلتا ضفّتي نهر يوراكامي بالطريقة التي يرتد فيها انفجار طلقة في ماسورة بندقية. كانت أرض الصفر، المنطقة التي سوُيّ فيها كل شيء بالأرض، تبعد 3.2 كيلومترات في اتجاه منبع النهر وميلين جنوباً، وقد انتشرت على مساحة نصف كيلومتر (أو ما يعادل ستة أبنية سكنية) شرق وغرب كلتا الضفتين. على الجانب الآخر من جبال الوادي، ليس بعيداً جداً عن حي كنشي هيراتا، كانت كايانو، ابنة د. بول ناغي التي تبلغ من العمر أربع سنوات، تلعب في قرية كوبا. نجت في دوامة مائية كوّنت شرنقة حماية حولها، خلف جبل صغير يدعى كاوابيرا، الذي صدّ الوميض وأيضاً الريح القادمة من يوراكامي تماماً.

كان ماكوتو شقيق كايانو الأكبر قد أخذها إلى نهرٍ محلي لتسبح مع ابنة عمها وبعض أبناء الحي. بعد بيكا (الوميض) ودون (الانفجار)، بقيت الأعشاب على جانب كايانو من الوادي، في ظل الجبل، خضراء ولم تهتز عملياً. لدى رؤيتها من الأعلى، نجت شرنقة كايانو مثل واحدة من جزر خضراء عدّة في بحر من أوراق بنية جافة ورماد رمادي. عاجلاً، تعرّضت شرنقة الحماية تلك إلى هطول أمطار غريبة من زيت أصفر، ولن يجري الجدول صافياً مجدداً وقتاً طويلاً جداً.

Twitter: @alqareah

حجب الجبل الضوء تماماً عندما سطع، وجعل القمة تبدو سوداء أمام رايات حمراء برّاقة. ثم في أعقاب اللون الأحمر، ظهر وميض أزرق. ذكرت فوجي ابنة عم كايانو في ما بعد: «كان اللون الأحمر ساطعاً كفاية ليجعل شخصاً يُصاب بدوار». لكن عندما أفنى شعاع الحرارة وموجات الضغط أقرب الغيوم من الوجود، لم يعد اللون الأزرق يظهر خفيفاً، وأضحى ساطعاً بما يكفي ليتسبب بحروق شمسية بسيطة، حتى خلف ظل الجبل.

حلّ كلا الوميضين - الأزرق والأحمر - في أثناء نصف الثانية الأولى. وفي الجزء نفسه من الثانية، قبالة الجانب المحمي من النهر مباشرة - خارج ظل جبل كاوابيرا ومباشرة في وهج القنبلة - خرج من سطوح المنازل والدجاجات والملابس أعمدة من الدخان. أصبح أشخاص على الجانب البعيد من النهر، مثل أشخاص كانوا خارج منازلهم في هيروشيما ووسط يوراكامي، يشبهون نملاً يحترق من دون أن يخرج منهم دخان تحت شعاع عدسة مكبرة لولدٍ شرير. مع تلاشي الوهج، كانت أعمدة الدخان الأسود - الرمادي قد ارتفعت ثلاثة أمتار أو أكثر، فوق ثياب الراهب، وومومبي الصغير، وقبعة المزارع، وأسمال اللاجئ. صدر عن الدجاجات التي كانت هاربة من الحدائق والمسطحات الخضراء أغرب أعمدة دخان، حتى وصلت موجة الصدمة بعد ثلاث أو أربع ثوانٍ إلى القمّة مرّت فوق رأس كايانو، وارتطمت بالجانب البعيد.

بدا أن النهر الصغير في وسط الوادي يقسم عالم كايانو إلى شطرين: جانب طبيعي وينبض بالحياة ولا يزال زاخراً بالفراشات، وجانب غريب ورهيب، لا يقطنه إلا الموتى أو الأشخاص الذين فقدوا الوعي، والدجاجات المسودّة المنتفضة بقوة.

نظرت الصغيرة كايانو إلى الأعلى مباشرة ورأت «من الجانب الآخر للجبل الأخضر الكبير شجرة ضخمة ترتفع نحو السماء». شجرة

Twitter: @alqareah

من نار كما تتذكرها. «أولاً، كانت حمراء لكنها بدأت تبدو بألوان مختلفة بعد ذلك... آه، ساطعة جداً! آلَمَ وهج الشجرة عينيّ. وفي ذلك الوقت، خرج شقيقي يجري من (الجانب المحمي من) الجدول. كان يشعر بإثارة وقال: يا الله! ماذا كان ذلك؟ لا بدّ من أن الطائرة قد تحطمت على الشمس!. الأكيد أن الشمس لم تكن تضيء آنذاك. نظرتُ إليها عبر تلك السحابة المريعة وكانت شاحبة وباهتة».

ثم أصبح الوادي فجأة مظلماً، وبارداً: بارداً على نحو مدهش، وحالكاً مثل الليل. بدأت أشياء تهطل من السحابة... أشياء مستحيلة: قطع من أوراق تحترق... إطار باب... قطة محروقة ماءت، وهربت من المكان... غطاء محرك شاحنة إطفاء... وفي مكان بعيد رأس امرأة بدا أنها لا تزال حيّة، لم يكن هناك أثر لنزيف. لمعت سنّ ذهبية في فمها المفتوح. ثم هطلت قطرات مطر، كبيرة مثل لآلئ، وزيتية.

أمسك شقيق كايانو بذراعها وقادها إلى خلف شجرة كاميليا. كتبت بعد سنوات: «كانت هناك يقطينات، وكثيرٌ من الفراولة الجميلة في كل مكان». لكن كايانو لم تعد تشعر برغبة في تناول الفراولة قطّ؛ ليس بعد الرأس، والقطة، والمطر الزيتي الأسود - المصفرّ.

على ذلك الشعاع نفسه تقريباً، كان تاكامي - سان صديق د. ناغي أحد الأشخاص الذين رأتهم كايانو على «الطرف غير المحميّ» من الجدول. خارج حماية ظل الجبل، ترك ظلاً خاصاً به؛ كأنه لصاقة على أعشاب لم تحترق.

حتى على بعد نحو 9 كيلومترات (نحو 4.5 أميال)، أُصيب جانب جسد تاكامي - سان برمته «بحروق شمسية» شديدة نتيجة تعرّضه للوميض (بيكا). عاش نحو أسبوع، لكن لم يكن شعاع الحرارة سبب وفاته. قبل أن يموت، وثّق د. ناغي أنه قد تعرّض لمصدر غير معروف من أشعة مكثّفة. ظنّ ناغي أن شيئاً معدنياً قد شعّ في الوقت نفسه واندفع

Twitter: @alqareah

نحو السماء، أو أن شيئاً من القنبلة نفسها قد وقع عليه؛ لأنه عاش وقتاً كافياً ليصف الكرات النارية الغريبة التي انهمرت عليه من اتجاه بيكا. كان تاكامي - سان عائداً إلى جدول الحي مع بقرته عندما حلّ الوميض، الذي رأته البقرة أيضاً، فرفعت رأسها. لم يشعر تاكامي - سان بشيء في البداية، وتصادف أنه كان ينظر في الاتجاه المعاكس لمصدر الضوء. رأى البقرة تشتعل بألسنة لهب، وأدرك أن كرات بيضاء صامتة من النار تنهمر على كليهما. أصابت اثنتان أو ثلاثٌ منها البقرةَ، وقتلتها فوراً. ضربت إحداها قدم تاكامي - سان، وحرقتها تماماً.

وثّق د. ناغي في سجله الطبي أن وجود الشاب على مسافة تبدو آمنة من بيكا - دون لم يكن مهماً؛ لأن الكرات الغريبة من الضوء أدركته حيث كان. كانت هناك حالات عديدة مثل تلك، وسجّل ناغي أنه حتى بعد أن أحرقت وسلخت كرات النار أياديَ وأقداماً، ظهرت على كل من مسّها أعراض التسمم بالإشعاع.

في مكان أقرب بنحو كيلومترين من مركز الانفجار، كان القطار الذي يحمل ماساو، صانع الطائرات الشراعية، وأكيرا، باني السفن، قد تجاوز آنذاك محطة ميشينو في يوراكامي عندما سمع ماساو الصوت المألوف لمحرك بي - 29 تحاول جاهدة الفرار من شيء، وانقضّت باتجاه الأرض على نحو خطر، وكادت تتحطم إلى أجزاء عند اختراقها حاجز الصوت.

صرخ على الركاب الآخرين: «انبطحوا!»، ورمى بنفسه على الأرض منقذاً حياة كثيرين حذوا حذوه.

في أثناء العشرين أو الثلاثين ثانية التالية، اختفت الطائرة ببطء عن الأنظار. ضحك رجل ووقف، تبعه شخص ثانٍ، وثالث.

حذّر ماساو: «ابقوا في الأسفل. إنها نوع جديد من القنابل. عندما يظهر الوميض، يجب أن...».

Twitter: @alqareah

غرقت المقصورة كلها في ضوء أبيض ساطع. كانت يدا ماساو تغطّيان عينيه وأذنيه، لكنه أحس أن الشعر على الحاجب المكشوف قد تجعّد. بحلول ذلك الوقت، كان كل شخص تقريباً قد امتثل تحذيرَه، لكن بعضهم كانوا لا يزالون واقفين، ومن لم يغطِّ عينيه وقع ضحية رد فعل لا إرادي بالنظر في اتجاه الوميض. بدأت شبكيات عيونهم تحترق حتى قبل أن يحاول رد فعل ثانوي - مختصرٌ عبر الجهاز العصبي وأسرع من ألم الحرق - إيقافهم عن النظر.

أيقظت صرخات ألم أولئك الذين بقوا واقفين أكيرا من النوم الذي غرق فيه بسبب تعرّضه للإشعاع. ولأنه كان قد رأى ذلك الشيء المروّع من قبل، فقد اختبأ تحت كرسيه قبل وقوع الانفجار. عدّ وماساو خمسَ ثوانٍ أو أكثر، بين بيكا ودون (الوميض والانفجار). تعرّض الركاب - الذين لم يمتثلوا لتحذير ماساو، والذين وقفوا فاحترقت عيونهم - من الخصر إلى الرأس لشظايا زجاج نوافذ تتحرك بسرعة أكبر من نصف سرعة الصوت.

كان سائق القطار أحد أولئك الذين كانوا قد نظروا مباشرة إلى بيكا، وأصيبوا بعمى كامل. إذا كان هناك سبب للنجاة على الإطلاق، الذي منع قطار ماساو وأكيرا من الخروج عن سكّته كما حدث في محطة كيديشي في هيروشيما، فهو أن مكبح طوارئ الرجل الميت بقي يعمل، وأوقف القطار عندما رفع السائق يديه عن أجهزة التحكّم.

جاء مساعد السائق يتعثر إلى عربة أكيرا، يحثّ الركاب على إخلاء القطار والاحتماء في الغابات القريبة. كان وجه الرجل مضطرباً ولونه قرمزياً.

في مكان أقرب نصف كيلومتر إلى مركز الانفجار، لكنه محمي خلف (وداخل) تلة، نجا الحاكم ناغانو وحاشيته من دون أن يصاب أحدهم بخدش. كان عمدة ساسبو يلخّص ما كان قد قاله قائد القاعدة البحرية في هيروشيما عندما انطفأت مصابيح الملجأ الكهربائية. كان

Twitter: @alqareah

ناغانو على وشك إصدار أمر بتشغيل المحركات الاحتياطية عندما بدا له أن أبواب الملجأ قد فُتحت فجأة ودخل إليه ضوء أقوى مما كان يتوقع، مصحوباً بما بدا أنها أصوات طائرات عدّة ضخمة جداً، أو قنبلة زنتها أطنان عدّة تنفجر في مكان قريب منهم.

عندما خطا ناغانو إلى الخارج، رأى عمال تشييد الملجأ مجتمعين على تلة شديدة الانحدار وينظرون نحو يوراكامي. كانت معالم التلة وموقعها قد وضعت العمّال وكل شيء قربهم على أحد جانبي ماسورة بندقية، بدلاً من وضعهم مثل براغيث داخل الماسورة. كانت سحابة هائلة من الدخان ترتفع فوق الوادي من اتجاه يوراكامي، لكن عندما صعد الحاكم إلى المكان الذي يوجد العمّال فيه، لم تكن التلة تسمح برؤية إلا القسم الأدنى فقط من ناغازاكي، بدا أنه لم يتأذَّ. ألقى ناغانو نظرة إلى الخلف، ودُهش لرؤية أن منزله لم يتعرض لأي ضرر على الإطلاق. لم تكن هناك نافذة واحدة على ما يبدو قد تحطّمت، وكل أحواض الورود على كلا جانبي الدرجات الأمامية لا تزال في مكانها.

كان تأثير بيكا - دون ساطعاً وصاخباً، وما رآه ناغانو وسمعه في الملجأ بدا متوافقاً مع ما كان الوالي نيشيوكا قد وصفه بشأن سلاح جديد استُخدم ضد هيروشيما. وبالرغم من ذلك، بدا اقتناع نيشيوكا أن ناغازاكي ستكون المدينة التالية التي ستدمّرها قنبلة ذرّية غير منطقي ومحيّراً عندما نظر الحاكم حوله ورأى الأحياء الإدارية والإقليم الذي يديره سالماً لم يتضرر.

كان ناغانو قد بدأ يشك في أن قصة الوالي عن كيلومتر مربع بعد آخر من الأبنية المدمّرة مبالغ فيها. ثم وصل إلى العمّال على قمة التلّة، ورأى معظم يوراكامي قد تحوّلت إلى محرقة عملاقة، حيث بدا أن جبلاً من نارٍ يبرز من الأرض. كان جبل النار يدور ببطء، وتنشأ عنه دوّامة من هواء منعش ليزوّد نفسه بالأوكسجين. مع ارتفاع ألسنة اللهب، نجم عن تأثيرات الحرارة عواصف في كلا طرفي الوادي، ما

Twitter: @alqareah

زاد من قوة العاصفة النارية.

وفقاً لبعض الروايات، لم يستطع جبل النار، الذي كان أشبه بإعصار ناري وليس مجرد عمود أو محرقة، جذب ما يكفي من الأوكسجين ليحافظ على نموه. أحياناً، بدا أنه يتوقف ويذوي، وتنبعث منه موجات كبيرة من أدخنة خانقة سوداء.

من ناحية العاصفة المقابلة لموقع رؤية الحاكم ناغانو على قمة التلة، على بعد 850 متراً فقط (أو نحو 10 أبنية سكنية) من مركز الانفجار، وليس ببعيد كثيراً عن الأنفاق التي لجأت إليها ميشي وإيميكو، كان طالب الثانوية تاموتسو إغوتشي قد خرج زاحفاً من تحت أنقاض مدرسته. وعندما نظر إلى الأعلى، شاهد الحافة الخارجية لعاصفة اندفعت نارها ودخانها إلى ارتفاع تحلّق عليه طائرة مائية صغيرة كان واضحاً أنها قد ضلّت طريقها في الاتجاه غير الصحيح، وتبدو على وشك السقوط مثل طائر ميت.

كان أكثر ما حيّر تاموتسو حقيقة أنه بالرغم من قربه الشديد من الشيء الذي سوّى مدرسته أرضاً وأنشأ جدار النار، وبالرغم من أن بناء مدرسته مصنوع من الخشب، إلا أن النار لم تشتعل بالخشب نفسه قطّ. بدا أنه كان موجوداً قرب مركز ريح عاصفة أطفأت كل النيران قربها. على كلا جانبي المدرسة المدمّرة - في اتجاهي مجرى النهر - كانت عاصفتان ناريتان عملاقتان على الأقل قد تكونتا. كانت إحداهما قد بدأت تختنق وتتحول إلى بحر من دخان. لكن قرب الجبهة الخارجية للعاصفة التي لا تزال مشتعلة، كانت أشياء محترقة على مسافة أمتار عدّة تُقتلع من جذورها وترتفع نحو السماء. عندما هدأت العاصفة وبدا أن النار تنطفئ، استطاع تاموتسو رؤية لمحات واضحة من الحطام في أثناء سقوطه أرضاً: القسم الأعلى من عربة قطار... سطح منزل... القسم الخلفي من مركب صغير تنبعث منه ألسنة لهب.

Twitter: @alqareah

في لحظة الصفر، كانت إيميكو البالغة من العمر سبع سنوات هي الثانية بين الفتيات فقط التي غادرت بستان الخيزران ووصلت إلى الملجأ. لم تكن تبعد إلا 600 متر عن مركز الانفجار، حيث غمر ضوء القنبلة الأرضَ بزاوية 45 درجة تماماً، واندفعت إلى الداخل بضع خطوات فقط خلف صديقتها سومي - تشان. غمر الوهج فتاة ثالثة - تضحك بصوتٍ عالٍ وقريب كفاية لتمس ظهر إيميكو تقريباً - وجعلها تختفي من الوجود. نظرت سومي - تشان من فوق كتفها، وظنّت أن الفتاة الثالثة تبدو مثل تمثال جميل في لحظتها الأخيرة، يضيئه شفق ذرّي أزرق. أُصيبت إيميكو أيضاً بشعاع من هالة شمسية. شعرت بحرارة شديدة تمس كتفيها وعنقها، بالرغم من أنها كانت وسومي - تشان داخل ظل النفق.

عندما خرجت وسومي - تشان من النفق مجدداً، وجدتا صديقاتهما محترقات وملتصقات بالأرض. كان بعضهن لا يزلن يتنفسن، لكنهن توفين بسرعة واحدةً إثر أخرى. نسيت إيميكو أن منزلها يجب أن يكون مرئياً عبر بستان الخيزران المفقود آنذاك. كانت سومي - تشان قد بدأت تدرك حقيقة - بالرغم من أنها لم تفهمها تماماً - أن والدتها قد اختفت. لم تكن أي من الفتاتين قد خمّنت احتمال أنهما أصبحتا يتيمتين آنذاك.

وحده شقيق إيميكو الأكبر كان قد بقي حياً مدة كافية ليأتي بحثاً عنهما. وبالرغم من أنه كان محمياً خارج منزله من الوميض والانفجار، إلا أن تأثير الوميض اخترقه. وعانى نزيفاً من الأنف بعد وقت قصير من ذلك. ظنّ نفسه محظوظاً؛ لأنه قد نجا من القنبلة من دون أي حروق خطرة، لكنه بدأ يتقيأ قطعاً ممزقة من لسانه، مع بطانة معدته. كان النزيف الأخير قويًّا جداً، وسيذكر جيل لاحق أن جثّة الفتى لم يكن فيها دم على الإطلاق.

كانت والدة إيميكو في مهمة على بعد أكثر من كيلومترين من مركز الانفجار عندما بدأت العاصفة. انضمت إليها شقيقتها وشقيقها

Twitter: @alqareah

الأصغر في النهاية، وستعرف إيميكو عاجلاً من عمٍّ لطيف أصيب بالإشعاع أن آخر قريبين لها ماتا يبكيان على جثة والدتها.

نظرت إيميكو وصديقتها إلى العاصفة. كانت سريعة، ومشعّة، وغير متمايزة، تضخّمت ثم توقفت عن الحركة، وحاولت أن ترتفع مجدداً. بالرغم من كل قوة العاصفة، إلا أن عالم الفتاتين بدا صامتاً على نحو غريب.

فكّرت إيميكو في عالمها، لا في أسرتها أو نفسها فقط، وبدأت تظن أنها وسومي - تشان الوحيدتان اللتان لا تزالان على قيد الحياة.

ليس بعيداً عنها، عند مدخل نفق آخر، كانت ميشي هاتوري تتوصل آنذاك إلى نتيجة مشابهة. كانت تقف داخل النفق، تدعو الأخريات اللواتي تبلغ أعمارهنّ خمسة عشر عاماً إلى الإسراع والانضمام إليها حين لمع أكثر الأضواء سطوعاً رأته في حياتها عبر الغيوم ودخول النفق، وومض بلون بنفسجي ثم غمر داخل النفق بلون أبيض شديد السطوع. بالرغم من أنها كانت بأمان في الداخل، إلا أن الضوء نفسه، الذي انعكس عن الأرض والجدران، غمر ميشي بحرارة شديدة. في الثانية التالية، بدا أن بيكا يتوهّج بضوء أقل سطوعاً، ويلمع بلون أصفر فاتح وزهري ضارب إلى الأزرق، وفي أثناء ذلك الجزء من الوقت، ظنّت ميشي أنها رأت زميلاتها يتحولن إلى «هياكل عظمية»؛ كأن الأشعة كانت ساطعة جداً إلى درجة أن المرء يستطيع في الواقع رؤيتها تمر عبر الملابس واللحم، وترسم ظلال العظام. كانت ملابس الفتيات وجلودهنّ قد بدأت تحترق بألسنة لهب عندما وصلت موجة الصدمة وبعثرتهن مثل كرات بولينغ. ظنّت ميشي أنها لم ترَ شيئاً لبعض الوقت بعد ذلك. دفعتها الرياح القوية نفسها التي أصابت صديقاتها إلى آخر النفق، ثم في لحظة، قبل أن تصطدم بالجدار الخلفي، غيّرت الرياح اتجاهها وسحبتها إلى الخارج عبر مدخل النفق.

بالرغم من أنها كانت محمية من التعرّض المباشر للوميض، إلا

Twitter: @alqareah

أن الهواء الحار كان قد سفع يدي ميشي ووجهها قبل أن يخرجها من النفق ويرتفع لينضم إلى الكرة النارية. عندما نظرت حولها، أدركت أن معظم زميلاتها أصبحن جثثاً ممزّقة. كانت الهياكل العظمية التي رأت ظلالها عبر الضوء لا تزال مكسوة لحماً؛ إنّ الحياة فارقتهن جميعاً.

كانت الفظائع الغريبة التي رآها العميد تسونو في هيروشيما تظهر واضحة آنذاك للفتيات في النفق. توسّلت إحدى الفتيات الأكبر سناً إلى ميشي: «تعالي، ساعديني على الهروب من هنا».

لم يكن في وسع ميشي التفكير في أي شيء آخر تفعله، فمدّت يدها إلى الأسفل ورفعتها من يد واحدة، لكن الفتاة أفلتت من قبضتها وهبطت ببطء إلى الأرض. كانت ميشي لا تزال تمسك يد زميلتها؛ أو ما تبيّن أنه كل جلد يدها وذراعها، وصولاً إلى المرفق. كان الجلد المتفحّم قد انسلخ مثل قفّاز طويل. استطاعت ميشي رؤية ظل الفتاة محفوراً في المكان الذي كانت تجلس فيه وتتكلم إلى شخص ما عندما حلّ بيكا.

بحلول الوقت الذي توفّيت فيه فتاة الظل، مشت الزميلة الوحيدة الأخرى التي وصلت إلى النفق قبل شعاع الحرارة إلى ميشي واقترحت قائلة: «أظن أننا يجب أن نعود إلى المدرسة».

كان اسمها فوميكو، وبدت ذاهلة والغيوم السوداء فوق رأسها وألسنة اللهب البرّاقة إلى إحدى جهتي المكان الذي تقف فيه. كانت الغيوم داكنة جداً وحجبت الشمس مثل كسوف كُلّي، وبقيت ألسنة اللهب المصدر الحقيقي الوحيد للإنارة.

دعتها فوميكو «جيغوكو»، وتعني جحيم. لم تستطع إبعاد ناظريها عن الأشياء التي تسقط من السماء وتدور عالياً في زوبعة النار. كانت منازل مدمّرة وكل محتوياتها ترتفع عالياً على مسار حلزوني. سقطت مكتبة كاملة من كتب محترقة على المنطقة القاحلة التي يبلغ طولها مئة متر وتفصل النفق عن المدرسة. نزلت واجهة مركب صيد وتحطمت

Twitter: @alqareah

وسط الكتب وسرعان ما تبعها ما ظنّت ميشي في بادئ الأمر أنها قضبان حديدية عدّة من سجن يوراكامي.

صححّت فوميكو لها: «لا بد من أنها أقفاص حيوانات من الحديقة».

قضبان من الجحيم، كما فكّرت ميشي. كانت تلك أقرب نقطة إلى جيغوكو ترغب في الاقتراب منها.

باستثناء الشهب الغريبة، كان الطريق إلى المدرسة منبسطاً وخالياً. بدأت ميشي قبول فكرة أن حدائق دوّار الشمس يمكن أن تُسوّى بالأرض وتصبح سوداء في لحظة، وأن الأبنية يمكن أن تختفي. «ألم تكن توجد منازل هنا حين ذهبنا إلى النفق؟!».

لم تردَّ فوميكو. ركضت نحو ثلاثين متراً قبلها إلى الدخان والعتمة، وبدأت تنادي بحماسة كي تتبعها ميشي. كانت تشير نحو زاحف أسود كبير بدا أنه يقترب منهما على بطنه من اتجاه قفص آخر سقط إلى الأرض.

قالت فوميكو: «أترين! أخبرتك أنها أقفاص من حديقة الحيوانات. لقد هرب التمساح».

لم يكن ذلك يبدو منطقياً لميشي. كانت كل حدائق الحيوانات مغلقة ولا يوجد أي حيوانات فيها آنذاك. لم يكن يبدو أن التمساح يعرف ذلك، وربض في طريقهما إلى المدرسة بأي حال. أمسكت فوميكو قطعة إسمنتية في إحدى يديها واقتربت بحرص، ورفعت الحجر فوق رأسها استعداداً لرميه على رأس الحيوان إذا لم يجعلهما تمرّان بأمان.

توقفت خطواتُ فوميكو فجأة، وبدأت تصرخ. كان الوجه الذي ينظر إليها من جسد التمساح بشرياً. لم يكن أي شعر أو ملابس ظاهرة للعيان؛ لا شيء إلا حروق كبيرة مثل حراشف تشبه شكل جلد التمساح على خشب محترق. منعت صرخات فوميكو ميشي من سماع ما كان

Twitter: @alqareah

هذا المخلوق يحاول قوله. كل ما استطاعت رؤيته هو أنه كان يتوسل شيئاً ما؛ خمّنت ميشي لاحقاً أنه ماء على الأرجح.

وقع الرأس إلى الأمام، ووجهه نحو الأسفل في التراب وأكوام الكتب المحترقة. لم يتحرك الرجل التمساح مجدداً. بعد دقيقة ألقت فوميكو الحجر وخرّت على ركبتيها، ترتعش، وجثت ميشي بجانبها.

حتى الأشخاص التماسيح لم يكونوا يتحركون حيث نجت خوسيه ماتسو. عند الحادية عشرة، كانت جزءاً من فوج نقل أُسندت إليه مهمة نقل الماء من نفقٍ ضد الغارات الجوية أنشئ حديثاً، يبعد 185 متراً (أو نحو مبنيين سكنيين) عن مركز الانفجار، في أرض ستُدعى في نهاية المطاف متنزّه سلام ناغازاكي.

كانت النجاة في قبو تحت القنبلة، أو في بناء مقوّى بالفولاذ، أو في منزل متعدد الطوابق، ممكنة في هيروشيما، أما في يوراكامي، فكان الأمر يتطلب حماية أكبر. في لحظة وقوع بيكا-دون، كانت خوسيه تعمل داخل النفق في مكان أعمق من اثنتين وخمسين امرأة أخرى في فوجها. حمتها ستة أمتار من تراب متراكم ووجودها على عمق خمسين متراً داخل النفق من أكثر من 98 بالمئة من تأثيرات الإشعاع المباشرة. على طول النفق، اعترض الماء، والكربون، والحديد في أجساد النساء الأخريات الإشعاع. أصبحت أولئك الأقرب إلى مدخل النفق، إضافة إلى تحولّهن إلى ترس ضد الإشعاع، مخمِّدات طبيعية ضد معظم الحرارة التي كانت تحاول الوصول إلى خوسيه.

جاء الموت إليهن في أثناء جزءين من مئة من الثانية، وبعد عُشري ثانية أصبحت كل الأنسجة غير العظمية في أجسادهن غازاً متوهجاً. تبخّرت المادة الدماغية، وحاول الدم الهرب عبر محاجر فقدت عيونها في جماجم النساء على شكل بخار أسود، لكن الارتفاع المفاجئ في الحرارة كان كبيراً وانفجرت الرؤوس من الداخل.

Twitter: @alqareah

أنقذ ما حدث في أثناء العُشر الآتي من الثانية على الأرجح حياة خوسيه؛ بفارق هامش بسيط جداً، إذا كانت شجرة السنديان الضخمة، التي تقف قرب ملعب كرة مضرب، مذكورة في التاريخ على نحو صحيح. في اللحظة نفسها تماماً التي أرسل بها مزيج ضغط البخار من مدخل النفق، والتأثير الأول لطبقة الغلاف الجوي الدنيا في فقاعة صدمة القنبلة، موجةً من هواء مضغوط نحو الجهة الخلفية من النفق، أسقط الانفجار جذع الشجرة فوقه مباشرة. بقي الجذع، بالرغم من تجرّده من أغصانه واحتراق سنتيمترات عدّة من قطره، على حاله تقريباً ليشير إلى أنه عندما بدأت الموجات التمهيدية تجتمع معاً وتندفع نحو الخارج في كل اتجاه، كان مركز نصف كرة التأثير يرتد نحو السماء. ضمن إطار زمني يُحسب بالمليثانية، بدأت فقاعة الصدمة تتشوّه وتنفجر داخلياً، وبدأ الانفجار الارتدادي من الأرض يشكل عنق كرة النار، وارتفعت أشلاء أغصان الشجرة الممزقة إلى الأعلى حين غيّرت القوى التي ضربت الجذع ومركز الانفجار في بادئ الأمر اتجاهها.

داخل النفق، قتلت تدفقات البخار والارتفاع السريع في ضغط الهواء مباشرة عشرين أو ثلاثين امرأة أخرى يقفن بين خوسيه والمدخل، وترافق ذلك مع تأثير خواء خارج النفق في الوقت نفسه تقريباً، فأصبح جدار النفق الخلفي، بالنسبة إلى خوسيه، غلاف قنبلة أنبوبية. وبالرغم من أن تدفقات البخار قد سُحبت من النفق في اللحظة التي اندفعت فيها نحوها، إلا أن خوسيه تعرّضت لحروق شديدة وفقدت رشدها مباشرة. ستبقى فاقدة الوعي في آخر النفق ثلاثة أيام، حتى عثر منقذ عليها لا تزال تتنفس، وحملها على ظهره إلى مستشفى متداعٍ في يوراكامي.

كان زوج خوسيه على السطح عند الساعة 11:02 قبل الظهر، مكلفاً من قبل الجيش بالعمل على نفق أكبر صممه الوالي نيشيوكا، وقد توفي بالتأكيد في مكان قريب. لم يبقَ حجر على حجر في البناء الذي أُرسل إليه.

Twitter: @alqareah

كانت خوسيه قد تزوجت معمارياً - نجّاراً، وأحد أنشط العمّال الذين ستعرفهم في حياتها. عندما انضمت إلى كنيسته وأصبحت كاثوليكية، بقيت وفية للجانب غير المألوف منها واختارت اسم ذكَرٍ لنفسها؛ خوسيه، تيمّناً باسم صبيٍّ قد تبنّته زوجة نجّار.

على النحو غير التقليدي نفسه، كرّمت خوسيه التي فقدت أبويها سابقاً ذكراهما بالاحتفاظ بلقبها بعد الزواج. لطالما كان زوجها، زنكيشي كاواغوشي، طيباً وعطوفاً عليها على نحو استثنائي؛ وعندما تحسّنت حالتها، همّت برحلة مثل هيراتا إلى مركز الانفجار، بحثاً عن أي أثر له. عندما لم تعثر على شيء، وضعت عيّنة من تراب التلة فوق النفق الذي كانت فيه في مستوعب صغير، وأقنعت راهبين يسوعيين بإقامة مراسم جنازة من دون جثة. واحتفظت خوسيه، حتى وفاتها عام 1975، بصورة زنكيشي معها دائماً، إلى جانب مستوعب صغير من تراب يوراكامي.

كان الطالب العسكري كوماتسو موجوداً على بعد عشر دقائق طيران من يوراكامي عندما أصابت موجات الصدمة قاعدة طائرات البحرية في ساسبو. كان شروق زائف من اتجاه ناغازاكي يعني شيئاً واحداً فقط له: إعلان ترومان لم يكن مبالغة، وأن تلك هيروشيما أخرى.

صعد كوماتسو واثنان من زملائه على متن طائرة مائية وحلّقوا نحو الهدف لإلقاء نظرة عن كثب من بين الغيوم. لم تكن الرحلة مصرحاً بها وتمثل عصياناً مباشراً للأوامر، ولكن، لأن كل شخص يستطيع قيادة طائرة كان «متطوعاً» لأداء مهمة كاميكازي، سأل كوماتسو زميليه: «ماذا يمكنهم أن يفعلوا؟ يقتلوننا؟». وقال لمؤرخين لاحقاً إنه وزميليه الطالب العسكري توميمورا، وضابط الصف البحري يوميدا ظنّوا أن الحرب قد تضع أوزارها قريباً، وأن تلك ربما تكون آخر فرصة لهم للتحليق في سحابة ذرّية.

Twitter: @alqareah

ضحك صديقا كوماتسو على دعابته بشأن «فرصتهم الأخيرة»، وكانت القصة التي عاشوا ليحكوها خليطاً رائعاً من المبادرة والحظ، ممزوجاً بشراب الصباح وما يكافئ باليابانية كلمات: «أتحدّاك مرتين».

بحلول الساعة 11:15 قبل الظهر، ظهرت طائرتهم من بين الغيوم فوق أحد جانبي وادي يوراكامي، ورأى كوماتسو عموداً عريضاً من دخان أسود يلوح أمامهم مباشرة. كان يطير على ارتفاع ثلاثة كيلومترات؛ ومن نقطة المشاهدة تلك على ارتفاع 10.000 قدم، كان سطح «الفطر» يتطاول آنذاك أكثر من تسعة كيلومترات فوق الأرض. كانت القبّة عاصفة ضخمة فوق عنق يزداد حجمه ويتغير ببطء من حلقة حمراء - برتقالية إلى كرة من بخار أبيض.

انعطف كوماتسو بقوة نحو اليسار وبدأ يطير حول عنق الفطر، منزعجاً قليلاً من أشياء كبيرة تسقط من السحابة اندفع قسم كامل من سطحٍ بجانبهم مثل مِذَبّة عملاقة، وصندوق يحتوي على ما بدا للعالم بأسره مجموعة من مضارب التنس، وغطاء خزّان ماء على شكل صحن، وأعداد لا تُحصى من أوراق محترقة.

كان كل شيء في الأسفل يغلي ويندفع منه غبار. تغيرت أمزجة الرجال فجأة بين الذهول والرعب، الضحك والدموع. لم يستطيعوا رؤية شيء من يوراكامي أو أعلى ناغازاكي عبر الضباب الكثيف. عند الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة، أعلن كوماتسو: «لقد حلّقنا وقتاً كافياً»، وقرّر التوجه مباشرة إلى السحابة. ما زاد من جرعة خطورة مغامرته أن كوماتسو فتح نافذة قمرته ومدّ يده التي يكسوها قفّاز إلى الخارج. اخترق غبارٌ جلد القفّاز وحرقه مثل بخار حار، وفي أثناء ثانيتين كان قد أعاد يده إلى الداخل وأغلق النافذة مجدداً، لكن بعد فوات الأوان.

كان العالم في الخارج قد أضحى مظلماً تماماً، وامتلأت القمرة آنذاك بضباب رقيق بني مائل إلى الصفرة، وغطّت مادة سوداء لزجة قفّاز كوماتسو. في مقعد الطيار المساعد، أخذت عينا توميمورا تؤلمانه

Twitter: @alqareah

فجأة واستطاع بصعوبة رؤية لوحة التحكّم. بعد نحو خمس ثوانٍ من احتراق يد كوماتسو، ارتفعت حرارة المحرك وبدأ يفرقع. كان الهواء الداخل إليه مليئاً بكميات كبيرة من الغبار، إضافة إلى أشياء مثل قطع أغصان محترقة ممزوجة بسائل حارٍّ لزج. بحلول الوقت الذي عادت فيه الطائرة إلى ضوء النهار مجدداً بعد ثوانٍ عدّة، أخذ يوميدا يتقيأ. فتح توميمورا نافذته وأخرج الحرارة والغبار من القمرة، وكافح نوبة مفاجئة من الغثيان.

بحلول ذلك الوقت، كان المحرك قد بدأ يصدر أصواتاً مثل مكنسة كهربائية تشفط قطعاً من زجاج، وشعر كوماتسو بأن طائرته تحتضر بين يديه. لحسن الحظ، كان يقود طائرة مائية تسهل السيطرة عليها حتى عندما تطير شراعياً بمحرك معطّل.

مكافحاً نوبة غثيان وضعف ألمّت به، انحدر كوماتسو حول أحد جانبي عنق الفطر في مسار قوسي طويل، واستطاع الوصول إلى ارتفاعٍ كافٍ، مستفيداً من تيارات هوائية صاعدة سبّبتها النيران؛ لتوجيه الطائرة نحو نقطة هبوط في الخليج قبل أن «يلفظ المحرك أنفاسه الأخيرة». كان قد تمنّى أن يبقى محلّقاً وقتاً كافياً لالتقاط صور، لكن حرارة تيارات هواء يوراكامي الصاعدة أرغمته على تغيير وجهته والهبوط بأسرع ما يمكن.

عندما لامس الطّوفَان سطح الماء وأوشكت الطائرة على التوقف، رموا بأنفسهم في الماء وغسلوا الغبار اللزج المؤلم عن أجسادهم. وكإثبات على أن أجساد البشر ليست آلات، فقد استجاب كل منهم على نحو مختلف لأي نظائر سامة دخلت الطائرة، حيث تعرّض كل منهم للمقدار نفسه منها. بدا أن يوميدا استعاد عافيته بعد أن تقيأ دماً وأصابه هذيانٌ وقتاً قصيراً. مات نتيجة إصابته بمرض اللوكيميا بعد سنتين، ولقي توميمورا حتفه بسبب المرض نفسه عام 1964. وبقي الطالب العسكري كوماتسو حياً حتى السبعينيات، مع حرق على يده لم يشفَ قطّ.

Twitter: @alqareah

كانت سيارة بوك قد رحلت منذ وقت طويل حين اتجه كوماتسو إلى السحابة عند الساعة 11:40 قبل الظهر.

عند الساعة 11:01، كانت أبواب حجرة القنبلة قد أُغلقت وانحرف سويني 155 درجة إلى اليسار بطائرة بي - 29، وهبط بها على المسار الشمالي الشرقي الذي سلكه تيبتس سابقاً. بحلول ذلك الوقت، كان سويني قد أصبح مشغولاً بوهم ضيق الوقت الذي يصاحب الأوضاع التي يرتفع فيها الأدرينالين. لم يستمتع قط بشعور امتداد ثانية واحدة لتصبح دقائق كاملة، أو ينخدع بتأثير ما يجري. بدا أن الانفجار المتوقع لم يحصل قط، وبدأ سويني يتساءل: هل ألقى قنبلة لا تنفجر حين امتلأ الأفق كله، بعد 42 ثانية من إغلاق باب حجرة القنبلة، من خلفه بضوء ساطع جداً، أشد كثافة من وميض هيروشيما؟! ثم، حتى في حالة التوقف المؤقت، بدا أن صدمة الهواء الحار من بيكا قد جاءت بسرعة كبيرة، وضربت بقوة غير متوقعة. في هيروشيما، كان سويني قد اختبر أربع موجات صدمة منفصلة، تلاشت قوتها بسرعة، في حين لم يلحظ جورج ماركوارت، بالرغم من أنه كان على ارتفاع أقل من القنبلة بثلاثة كيلومترات في نيسيسري إيفل، إلا صدمة واحدة، مثل صفعة على جانب الطائرة. لكن هناك، كانت كل صدمة مثل قذيفة مدفعية مضادة للطائرات تنفجر خارج النوافذ مباشرة، ووقع خمس منها على الأقل بالتتابع، بقوة متساوية؛ كانت كل منها تمنح انطباعاً بأنها قد تفجّر هيكل الطائرة.

نظر تشارلز سويني إلى الخلف بعد أن أنهى مناورته وتلاشت آخر موجات الصدمة. كانت قمة السحابة ترتفع بسرعة أكبر مما حدث في هيروشيما؛ تنبض بالحياة مع تلك الألوان البنفسجية والبرتقالية الغريبة، وهي ألوان لم يرَ لمعانها إلا مرة واحدة من قبل وتمنّى ألا يراها مجدداً أبداً. استمرت السحابة في التسارع نحو الأعلى بعد أن تجاوزت سويني على ارتفاع 30.000 قدم، ووصلت إلى ارتفاع 45.000 قدم على الأقل، إلى طرف الفضاء الخارجي تقريباً. بدت سحابة ناغازاكي أكثر قوة وطاقة.

Twitter: @alqareah

قال مهندس رحلة سويني إن سيارة بوك فيها أقل من 300 غالون من الوقود وإنها على بعد 350 ميلاً من أوكيناوا، أقرب محطة وقود ومهبط في تلك الأنحاء. كان الحساب بسيطاً على نحو يثير الكآبة: باستخدام غالون واحد كل ميل، ستسقط الطائرة قبل خمسين ميلاً من أوكيناوا، وترتطم بالماء في الوقت نفسه تقريباً الذي تحطّ فيه طائرة كوماتسو على سطح البحر.

بالرغم من نقص الوقود، إلا أن سويني استمر في الانحدار إلى أحد الجانبين، ليسمح للمدفعي بكتابة تقويم عن الضربة.

أجرى سويني، الذي كان يعرف كل شارع وساحة سكك حديدية في الوادي، تقويمه الخاص بسرعة. كان مركز ساق الفطر يرتفع فوق مقاطعة يوراكامي، وعاصفة نارية رهيبة تنبعث من أحد جانبيه. بدا أن المنحدرات العالية في كل الوادي تحترق بألسنة اللهب، في حين بدا أن مركز وسط مدينة ناغازاكي، المحمي خلف سلسلة من التلال التي تفصل وادي يوراكامي عن السهل الساحلي، قد نجا من القنبلة. كانت تلك المحصلة رائعة لسويني. كانت بؤرة التأثير، بالرغم من أنها شمال نقطة التسديد الأصلية، لا تزال مرتكزة قرب مصانع موريماشي، ومعامل ميتسوبيشي للصلب، ومسافن ميتسوبيشي، ومصنع طوربيدات ميتسوبيشي. لم يكن هناك شك في ذهن الطيّار في أن اسم ميتسوبيشي قد مُحي إلى الأبد بضربة واحدة فقط.

كان هاجيمي قد صرخ مع اقتراب سيارة بوك: «طائرة صديقة!». ثم غاص تحت سطح الماء في منافسة مع فتى كيتن آخر لتحديد من يحبس أنفاسه وقتاً أطول. في لحظة الصفر، كانا يسبحان قرب مصنع ميتسوبيشي للطوربيد. وجد هاجيمي أول أربعين ثانية سهلة جداً، حافظ على طاقته بالتمسّك بأعشاب الأنقليس في قاع النهر بدلاً من تحريك ذراعيه وساقيه للبقاء في الأسفل ومقاومة التيارات، وظنّ أنه يستطيع

Twitter: @alqareah

الصمود دقيقة ونصف إضافية، عندما انفجر بيكا.

كان الوميض ساطعاً على نحو يعمي الأبصار، حتى على عمق أكثر من مترين من الماء الملوث بالطين، فأغمض عينيه مباشرة. ولأن الماء لم يكن محملاً بنوى ثقيلة كبيرة يمكن أن تتجزأ وتتسارع - حتى أيونات الأوكسجين المتسارعة لا تستطيع أن تقطع مسافة طويلة عبر وسط سائل - فقد كوّنت أقدام عدّة من الماء درعاً ضد أشعة غاما والنيترونات أفضل من صفائح من الرصاص أو الفولاذ. إذا كان المرء قرب مركز انفجار ذرّي، فإن الغوص تحت سطح الماء سيكون أفضل عمل يقوم به بالتأكيد. كانت الإصابة الوحيدة التي تعرض لها الفتى - نجمت على ما يبدو من تأثير تركيز موجة صغيرة على سطح الماء - حرقاً صغيراً من الوميض على كتفه اليسرى، الذي ترك ندبة دائمة عليها.

دوّت أذنا هاجيمي، وخرج إلى عالم مختلف جداً عن الذي كان قد تركه قبل دقيقة أو اثنتين. لم يكن صديقه في مرمى البصر، وقد خطر له أن الفتى الآخر اختفى ببساطة من الوجود إذا كان قد صعد إلى سطح الماء قبل بيكا.

كان الشاطئ مغطّى بدخان يحجب بناء المدرسة ومقر ميتسوبيشي، وقد تعرض كلاهما لدمار كامل في أحد جانبيهما وانتفخا على نحو غريب في الجانبين الآخرين. كانت السماء فوق رأسه حالكة السواد، ومن منتصف النهر اندفعت كرتان من نار أسود ضارب إلى الخضرة فجأة نحو هاجيمي فوق سطح الماء. كانت كل منهما بحجم كرة قاعدة. في طريقهما إلى الشاطئ، افترقت الكرتان الناريتان على جانبيه واختفتا.

لم يكن بحاجة إلى رؤية المزيد لجعله يخوض في الماء نحو ضفة النهر. عندما وصل إلى ماء بعمق الركبة، هطل رذاذ من قطرات مطر زيتي. ظهرت كرات متوهجة خضراء داكنة واختفت. ضربت إحداها حيواناً ميتاً أو حزمة أسمال، وأشعلت النار فيها، ومزّقتها أشلاء.

عندما توقف المطر الزيتي والنار الخضراء، شمّ هاجيمي رائحة

Twitter: @alqareah

نتنة لم تتلاشَ بمرور الوقت؛ كأنها رائحة حبّار ولحم حيوان مقزّز تأتي من كل مكان حوله. أدرك هاجيمي أن تلك الرائحة تنبعث بالتأكيد من عشرات الأشخاص - الأشخاص التماسيح الذين كانوا يجرون نحو الماء وفي اتجاهه - الذين يخرجون من ذلك المكان المظلم الذي نشأت فيه النار الخضراء من دون شك. لم يكن يرغب في النظر إليهم، لكنه لم يستطع أن يبعد بصره عنهم. كانوا في الوقت نفسه متسخين وغريبين تماماً، مخيفين ومرعبين.

لا بد من أن رحلة هاجيمي على طول ضفة النهر - لم يستطع تحديد هل كانت إلى داخل أرض الصفر أم بعيداً عنها - كانت لا تُنسى أبداً. بالرغم من ذلك، ستصبح مجرد ومضات من ذكرى لديه بعد أربعة أسابيع. تداعى بعض الرجال التماسيح، في أثناء ترنّحهم في ماء يرتفع إلى ركبهم، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى؛ تمزّقوا أشلاء أمام عيني الشاب هاجيمي. استلقى أحد الرجال الذين لم يصلوا إلى النهر على ظهره، متورماً كأنه منفوخ أو مملوء بالبخار من الداخل. تمزّق بطنه وخرجت منه نار سوداء بدلاً من الدم.

لم يستطع هاجيمي تخمين ماهية النار السوداء، وبعد سنوات لم يتمكن أي من العلماء الذين تكلم معهم من إخباره بطبيعة ما جرى. واقترح أحدهم أنه ربما لم يتذكر سياق الأحداث وتفاصيلها كما يجب، وأن جسداً منتفخاً في الحرارة بعد أيام (وليس بعد بيكا - دون مباشرة، كما بدا أن هاجيمي يتذكر) خرج منه ذباب أسود وليس ألسنة لهب أسود. كما قال بعض العلماء، بين أنفسهم، إن ظاهرة هاجيمي ربما كانت على الأرجح هلوسات نجمت عن ارتجاج أصابه؛ وأن موجة صدمة قوتها كيلو أطنان عدّة تنتقل تحت الماء على طول شعاع لا يتجاوز كيلومتراً واحداً وضربت الرأس بقوة كافية تبدو أمراً لا ريب فيه. وبالرغم من ذلك، كانت الممرضة مينامي وأكثر من اثني عشر شخصاً آخرين معها في هيروشيما قد شاهدوا كرات ضوء غريبة. أصابت كرات النار صديق

Twitter: @alqareah

د.ناغي وبقرته بجروح قاتلة على بعد أكثر من ثمانية كيلومترات من القنبلة، وأصابت «شموعٌ» ملتهبةٌ مشؤومة سقطت من سحابة هيروشيما الوالي نيشيوكا بغثيان. رأى ناجون عدّة في كلتا المدينتين قطرات المطر الكبيرة، وأشخاص الظلال، والأشخاص التماسيح المتفسّخة أجسادهم، إلى جانب العديد من الأحداث الغريبة الأخرى التي لا يمكن تفسيرها.

غلّفت شرنقةُ حمايةٍ ساشيكو ماساكي داخل مصنع ميتسوبيشي للطوربيدات. كانت في مثل عمر هاجيمي، وقد أُسند إليها وضع اللمسات الأخيرة على أصغر أجزاء الطوربيدات، وفيها وسائل تحكم كيتن. كان هدف ساشيكو الأسمى، بموجب تلقين الطفولة، أن تموت بطلة من أجل إمبراطورها؛ وكان أكثر دواعي أسفها أن الفتيات يستطعن بناء معدّات طوربيدات كيتن واختبارها، لكن لا يُسمح لهن بقيادتها وأن يصبحن كيتن بأنفسهن.

كان مصنع ميتسوبيشي يمتد نحو نصف كيلومتر - أكثر من أربعة أبنية سكنية - على طول ضفة نهر يوراكامي. كانت ساشيكو ومدرّستها أبعد بنحو ثلاثة أبنية سكينة عن مركز الانفجار من هاجيمي، في قسم من بناء انتفخ وانفجر مثل حبّة عنب ناضجة، في حين سوُيّ قسم هاجيمي أرضاً. رأت ساشيكو وكاميشي وميضين متمايزين، الثاني أشد سطوعاً من الأول، مصحوبين بموجات من الحرارة والضغط الذي يصمّ الآذان. لم يكن السقف المصنوع من الفولاذ والإسمنت مقاوماً تأثيرَ القنبلة كما قيل، لكن مع تداعي الجدران إلى الخارج وتبعثرها بعيداً وهبوط السقف إلى مستوى الأرضية تقريباً، أصبح مصادفة عازلاً شعاعَ الحرارة، وامتص معظم موجة أشعة غاما. منعت مناضد العنفات والطوربيدات السقف من السقوط إلى مستوى رأس ساشيكو. في أثناء تلك الثواني الثلاث أو الأربع الحرجة، شعرت بريح تهدر في أذنيها وانتابها إحساس غريب أنها تطفو قليلاً في الهواء.

Twitter: @alqareah

عندما استعادت ساشيكو رشدها، بدت كاميشي في حالة ذهول. كان كل شخص آخر قد اختفى مع باقي المصنع. لم يكن في وسع ساشيكو أن تستوعب ما حدث.

قالت كاميشي: «يجب أن نذهب إلى نفق المصنع»، ووافقت ساشيكو. كما تبين لاحقاً، كان أمان الأنفاق المتخيّل اسماً على مسمى؛ خيالياً. بعد تعطّل المحركات الكهربائية، سرعان ما امتلأت أرضياتها بالماء، وأخذ العدو يخرج منها؛ كانوا أسرى أميركيين، وأستراليين، وجاويين مكلّفين بحفر الأنفاق؛ وبدا أنهم كانوا أيضاً داخل شرنقة حماية.

قالت كاميشي في ما بعد: «كانت أعدادهم أكبر من أعدادنا».

قالت ساشيكو: «أظن أنني يجب أن أذهب إلى المنزل الآن»، وأومأت كاميشي موافقة وأسرعتا بالابتعاد عن المكان.

عندما جاء شقيقها الأكبر بحثاً عنها، كانت ساشيكو ملطخة بزيت من المصنع ودماء الذين اختفوا، لكنها قد نجت مع بعض الكدمات الثانوية، من دون أن تُصاب بالغثيان الذي يميز الناجين من أرض الصفر. كانت تلك ثاني تجربة لشقيقها مع قنبلة ذرّية. قبل ثلاثة أيام، كان ماساكي موجوداً في الأكاديمية البحرية على جزيرة إيتاجيما عندما تبخّرت كل هيروشيما أمام عينيه «نحو السماء مثل دخان فرن». عاد إلى ناغازاكي على متن قطار كنشي هيراتا، مع أصدقاء خسروا أسرهم كلها في عواصف 6 آب النارية. كان أحدهم قد تعرّف إلى أساسات منزل والدته وساعتها نصف المنصهرة، ولم يكن هناك شيء آخر. كان جميعهم مرضى منذ 7 آب. بدا أن شقيق ساشيكو يحتضر من خدش على يده لا يتوقف النزيف منه.

بعد أن هجر الشقيقان ماساكي وهاجيمي مصنع ميتسوبيشي، لم يبقَ أحد يتحرك فيه إلا الأسرى. لقي كل شخص حتفه في النفق الذي كانوا يحفرونه، وخارج بضع شرانق حماية صغيرة هنا وهناك. قرّر

Twitter: @alqareah

أسرى الحرب الاختباء بين الطوربيدات والعنفات المحطّمة في أرض الصفر، على أمل أن يكون لدى القادة العسكريين المحليين، إذا كان أي منهم لا يزال حياً، قضايا أكثر أهمية كثيراً في أذهانهم من ملاحقة أسرى فارّين.

بعد نصف ساعة من الانفجار، كانت ميشي هاتوري لا تزال في جيغوكو. سيبدو ذلك لها لاحقاً أمراً سخيفاً في أعقاب هجوم ذرّي، لكنها انفصلت عن صديقتها فوميكو وذهبت إلى بقايا مدرستها المدمّرة؛ بحثاً عن كتبها. كان كل ما تستطيع ميشي التفكير فيه هو أن والديها قد ادّخرا كل قطعة نقود يمكنهما الحصول عليها من أجل شراء تلك الكتب. وجدت كتبها المدرسية سليمة في بناء شبه مدمّر. نظرت حولها على ما تبقّى من الحي، وخطر لها أن مركز المساعدة في المدرسة هو البناء الوحيد الذي يمكن أن يُقال عنه، حتى مبالغة، «إنه سليمٌ نوعاً ما». بدت الكتب التي نجت من الانفجار سليمة على حالها؛ كانت لا تزال بطريقة ما مكدّسة في الترتيب نفسه الذي تركتها عليه.

ربطت ميشي كتبها المدرسية على ظهرها، وانطلقت في الاتجاه الذي ظنّت أنه يؤدي إلى المنزل. فركت عينيها تكراراً، لا بسبب الدخان الحار فقط، وإنما لأن التضاريس التي مشت عبرها كانت تتحدّى المخيلة. كانت أعمدة الكهرباء وأسلاكها قد أضحت شبكة معقّدة من خيوط العنكبوت، تنتشر فوق منازل مدمرة، وتبدو كأن عمالقة قد سحقتها ولم تُبقِ منها حجراً على حجر. على سفح تلة، كانت موجة غبار وهواء مضغوط يبدو مثل ماء قد ضربت حقلاً مملوءاً بأنقاض، هدأت قليلاً، ثم ارتدّت عنه على نحو غير متوقع. كان قطار عربات صهاريج يجثم على قمّة الأنقاض، يتسرّب منه شيء سميك ورائحته كريهة، عجلاته نحو السماء، مثل دودة ميتة تنزف سمّاً.

في مكان أعلى على التلة، يبعد مسافة ساعة مشياً خلف المكان

Twitter: @alqareah

الذي بدا أن الهواء يقطر سائلاً فيه، كانت سلسلة صخور ثانية تبدو طبيعية المظهر ومألوفة. كانت الصخور التي ترتفع نحو ثلاثين متراً، وتشكل جداراً طبيعياً يوازي نهر يوراكامي، قد كوّنت ترساً من الوميض وحاجزاً ضد الانفجار بين المدرسة المدمّرة والوادي الصغير الذي يضم حي ميشي. كانت الأبنية على امتداد نحو كيلومتر ونصف باتجاه مجرى النهر قد اختفت من الوجود، وبالرغم من ذلك، عندما تسلّقت ميشي قمة السلسلة الصخرية ونظرت إلى الأسفل، رأت عالماً بقي محمياً تماماً من تأثير القنبلة.

كانت كل الأعشاب قد بقيت خضراء في الوادي الصغير في الأسفل، والملابس لا تزال معلقة غير محترقة أو متسخة على حبال الغسيل السليمة، ولم يكن أي باب أو قطعة آجر سقف قد تزحزحت من مكانها. كان الناس يقودون دراجات عادية على طول الشارع الرئيس، وشاحنة واحدة تتحرك بينهم ببطء شديد؛ كأن شيئاً غير معتاد لم يحدث على الإطلاق. عادت ميشي إلى الخلف لتنظر إلى أسفل الطرف الآخر من السلسلة الصخرية وتقنع نفسها أن رحلتها عبر الأرض القاحلة لم تكن حلماً.

تبعت ميشي طريقاً قادها نزولاً إلى حيّها، وسألت أشخاصاً التقت بهم في الشارع إن كانوا يعرفون ما حدث. لم يرغب معظمهم في السير إلى قمة السلسلة الصخرية ورؤية ذلك بأنفسهم. كان سماع أنباء ما جرى كافياً. كان آخرون مثل ميشي قد سلكوا ذلك الدرب وأخبروهم عن عمود النار واختفاء كل شيء تقريباً بين السلسلة الصخرية ويوراكامي. لم يكونوا يعرفون ما حدث، لكن كانوا يعرفون أنه شيء مروّع فقط. أخبرتهم ميشي عن المدرسة التي سُوِّيت أرضاً والرجل التمساح، ثم أسرعت إلى منزلها.

عند الساعة 11:02 قبل الظهر، كان والدا ميشي يعملان في معمل صغير في الحي، يصنّع ذخائر للطائرات المقاتلة. شاهدا وميضاً عبر

Twitter: @alqareah

النوافذ وشعرا بأن الغرفة تهتز، لكن زجاج النوافذ لم يتحطّم، لهذا، عدّ الجميع تلك هزّة أرضية واستمروا في العمل. أخيراً، عاد مدير المعمل بأنباء أن مصنعهم وبلدتهم وحدهما في قاع الوادي لا يزالان قائمين إذ تعرض كل شيء آخر للدمار.

سمح المدير لوالد ووالدة ميشي بالذهاب إلى التلة بحثاً عن ابنتهما. لم تكن هناك علامات مميزة في الأرض تقود إلى المدرسة، وكان إعصار ألسنة اللهب يقذف كثيراً من الأنقاض وينبعث منه دخان أسود منعهما من مواصلة طريقهما إلى يوراكامي. استدارا عائدين، متسخين بالسخام ومبللين بالعرق، ووصلا إلى المنزل قبل بضع دقائق من ميشي.

سأل الوالد الفرح عندما رأى ميشي: «هل لديك قدمان؟». كانت تلك المرة الأولى التي تراه فيها يبكي. قبل وقت طويل من وصولها إلى التلة ورؤيتها البلدة، كانت ميشي قد عدّت والديها بين المفقودين. ومنذ اللحظة التي صعد فيها والداها التلةَ ونظرا إلى الأسفل في اتجاه المدرسة، كانا قد عدّاها بين أشباح يوراكامي.

لم يدم شعور الحاكم ناغانو بالأمن والسعادة وقتاً أطول مما استغرقه التسلق من منزله الذي تكوّنت حوله شرنقة حماية من الصدمة إلى قمة التلة التي كانت قد حمته. فهِم آنذاك أن الوالي نيشيوكا لم يكن قد بالغ في وصف ما جرى في هيروشيما، ولو بشكل قليل. وكما حُذّر تماماً، كانت يوراكامي قد تحوّلت إلى تجلٍّ للجحيم على الأرض. غطّى غبار أسود غريب الأرض، وعلى أحد الجانبين، ارتفعت كتلة النار والدخان التي تدور حول نفسها أعلى من الأهرامات. في مكان قريب من وسط العاصفة، كانت إحدى مراكز اتصالات الجيش الرئيسة قد أصبحت آنذاك سُحباً من رماد.

اتصل مدير مجلس يوراكامي، من الطرف البعيد للإعصار، بالحاكم

Twitter: @alqareah

عبر أحد أجهزة لاسلكي الشرطة القليلة التي لا تزال تعمل. بدا أن ألسنة اللهب تشوّش على الاتصالات، لكن بعد تكرار ما كان يقوله اتضحت الصورة الكاملة. كان مئات - ربما آلاف الأشخاص - الذين حرقهم الوميض يهربون إلى الجبال خلف المدرسة الطبية، وجدول الجرحى يتحول إلى فيضان موتى.

وثّق كاتب اختزال: «إنهم يأتون جماعات، ويتوسلون جمعاً المساعدة والماء عندما يصلون. إنهم ينهارون ولا يستطيعون المشي. هل مكتب الوالي على دراية بهذا الوضع؟».

وتمّ في تقرير آخر وصف الموتى المبعثرين والأشخاص الذين يحتضرون في منطقة بين العاصفة النارية وبلدة كانت مميزة عن البيئة المحيطة بها؛ مثل واحة في صحراء.

قال المتصل: «في الصحراء، كانت هناك شابة في نحو العشرين من عمرها، تستلقي ووجهها إلى الأسفل وتطلب ماءً: ماء... ماء... فقط بصوت خافت جداً؛ كأنه طنين بعوضة».

سأل ناغانو: «كم عدد الإصابات بتقديرك؟».

«في التلال أسفل الكلية الطبية... أظن أننا نظرنا إلى خمسين ألف قتيل في يوراكامي وحدها».

كان ناغانو قد أعدّ آنذاك برقية إلى طوكيو يقول فيها إن تقديراته تصل إلى 20.000 قتيل، وسيتم إرسالها قبل أن يصحح ناغانو تقديره. في وقت لاحق، سيُستخدم التقدير المبدئي لتوثيق الإحصاء الرسمي المنخفض لعدد الإصابات الذي كان يفضّله محققو الجنرال مكارثر.

لكن يوراكامي لم تكن إحصائية.

كان الحاكم ناغانو يصرخ عملياً عبر موجات اللاسلكي: «خمسون ألفاً؟ ما الذي تفعله الشرطة؟ أين أفواج الإطفاء؟».

«معظم...»، واختفى صوت المتصل في موجة تشويش.

صرخ الحاكم: «كرّر؟». بدا أنه لا يفهم. «لماذا لم يتم إرسال

Twitter: @alqareah

الشرطة وموظفي الإدارة المحلية لرؤية ما يجري؟».

جاء الرد: «معظمهم ماتوا. ولا يستطيع أولئك الذين لا يزالون أحياء إلقاء أنفسهم في النار».

سأل الحاكم: «من المسؤول عندك؟».

كان الجواب الواضح: «ألست أنت؟»، لكن المتصل احتفظ بذلك لنفسه وقال: «لدينا حالة اضطراب... يبحث الجميع عن أطباء، وممرضات، وشرطة. المستشفيات على هذا الجانب تحترق والأطباء يُخلون المرضى منها. انسَ أمر إخماد الحرائق أو نشر الشرطة في المنطقة. سنحتاج إلى أطباء، وممرّضات، وأدوية».

بدا أن حالة الصدمة الأولى قد مرّت، وأن الحاكم قد استعاد رباطة جأشه. طمأن ناغانو المتصل بالقول: «الوضع مفهوم. لقد قررت إصدار أمر إلى مدير الصحة لحشد كل الأطباء والممرضات على هذا الجانب في فريق طبي سيتجه إلى منطقتك».

في وقت كان يخصصه الحاكم عادة لتناول الغداء، أبلغه مساعدٌ أن وزير الصحة المحلي يبدو مفقوداً آنذاك.

سأل ناغانو: «إذاً، هل رأى أحد الوالي نيشيوكا؟». بدا غير معقول له ألا يأتي الوالي إلى المنزل ويحتل موقعه في الملجأ بحلول ذلك الوقت. وفقاً لما كان ناغانو يعرفه، لم يكن الوالي نيشيوكا قد تأخر على أي شيء في حياته من قبل.

في ضاحية إساهايا الجبلية، التقى نيشيوكا وسائقه أول اللاجئين الذين يخرجون من المدينة: تماسيح المشاة-النمل. في البداية أعادوا أفكاره إلى هيروشيما، ثم أدرك أنه على بعد عشرة كيلومترات كاملة من مركز العاصفة. كان بعيداً عن مركز الانفجار في يوراكامي كما تبعد هارلم وبرونكس عن مانهاتن. بدا أن بيكا-دون هذا أسوأ من ذاك في هيروشيما. أكّد الأشخاص التماسيح ذلك، من دون أن ينبسوا ببنت

Twitter: @alqareah

شفة. كان الوالي يعرف أنهم لن يستطيعوا الابتعاد كثيراً عن الأماكن التي تعرّضوا فيها لإصابات. كان كثير منهم آنذاك من دون عيون أو وجوه؛ لقد تحوّلت رؤوسهم إلى جلود تماسيح مسودّة فيها ثقوب حمراء تشير إلى أفواههم.

لم يصرخ الأشخاص التماسيح؛ لأن أفواههم لم تستطع تكوين كلمات. كان الضجيج الذي يصدر عنهم أسوأ من الصراخ، ويتمتمون باستمرار مثل جراد في ليلة منتصف صيف. كان رجل، يترنّح على قدمين مبتورتين متفحّمتين، يحمل طفلاً ميتاً وجهه إلى الأرض. كان حفّاضه وساقاه محترقة وسوداء أكثر من الغيوم فوق يوراكامي.

كانت ملايين الأطنان من الغبار قد ارتفعت إلى قمة الفطر، والرماد ينتشر عبر الأجواء مثل حبر انسكب في ماء. تساقطت أشياء من السحابة: قطع خشبية سوداء صغيرة، وحبيبات إسمنتية ارتطمت بالزجاج الأمامي للسيارة، وحصاة، وضرس عقل.

سأل السائق: «ما هذا؟».

قال الوالي: «سَقط»، وشدّد في قرارة نفسه: غبار نووي مشع، لكنه أحجم عن قول ذلك.

كان كل ما قاله نيشيوكا تقريباً قبل يوم قد أنقذ أشخاصاً في أماكن أخرى. كان الحاكم قد نقل ملحوظته، أن أشخاصاً في هيروشيما محميين جزئياً فقط حظوا بفرصة جيدة للنجاة من بيكا-دون، إلى قائد شرطة المقاطعة، الذي نقل بدوره تلك النصيحة إلى ابنه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً كأمر صارم.

عند الساعة 11:02 قبل الظهر، كان ابن قائد الشرطة يقف خارج مدرسته الإعدادية مع ثلاثة من أصدقائه، قرب شارع يدعى دايكوكو - ماشي، على طرف أرض الصفر. في صباح ذلك اليوم تحديداً، أرسله والده إلى المدرسة وهو يعتمر قبعة بيضاء. كان يخشى استياء والده أكثر من الإحراج، لهذا اعتمر القبعة المحرجة وارتدى

البنطال الأبيض الطويل من دون أي نقاش. عندما ظهر الوميض في السماء، تصرف الفتى على نحو غريزي ونفّذ مناورة احتماء تدرّب عليها قبل الإفطار - مراراً وتكراراً، حتى أتقنها أمام والده في أقل من نصف ثانية. انبطح بالسرعة نفسها وتدحرج إلى حفرة قنبلة تشبه الأخدود على الرصيف. صرخ في أثناء قيامه بذلك على رفاقه أن يحذوا حذوه. لم يمتثل إلا واحد منهم، وتدحرج إلى الأخدود ليسقط فعلياً فوق الفتى. وقف الآخران، يراقبان بيكا ينمو إلى فقاعة صدمة ولم يُشاهدا مجدداً قطّ.

كان د. تاتسويشيرو أكيزوكي ناجياً آخر استمع إلى شاهد من هيروشيما. كان العميد تسونو قد وصف وميضاً، ودوياً هائلين سبّبتهما طائرة واحدة هبطت نحو الأرض قبل حدوث الوميض. كانت إشارة التحذير تلك مختلفة جداً عن الطنين المستمر الذي يصدر عن أسطول قاذفات يقترب من المكان، ويسمح بدقيقتين أو ثلاث للاحتماء. نصح تسونو أن صوت محركات طائرة واحدة تعمل بأقصى طاقتها يمنح تحذيراً سابقاً قدره بضع ثوانٍ فقط.

عند الساعة 11:01 قبل الظهر، كان د. أكيزوكي قد أدخل إبرة تُستعمل في العمليات الجراحية في جانب مريض مصاب بالسل، وسمع فجأة صوتاً منخفضاً وحاداً جداً، مثل بي - 29 تهبط نحو الأرض.

قال مساعد: «ما هذا؟ انطلقت صفّارة انتهاء الغارة، أليس كذلك؟».

صرخ أكيزوكي: «انبطح!»، وسحب الإبرة ورمى بنفسه على الأرض. نشأ مركز الانفجار بعد ثوانٍ على بعد نحو 1.4 كيلومتر. كانت كلية الطب ومستشفى سان فرانسيس في يوراكامي تقعان عالياً على تلة أصبحت ماسورة بندقية التأثير في الوادي. اقتُلع سطح البناء والعديد من الجدران الخارجية، ولم تبقَ نافذة واحدة سليمة، لكن ذلك كان تأثير شرنقة حماية، مقارنة بالجحيم المستعرة في الأسفل في وادي النهر. بعد الوميض الحارق، انهار السقف إلى الأسفل مثل موجة مدّية. وقف

Twitter: @alqareah

أكيزوكي ومساعده ذاهلَين بعد نجاتهما من تسونامي الإسمنت والجص من دون أن يُصابا بجروح. لم يكن المريض محظوظاً إلى ذلك الحد؛ تلقى ضربة مباشرة من شظايا زجاج وإسمنت في رأسه.

لم يأتِ باقي المرضى إلى أكيزوكي والممرض، بل ركضوا مسرعين، فرّوا من المستشفى كأن كائنات غريبة تطاردهم، غطّوا وجوههم الملطخة بالدماء بأيديهم واتجهوا نحو أمان أعلى تلة كما تخيّلوا.

كان معظمهم ينظرون إلى الخلف في أثناء جريهم، وعندما نظر أكيزوكي أخيراً نحو ما يبدو أنهم يفرّون منه، رأى السماء الجنوبية الغربية قد أصبحت داكنة اللون مثل الفحم؛ وأسفل ذلك الغطاء الأسود، فوق سطح الأرض، يوجد ضباب غريب جعله - مع انقشاع الغبار شيئاً فشيئاً - يثبت في مكانه مرتعباً.

كان الضباب ناراً.

كان د. أكيزوكي ضمن قلائل عاشوا ليروا، ويسردوا، كيف تكوّن إعصار يوراكامي: «قول إن كل شيء احترق ليس كافياً. بدا أن الأرض نفسها تنفث ناراً ودخاناً، واندلعت ألسنة لهب وثارت من تحت سطح الأرض. كانت السماء حالكة، والأرض قرمزية».

وبينما كان يشاهد ما يجري، ارتفع شكل قرمزي - وأصفر من محيط ألسنة اللهب وحاول أن يصبح جبلاً. بدا لأكيزوكي، وأشخاصٍ عدّة آخرين رأوه ذلك الصباح، أن العالم كله يفنى وهم معه.

عندما نظر د. بول ناغي إلى الأسفل من المستشفى ورأى الإعصار، فكّر هو أيضاً في نهاية العالم. بالرغم من ذلك، بصفته رجلاً اتخذ لنفسه اسماً نصرانياً حين عُمّد، أضحت تلك هي النهاية المتوقعة طوال آلاف السنين، منذ زمن دانيال. بالنسبة إلى ناغي، كان العرض المدهش في الوادي حافة البداية، وتحذيراً، ليس من أشياء يجب أن تحدث، لكنه كما كان يأمل هو ترياقٌ من أشياء قد تقع. لم يكن يريد أن يصدّق أنه يشهد نهاية العالم.

Twitter: @alqareah

لم يكن د. ناغي يظن أن إطلالة المستشفى وكاتدرائية يوراكامي على المكان الذي صُلب فيه سان بول ميكي وخمسة وعشرون من أتباعه عام 1597 محض مصادفة. تساءل د. ناغي: هل ما بدا لمعظم الناس مجرد حادثة تاريخية - التقاء مركز الانفجار ومكان الصلب - تذكِّرُ كل البشرية أن كل شيء يخص الإنسان إلا طريقة الإنسان في التفكير قد تغيّرت، وأنه إذا لم تتغير طريقته في التفكير، فإن ذلك كان فعلاً مجرد تمهيد لنهاية العالم.

في الحديقة الأمامية للمستشفى، كان د. أكيزوكي يكتشف أن الأرض قد سخنت إلى درجة غليان الماء على الأقل. مُهّدت الأعشاب - وأوراق كل الخضار - وسُفعت واحترقت من دون دخان. كان معظم الأشخاص الذين يعملون في الحديقة يديرون ظهورهم نحو بيكا عندما ومض بلون أحمر، ولا بد من أنهم أداروا رؤوسهم على نحو لاإرادي في ذلك الوقت ليصيبهم غضب الوميض الأزرق الكامل قبل أن يحظوا بوقت ليدركوا أنهم يجب ألا يستديروا وينظروا إليه. سفعت الحرارة ظهور عمّال الحديقة، واحترقت وجوههم في أثناء تلك الثواني الثلاث الأولى نفسها، فأصيبوا بالعمى.

في البداية، أراد د. أكيزوكي الهرب بعيداً، لكن عندما نظر إلى الأعلى، رأى نيراناً بدأت تنتشر شيئاً فشيئاً أعلى طوابق المستشفى. لحظة، اعتقد أنه أمر غريب قليلاً أن يكون السقف أول جزء من المبنى يشتعل ناراً. وبعد ذلك، في اللحظة التالية، فكّر في د. يوشيوكا، التي كانت في مكان ما في الأعلى. وكان قد أرسلها إلى هناك.

عندما جرى أكيزويكي إلى الداخل وصعد السلالم، وجد عدداً من الرهبان اليسوعيين من الكنيسة المحلية يساعدون آنذاك في عملية إخلاء. في أثناء الدقائق العشر التالية، ساعد الرهبان والفريق، إلى جانب عدد من المرضى الذين لم يُصابوا بجروح، أكيزوكي على إخلاء الجميع

Twitter: @alqareah

من المبنى.

في أثناء احتراق المستشفى الخالي، وبعد إخراج كل الأدوية والمعدات تقريباً منه، نادى شخص اسم أكيزوكي، وصرخ بصوتٍ أعلى من طقطقة ألسنة اللهب: «أرجوك تعالَ بسرعة يا سيدي!».

تبع الرجل إلى تلة خلف المستشفى، حيث كان أحد الرهبان قد حمل د. يوشيوكا على ظهره.

قالت الممرضة تسوياكو، تعاتب بلطف د. أكيزوكي لتأخره في المجيء: «إنها على وشك أن تموت من نزيف الدم».

كانت الضمّادات قد لُفّت مرات عدّة حول رأس يوشيوكا حتى لم يعد يظهر منها إلا عين واحدة حدّقت إلى أكيزوكي حين جسّ نبضها وتفقّد ضماداتها.

قال أكيزوكي، غير واثق أن هذه هي الحقيقة: «لا أظن أنك في خطر. نبضك جيّد، ولست شديدة الشحوب وقد أوقفت الضمادات النزيف».

سألت د. يوشيوكا: «هل عرفت أي شيء عن والدتك؟».

قال أكيزوكي بقليل من الأسى: «لا. لقد احترقت على الأرجح». نظر نحو إعصار ألسنة اللهب، ولم يستطع تحديد موقع منزل والدته بدقة. بينما كان يراقب، بدأ الناس يتحركون صعوداً على التلة نحوه، يتأوهون ويتمتمون طالبين العونَ. كانت وجوه مشاة - النمل مثل أقنعة، وشعر الطبيب أنه يشاهد موكب أشباح وكأنه حلم يتذكره من الطفولة، لكن ذلك كان أسوأ. كان الشرر يتطاير من المستشفى آنذاك، ولم تكن هناك أدوية إلا ما حمله الفريق الطبي في أثناء خروجهم منه. لم يكن هناك سقف يأوي الجرحى تحته. شعر أكيزوكي أن لا فائدة ترجى منه من دون إمدادات طبية، وأراد أن يهرب حقاً، لكنه قرر أنه حتى إذا أصبح تقديم علاج حقيقي مستحيلاً، فإن الراحة المستمدة من وجود طبيب أو إنسان مهتم قد تكون كافية لإنعاش رغبة المريض في البقاء حيّاً. عندما

Twitter: @alqareah

سمع توسلات الناس للمساعدة، لم يعد في وسعه تركهم خلفه.

مع اتساع سيل الناجين من الوادي، ازداد الأنين والتمتمة قوة.

كان رئيس القسم لدى مصمم السفن ياماغوشي لا يزال يشرح كيف أنه لا يصدّق آلية عمل قنبلة ذرّية، حين أنهى بيكا الثاني النقاش لمصلحة ياماغوشي. على بعد ثلاثة كيلومترات، نحو 10.200 قدم باتجاه مجرى النهر عن مركز الانفجار، كانت الحرارة التي دخلت الغرفة شديدة جداً، حتى إن ياماغوشي ظنّ تلك المرة أنه هالك لا محالة.

مرة أخرى، كان يقف بمحاذاة أرض الصفر. في كل مكان حوله، سوّى الانفجار كل الأبنية الخشبية والمباني المصنوعة هياكلها من فولاذ خفيف أرضاً. حتى الإسمنت المكشوف اشتعل في تلك المنطقة وقتاً قصيراً ونجم عن ذلك وميض ثانوي من ضوء أبيض. احترق الألمنيوم هنا وهناك مثل وقود صاروخ. لم يكن أي شخص يقف في الخارج محمياً، لكنه خارج نطاق جرعة أشعة غاما القاتلة، لم تكن تلك الحالة ذات أهمية مع موجة الانفجار الفتّاكة وشعاع الحرارة.

في أثناء الثواني الثلاث الأولى، تذكّر الجميع ما كان ياماغوشي قد قاله، وانبطحوا كلهم تحت طاولات وخلف الأبواب. في النهاية، فعل رئيس القسم لدى ياماغوشي ما كان الأخير قد قال إن عليه القيام به إذا رأى وميضاً ساطعاً، ونجا من دون خدش تقريباً في غرفة بدا أنها داخل شرنقة حماية بين موجات الصدمة المتشعّبة بخلاف باقي البناء. بطريقة ما، في منطقة جبلية تعرّضت في مدّة ست ثوانٍ إلى موجات صدمة ارتدّت عنها بفاعلية واقتربت من بعضها بقوة تكسر العظام، انفصمت موجة كانت تتجه نحو موقع ياماغوشي حول بيت سلالم ملحق به، مثل ماء يفترق على كلا جانبي مقدمة مركب. بدا أن الموجة قد حملت بعيداً كل شيء وكل شخص باستثناء قاعة اجتماعات ياماغوشي، والأشخاص

Twitter: @alqareah

الذين كانوا فيها معه. وبدا أن الهواء الحار جداً قد دار فقط من الخارج حول المكتب، قبل أن يتراجع نحو يوراكامي ويلحق الكرة النارية إلى السماء. كانت أرضيات عدّة من الإسمنت والفولاذ قد كوّنت، قبل أن تتحول إلى دخان وغبار، طبقة حماية إضافية وامتصت الحرارة وأشعة غاما، لكن ياماغوشي بقي يشعر بحرارة تتقد في جسده تبعها قشعريرة وغثيان.

جرى ياماغوشي عبر بيت سلالم لم يعد له جدران، ثم ما كان سابقاً رواقاً مألوفاً له فقَد سقفه إلى بناء مجاور أضحى آنذاك حقلاً. كان البناء المألوف الوحيد برج مراقبة مبنيًّا من فولاذ وإسمنت استُخدم سابقاً كمنارة.

بدا أن البرج قد نجا، مثل ياماغوشي وزملائه، على نحو لا يمكن تفسيره بالرغم من أن بابه الفولاذي كان ساخناً بما يكفي ليحرق أصابعه عندما فتحه. انتابه القلق أول مرة؛ لأن الحروق التي أُصيب بها في هيروشيما أضحت آنذاك مكشوفة تماماً لعصف الدخان والرياح التي تزداد قوتها باضطراد. بالرغم من أن الموجة التمهيدية قد ارتدّت وانحرفت عن المكان بعد اصطدامها بمبنى مكاتب ميتسوبيشي، إلا أن الريح العاصفة التي رافقتها كانت قد نزعت كل ضماداته ومعظم الجلد تحتها.

كان مراقب البرج لا يزال في موقعه. وواضح أنه كان يشاهد إما بي – 29 أو القنبلة نفسها عبر منظار قوي. كان وجهه قناعاً من جلد تمساح مسودّ، لكن دماغه تلقّى الصدمة. كان المنظار قد ركّز شعاع الحرارة في حزمتين لا بد من أنهما اخترقتا كلتا العينين وصولاً إلى الجانب البعيد من جمجمة الرجل؛ كل ذلك حدث في جزء صغير من مليثانية. هزّ المهندس كتفيه من ذلك المنظر المروّع ونظر من أعلى المنارة، محاولاً العثور على المنزل.

كان كل شيء في اتجاه المنزل قد انقلب على جانبه واحترق، ثم

Twitter: @alqareah

حدث شيء أطفأ النيران التي كانت يجب أن تكون مشتعلة هناك. بدا أن الأرض قد كُشطت ومالت؛ كأن مخالبَ قد أصابتها.

اكتشف المهندس أن أحد جوانب منزله بقي سليماً على نحو غريب، وامتلأ بطاولات محطمة وأجزاء مقاعد، وبقايا شرفة؛ كلها مغلّفة بغلافٍ من كربون أسود، والباقي أنقاضٌ. كما كان كنشي قد فعل في هيروشيما، بحث ياماغوشي آنذاك في المكان، وحفر مهتاجاً بحثاً عن أسرته، وأخيراً عثر على قطعة عظمية تخصّ طفلاً. لكن تأثيرات القنبلة وقعت على ما يبدو بالتزامن مع تغييرات عشوائية في حياة الناس الروتينية.

سرعان ما وجد ياماغوشي هيساكو وكاتسوتوشي الصغيرة حيّتين. بعد أن غادر إلى العمل في صباح القنبلة الثانية، جاءت زوجة قريب له لزيارة هيساكو، وأحضرت معها طفلها الصغير. كانت هيساكو قد قدّمت الشاي إليها وخرجت من المنزل لإنجاز ما كان مجرد مهمة صغيرة، في نوبة عملها التي تمتد من بعد الظهيرة إلى المساء، في إدارة توسيع نفق ميتسوبيشي. وضعتها إصابة زوجها في هيروشيما على درب ما كان لها أن تسلكه بخلاف ذلك. كانت هناك عادة في المنزل، تحضّر الغداء لأقرباء قبل أن تنطلق إلى العمل. مع اقتراب الجزء الحاسم من الثانية، انطلقت السيدة ياماغوشي لزيارة صيدلاني أعشاب خبير بمعالجة الحروق. ومثل معظم الأمهات الصغيرات، كانت هيساكو الحريصة والمحبة تأخذ كاتسوتوشي معها إلى كل مكان تذهب إليه؛ حتى عندما يكون الأقرباء في المنزل على استعداد للعناية بابنتها. عندما دوّت صفّارة آخر غارة جوية، كانت مهمة هيساكو في العثور على علاج لحروق زوجها قد غيّرت روتينها اليومي وأحضرتها إلى ملجأ ميتسوبيشي قبل الموعد المحدد. ذهبت هيساكو إلى أعمق جزء من الملجأ والأكثر برودة لحماية مستحضر البشرة البيضاء الذي كانت قد اشترته لزوجها. كانت تلك هي الطريقة التي نجت فيها مع كاتسوتوشي،

Twitter: @alqareah

وجليسة أطفال مراهقة، عندما اندلعت النيران؛ ولحسن الحظ، اندلعت النيران نفسها بعيداً.

أحياناً ينجح الأمر. كان ياماغوشي يحب أن يقول: «أحياناً تكون تلك مشيئة الله، وفي أحيان أخرى ربما مجرد سبب».

كانت أول فكرة خطرت على ذهن د. ناغي، بعد أن كانت موجة الصدمة قد مرّت عبر المستشفى، هي الشكر؛ لأنه لا يزال يتنفس الهواء، ويستطيع التفكير بوضوح، والمشي.كانت الفكرة الثانية عن وظيفته بصفته ضابطاً في لجنة الإنقاذ. نظر إلى أسفل التلة، نحو وسط يوراكامي، وعرف أن زوجته موجودة في مكان ما تحت ألسنة اللهب. وقد عرف لاحقاً أن شقيقةً رآها آخر مرة آنذاك قد حثّت ميدوري ناغي على تمضية باقي اليوم في ما سيصبح كوخاً محمياً، قرب النهر الذي كان الصغيران كايانو وماكوتو يلعبان فيه عند الساعة 11:02 قبل الظهر. كانت زوجته قد رفضت، وقالت إن السرطان يجعل بول أضعف من المعتاد أخيراً، لهذا أرادت تحضير غداء مغذٍّ له ونقله إلى المستشفى. وقد اكتشف بول ناغي في نهاية المطاف أنها قد لقيت حتفها وهي تحضّر شيئاً ما له. كانت عظامها ممزوجة بأواني طهي؛ سُحقت، ثم انصهرت.

كان د. بول ناغي قد بدأ صباحه ولم يبقَ له من الحياة إلا نحو ستة أشهر، لكن بعد أربع سنوات، ومع شعوره بالذنب لأنه نجا، وقد كتب (في إحدى المذكرات الأكثر إفصاحاً عمّا يجول في النفس في التاريخ) أنه باختياره البقاء قرب المستشفى بعد بيكا - دون بدلاً من محاولة العودة إلى المنزل وزوجته، كان قد أدّى واجبه. تساءل: «ماذا ستكون مكافأتي في عيون ماكوتو وكايانو عندما يكبران؟»

كان د. ناغي يظنّ أنه سيموت قريباً من السرطان، لهذا كانت الغريزة التي تحرّكه هي أن يذكره الجميع بطلاً. مدهوشاً من اختفاء

Twitter: @alqareah

يوراكامي وزوجته، أرغم نفسه على السيطرة على مشاعره وأدار عملية إخلاء المرضى من المستشفى. كان يدرك تماماً أنه يسعى إلى الحصول على مديح بعد وفاته، ويرغب في أن يُعرف بوصفه رجلاً أنقذ أشخاصاً من مبنى يحترق من دون أن يُظهر أي مشاعر خاصة.

من وجهة نظر بول ناغي، لم يكن مثل ذلك الغرور يحرّك الطلاب، والممرضات، والرهبان اليسوعيين. كانوا يعودون إلى منطقة الخطر تنفيذاً لتعليمات ناغي القاسية أحياناً، في حين أنه تلقّى المديح لاحقاً: «الطبيب المحتضر الذي لم يفكّر إلا في الآخرين».

في الذكرى الخامسة لإلقاء القنبلتين، تذكّر ممرضة شابة بدا أنها لم تُصب بأي جروح أو كدمات من بيكا-دون، لكنها انهارت ثلاث مرات من فرط الإرهاق، وتوسلت إليه أن يسندها مسافةً من الطريق. بدلاً من ذلك، وبّخها لإظهارها مثل ذلك الضعف وأمرها بأن تشدّ عودها، وتستمر في عمل الإنقاذ. أخذت تتقيأ دماً بعد يومين. في صباح يوم القنبلة، لاحظ ناغي أن عدداً من الممرضات الأخريات أصبحن أضعف حالاً ويتعثّرن في مشيهن.

انتحب ناغي، حين فهم الحقيقة: «لم أمد لهن يد المساعدة. كانت تلك الفتيات أضعف كثيراً مما يبدو عليهن - كانت بعضهن يعانين سكرات الموت - ومن دون أن أعرف، جعلتهن يقفن ويمشين من دون عون. أتساءل دائماً عما ستظنّه أسرهن بي الآن».

تعرضت أولئك الممرضات والرهبان (بالرغم من أنهم كانوا محميين من الأشعة) الذين كانوا في الخارج عندما اندفعت أشعة غاما نحوهم، أو قرب ردهة المستشفى الخارجية، لثُلث جرعة قاتلة تقريباً من الإشعاعات. حتى داخل قوقعة المبنى من الفولاذ والآجر، تلقى ناغي ما يصل إلى خُمس جرعة قاتلة من الإشعاع المباشر، وضعف الكمية على الأقل من السقط اللاحق؛ جرعة كاملة قتلت نحو نصف الأشخاص الذين تعرّضوا لها. السبب الذي جعل الإشعاع يضرب

Twitter: @alqareah

بقوة أكبرَ بطانةَ الأمعاء ونقي العظام هو أن تأثيراته المدمرة كانت أكثر وضوحاً في الخلايا التي تنقسم بسرعة. تقع خلايا السرطان ضمن هذه الفئة. بينما كانت الممرضات يزددن ضعفاً أمام عيني د. ناغي، كانت القنبلة - بالرغم من أنها كانت لا تزال تسبب له الغثيان وتجعل جلده متغضناً - تقتل خلايا إنتاج الدم السليمة وخلايا السرطان في جسد ناغي بالسهولة نفسها. منذ انبثاق موجة أشعة غاما تقريباً، كان سرطانه قد بدأ ينتهي.

كان د. ناغي سيفضّل الموت على أن يحيا ويسمع ما حدث عندما أخبرت عمّة فتاته الصغيرة أن والدتها قد توفيت، وتركتها يتيمة. كانت كايانو في الرابعة من عمرها فقط، ولم تعرف ما يعنيه ذلك. لم تبكِ، بل ابتسمت ببساطة وسألت: «متى ستعود أمي إلى البيت؟».

أُصيبت ريتسوكو قريبة كايانو بإسهال تلك الليلة، وظهر المرض نفسه على قريبهما تايكو، الذي عانى ألماً في المعدة أيضاً.

على الجانب الذي لم يحترق من الوادي الصغير، حيث بقيت الأعشاب خضراء بالرغم من المطر الغريب مما بدا أنها «مادة لزجة هلامية ميتة» - إضافة إلى الأوراق المحترقة والأشياء الأخرى التي كانت تهبط من السماء - كانت يراعات قد نجت من الانفجار. رآها الصغار تطير في الأرجاء وصورها تنعكس عن النهر. ستتذكر الخالة يوراتا أن اليراعات، إضافة إلى رائحة الأعشاب النضرة، منحت إحساساً رائعاً بالحياة للهواء، مما جعل من المستحيل تصديق المأساة التي لم تكن فصولها قد انكشفت بعد.

في الذكرى الخامسة، وبالرغم من أن عمرها كان تسع سنوات فقط، أصبح من الواضح أن كايانو ناغي كانت مرغمة على اكتساب حكمة تفوق عمرها. وقد سجّلت في وثيقة تذكارية: «توفيت قريبتي ريتسوكو. وقبل أن تموت، تقيّأت كثيراً من الدماء. كان عرقها دماً. تقيّأ قريبي تايكو كذلك كثيراً من الدماء وتوفي أيضاً».

Twitter: @alqareah

لـم يفـارق ذهـن كايانـو قـط أن الحـرب قد اندلعت فـي 8 كانون الأول (يوم قصف بيرل هاربور على الجانب الياباني). انتهت يوم توفيت ريتسـوكو في 15 آب. وتسـاءلت كايانو: كم عدد السـيوف القاسـية التي طعنت قلب الأم المبجّلة كل هذا الوقت.

وقـد قالـت كايانـو لمؤرخيـن: «أتذكر أشـياء عندمـا كنت صغيرة، لكن معظمها سيئ. اندلعت الحرب في السنة التي ولدت فيها. في أثناء طفولتي، كانت هناك غارات جوية طوال الوقت. كانت رهيبة، لكن بأي حـال، كانـت لـدي أمي، لهذا كان الوقت لطيفاً، وأشـعر بسـعادة كبيرة. رأيـت القنبلـة الذرّيـة، وكنت في الرابعة آنذاك. كانت القنبلة الذرّية آخر شيء وقع في أثناء الحرب، ولم تحدث أشياء سيئة أخرى بعدها، لكن ليس لدي أمّ منذ ذلك الوقت. لهذا، حتى إذا لم يعد الوضع سيئاً، إلا أنني لست سعيدة».

Twitter: @alqareah

8

خيـــوط

في الوقت نفسه الذي كان فيه الطالب العسكري كوماتسو يطير إلى ساق الفطر المشعّة وميشي هيراتا تخوض تجربتها مع الرجل التمساح، كان تشارلز سويني يفكّر في حسابات وضعه المخيبة للآمال، وإحدى مناورات بول تيبتس «الحمقاء» الأخرى.

كانت المسافة من ناغازاكي إلى أوكيناوا 350 ميلاً. وكانت سيارة بوك وغريت أرتيست قد ارتفعتا، بعد جولة القصف، من 20.000 إلى 30.000 قدم لاستطلاع الهدف بسرعة من ارتفاعٍ عالٍ، والبقاء أيضاً فوق المقاتلات وأمامها. كانت محركات سويني، عند نقطة بداية رحلة العودة إلى الديار، تحرق نحو غالون واحد من الوقود كل ميل، وقد انطلق بحمولة 300 غالون فقط. وللحفاظ على الوقود، كان يجب أن ينخفض ويصل إلى مستوى أكثر إشباعاً بالأوكسجين. إضافة إلى ذلك، كان يستطيع خفض سرعة دوران المحركات من 2000 وفقاً للقواعد إلى 1800 دورة في الدقيقة؛ كان ذلك سيوفر قليلاً من الوقود لكن ليس كمية كبيرة جداً، وفقاً لحسابات سويني. لهذا، قرّر تخفيف سرعة المحرك إلى 1600 دورة في الدقيقة، مما سيخفض للأسف تدفق الكمية المناسبة من الزيت ومستويات التبريد الضرورية لإبقاء المحركات في حالة جيدة. كان ذلك القرار سيضرّ بكل المحركات الأربعة بالتأكيد، لكنها كانت ستتعرض لأضرار أكبر إذا تحطمت الطائرة على ماء مالح ويمكن من ثَمّ التضحية بها.

نجم عن خفض عدد دورات المحرك تخفيف سرعة سيارة بوك بنحو مئة ميل في الساعة. كان سويني يستهلك آنذاك 300 بدلاً من

Twitter: @alqareah

500 غالون في الساعة، لكنه بالرغم من ذلك كان سيسقط في البحر قبل خمس عشرة دقيقة على بعد أميال عدّة من وجهته.

تمنّى سويني أن يكون في نظرية تيبتس الحمقاء كل الفرق. كان الاسم الذي أطلقه تيبتس على النظرية «طيران السُلّم». ووفقاً لها، كان تثبيت السرعة والقوة، والهبوط تدريجياً والحفاظ على مستوى الطيران بعض الوقت، ثم الهبوط والحفاظ على المستوى مجدداً، سيمنح الطائرة تسارعاً مؤقتاً مدة وجيزة في كل مرحلة من دون استخدام وقود إضافي. نظرياً، كان في مقدور سويني الطيران أميالاً عدّة إضافية باستخدام احتياطي الوقود المتبقي؛ وعملياً؟ تساءل الطيّار. وابتداءً من ارتفاع 30.000 قدم، ظن سويني أن لديه وقتاً طويلاً لاكتشاف ذلك، لهذا، بدأ نزول السُلّم، واثقاً بأن حسابات بول تيبتس وإسحاق نيوتن ستفي بالغرض.

قبل خمس عشرة دقيقة من أوكيناوا فوق نقطة التحطّم المقدّرة الأصلية، وكان الوقود لا يزال يصل إلى المحركات بالرغم من انخفاض كميته إلى أكثر قليلاً من اثني عشر غالوناً، شكر سويني تيبتس، ونيوتن، والمولى (عزّ وجل) عندما أصبح البر أخيراً في مرمى بصره. للأسف، كان أقرب مدرّج أميركي إلى اليابان أكثرها ازدحاماً أيضاً. بعد عشر دقائق، كان في مقدور سويني رؤية حركة جوية فوق كل مدرّج.

نادى سويني متلقياً بدا أكثر انشغالاً من أن يرد: «يونتان. برج يونتان! هذا ديمبلز 77. النجدة. النجدة. حوّل».

نادى كوهارك: «كل المقاييس تشير إلى أنها خاوية الآن»، وبعد أن قال ذلك مباشرة، توقف المحرك 4 – الخارجي على ميمنة الطائرة – عن العمل.

نادى سويني: «زد قوة رقم 3».

ثبتت زيادة قوة الرقم 3 جناح سيارة بوك الأيمن، لكن إذا كانت أي نتيجة مؤكدة آنذاك، فهي أن الطريقة الوحيدة للنجاة ستكون الهبوط

Twitter: @alqareah

اضطرارياً. وبعد أن وجّهه أحد مسؤولي برج المراقبة إلى «الدوران حول المدرج والمحاولة مجدداً»، لم يعد الهبوط العادي خياراً.

طلب سويني من فان بيلت إطلاق أسهم الطوارئ الحمراء والخضراء، التي تشير إلى أن الوقود نفد من الطائرة. أرفق ذلك بنداء آخر «النجدة! النجدة! ديمبلز 77». كانت الأسهم الحمراء والخضراء تنطلق آنذاك خلف سيارة بوك، وسمع سويني أبراج المراقبة تتكلم إلى طائرات أخرى؛ كأن لا شيء غير معتاد في الأفق.

صرخ سويني على أفراد فريقه: «هل هم مكفوفون وصمّ أيضاً؟». ثم صرخ في مكبّر الصوت: «النجدة! النجدة! أنادي أيّ برج لعين في أوكيناوا!».

لم يسمع سويني شيئاً حتى تشويشاً، وأفلت تروس الهبوط من يده وصرخ على فان بيلت: «أُطلِق كلّ ما لدينا على متن الطائرة من أسهم الطوارئ!».

«كلها؟».

«كلها! افعل ذلك الآن!».

كانت أسهم الطوارئ تنطلق على الجانبين بعد ثوانٍ؛ حمراء، وزرقاء، وخضراء؛ وتنطلق منها نجوم بنفسجية وبيضاء متلألئة. كان فان بيلت يشير إلى أن الوقود نفد من الطائرة! الطائرة ستتحطم على الماء، هنا! استعدوا لتحطّم قادم! النيران تشتعل في الطائرة! موتى وجرحى على متن الطائرة!

تخيّل سويني أن سيارة بوك تبدو آنذاك مثل احتفال الرابع من تموز.

صرخ مراقب حركة جوية مرهق: «من ذلك الأحمق؟».

حظيتُ بانتباههم الآن على الأقل، كما فكّر سويني، حين بدأت الطائرات تبتعد عن طريقه، وتسمح له بالتوجه نحو أقرب مدرّج، واثنان فقط من المحركات الأربعة لا يزالان يعملان.

بعد عشر ثوانٍ من توقف سويني، كانت شاحنات الطوارئ إلى جانب سيارة بوك. بدأت إحداها ترش المحركات بالماء، بالرغم من أنه لم يكن هناك شيء يحترق. دفع طبيب رأسه عبر الباب وسأل: «أين الموتى والجرحى؟».

نقر سويني بإبهامه على كتف الرجل، وأشار إلى الشمال في اتجاه ناغازاكي. قال: «هناك في الخلف»، ولم يضِف شيئاً إلى ذلك. كان بعيداً عن قاعدة تينيان الجوية، حتى إذا كان الرئيس ترومان قد كشف السر وأعلن عن وجود القنبلة، كان كل شخص على متن سيارة بوك يفهم، من دون أن يُقال له، إن عليه التزام الصمت بشأن المكان الذي كانوا فيه، أو الموقع الذي سيقصدونه، أو ما كانوا قد فعلوه.

جاء أمر من الأميرال بورنيل في تينيان إلى الفِرق الأرضية في أوكيناوا بمنح سويني كل ما يحتاج إليه للمرحلة الآتية من رحلته، وبالرغم من انقضاء الساعات، بقي الرد من طوكيو صحراء من الصمت.

تساءل سويني: هل يمكن أن يكون ردّهم الحقيقي على قنبلتين ذرّيتين عدم اكتراث واستخفاف؟! هل يعقل ذلك؟!

بدا الأمر كذلك. وبدلاً من أنباءٍ عن استسلام ياباني، كانت القصة الرئيسة عبر مذياع القوات المسلحة عن الغزو الروسي الصينَ التي تحتلها اليابان، وتبع ذلك في المركز الثاني اكتشاف تسجيلين «مفقودين» من الأرشيف لأغنيتي غلين ميلر الراحل «السفينة الكاريبية» و«الإبريق البني الصغير».

كان سويني العضوَ الوحيد من فريقه الذي يعرف أن نواتَي بلوتونيوم القنبلتين الذرّيتين الآتيتين لن تتوافرا قبل شهر أو أكثر. وقد سجل في مذكّراته أن تلك الفكرة جعلته يرتاح أكثر من أي شيء آخر. ربما تقنع المدة بين القنبلتين الحكّامَ في القصر الإمبراطوري أنه إذا استطاعت البلاد تحمّل انفجارين ذرّيين واستعادت عافيتها، فعندها يمكن العيش مع هذا الرعب الجديد - مثل القصف التقليدي تماماً - والنجاة منه.

Twitter: @alqareah

قال سويني في قرارة نفسه: يا الله! لو كانت لدينا قنبلة أخرى فقط يمكن إلقاؤها غداً أو بعد غد، لصدّقت طوكيو عندها أن في مقدورنا إمطارهم بها واحدة تلو الأخرى مثل مقذوفات بندقية رش؛ وعندها سيستسلمون حتماً ويوقفون الجنون. لكن هذا؟ هذا؟

كان التأخير شهراً كاملاً يعني شيئاً واحداً فقط: ترومان يقامر والترسانة النووية الكبيرة لا وجود لها. والمفارقة المأساوية لذلك هي أنه عندما تصبح القنابل التالية متوافرة في بضع أسابيع، سيكون على سويني الطيران في المزيد من تلك المهمات. خمّن أنها ستكون ثلاثاً على الأقل.

ما الذي يفكّرون فيه بحق الله هناك في قصر الإمبراطور؟

كما أخبر معاصروه: «عزف نيرون على الكمان في أثناء احتراق روما». وبالرغم من مرور نحو ألفي سنة، إلا أن تلك الكلمات بدت مناسبة جداً للوضع آنذاك. أصرّ المشير شونروكو هاتا، الذي كان قد فوّت اجتماعه مع الوالي نيشيوكا لكنه نجا من نيران هيروشيما ووصل إلى طوكيو وهو يعاني حروقاً على جانب وجهه، مع د. ساغين أن الأميركيين يمتلكون كمية من مادة نووية تكفي لإنتاج قنبلتين ذرّيتين فقط.

قال هاتا: «يبدو أنهم قد استخدموا كلتيهما الآن. لقد فعلوا أسوأ ما يمكنهم القيام به».

ضغط وزير الخارجية شيجنوري توغو وعالم الفيزياء يوشيو نيشينا مجدداً، بلطف شديد، من أجل التماس قرار من الإمبراطور.

بدا أن وزير الحرب كورشيكا أنامي قد توقف عن القلق تماماً ويتعلّم في الواقع كيف يتعامل مع القنبلة. بعد أن سمع أوصافاً عن السحابة الذرّية التي تظهر في الطبقة العليا من الغلاف الجوي مثل وردة إشعاعية النشاط، تفتّقت قريحته الشعرية وقال: «ألن يكون مدهشاً أن تفنى كل هذه الأمة مثل وردة جميلة؟».

Twitter: @alqareah

كانت العبرة التي ينقلها المحارب والشاعر المعتدّ بنفسه إلى الكاميكازي والكيتن الشبان الشيء نفسه. علّمهم أن قدرهم هو الحرب، «السقوط من أجل الإمبراطور مثل تويجات من وردة». في أيام عدّة، بعد الكشف عن معرفته بانقلاب عسكري ضد الإمبراطور وتفكيره آنذاك في الانضمام إليه؛ بهدف القضاء على كل احتمال بالاستسلام، انتحر أنامي بعد أن دعا أصدقاءه إلى شراب، وأسمعهم اثنتين من «قصائد الموت» كان قد نظمهما، وندب نفسه قائلاً: «آه، يا له من شاعر سيفقده العالم».

كان أنامي يرفض في ذلك الوقت التسامح مع عبارة وزير الخارجية: «وضع الحرب يصبح في غير مصلحتنا كل يوم»، وقد أرغم توغو على إعادة صياغة عبارته: «لا يتطور وضع الحرب بالضرورة لمصلحة اليابان».

أكّد الجنرال يوشيجيرو يوميزو لأنامي أن الإجراءات المضادة للطائرات التي تركّز على طائرتين أو ثلاثٍ تحلّق وحدَها يجب أن تكون كفيلة بصدّ هجوم ذرّي.

قال وزير الخارجية توغو: «وماذا إن كانت لديهم قنبلة ذرّية أخرى تنتظر على إحدى الجزر؟ وماذا إن كانوا يعرفون أننا نتوخى الآن الحيطة والحذر من طائرتين أو ثلاثٍ فقط على وجه الخصوص؟ هل تظنون أنهم أذكياء كفاية لإخفاء قنبلة بين أسطول من خمسين قاذفة بي – 29؟ أو مئة؟ وكيف سنُسقطها كلها؟».

بدا لتوغو لحظة أن وزير الحرب أنامي ليس لديه إجابة، لكن وجنتي الأخير تورّدتا غضباً وعينيه لمعتا وقال: «أنا واثق تماماً أن في مقدورنا إلحاق خسائر جسيمة بالعدو، حتى إذا فشلنا في المحاولة، فإن شعبنا الذي يبلغ تعداده مئة مليون نسمة مستعد للموت حفاظاً على شرفه، وتمجيد مآثر اليابانيين في التاريخ المكتوب».

وافق الجنرال يوميزو وأعلن: «يجب أن نقاتل بشجاعة ونجد

Twitter: @alqareah

الحياة في الموت. إنها الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها تكريم عدد كبير من الرجال الشجعان الذين ماتوا من أجل الإمبراطور».

قال د. نيشينا في نفسه: من أجل ماذا؟ نكرّم قتلانا في الحرب بتكديس مزيد من الجثث فوق بعضها بعضاً؟ لكن عندما بدأ الأميرال يوغاكي ينشد أغنيةً عن سرب الصواريخ - الطائرة الانتحاري، احتفظ نيشينا بأفكاره لنفسه؛ لأنه رأى بكل وضوح أن التعقّل في ذلك الوقت كان أسرع طريقة لجعل الحياة قصيرة؛ بأن يُقطع رأس المرء. لهذا أرهف عالم الفيزياء السمع والتزم الصمت، في حين كان وزيرا الحرب والخارجية يتجادلان بلغة سياسية بشأن إن كانت الحرب ستتحوّل حقاً «في غير مصلحتهم» أم أنها «لا تتطور بالضرورة لمصلحتهم»، ويوراكامي وناغازاكي تحترقان.

بعيداً جنوب طوكيو، في نجود هيروشيما المحترقة، وجد كيجي ناكازاوا، الفتى الذي دعا نفسه الجنرال وكتب أن جندياً يعرفه فقط باسم «السيد» قد أنقذه من محرقة جنائزية، قبعة إطفائي ميت واستخدمها لإخفاء علامات «مرض إكس».

كان شعر الجنرال قد بدأ يتساقط خصلاً كثيفة منذ الصباح الباكر. كان يعرف أن القبعة ليست ذات نفع كبير، وأن والدته ستلاحظ كم أصبح مريضاً. لهذا، تسلل الجنرال من ملجأ القماش والصفيح الذي كان قد ساعد والدته على إنشائه واستأنف بحثه عن طعام.

خلف أساسات قلعة هيروشيما وأنقاض مستشفى الاتصالات، اكتشف الجنرال كمية من أرزّ متفحّم لا تزال موجودة في أكوام منتظمة، بالرغم من أن مستودع الجيش الذي كانت مكدّسة فيه، كان قد اقتُلع عن الأرض وحُمل بعيداً. فتح الأكياس، ضعيفاً ومتألماً، محاولاً العثور على شيء لا يزال صالحاً للأكل. كانت هناك كميّة من السكر قد ذابت وأصبح لونها أصفر ضارباً إلى الحمرة، وأيضاً مقادير ضئيلة

Twitter: @alqareah

من أرز مسودّ إلى جانب بعض أصغر القتلى في هيروشيما، بالإضافة إلى مجموعة من النمل لا بدّ من أنها أسرعت في الثواني الأخيرة من حياتها واحدة بعد أخرى إلى الحمم الذائبة الحلوة.

كانت والدة الجنرال قد أخبرته آنذاك بمثل ذلك المشهد. وفي أثناء تلك الدقائق العشر الأخيرة قبل بيكا - دون، كانت قد لاحظت المئات، إن لم تكن الآلاف، من النمل تخرج من حديقة الخضار وتتجه نحو المنزل. كان أحد آخر الأمور التي سمعت سنجي، شقيق الجنرال الصغير، يقولها إنه لم يرَ مثل ذلك العدد من النمل قط من قبل.

لم يكن النمل المتحجّر يثير قلق الجنرال، فصنّفها في ذاكرته وتابع بحثه عن طعام. تحت طبقة النمل المتحجّر والحلوى المتصلّبة، لم يكن لون الأرز الذي عثر عليه داكناً من التفحّم. بدلاً من ذلك، بدا أن اللون الداكن نجم عن تسرب المطر الأسود وظهور عفن داكن عليه. تحت طبقة العفن الداكن، كانت المادة رطبة فقط من التسرب ولم تصبها الحرارة إلا قليلاً، وقد بدا الأرز هناك صالحاً للأكل تماماً. وجد الجنرال بعض علب الطلاء المتفحّمة وملأها بالأرز الأبيض وأكبر عدد يستطيع حمله من شرائح النمل المحلاة.

بينما كان يمشي، تذوّق الجنرال الأرز والسكر الأسود المائل إلى البني. وبالرغم من النمل الميت ومذاق الفحم، وموجات الغثيان والقشعريرة، كان أول طعم سكر تذوّقه، في أثناء طفولة هيمن عليها نظام حصص غذائية حكومي صارم، وقد بدا له شهياً جداً.

في الطريق إلى المنزل، رأى أكواماً من العظام المكدّسة آنذاك حتى ارتفاع مترين حول محارق الجيش الجنائزية. لم تكن تلك المشاهد تزعج الجنرال. في ثلاثة أيام فقط، كان قد اعتاد على العظام والجثث. ومع ذوبان قطعة من «حلوى نمل هيروشيما» على لسانه، عرف تلميذ الصف الأول الذي انتابه إحساس بالذهول أن الجثث البشرية تحترق مثل طعام بحري طُهي أكثر من اللازم. عندما وصلت

Twitter: @alqareah

ألسنة اللهب إلى الموتى، بدا له أنهم يرفعون أقدامهم ويجلسون نوعاً ما «مثل حبّار يُشوى».

لقد استمرّت محارق الجيش في العمل نحو شهر تقريباً.

جاء الطعام الذي أحضره الجنرال إلى المنزل من ثكنة عسكرية قرب مركز الانفجار، وقد غمره المطر الأسود تماماً. وبالرغم من أن معظم العناصر المشعّة كانت قصيرة الأجل فتلاشت وتبدّدت في ساعات، إلا أن نصف حياة نظائر اليود كان يصل إلى ثمانية أيام، وبقي السترونتيوم-90 يحتفظ بنصف فاعليته الأصلية بعد ثلاثين سنة. يلوث البلوتونيوم، الأكثر ندرة والأقل نشاطاً، الناجمُ عن انشطار اليورانيوم، اللحمَ بالإشعاع ببطء أكبر وقوة أقل من اليود-131 والسترونتيوم-90، لكن معدل نصف عمره يصل إلى 24.000 سنة.

لم يكن الجنرال يعرف في ذلك الوقت أن الطعام الذي يجلبه إلى المنزل لتتناوله والدته كان يحمل موتاً بطيئاً.

حتى د. ألفاريز ويوري لم يكونا يفهمان آنذاك أن السقط الإشعاعي الذي أصاب مدينة أو نهراً لا يخفّ مع كل هطول مطر مثل حبر أُريق في ماء؛ لأنه يتمتع بميزة الثبات داخل الأنظمة البيولوجية. لذلك السبب كان يمكن وصف حالة الجنرال بعملية حسابية بيولوجية بسيطة على نحو مخيف: إذا خُلطت ثلاث ميكروغرامات (جزء من مليون من الغرام) من اليود - 131 بثلاثة ليترات من الماء، يمكن أن يقال حينئذ إن ثلاثة ميكروغرامات من النظير (في شكله السائل) قد تحللت في الماء. بأي حال، إذا سُكبت تلك الليترات الثلاثة نفسها من الماء الملوث بالسقط الإشعاعي في بركة وانتقلت إلى الأنسجة الحية لسمكة، فعندها قد يستنتج شخص يحلّل الماء الذي تنضحه السمكة أن بركة ملوثة بيود مشع تصبح أنظف من تلقاء نفسها؛ لأن الماء الذي يخرج منها أقل إشعاعاً من الماء الذي يدخل إليها. في الحقيقة، ستتشرّب السمكة كل الميكروغرامات الثلاثة تقريباً من اليود المشع،

Twitter: @alqareah

وسيتشرّب شخص يأكل ثلاث سمكات تعرضت للحالة نفسها (تشرّبت كل منها ثلاثة ميكروغرامات) تسعة ميكروغرامات؛ يوجد معظمها، مثل أي شكل آخر من اليود، في الغدّة الدرقية.

ينطبق مبدأ الامتصاص والتركيز نفسه على الأرز والسكر الملوث بالسقط الإشعاعي الذي أخرجه الجنرال من الأنقاض لوالدته. ينحو البلوتونيوم، مثل اليود، إلى الظهور في الأنسجة الحية، ويتركّز في الرئتين، والكبد، والعظام، ويعرّض الخلايا المحيطة بها للإشعاع مدة طويلة. بالرغم من أن العنصر لم يكن موجوداً على الأرض حتى ابتكره الإنسان، إلا أن آلية الجسم الكيميائية خُدعت بسهولة لتقبل البلوتونيوم؛ يظن الجسم غالباً أنه كالسيوم، وحديد، وفيتامينات معدنية أخرى، ومن ثَم يسمح له بالانتقال إلى الغدد التي تفرز حليب الأم. على نحو مشابه، تظن آلية الاستقلاب (الأيض) في الجسم البشري أن السترونتيوم - 90 هو كالسيوم، وترسله إلى العظام وغدد الحليب؛ تمنح الأولوية لغدد الحليب إذا كانت الأم مرضعة.

كان عمر توموكو شقيقة الجنرال الصغيرة ثلاثة أيام فقط، حيث إنها ولدت مساء 6 آب. كانت ندرة الطعام قد جعلت حليب أمها يجف، وقد أضحى الشغل الشاغل للجنرال توفير تغذية جيدة لوالدته؛ حتى تستطيع إرضاع الصغيرة توموكو مجدداً.

كان الأرز والسكر يجديان نفعاً، بعد طهيهما، لكن شقيقة الجنرال الرضيعة «بكت كثيراً»، كما ذكر لاحقاً، «وتوفيت مثل شمعة تحرق نفسها». كان قدر الطفلة قد ارتبط بالهواء الذي استنشقته آنذاك، والحليب الذي كانت على وشك أن ترضعه من أمها.

مات حصان د. هاشيا بعد ساعات عدّة من وقت الغداء، وبذلك حظي مستشفى الاتصالات آنذاك بكمية كبيرة من البروتين، بدلاً من رفيق دائم، يمكن طهيها وتجفيفها واستهلاكها في أيام عدّة على الأقل.

Twitter: @alqareah

مع وصول مزيد من المرضى إلى المستشفى، أُرسل المزيد منهم إلى جناح العزل.

كان هاشيا، في تلك الأثناء، سعيداً؛ لاكتشاف أنه مع تحسّن شهيته وصحته، كان فضوله العلمي ينتعش أيضاً. كان والأطباء الناجون الآخرون يصنِّفون آنذاك المرضى (أو «المصابين بالعدوى») ضمن ثلاث مجموعات من مرض إكس:

1. أولئك الذين يعانون غثياناً، وتقيؤاً، وإسهالاً لكنهم يتحسّنون.
2. أولئك الذين يعانون الأعراض نفسها لكن حالتهم لا تتحسّن ولا تسوء.
3. أولئك الذين تسوء حالتهم مع أعراض إضافية، بما فيها من تساقط الشعر، والقشعريرة، والحمّى المترافقة مع نزيف.

بدا أن معظم الأشخاص في المجموعة الثالثة يموتون على نحو مفاجئ تماماً.

من وجهة نظر د. هاشيا، لم يكن يبدو أن أي شيء يتعلق بمرض إكس أو القنبلة الذرّية يخضع لقوانين طبيعية. كان هناك زجاج في رئتي وافدين اثنين على الأقل إلى المستشفى. لم يصدّق هاشيا ذلك حتى أحضر زميلٌ أحد المريضين إليه. استخدم الطبيب، وهو جالسٌ على فراش المرض، سمّاعة وأصغى إلى الشظايا الصغيرة ترنّ معاً مع كل شهيق مجهد؛ الكثير منها. لم يتخيّل القوة التي جعلت رجلاً يستنشق الزجاج، أو كيف استطاع البقاء حياً في هذه الحالة.

قرّر د. هاشيا أن في الأمر سراً بالتأكيد، وحاول أن ينساه ويخلد إلى النوم قليلاً. كان جعل سريره مريحاً أكثر سيساعد بالتأكيد، لكنه لم يكن أكثر من شبكة على هيكل محروق، وفراش مؤقت زيدت حشوته بصفحات ممزقة من كتاب فقد غلافه؛ لم يكن ببساطة كافياً لمساعدته على الاسترخاء ونسيان كل ما كان قد رآه في تلك الأيام الثلاثة الأخيرة.

Twitter: @alqareah

انقضت ساعات ولم يستطع هاشيا التوقف عن التفكير. في كل مرة غفا فيها، كان يستيقظ متنبهاً، ويسمع دائماً أنيناً متواصلاً من الأسفل، تقطعه صرخات بين الفينة والأخرى.

جاءت إحدى الصرخات من زوجة طبيب يدعى هارادا. كان الطبيب قد توفي فجأة في جناحه المعزول. توفيت الممرضة هيندا، التي بدت بصحة جيدة حتى عانت التقيؤ والإسهال، في الجناح أيضاً.

منح الأطباء أحد السريرين الشاغرين لفتاة صغيرة، جعلتها القنبلة يتيمة آنذاك. سيُبقي صياح الفتاة طالبةً والدتها هاشيا مستيقظاً طوال الليل، حتى توقفت الصرخات. لو أن أحد الناجين في ناغازاكي البعيدة حظي بفرصة الجلوس بضع لحظات على طرف سرير د. هاشيا ونظر حوله، لكان قد أدرك، والخوف يملأه، أن الطبيب كان يتعايش مع ما ينتظرهم.

أوقفت الأنقاض في الشوارع والسيل المتدفق الذي لا ينتهي من الأشخاص التماسيح سيارة الوالي نيشيوكا عند الجوانب الداخلية لضاحية إساهايا. استلقى مئات الأشخاص موتى أمام عينيه على بعد ثمانية كيلومترات من مركز انفجار يوراكامي. كان جنود يكدّسون آنذاك الجثث في أقرب بقعة مكشوفة، وقد حوّلوا ملعب مدرسة ابتدائية إلى محرقة مؤقتة.

كانت سيارة الوالي مزوّدة بإحدى أجهزة اللاسلكي القليلة التي لا تزال تعمل في المدينة. حاول مذيع حكومي طمأنة الأمة أن طوكيو تعرف المشكلة في ناغازاكي. أقرّ وزير الحرب آنذاك بوقوع هجوم على مدنيين باستخدام نوع جديد من القنابل كان قد ألحق «بعض الأضرار» بالمدينة، إضافة إلى أكثر من مئة إصابة. لاحقاً في اليوم نفسه، بدّلت طوكيو الرقم الرسمي إلى نحو 500 شخص.

في مكان أقرب إلى مركز الانفجار ثلاثة أضعاف المسافة التي كان الوالي نيشيوكا موجوداً فيها، كان صانع الطائرات الشراعية موريموتو قد نجا مع اثنين فقط من أفراد أسرته. لم يكن لينجوَ قطّ لولا أن السُحب

Twitter: @alqareah

الكثيفة قد دفعت نقطة الاستهداف بعيداً عن منزله نحو 2.5 كيلومتر شمالاً، في اتجاه ستاد يوراكامي. وبالرغم من ذلك، فقد صانع الطائرات الشراعية قريبين له في هيروشيما، وثمانية آخرين في يوراكامي. كان أحد هؤلاء يعمل قرب زوج خوسيه ماتسو في ملجأ الوالي نيشيوكا الجديد. منذ ذلك الوقت وإلى الأبد، سيبقى ببساطة في عداد «المفقودين».

في لحظة الصفر، كان موريموتو يخبر زوجته عمّا كان قد شاهده في هيروشيما. «أولاً، حلّ وميض أزرق يعمي الأبصار...».

جعله وميض مضاعف يصمت تماماً، والذي سطع أولاً بلون أحمر ثم أزرق وغمر متجره للطائرات الورقية بوهج أصفر شديد. تصرف موريموتو على نحو غريزي، فأمسك بابنه ودفع زوجته أمامه نزولاً على الدرج إلى ما كان حتى ذلك الوقت مجرد قبو للمؤن، لا ملجأ من القنابل. لم يجازف وأغلق الباب الثقيل خلفه وحمى جسدي زوجته وابنه بجسمه. بعد إغلاق الباب، دوّى رعدٌ فوق رؤوسهم.

قال موريموتو في قرارة نفسه: قريب! لم يكن يفهم مدى قربه حتى خرج من القبو. كان سقف متجره قد اقتُلع من منتصفه، سُحب بعيداً، وأُلقي على سطح منزل عبر الشارع. كان موقدٌ لا يزال في مكانه، وعليه إبريق شاي، لكن بدا أن كل شيء آخر - كل شيء - قد جُرف من المبنى وصعد إلى السُحب. كانت مغلّفات تحمل اسمه عليها، إضافة إلى مِزَقٍ من أوراق طائرات ورقية موقعة منه، تنجرف وتطير مع أوراق من كل بناء مكتبي في المنطقة، وتحولت منطقة تمتد على مسافة 25 كيلومتراً - 15 ميلاً كاملة - شمالاً وشرقاً إلى حطام.

كان موريموتو بين المحظوظين بالرغم من كل الشدائد التي واجهته. كان متجره يقع في ما بدا أنها فجوة بين العواصف النارية والسقط الإشعاعي. وبالرغم من أن عشرة من أفراد أسرته كانوا مفقودين آنذاك، إلا أن موريموتو وزوجته وابنه لم يتعرضوا لحروق أو جروح باستثناء كدمات أُصيبوا بها نتيجة تعثّرهم في أثناء نزولهم إلى القبو. لم

Twitter: @alqareah

يُصب موريموتو إلا بغثيان في أثناء رحلة القطار من هيروشيما، وقد نجا من مرض إكس، وكذلك زوجته وابنه.

كان ياماغوشي قد لاحظ أن في مقدور المرء النجاة أحياناً. بعد سنوات، رأى شيجيوشي موريموتو أطفالاً وكذلك جدوداً يلعبون بطائراته الورقية فوق مدينة قُدّر أن يُرمز لها بالعنقاء.

بدا أن دوي، مساعد موريموتو، يشاطره «حسن الطالع» الذي لا يُصدّق نفسه. بالرغم من أنه كان لا يزال يعاني قشعريرةَ هيروشيما وغثيانها، إلا أنه وأسرته كانوا، مثل أسرة د. ناغي، على الجانب الظليل من تلة عندما انفجرت القنبلة على بعد 3700 متر، وامتدّت على شعاع حوالى ثلاثة أميال.

كان مساعد صانع الطائرات الشراعية يشرح، مثل موريموتو تماماً، ما حدث في هيروشيما لزوجته وابنته في اللحظة الحاسمة. لم يكن يتوقع خطراً مباشراً، ولهذا سمح لابنه البالغ من العمر تسع سنوات اللعب في ساحة معبد بوذي مجاور.

كرّر دوي لزوجته وابنته مرة ثالثة ورابعة: «إذا رأيتما الوميض الأبيض، يجب أن تلقيا بنفسيكما مباشرة على الأرض. وأياً تكن الظروف - أياً تكن - لا تنظرا في اتجاه الوميض».

تململت ابنة دوي الصغيرة وسألت هل في مقدورها الذهاب إلى النهر، حيث كان أولاد آخرون من الحي يخططون للسباحة.

قاطعها الوميض؛ ظهر في السماء ولمع عبر النوافذ؛ كأنه تم تسليط ألف كشّاف فجأة على الغرفة.

صرخ دوي: «هذا ما أتكلم عنه!». نهضت زوجته بسرعة وبدأت تجري نحو الساحة والمعبد، لكن دوي أوقعها إلى الأرض وسحب ابنته إلى الأسفل معه حين هزّت موجة الانفجار الكوخ، وحطّمت النوافذ، وأحدثت ثقوباً في الأبواب المنزلقة.

Twitter: @alqareah

لـم تكـن لـدى دوي أي فكـرة عـن وقـوع 80 بالمئة مـن الوفيات أو عـن وقـوع دمـار شـامل على الجانـب الآخر من تلـة كاوابيرا. وجد ابنـه يختبـئ داخـل مبنى المعبد الرئيس، خائفـاً قليلاً ويحدّق ذاهلاً إلى تمثال سـقط على الأرض، لكنه لـم يصب بخلاف ذلك بأي أذى؛ كان موجـوداً داخـل شـرنقة حماية. بدا أن الخطـر الحقيقي الوحيد يأتي من النصف الأعلى لسـاعة جدارية قديمة سـقطت من السـحابة وتحطّمت علـى سـاحة المعبـد مثل شـهاب، وتبعها بسـرعة هطـول غريب لكرات غولف ومضارب تنس... تبعها بعد دقائق عاصفة من ورق.

بعيداً مسافة كيلومترات عدّة فقط من دوي، وفي أثناء سفره على امتداد تلّتي كاوابيرا وكومبيرا المحترقتين، اكتشـف أكيرا صديق مصمم السـفن ياماغوشـي أنـه حتـى مـن بعيـد، لم تسـمح الحرارة الإشـعاعية لإعصـار يوراكامـي لـه بالاقتـراب أكثـر مـن 1.6 كيلومتـر (أو ميلٍ) من الاسـتاد ومركز الانفجار. على الجانب المواجه للنهر من كاوابيرا، كان في السـفح خمسـة أنفاق، تضم كل منها أقسـاماً من مصانع ميتسوبيشـي للطائرات والذخيرة، وفيها منصتان لانطلاق بعض مقاتلات البلاد الباقية ضـد الغـزو المتوقـع من قبل الأسـطول الأميركي. تفحـم العمّال خارج الأنفـاق وبـدا أن حتـى أولئـك الذيـن بقـوا داخلها قد تعرّضـوا لحرارة شـديدة واختنقوا. اختفت كل النباتات، باسـتثناء جذوع أشـجار مسـودّة طُرحت أرضاً كلها في الاتجاه نفسه.

تخلـى أكيـرا عن فكرة تقديم تقرير إلى مكتب ميتسوبيشـي وسـار في الاتجاه الذي كانت الأشجار تشير إليه. صعد إلى قمة كوابيرا، يأمل أن يحظى بفرصة لتقييم الضرر من أرض مرتفعة. كان ماسانو المساعد الثانـي لصانـع الطائـرات الشـراعية، الذي جاء من هيروشـيما على متن القطار نفسه مثل أكيرا، وخرج من حطام القطار ذاته سليماً، يسير على الدرب نفسه إلى القمة.

Twitter: @alqareah

عندما وصل الناجيان إلى قمة تلة كاوابيرا، كانت الغيوم التي تطفو في الجو داكنة جداً وتحجب ضوء الشمس حتى بدت مثل بدرٍ لامع. بدا الجانب الآخر من الوادي - الجزء الذي كان خارج ظل كاوابيرا وتعرّض إلى وهج بيكا الكامل - كما توقّعه أكيرا تماماً: مشوّهاً ومحترقاً بشدة. لكن أشخاصاً كانوا يكوّنون صفوفاً لنقل دلاء ماء من النهر في الأسفل، وبقيت كل المنازل على الجانب الأقرب المظلل قائمة؛ كأن شيئاً لم يحدث لها. لا شيء على الإطلاق.

ترك أكيرا ماساو من دون أي كلمة وداع، وبدأ ينزل نحو الأعشاب التي لا تزال نضرة والنهر الذي لا يزال يتدفق، ويُقسمُ في كل خطوة مؤلمة ومع كل توقف ليتقيأ إنه إذا استطاع بطريقة ما الخروج من هذه الحرب حياً، فلن يعود مرة أخرى أبداً إلى يوراكامي أو هيروشيما، إلى ميتسوبيشي أو البحرية.

بمرور الوقت، اختفت نوبات مرض القنبلة الذرّية التي ظهرت على أكيرا، وعاش حياة طويلة وتحوّل من مصمم سفن حربية إلى مناصرٍ للسلام. ودافع، إلى جانب صديقه ياماغوشي وعالم فيزياء أميركي صمم سابقاً قنابل ذكية جديدة، عن حلم مستحيل لكنه بسيط (وإن يكن رمزياً فقط) أن يؤول الحكم في الدول التي تمتلك أسلحة نووية فقط إلى أمهات لا يزلن يرضعن أطفالهن.

أخبر أحد الرهبان اليسوعيين د. أكيزوكي: «في النهاية، كل ما يمكننا فعله هو الدعاء». وفهم أكيزوكي ذلك، بالرغم من كونه بوذياً.

آنذاك، لم يكن لدى الدخان الأسود الذي يرتفع من يوراكامي مكان يذهب إليه. كانت التلال تحصره بين جانبي الوادي بالطريقة التي يضم فيها حوض استحمام الماء. ومع هبوب عواصف على المنطقة من الشمال والجنوب، كانت الطريقة الوحيدة للخروج هي تخطّي جدران الوادي، لهذا، تلبّد معظم الدخان عالياً، وحجب الشمس. كان

Twitter: @alqareah

المستشفى المحترق أقرب مصدر للإنارة وأقواه، ونيرانه تلتهب بسطوعٍ يكفي للقراءة.

بدا أن مستودعاً قريباً قد نجا من دون أن يصاب بأي ضرر. ظنّ أكيزوكي وناغي أن سقفه المعدني قد كوّن عازلاً ملائماً ضد الرماد المتساقط، والذي بدا أنه يؤلم رئتي د. يوشيوكا وضحايا الحروق الآخرين، إلى درجة أن المساحات المكشوفة من سفوح التلال والشوارع تحوّلت إلى أكبر جناح لمرضى ذات الرئة في العالم.

ساعد اليسوعيون د. أكيزوكي على مدّ حُصرٍ على أرضية المستودع الإسمنتية ونقل د. يوشيوكا إلى هناك. نزع أكيزوكي بلطف الضمادات عن وجهها ونظّف جروحها مرة ثانية. تمنّى ألا تلاحظ الأسى والخوف في عينيه. كانت شظايا زجاج وخشب وقطع عدة من أغصان صغيرة قد اندفعت في جلد د. يوشيوكا. اطمأن أكيزوكي؛ لأن وجه يوشيوكا كان مضمداً كله مجدداً عندما وصلت والدتها من بلدة بقيت قائمة على الطرف الآخر من التلة.

قالت الأم للدكتور أكيزوكي عندما رأت ابنتها مصابة ومضمّدة: «لقد قمت بعمل نبيل»، لا تزال حية لحسن الحظ.

نظر أكيزوكي إلى الأرض وهزّ رأسه ببطء شديد. قال بلطف: «لا تفهمين. أنا المسؤول عن إصابتها».

عاش د. بول ناغي وقتاً طويلاً كفاية ليلاحظ أن قنبلة ذرّية لا تدمّر الإسمنت والفولاذ فقط؛ إنها تحطم أرواح البشر بالسهولة والقوة نفسهما.

لن تسامح تاتسو ابنة أخت ناغي نفسها؛ لأنها بقيت مع كايانو وماكوتو في النهر الذي كوّن شرنقة حماية حولهن على الطرف الآمن من الجبل، بعد أن رأت الكرة النارية ترتفع من اتجاه يوراكامي. تمنّت تاتسو لو كان في مقدورها أن تكون مع والدتها على الجانب الآخر

Twitter: @alqareah

من كاوابيرا؛ ليكون في ذلك بعض السلوان لها على الأقل في لحظاتها الأخيرة. وبغض النظر عن عدد المرات التي شرح فيها بول ناغي للفتاة أنه حتى في حال وجود مثل ذلك الأمر غير المعقول - الذي يسمح بنقلها مباشرة عبر عاصفة من ألسنة اللهب إلى جانب والدتها - وبغض النظر عن المرات التي حاول أن يخبر فيها تاتسو أن أقصى ما كان في مقدورها الوصول إليه قد تحوّل إلى بقعة داكنة في طوفان يوراكامي من الرماد، فإنها ألقت اللوم على نفسها، لافتقارها إلى الشجاعة، وأضافت ذلك إلى محنة وفاة والدتها.

في اليوم الذي انفجرت فيه يوراكامي، كان شقيق تاتسو قد هرب من جزيرة سيبان وتدبّر أمره على طوف في البحر، لكن جانب جسده احترق وفقد أصابع إحدى يديه. كانت فكرة العودة إلى المنزل لرؤية والدته وشقيقته حيتين مجدداً قد أبقته حيّاً. لن يطلب من تاتسو قط أن تسرد تفاصيل وفاة والدتهما، لكن القنبلة كانت قد كوّنت، منذ لحظة الصفر، تصدّعات غير مرئية في العلاقة الشخصية بين الشقيق وشقيقته.

حتى العروة بين الوالدة والابنة لم تكن منيعة على ذلك.

لم تنسَ تاتسو أو تصفح عن الطريقة التي توفيت فيها قريبتها الصغيرة إيكو. لن تشير قط مجدداً إلى والدة إيكو بأي اسم إلا «الخالة النحيلة».

كانت الخالة، مثل تاتسو، محمية خلف ظلال تلة كاوابيرا وقمة كومبيرا التي ترتفع 366 متراً. وبخلاف تاتسو، ركضت الخالة النحيلة فعلاً إلى الجانب الآخر، متشوّقة إلى العثور على مدرسة يوراكامي حيث كانت قد رأت ابنتها البالغة من العمر ثماني سنوات آخر مرة.

في مكان ما خلف المدرسة التي سُوّيت أرضاً، ووراء كتلة مشوّهة من قضبان السجن والرجل التمساح الميت، سمعت إيكو تناديها من أحد الأنفاق.

بدا أن كل الفتيات الأخريات قرب مداخل النفق قد احترقن وسُحقن مثل حشرات. لم تعد معظمهن يبدون بشراً آنذاك، ولا إيكو

Twitter: @alqareah

أيضاً. بطريقة ما بقيت عيناها سليمتين، لكن باقي وجهها كان بثرة كبيرة، وجلد كل جسدها من الأمام يشبه تمساحاً مسوداً.

وقد قالت الخالة النحيلة تاتسو مراراً وتكراراً: «لقد تحوّلت فتاتي إلى وحش!»، وحاولت أن تشرح لها ذلك وهي تظن أنها، من بين كل الناس، ستفهم بطريقة ما.

كما قالت الخالة النحيلة، كانت إيكو تعرف أنها ستموت، لكنها فرحت كثيراً لرؤية والدتها مرة أخيرة وبدا أن ذلك ينعشها. ظنتّ تاتسو أن الخالة النحيلة خافت من أن يعيش الوحش.

قالت إيكو: «أمي! لم يعد في مقدوري المشي. أردت الذهاب إليك. أرجوك غطّيني، فأنا أشعر بالبرد».

وقفت الأم، وقالت: «انتظري لحظة. سأجد شيئاً يجعلك تشعرين بالدفء. انتظري لحظة فقط... تماسكي».

هربت الأم بعيداً، وأخذت تنتابها منذ تلك اللحظة وطوال ما تبقى من حياتها صورة إيكو ترتعش وحدها في الظلام، وعذّبتها إلى الأبد صرخات «أمي... أمي...» التي لم تستطع نسيانها.

أرادت الخالة النحيلة أن تشرح: «لكن إيكو كانت وحشاً»، وقد شعرت تاتسو بالإهانة من اعتقاد الأم أنها ستفهم.

قالت تاتسو يوماً ما لخالها بول ناغي: «الوحوش الحقيقية تبدو مثلنا تماماً».

بعد ساعات من هروب الخالة النحيلة، وجدت امرأة أخرى تفتّش الملاجئ بحثاً عن ابنها المفقود إيكو حيّة وأبقتها دافئة إلى أن وافتها المنية في صباح اليوم التالي. عاشت إيكو أطول مما كان ينبغي لها على الأرجح، تصرخ طوال الوقت طالبةً أمَّها. رتّبت لها الغريبة التي اعتنت بابنة شخص آخر كأنها ابنتها جنازة كاثوليكية قرب أنقاض كاتدرائية يوراكامي ومستشفى سان فرانسيس، وتوثّقت من حفر اسم الصغيرة إيكو على شاهد القبر.

Twitter: @alqareah

بعد خمس سنوات، سجّلت تاتسو في مذكراتها أنه بمرور الوقت وكلما تكلّمت خالتها عن ذلك اليوم، كانت «تعدّل» الجزء المتعلق بالطريقة التي ماتت بها إيكو. ومع انقضاء كل شهر، كانت تطلب من تاتسو زيارة قبر إيكو، في إشارة واضحة إلى عدم قدرتها على المثول أمام إيكو بنفسها.

قالت تاتسو لمؤرخين: «حاولت كثيراً أن تُصبحَ صديقة لي، لكنني لم أكن أقبل ذلك. كنت أعرف جيداً أنه إذا حدث مثل ذلك الشيء مجدداً، فستتخلى عني بالطريقة التي فعلتها مع إيكو. لهذا، كنت أعاملها باحترام، ظاهرياً، لكنني احتقرتها فعلاً. بالرغم من ذلك، مَن أنا كي أزدريها في حين أنني أهملتُ والدتي؟ أنا أحتقر نفسي. أكره نفسي!».

سجّل بول ناغي في مذكّراته أن الخالة النحيلة فقدت في نهاية المطاف كل سيطرة عقلانية على نفسها وبدأت تجري في الشوارع وتخيف تلميذات المدارس الصغيرات، فكانت تحاول دفعهن على الأرض أو اختطافهن. لم يكن لديه وتاتسو أي شك في أن كل فتاة تذكّرها بإيكو. بحلول ذلك الوقت، بدأ شقيق تاتسو يشتمها ويحمّلها مسؤولية وفاة شقيقته، وتطوّر الأمر في النهاية إلى صفعها وضربها حتى كسر عظامها. أقسمت تاتسو عند ذلك الحد إنها ستقتله فوراً إذا حاول الاقتراب منها مجدداً.

ستبقى التصدّعات التي تكوّنت في مركز الانفجار موجودة بعد سنوات عديدة. وفقاً لبول ناغي: «لكنني لا أتكلم عن تصدّعات في الأرض، وإنما عن خلافات غير مرئية ظهرت في العلاقات الشخصية بين الناجين من ذلك القفر النووي. لم تُغلق تلك التشقّقات في علاقات الصداقة والحب بمرور الوقت، بل على العكس، بدا أنها تتسع وتتعمّق. إنها أقسى الأضرار التي سبّبتها القنبلة الذرّية على الإطلاق».

بحلول الليل على تلة كومبيرا، ظهر والد د. أكيزوكي على نحو غير متوقع حياً، مع والدته. بدا وجهاهما المبتسمان له مثل صورة من حلم.

قال السيد أكيزوكي: «لم تُصب بأذى أيضاً». ومثل كثير ممن التأم شملهم ذلك اليوم، كان كل شخص يظنّ أن الآخر ميت.

بدأ والد د. أكيزوكي يصف جولة من الأحداث المرعبة والغريبة التي بدأت مع ذهابه قبل بيكا إلى محكمة في المقاطعة التجارية وسط ناغازاكي. كانت قاعة المحكمة خلف تلة، على بعد أكثر من 5 كيلومترات جنوب مركز انفجار يوراكامي. عند الساعة 11:02 قبل الظهر، رأى أكيزوكي العجوز وميضاً خارج النوافذ، وبعد ثوانٍ عدّة شعر بالمبنى يهتز. كان صوت الانفجار عالياً جداً، وعندما خرج السيد أكيزوكي من البناء توقع أن يكون جانب كامل من قاعة المحكمة قد دُمّر نتيجة ضربة مباشرة من قنبلة تقليدية زنتها نصف طن، لكن لم يبدُ أن هناك أي ضرر على الإطلاق في ذلك المكان، حتى إن بعض النوافذ لم تتحطّم.

مشى أكيزوكي العجوز نحو ألسنة لهب يوراكامي ودخانها، وأصبح واثقاً على نحو متزايد أن ابنه لا يمكن أن ينجو. أرغمه اثنا عشر كيلومتراً مربعاً من ألسنة اللهب على تغيير مساره حول شمال ناغازاكي وجنوب يوراكامي، واتجه شرقاً على طول تلة كاوابيرا إلى قمة تلة كومبيرا. شاهد من هناك، فوق قمة كومبيرا، إعصار يوراكامي يتطاول بين الحين والآخر إلى الأعلى عبر بحر من الدخان الأسود. جعله المنظر يثبت في مكانه وقتاً طويلاً جداً. لم يكن قد رأى أو سمع شيئاً مماثلاً من قبل قط.

سأل الناس الذين تقاطروا إلى الأعلى ليشاهدوا ما حدث: هل لا يزال مستشفى يوراكامي قائماً؟ كانت توسلاتهم للحصول على ماء وعون هي أجوبتهم الوحيدة.

عندما رأى السيد أكيزوكي المستشفى يحترق واستجمع شجاعته ليهبط نحوه، أعدّ ذهنه للواجب الأبوي الأخير المتمثّل بالبحث عن عظام الشاب تاتسويشيرو. بدلاً من ذلك، وجد وزوجته ابنهما سالماً لم يُصب بأذى.

Twitter: @alqareah

قال أكيزوكي العجوز وهو ينظر بعيداً إلى أسفل التلة ويرى أن منزله منذ أربعة أجيال قد اختفى: «والآن، لا أطلب شيئاً آخر».

انضم الوالد في تلك الليلة إلى زوجته في العمل على توفير الراحة للمصابين. كانت كل الأدوية والملابس قد احترقت أو استُعملت، لهذا لم يبقَ كثير مما يمكن تقديمه باستثناء الكلمات، أو يد حنونة، أو مكان للاسترخاء على المرج. كان المرضى، المئتان أو الثلاثمئة الذين لم يتم إحصاؤهم، ينامون أو ينتحبون وينزفون تحت سماء تخلو من النجوم.

مع اقتراب منتصف الليل، ضعف الإعصار وتحول إلى مجرد بحيرات من ألسنة اللهب، وهناك في القاع، بدأ الدخان الأسود يفترق مثل البحر الأحمر. لاحظ د. أكيزوكي أن البيئة المحيطة أصبحت فجأة في منتصف الليل أشد سطوعاً من منتصف النهار، وتوقف والده عن الكلام ونظر حوله.

على طرف يوراكامي المواجه للنهر، كان من الممكن رؤية ظلال أنقاض أبنية عدّة كبيرة عبر ألسنة اللهب. على ذلك الجانب، في اتجاه مدرسة يوسي للبنات، بدا أن هيكلاً فولاذياً طويلاً - كل ما تبقّى من كلية الهندسة - يبرد ويتحول لونه من برتقالي إلى أحمر باهت، وبعد أن خرجت منه ديدان نارية، انهار ببطء إلى الأرض مثل سفينة كبيرة تغرق.

قال د. أكيزوكي: «روما تسقط».

سأل والده: «ماذا؟».

قال: «هكذا انتهت. فنيت الإمبراطورية في ألسنة اللهب».

قبل نحو عشرين دقيقة من منتصف الليل، دخل هيروهيتو إمبراطور اليابان الرابع والعشرون بعد المئة قاعة الاجتماعات وجلس قبالة وزير الخارجية توغو. كان رجلاً نحيلاً وانطوائياً وعصبياً، وقد بدأ عهده عندما كان عمره ستاً وعشرين سنة، وبقي فيه ثمانية عشر عاماً حتى ذلك الوقت.

كان فريقا توغو وأنامي على كلا جانبي الطاولة قد وصلا إلى طريق مسدود بشأن الاستسلام أو الاستمرار في القتال. يُقال إن الجدال استمر أكثر من ساعتين، ودفع كل فريق بحججه نفسها في الساعة التي سبقت ذلك، والساعة التي سبقتها، كلمة بكلمة أحياناً. أصغى الإمبراطور باهتمام بالغ وسجل بهدوء ملحوظات على محرمة بيضاء.

أخيراً، عند الساعة 2:10 بعد منتصف الليل، وقف هيروهيتو وسمع معظم الحاضرين حاكمهم الذي يشبه فرعوناً يتكلم إليهم أول مرة. كان صوته حفيفاً على نحو يثير الدهشة، خافتاً وحاد النبرة.

أملى وزير الخارجية توغو الكلمات على صهره في صباح اليوم التالي؛ رغبة منه في أن يحفظها التاريخ بدقّة. وفقاً لتوغو، أعلن آخر إمبراطور يعدّ نفسه سيّداً مبجّلاً في البلاد: «لقد استنتجت أن استمرار الحرب يعني تدمير كل الأمة وإطالة إراقة الدماء والقسوة في العالم».

نظر إلى السقف ونحو السماء الشرقية حين كان يتكلم.

كما قال توغو، كان على أمين سر مجلس الوزراء هيساتسون ساكوميزو أن يتمالك نفسه كي لا يصرخ: «نفهم الآن جميعاً رغبات جلالته! أرجوك لا تتنازل بقول أي كلمة أخرى!».

قال الإمبراطور من دون مقاطعة: «من البديهي أنني لا أطيق رؤية رجال اليابان المقاتلين الشجعان والأوفياء يتخلّون عن سلاحهم. لا أطيق أيضاً رؤية آخرين خدموني بإخلاص يتعرّضون لعقاب؛ لأنهم حرّضوا على الحرب. وبالرغم من ذلك، حان الوقت الذي يجب أن نتحمل فيه ما لا يُطاق».

ألقى نظرة على توغو، الذي أحنى رأسه؛ لأن التقليد كان يمنع النظر إلى عيني الإمبراطور.

قال هيروهيتو: «أجفف الآن دموعي»، وأعلن نيته إقرار عرض وزير الخارجية ببعث رسالة إلى الرئيس الأميركي، يسبر فيها أفكار العدو عن شروطه النهائية للاستسلام.

Twitter: @alqareah

في وقت لاحق ذلك الصباح، أفاق تشارلز سويني في تينيان على خبر عدم ورود أنباء من طوكيو. واضح أن الرد بقي موكوساتو، ويعني «التعامل بازدراء صامت».

بعد الإفطار، استُدعي تيبتس، وسويني، وباقي أعضاء المهمتين الآخرِين؛ لالتقاط صور لهم أمام طائرتيهم وإجراء مقابلة معهم، من أجل تسجيل أفكارهم وملحوظاتهم.

ذكر سويني في ما بعد: «وقفنا بثبات، وسردنا الحقائق بلغة عسكرية مناسبة: ماذا، ومتى، وأين».

كما كانت الحال غالباً، احتلت حسابات الوضع المقام الأول في ذهن سويني. في أثناء الشهور الثلاثة التي تلت تولي ترومان سدّة الحكم، كان التقدم الأخير من جزيرة إلى أخرى نحو الوطن الياباني قد اكتسب زخماً. وفي أثناء تلك المدة الزمنية نفسها، كانت نسخة طوكيو من سياسة «الأرض المحروقة» قد سبّبت نحو نصف الإصابات الأميركية في المحيط الهادئ في ثلاث سنوات ونصف منذ بيرل هاربر. ووفقاً لحسابات سويني، كلّما اقتربوا من النصر، كلّما ارتفع الثمن من أرواح الأميركيين. وبتلك الحسابات نفسها، بدا احتمال أن تصبح مهامّ القنابل الذرّية روتينية بحلول تشرين الأول عالياً جداً.

فزع سويني من فكرة إلقاء قنبلة ذرّية أخرى، وكذلك روبرت لويس. بالرغم من أن قصف كوبي، وأوساكا، ونصف طوكيو قد حصد أرواحاً أكثر، إلا أن أياً من أفراد الفريق لم يعرف قط إن قتلت قذائف طائرته أي شخص حقاً. إذا أزعجه الموت ولو قليلاً، كان يعتقد أن هناك نحو خمسين طائرة أخرى في كل غارة جوية؛ أماكن كثيرة يمكن توزيع اللوم عليها، أو إخفاؤه. بالتأكيد لم يكن أحد يشعر أنه مسؤول عن كل النيران التي يراها في الأسفل. كانت إحدى طرائق الانسجام مع الوضع هي أن يقنع المرء نفسه أنه يقود دائماً أفضل طائرة في الأسطول، وأن قنابله لا تفشل في إصابة خزّانات الوقود، ومصانع الذخيرة. لم يكن

Twitter: @alqareah

هناك أي تظاهر مع القنبلة الذرّية، أو أي توزيع للّوم. كانت هيروشيما وناغازاكي مهمتين شخصيتين؛ لأن كل وفاة يمكن أن تُعزى إلى زمرة فقط من الرجال.

كان لويس ألفاريز قد خشي أن تجعل أسلحة الموت الضخمة الحربَ أكثرَ عمومية، وربما أقل بغضاً على النفس أيضاً. لم يكن أحد قد توقع أن العكس ربما يصبح حقيقة. كان قد بدأ يفتقد «الأيام الخوالي» التي تنفذ فيها خمسين بي - 29 الغارات. كانت القنبلة الذرّية قد غيّرت كل شيء، وإن أي شخص يظن أن في مقدوره توقّع ما ستجلبه السبعون سنة الآتية - أو حتى السبع الآتية - يخدع نفسه. لم يكن العالم بأسره يحبس أنفاسه، بالرغم من أن ذلك كان ضرورياً. وفهم لويس وسويني، أفضل من أي شخص آخر حي، أن العلماء قد منحوا باقي البشرية شيئاً لا يمكنهم استعادته منها أبداً.

تلقى سويني، قبل وقت الغداء قليلاً، أنباء تفيد أن البيت الأبيض قد أرسل أمراً يفرض فيه «تعليقاً مؤقتاً» على غارات القنابل التقليدية. انتشر الأمل في كل أنحاء جزيرة تينيان أن ترومان قد تلقى رداً من طوكيو أخيراً، وأنه يمنح اليابان وقتاً للاستسلام.

بدلاً من إرسالها لتنفيذ غارات قصف، أضحت مهمة أسطول بي - 29 إلقاء ملايين القطع النقدية المزوّرة التي تحمل تحذيرات للاستسلام أو مواجهة دمار شامل. كانت الرسائل الجديدة موجزة وهادفة أكثر من التي أُلقيت من قبل - «مكتوبة لتنقل الأنباء مثل سهام مسمومة»، كما قيل لأفراد الفِرق. كُتبت بعض المنشورات في الواقع كفقرات من الشعر الياباني. كانت واضحة جداً ويمكن لأي شخص أن يفهم ما تعنيه تهديدات الموت؛ كأن إدغار ألان بو قد كتبها.

كان سلاح الجو قد استعان تلك المرة بكاتب أسطوري لرسائل حب من البحرية، إضافة إلى ناجٍ حُرّر حديثاً من معسكر ياباني لأسرى الحرب، الذي لم يستطع التوقف عن الكتابة بكراهية عن آسريه،

Twitter: @alqareah

وأسلافهم، وأحفادهم، وعدّ أن القنابل الذرّية «تقضي على الآفات». كان اسم الأخير جيمس كلافيل، وفي السنوات التالية استحوذ على تفكيره محاولة فهم كل ما يمكن أن يتعلّمه عن التاريخ الياباني حتى العصور القديمة، ثم بعد تأليف رواية **الملك الجرذ**، ويعرض فيها لسيرته الذاتية نوعاً ما، كتب رواية رائعة بعنوان **شوغن** (القائد العسكري الأعلى في اليابان قبل 1868) (بالرغم من أنها ستُعرف على نطاق واسع باسم **الذبابة**). كان كاتب رسائل الحب ومجموعات قصيرة من قصص الحب كويكر (مهتز: أحد أفراد طائفة نصرانية تكره الحرب)، وكان قد تورّط في أثناء خدمته في جنوب المحيط الهادئ فيما كان يعرف تلك الأيام بعلاقة عاطفية متعددة الأعراق ومثيرة الجدلَ. وبالنظر إلى كونه كويكر، كان جيمس ميشنر معفياً من إسقاط طائرات الإمبراطور؛ لهذا، عرض بدلاً من ذلك أن يهدد هيروهيتو بإبادة نووية. بدأ ميشنر، في أوقات فراغه، يخطُّ المسوّدة الأولى لكتابه عن حرب الهادئ، الذي سيتطور بسرعة إلى عمل موسيقي بعنوان **جنوب الهادئ**.

بينما كان تشارلز سويني ينتظر انتهاء الحرب ويأمل ذلك، شهدت طوكيو مكيدة، وتمرّداً، وانتحاراً، وأصبح الإمبراطور أكثر عزلة عن باقي العالم من أي وقت مضى، وأُرغم على حبس نفسه في ركن مخفي في القصر مع زمرة من الجنود الأوفياء والموثوقين.

بينما كان الإمبراطور هيروهيتو يسجل نسختين من استسلامه على شريطي تسجيل، أمر أميرال يدعى يوجاكي، أيّد وزير الحرب أنامي والمشير هاتا ضد الاستسلام، تزويدَ سبع قاذفات بكل المتفجرات عالية المستوى التي تستطيع حملها في رحلة ذهاب من دون عودة. مستهدفاً أوكيناوا بصفتها مصدراً محتملاً للقنبلتين الذرّيتين، وضع يوجاكي خطة لتنفيذ غارة كاميكازي، باستخدام ما كان يظن أنها أكبر القنابل غير الذرّية التي تم تصميمها على الإطلاق.

كان الأميرال يأمل أنه سيُلهم، بذلك المثال المشرق، أتباعاً على

Twitter: @alqareah

الاستمرار في القتال باستخدام أسطول جديد مجيد من الطائرات التي يتم تحويلها إلى قنابل ضخمة بسرعات صاروخية.

بحلول ذلك الوقت، وبناءً على أوامر هيروهيتو التي نقلها وزير الخارجية توغو، كانت أكثر من نصف مصانع الذخيرة في البلاد تغلق أبوابها. وفي ما يخص صواريخ يوجاكي - التي جعلت طائرته نظرياً هدفاً لا يمكن إيقافه في أثناء الانقضاض الأخير على أوكيناوا - كان تزويد قاذفات بقذائف تدفعها مراوح في مثل تلك المدة القصيرة أمراً وصفه مهندسو الأميرال بأنه «سابق لأوانه من الناحية التقنية». كان أفضل ما يستطيع الأميرال يوجاكي أن يتمنّاه هو اختراق حاجز الصوت في الاقتراب النهائي. وعندما تصطدم المراوح بهواء أسرع من الصوت على كلا جانبي قمرته، لم يكن ذلك ليجدي نفعاً كما كان الأميرال يأمل.

كان آخر شيء سمعه أحد من يوجاكي إعلانه أن هدفه في مرمى البصر وسربه مستعد لإشعال الشموع، وأنه سينقض على حظائر الطائرات في أوكيناوا.

كانت الألعاب النارية شمالي الجزيرة خافتة وليست صاخبة؛ وذلك لأنها تبعد خمسة عشر ميلاً على الأقل. لم تُوثَّق في تقارير الجيش الأميركي أي غارات كاميكازي ذلك اليوم أو الذي تلاه؛ ليس في أوكيناوا، أو أي مكان آخر.

حلّقت طائرات الأميرال يوجاكي ببساطة في تشكيلها إلى عالم سري وأسطوري، وأصبحت أحد الأسراب الشبح في التاريخ.

كانت الجبهة الهوائية التي دفعت تشارلز سويني إلى تبديل هدفه قبل يوم قد تغيّرت، فأصبحت السماء صافية تعد بيوم آب حار ورطب.

كان د. بول ناغي وباقي أفراد فريق مستشفى سان فرانسيس الطبي قد أمضوا الليل ينامون بالتناوب على فُرش من أعشاب وورق محترق. استفاق ناغي يظنّ أن أحداث اليوم السابق كانت مجرد كابوس، لكن

Twitter: @alqareah

عندما نظر نحو القفر الرمادي الذي هلكت زوجته فيه على الأرجح، تقبّل حقيقةَ أن عالمه بأسره قد تغيّر في جزء من الثانية.

مع مجيء تعبير سابق لا معنى له إلى الذهن، بدا كل شيء يبعث على السخرية بكل وضوح: «تحت مخلب الوقت، يمكن أن يتحول المحيط الأزرق إلى حقل توت، والغابة إلى بحر من جليد».

كان عالم ناغي آنذاك بيئة من تغييرات مفاجئة ومزعجة.

دمّرت النار المستشفى، بالرغم من أن هيكلها الفولاذي والإسمنتي بقي قائماً. وعلى الطرف الآخر من المرج، كان د. أكيزوكي وعدد من الممرضات يشيّدون مطبخاً باستخدام أكوام من آجر محطّم. كانوا قد بدأوا يعدّون آنذاك وجبات للجرحى، باستخدام قدور وأكياس أرز لم تحترق إلا قليلاً كان أحدهم قد أخرجها من الأنقاض في أسفل التلة.

كان النهر خلف المستشفى يقدّم إمداداً ثابتاً من الماء للتنظيف والطهي، ويمنح الناجين إحساساً بأن الحظ حالفهم مرتين. استمر الحظ إلى جانبهم في ذلك اليوم. كان أكيزوكي ووالدته يعدّان هريسة من «حليب الأرز» لأطفال يتامى عدّة عندما ناداهما نجّار المستشفى سعيداً، وحثّ الطبيب على أن يلحق به بسرعة.

قاده النجّار إلى مستودع تحت الأرض أسفل جدران مطبخ المستشفى المتداعي. كان الهواء في الأسفل حاراً على نحو لا يمكن تحمّله، وأكيزوكي واثقاً أن كل شيء داخل الملجأ قد طُهي أو احترق.

قال الطبيب: «هل هذا آمن؟»، وبدأ يسعل. في إحدى الزوايا، كانت كومة فحم مواقد المستشفى تتوهج بلون أحمر ساطع.

ردّ النّجار: «ثق بي»، وتقدم إلى زاوية أكثر برودة حيث كان يوجد صندوقان خشبيان كبيران لم يصابا بضرر.

قال أكيزوكي: «أنت هبة من السماء!»، وأدهش النجّارَ حين عانقه بقوة. عندما سمع النّجار أول مرة عن هيروشيما، بدأ يخبّئ لوازم إسعافات أولية في الأسفل، إلى جانب ما يُخزّن عادة في المطبخ من

Twitter: @alqareah

فحم وأرز. كانت علب الضمادات قرب غطاءَي الصندوقين، ومع أن لونها أصبح بنياً من الفحم الساخن والمبنى المحترق، إلا أنها بقيت صالحة للاستخدام. الأهم أنها كوّنت طبقة عازلة بين الحرارة والأدوية في الأسفل. كوّن الصندوقان أقل من عُشر الأدوية الطبية التي يحتاج إليها د. أكيزوكي للمرضى الذين يفترشون المرج والممرات. لكن حتى مع قليل من الشاش والمعقّم بين يديه، ارتفعت معنوياته.

عندما خرج من المبنى مجدداً، كان صفٌّ جديدٌ من المشاة الجرحى يتقدم على التلة من اتجاه يوراكامي. كانت امرأة قد ذهبت قريباً من المكان الذي ثار فيه الإعصار وخمد الليلة الماضية ووجدت زوجها يتجول هناك على غير هدى. شرحت أنه كان يعمل في أحد المصانع واحتمى خلف إسمنت عندما حلّ بيكا فوق رأسه مباشرة تقريباً.

كانت المرأة قد أسندته إلى كتفها كل الطريق صعوداً على التلة. قالت: «يبدو بخير، لكن الانفجار جرحه بطريقة ما».

فحصه الطبيب بحثاً عن علاماتِ كسور أو نزيف داخلي. وباستثناء خدوش وكدمات بسيطة، لم يبدُ أن الرجل من أرض الصفر قد أُصيب بأي جروح على الإطلاق، لكنه بالرغم من ذلك أضحى ضعيفاً وواهناً على نحو غريب، وبدا أنه فقد الاهتمام بكل شيء.

وقف أكيزوكي ونظر إلى الأسفل نحو أرض الصفر. كانت تمتد هناك بيئة من تلال وسهول لا يقف فيها شيء تقريباً، وكل الأبنية المألوفة قد دُمّرت، أو سُحقت، أو تحوّلت إلى تراب. بدا أن أعمدة الهاتف كانت أفضل حالاً من المباني، بالرغم من أن معظمها مال جانبياً. لم يكن من الممكن معرفة أي من الطرقات؛ لأن المنازل والأسوار الحجرية اقتُلعت من مكانها وتناثرت حطاماً عليها. كانت قطع من ملابس وأشياء محترقة تشبه فرش ممزقة تتدلى من أسلاك أعمدة الكهرباء في كل مكان توجد فيه. قرب النهر، حيث كانت النيران لا تزال تشتعل وأعمدة الدخان لا تزال ترتفع، كانت الهياكل الحديدية لأبنية ميتسوبيشي ملتوية وبدت مثل

Twitter: @alqareah

حقول قصب أصابتها عاصفة.

كان الوادي في الأسفل ميتاً؛ لم تكن هناك إشارة إلى أي حركة، سواء أكانت صادرة من إنسان أو من حيوان.

بعد مضي بعض الوقت، استدار أكيزوكي بعيداً عن المنظر، وقام بجرد سريع في ذهنه للأدوية المتبقية في جعبته، واتجه نحو المستودع الذي تستلقي فيه د. يوشيوكا. كان قد احتفظ بعدد محدود من الأقراص المسكّنة لها على وجه الخصوص. كان لا يزال مقتنعاً، في قلبه، أنه بإرسالها إلى الطابق الأعلى لتناول شيء ما وأخذ قسط من النوم قبل بيكا - دون مباشرة، كان قد تسبّب بإصابتها.

وجد أن حالة د. يوشيوكا لم تتحسن أو تسوء عمّا كانت عليه قبل ساعة. أضاف أكيزوكي، بهدوء وبطء قدر ما يستطيع، مراهمَ معقّمةً على الضمادات الجديدة. واقتحمت ذهنه، في أثناء عمله، أفكارٌ عن الرجل الخامل على نحو غريب من أرض الصفر. بدأ يقلق من أنه يغفل عن بعض التفاصيل المهمة التي يجب الانتباه إليها جيداً. كان د. ناغي قد ذكر له حالتين مشابهتين على الأقل، أصبحت فيهما ممرضتان جاءتا من سفوح التلال من دون إصابات ظاهرة عليهما مريضتين بشدّة.

ومرة واحدة فقط، شعر د. أكيزوكي بتشنج ونوبة غثيان قوية جداً، ولو أنها استمرّت ثانيتين أو ثلاث أخرى، لكانت قد جعلته يخرّ جاثياً على ركبتيه.

انتهت النوبة بالسرعة نفسها التي بدأت بها ولم تعاوده مجدداً، لهذا عزاها إلى تقلّص عضلات، ونسي أمرها.

Twitter: @alqareah

9

ميثاق

مـع اعتيـاد الناجيـن آنذاك المحارقَ الضخمـة، أطبق هدوء غريب علـى هيروشـيما. كانـت ردود أفعـال الأشـخاص العاديـن على وجود مجموعات ذباب سـوداء كبيرة تتغذّى على الجثث فاترة تماماً. في 10 آب، لم يعد الفتى الذي دعا نفسه الجنرال حافي القدمين يشعر بإثارة أو خوف، حتى عندما رأى دلتا نهر مليئة بجثث منتفخة. ومنذ ذلك اليوم، عندما ينحسـر الماء عن الأرض الطينية، تظهر على ما يبدو حقول من عظام أضلاع تشبه أغصاناً صغيرة.

لن يتكلم الجنرال، طوال سنوات عمّا كان قد رآه أو عن ردّ فعله عليه؛ لم يكن لديه خيار. عاجلاً، سـتمنع مسـوّدة الاتفاق التي وضعها مكارثر أي شخص من التكلم بصوتٍ عالٍ.

داخـل أرض الصفـر، فـي ذلـك اليـوم الرابع بعـد القنبلة، لم يكن هنـاك ببسـاطة وقـت لأي مشـاعر أو ردود أفعـال. اسـتنفد الجنرال كل الطاقة التي استطاع اكتسابها تقريباً، وأخرج المزيد من الأرز من ثكنات الجيش المدمّرة. على طريق عودته إلى المنزل، رأى ووالدتُه امرأةً تجثو على قطع إسمنتية محطّمة، تسحق جمجمة بشرية متفحّمة وتحولها إلى مسحوق ناعم. توقف ليشاهد ما يجري، ولم تلاحظ المرأة وجوده حين كانت تجمع مسـحوق الجمجمة وترشّـه فوق جروح شـاب يستلقي في ظل كوخ مؤقت منحدر السطح.

قال الجنرال بفضول كبير: «يا له من أمر غريب تفعلينه».

لـم تـرد المـرأة عليه. رفعت رأس الشـاب، فتحت فمه، ووضعت فيـه حفنـة مـن المسـحوق. بدا أن أنـف الرجل ينزف منذ يـوم أو اثنين

Twitter: @alqareah

على الأقل، وكل شعره قد تساقط؛ وفقد شعر حاجبيه ورموشه، وسطح جلده مليء بكدمات. جعلته لقمة الغبار يسعل فخرجت من فمه خثرة دموية كبيرة.

قال الجنرال بتهذيب جمّ: «اعذريني، لكن لماذا تطعمينه عظاماً مسحوقة؟».

شرحت بلطف كبير على نحو غريب: «إن وضع هذا المسحوق على الكدمات يجعلها تبرأ. وإذا ابتلعت غبار رجل - بيكا، فإنه سيبعد عنك الموت».

«لا يعقل أن يكون هذا صحيحاً. إنه يبدو جنونياً».

صرخت المرأة، وقد تخلّت عن لامبالاتها وتهذيبها: «أحمق! لقد أُنقذ مئات الأشخاص بهذه الطريقة!». ثم لاحظت المرأة أن حاجبي الجنرال مجرد خيطين رفيعين من الشعر، وعرضت عليه حفنة من المسحوق.

قال الجنرال: «لا، شكراً لك»، ومشى مبتعداً عنها. في مكان أبعد على الدرب، لاحظ امرأة ثانية، ترشّ الغبار على طفلين محروقين. كانت شائعات غريبة تتجذر في كل مكان بين الأنقاض. يرغب الجميع في مساعدة الجرحى بشدّة، وهم يصدّقون أي شيء تقريباً، كما فكّر الجنرال؛ وتساءل عن أول شخص خرج بفكرة أن عظام أولئك الذين مسّهم بيكا يمكن أن تداوي الجروح.

عندما وصل الجنرال إلى منزله المحطّم، اكتشف (على نحو متوقع) أن محاولة إخفاء صلعه بقبعة إطفائي ميت ربما تنطلي على والدته ساعة أو اثنتين، لكن ليس أكثر.

قالت وهي ترفع القبعة عن رأسه: «أخبرني، هل تشعر بألم؟».

قال الجنرال: «لا. أنا بخير يا أمي».

«هل أنت واثق؟ لا تكذب عليّ».

«حقاً يا أمي. أنا بخير. انظري إلى كل الأرز الذي استطعت العثور عليه وحمله إلى هنا».

Twitter: @alqareah

عانقت والدة الجنرال ابنها، وقطعت له وعداً أنه لن يموت، ثم قدّمت إليه شاياً ثقيلاً جداً كانت تخمّره كل الصباح، ودعته «شاياً شافياً». كان مذاقه فظيعاً تماماً بالرغم من تحليته بقطعة كبيرة من «سكر النمل»، وعندما طلب من والدته إبعاد الشاي عنه، أصرّت أن شربه كله سيجعله على ما يرام.

عندما أنهى الجنرال شرب الشاي، اكتشف أن قعر الكوب كله مليء ببقايا حُبيبية داكنة.

سأل: «أمي؟ هل هناك أي احتمال أن يكون هذا الدواء من عظام مسحوقة؟».

«لماذا؟ نعم... كيف عرفت؟».

لم يكن لدى الجنرال رد. تقبّل ذلك على أنه إحدى حقائق الحياة الغريبة بعد بيكا-دون. كانت والدته قد وضعت غباراً مثيراً للاشمئزاز في الشاي الذي تناوله، وبالمقابل، استمر في جلب المزيد من كميات الأرز لوالدته وشقيقته الصغيرة. كانت كميات الإشعاع المتبقية في العظام والطعام كبيرة إلى درجة أنه إذا قام د. نيشينا أو العلماء الذين تعاملوا مع موجة النيترونات على تينيان بتمرير عدّاد جايجر فوق المادة، ستتسع عيونهم رعباً وسيتراجعون خطوات عدّة إلى الخلف. لم تكن المادة قاتلة، وباستخدام قفازات مناسبة واتخاذ إجراءات حيطة ثانوية أخرى كان في الإمكان التعامل معها بأمان. لم يكن أحدٌ ممن يعرفون طبيعتها الحقيقية يرغبون في وضع الغبار على جلودهم أو دفع الطعام إلى أجوافهم.

كان شعر والدة الجنرال لا يزال على حاله ويبدو سليماً، لكنها كانت تعاني مشكلةً خطرة آنذاك. تساءل الجنرال، في ما بعد إن كانت هناك مرحلة في أثناء نقل السم من طفل إلى أم ومن أم إلى طفل، تصبح فيها جرعة واحدة أخرى من الإشعاع إضافية لا يمكن للجسم أن يمتصها.

Twitter: @alqareah

بالرغم من أن أعراض مرض القنبلة الذرّية كانت تظهر بوضوح على الجنرال، إلا أن مرض والدته سيتوارى في فقر دم متقدم، ولوكيميا مزمنة، وسرطان عظام. عندما ماتت أخيراً وأُحرِق جثمانها، واجه الجنرال حقيقة تحول الجسد برمّته إلى رماد. كان قد رأى آنذاك ما يكفي من جثث حُرقت في هيروشيما ليعرف أن العظام، بالرغم من هشاشتها وسهولة كسرها، بقيت تحتفظ بشكلها الأصلي.

صرخ الجنرال على القنبلة نفسها، والعقول التي تخيّلتها، والأيدي التي صنعتها: «اللعنة عليكم!». وبالرغم من أن طبيباً شرعياً زوّده بأسباب عديدة لتفتت العظام، إلا أن الجنرال لم يشك قط في أن الإشعاع أفنى عظام والدته، وأنه بقي ينهشها حتى بعد مماتها.

وفي إحدى الأمسيات خرجت صرخة إلى النجوم الثابتة: «أعيديها! أعيدي إليّ عظام أمي!».

هبّ غبار ودخان على أساسات قلعة هيروشيما وعبر مستشفى الاتصالات. كانت الشمس قد هبطت لتمس التلال آنذاك، وبالرغم من أنه كان لا يزال أمامها طريق طويل قبل أن تصل إلى الأفق، إلا أن الأنقاض المحترقة والمحارق الجنائزية والغبار كانت تمنحها لوناً ذهبياً، وبرتقالياً أيضاً. منح تأثير الجو الملوث الأنقاض سمة صورة الشبح، حتى في ضوء النهار.

كان يوجي ماتسوموتو، وهو ضابط يبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة عاد إلى المدينة بحثاً عن فوجه، قد دخل الأنقاض بعد أن مشى آخر ثلاثين كيلومتراً من محطة سايجيو، على مسار السكة الحديدية من التلال. لم يكن مستوى الدمار الذي رآه يخطر على بال. كانت قلعة هيروشيما قد اختفت باستثناء أساساتها الحجرية. القلعة كلها قصفت بقنبلة ذرّية. كشفت أكوام الرماد والصور التي تقشعرّ لها الأبدان التي طُبعت على الأسوار الحجرية ليوجي أن أشخاصاً كانوا يحاولون

Twitter: @alqareah

الاستدارة مبتعدين عن شيء ما، أو يهربون منه. توقف الجندي لينظر إلى ما في داخل إحدى عربات القطار التي لا تزال تقف في ذلك المكان القفر، ورأى رجلاً تمثالاً تفحّم لسانه وجفناه وأصابعه. بعد أربعة أيام، كان الرجل لا يزال في مكانه يمسك بحزام عربة قطار مسودّة، وينظر على ما يبدو إلى شيء ما في الأعلى.

تابع الضابط الشاب طريقه شمالاً نحو القاعدة العسكرية التي كانت موجودة بين قلعة هيروشيما ومستشفى الاتصالات. هناك، في تلك الأرض، اكتشف يوجي أن كل من كان في فوجه قد توفي مباشرة.

في أمسية 10 آب نفسها، وبينما كانت والدة الجنرال تطعمه شراباً غريباً من مسحوق العظام، بدا أن فتاة تدعى شودا، كانت تشعر بخمول مثل الجنرال، قد بدأت تستعيد بعضاً من قوتها في جناح عزل أولئك الذين يعانون مرضَ إكس. ظنّ د. هاشيا، أحد المشاة - النمل السابقين، أن أي تحسّن يطرأ على أحد هؤلاء الناس يعدّ سبباً لارتفاع الروح المعنوية. في أسوأ كوابيسه، كان قد تخيل سلاحاً بيولوجياً يقتل في نهاية المطاف كل من يصيبه. جعل التقرير عن التحسّن الملحوظ الذي يطرأ على أحدهم هاشيا أكثر تصميماً على الخروج من السرير، حتى إذا آلمته القُطب على جلده. أحضر صديقه د. هينوي عصا وساعده على نزول السلالم إلى جناح العزل حيث تستلقي الفتاة. في طريقهما إلى الأسفل، وجد كلاهما أن عيونهما تتجه باستمرار نحو مركز الانفجار.

سأل هاشيا: «ألا ينتابك الفضول؟».

«بشأن ماذا؟».

«بشأن ما يوجد هناك. كيف يبدو حقاً، على أرض الواقع؟».

قال هينوي: «كنت أفكّر في ذلك كثيراً. لست واثقاً حقاً أنني أريد أن أعرف. ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«لدي دراجة هوائية لا تزال تعمل، ويجب أن أزور غداً مركب

Twitter: @alqareah

إمدادات عسكري يرسو قرب مبنى الضفة المدمّر. كنت أفكّر، ربما إذا كنت تشعر أنك تستطيع ذلك...».

قال هاشيا: «إذاً، اتفقنا». كان سيجعل هينوي يزيل القُطب في الصباح الباكر، وبعد انتهاء مهمتهما إلى مركب الإمدادات، سيقومان بجولة استكشافية إلى مركز الانفجار.

عندما وصل هاشيا إلى جناح العزل، وهو يفكّر في استكشاف المكان واليأس يتنافس على المركز الأول في ذهنه، جاء الأمل مسرعاً نحو خط النهاية على شكل فتاة تدعى شودا كان نبضها قوياً، لم تعد تنزف من أنفها، وقد استعادت شهيتها. استقبلت شودا هاشيا بابتسامة ضعيفة، وأول مرة منذ بيكا-دون، شعر بما يمكن دعوته سعادة.

قال لنفسه بعد لحظة: لا تقلق، لن يدوم هذا! ولم يدم الأمر فعلاً بعد أن ألقى أولى نظراته الفاحصة على المرضى الباقين في الجناح. لدى سماعه أول مرة أن صحة الفتاة قد تحسّنت كثيراً وأنه لا توجد وفيات جديدة ذلك اليوم، كان د. هاشيا قد سمح لنفسه بأن يصدّق أن الأسوأ قد انتهى. لكن عندما رأى الدليل على البول الملوث بالدم على كل حصيرة تقريباً، فهم أن هينوي وأطباء آخرين كانوا ينقلون أنباءً طيبة تختفي بسرعة.

اشتكت امرأتان من كراتٍ عالقة في حلقيهما. ساعدهما هاشيا وهينوي على إخراج خثرات من دم وبلغم بحجم كرة غولف. عندما نظرت شودا نحوهما، خرجت ديدان دائرية من فميهما.

قفز هاشيا على قدميه مفسداً قُطبتين.

قال هينوي: «لقد رأيت هذا من قبل! لكن ذلك يحدث فقط عندما يكون الناس أمواتاً. لا تهجر تلك الطفيليات معيلها إلا عندما يبدأ اللحم يتعفّن ولا تتمكن من التغذية عليه».

ألقى د. هاشيا نظرة على شودا وطلب من هينوي إخراجها فوراً من الجناح إلى الهواء الطلق. أومأت شودا موافقة وشاكرة. عندما

Twitter: @alqareah

وقفت، صدر عن إحدى المرأتين المحتضرتين صرخة اختناق وبصقت فجأة كمية مدهشة من بلغم أحمر وديدان بيضاء على الأرض.

همست شودا، وهي تحاول إبقاء ردّ فعلها تحت السيطرة: «دكتور؟».

قال هاشيا: «نعم».

«أتساءل هل هناك عملية تزيل الذكريات؟».

بمحاذاة الطرف الجنوبي لأرض الصفر في يوراكامي، كان مصمم السفن ياماغوشي، وزوجته هيساكو، وطفلهما بين الأشخاص القلائل الذين لا يزالون يتحركون، بالرغم من أن السيد ياماغوشي كان يشعر بخمول وإحباط متزايدين.

كان دماغ المهندس يخبره، منطقياً، أن يكون شاكراً؛ لأن حروقه من هيروشيما قد أرسلت زوجته على درب، بطريقة لم تكن ممكنة بخلاف ذلك، إلى ملجأ. وبالرغم من ذلك، كان قلب ياماغوشي يخبره أن أقرباءه، وأبناء عمومته ماتوا؛ وأن زوجة ابن عمه وطفلهما الصغير ميتان في منزله.

كانت هيساكو قد فقدت كثيراً من أفراد أسرتها، ولم يبقَ لها إلا ياماغوشي والصغير كاتسوتوشي، وبدأ ياماغوشي يخشى أن ذلك لن يدوم طويلاً. كان نفقٌ قد أصبح منزلهم الوحيد، ومع ازدياد إحباط ياماغوشي، كانت ذراعه اليسرى وجانباً كاملاً من وجهه قد بدأا يتورّمان مثل بالون ينتفخ، وأصبحا قرمزيين وآلماه كثيراً. تحوّلت الحروق على ذراعيه إلى غنغرينا وبدأت تستقطب كثيراً من يرقات الذباب، وفقد ياماغوشي وعيه في ذلك الوقت ولم يعد في الإمكان إيقاظه.

حاولت هيساكو إبعاد الديدان لكن شخصاً بدا أنه على معرفة بأمور الطب وصل إلى النفق وأصرّ على أن تتركها تعيش على جلد زوجها. بدت الفكرة لهيساكو مثل معتقد قديم، لكنها وضعت ثقتها في

Twitter: @alqareah

الزائر وقرّرت أنه حتى إذا كانت تلك مجرد خرافة، وأسهمت في مداواة جروح زوجها حتى يستعيد عافيته، فإنها ستصدّقها. ساعدت الوافد الجديد على تغذية زوجها فاقد الوعي بشراب مصنوع من ورود مجففة وأي مصادر أخرى متوافرة لفيتامين سي، وتلقّت تعليمات بأن تطهي له قطعاً من كبد أي حيوان؛ حتى من الجرذان، إذا استطاعت العثور عليها. اقتنعت بمرور الوقت أنها لو أخذت السيد ياماغوشي إلى أحد مراكز الإسعاف الأوّلي المكتظة والبائسة التي تفتقر إلى أبسط المقوّمات في وسط ناغازاكي، فإنه سيموت بكل تأكيد.

توقف نزيف الدم من الجروح شيئاً فشيئاً، ونزعت الديدان، ساعة وراء أخرى، اللحم الميت والمصاب بغنغرينا حتى ظنّت هيساكو أن العظام في ذراعي زوجها قد تنكشف قريباً.

كان الزائر قد رشّ مسحوق بذور العنب وبودرة أطفال على الجروح لتجفيفها ومنعِ الإصابة بأي عدوى جديدة. اقترح أيضاً وضع علقات حيّة على اللحم الذي لم يتعفّن بعد ويحيط بأسوأ الحروق، وشرح لهيساكو أن العلقات ستحافظ على تدفق الدم عبر ذراعي زوجها، وتمنع موت الأصابع والاضطرار من ثَمّ إلى بترها.

كان زوجها مصمم السفن سيرفض كل تلك الأمور، لكنه كان في حالة غيبوبة وتحت رعاية الطبيب الوحيد في البلدة الذي يمكن أن يداويه في المنزل، لهذا، أطاعت هيساكو الطبيب وأمضت ساعات لا تُحصى في البحث عن علق وجعل زوجها يشرب من المياه المعدنية لاذعة الطعم التي منحها الزائر إياها. كانت تفوح منها رائحة طباشير وشيء ممزوج بمادة طعمها كاليود. في سنوات تالية، تركت هيساكو الأطباء في حيرة من أمرهم بتأكيداتها أنها والطفل لم يمرضا على الإطلاق في أثناء إقامتهما في نفق بمحاذاة الأرض القفراء إشعاعية النشاط، باستثناء شعورهما بنزق وإصابتهما بنوبات قصيرة من التقيؤ. واستعاد ياماغوشي عافيته الكاملة والمحيرة بالقدر نفسه، باستثناء صمم

Twitter: @alqareah

دائم في إحدى أذنيه وتورّمها.

وقد عدّت هيساكو الزائر الغريب دائماً حاميها الحارس الذي رفض تلقي الشكر والثناء على أفعاله، ومثل معظم الأبطال الحقيقيين، خرج ببساطة من سجلات التاريخ.

كانت أكثر من أربع وعشرين ساعة قد انقضت، وبالرغم من ذلك لم يصل أي من الأطباء والإمدادات الطبية الإضافية التي وعد بها الحاكم ناغانو إلى مستشفى سان فرانسيس أو أي مكان قريب منه. بعد الاتصال الأول عبر لاسلكي الشرطة، وقت الغداء في اليوم السابق، بدا أن لا أنباء جديدة ترد عبر سلسلة التلال من قصر الحاكم.

عندما وصل الوالي نيشيوكا إلى مكتب ناغانو، بدا أن الحاكم في حالة صدمة. عرف نيشيوكا أن ناغانو أُصيب بحالة ذهول منذ اللحظة التي ارتفعت فيها التقديرات الأولية من 50.000 حالة وفاة محتملة إلى أكثر من 75.000، مع وجود ما لا يقل عن 75.000 إصابة أخرى جروحهم خطرة أو على حافة الموت.

كان الوالي قد شق طريقه قرابة نهار وليل كاملين عبر الأنقاض وكافح جرعة ثانية من الإشعاع ليعبر حقول السقط الإشعاعي ويصل إلى مقر قيادة الحاكم، ليتلقى مباشرة توبيخاً على تأخره. بعد ذلك، مشى الحاكم ذهاباً وإياباً في المكان من دون أن ينبس ببنت شفة، في حين كان رئيس قسم العلاقات الخارجية لديه يصرخ في وجه نيشيوكا بشأن كل أفراد الفريق الذي كان والحاكمُ قد فقداهم، ويلقي اللوم على الوالي؛ لعدم تحذيره الجميع بشأن ما كان قد رآه في هيروشيما.

قال نيشيوكا دفاعاً عن نفسه: «لو أنني فعلت ما كنت أرغب فيه ونشرت كتيّباً عن هيروشيما، لكنتما أيها السيدان أول من سيتهمني بنشر شائعات مغرضة، وربما أُعدمت رمياً بالرصاص بتهمة الخيانة العظمى».

قال رئيس القسم ناكامورا: «لو كان الأمر بيدي، لأطلقت النار

Twitter: @alqareah

عليك الآن، لكنك لا تستحق تكلفة الرصاص».

تقيأ الوالي عصارة صفراء سميكة عند قدمي رئيس قسم العلاقات الخارجية. وقبل أن يستطيع أي من الرجلين التراجع إلى الخلف، خرج القيء مرة ثانية ممزوجاً ببقع مسودّة من الدماء.

سأل رئيس القسم: «ما خطبك؟».

قال الوالي: «أظن أننا ندعوه تسمماً إشعاعياً»، وأضاف: «أعتقد أنني سأذهب إلى زوجتي الآن».

صرخ الحاكم: «لا يمكنك أن تغادر!».

أعلن الوالي: «أنا أحتضر على الأرجح»، وفكّر في الأوراق المتشحة بالسواد التي لاحظها في حديقة الحاكم. «شيء واحد أخير. هل هطل مطر أسود هنا أمس؟».

«نعم، وغبار أسود أيضاً».

قال الوالي: «إذاً، أفترض أننا جميعاً سنصبح في المركب نفسه قريباً»، وغادر المكان.

عندما نزل د. ناغي أخيراً من مركز سان فرانسيس الطبي إلى حيّه، وجد جارين له يتجادلان بشأن كومة من رفاة بشرية متفحّمة، تقع في منتصف الطريق بين أساسات منزليهما. كانت كل الملابس ومعظم عضلات الجسم قد احترقت وانسلخت عن الجثة، وخاتم زواج لا يمنح أي دليل على هويتها؛ لأنه لم يكن حينها أكثر من قطعة ذهبية انصهرت وتصلّبت مجدداً. كان كلا الرجلين يصرخان أنها جثة زوجته. انضم جار ثالث إليهم، وأشار إلى أن زوجة السيد تاناكا كانت «بدينة نوعاً ما»، وحاول أن يحدّد من قطر البقعة السوداء في الرماد إذا ما كانت كمية أكبر من المعتاد من الدهن البشري قد احترقت على الأرض. لم يستطع تمييز شيء، وكذلك د. ناغي الذي تابع رحلته نزولاً على التلة، متمنياً ألا يندلع مثل ذلك النقاش بشأن حبيبته ميدوري.

Twitter: @alqareah

تعثّر بول ناغي وكاد يقع بعد أن قطع أقل من نصف المسافة إلى منزله. وقف وتعثّر مرة ثانية، وبعد مسافة قصيرة على التلة التقى خالته ماتسو، التي أسندته ومنعت وقوعه مرة ثالثة، وقالت له: «لا تريد أن تذهب إلى الأسفل».

«لماذا؟».

حذّرت الخالة ماتسو: «لأن الناس الذين ستلتقي بهم أصيبوا بالجنون. إنهم مثل حيوانات بعد حريق في الغابة؛ خطرون وخائفون حتى الموت، يتقاتلون على أي شيء ومستعدون لفعل أشياء شريرة».

قادته الخالة صعوداً على التلة في طريق العودة، ووصفت نزاعات بشأن قطع محطمة من أدوات المائدة أصبحت فجأة دموية، لكن بدا أن أكثر ما أزعجها هو لقاء مع شابة عادت إلى المنزل لتجد جدّتها سليمة وتغني لنفسها بابتهاج في أثناء قيامها بغسيل ملابس مزخرفة بورود ومحترقة باستخدام مياه بئر سوداء، ثم تعلّقها لتجفّ.

كانت المرأة الغريبة قد قالت: «أنا سعيدة جداً. لم أظن قطّ أنني وجدّتي محظوظتان إلى هذا الحد، لكن بفضلٍ ونعمةٍ من الله تعالى لم نلقَ حتفنا». ثم نظرت إلى وسط يوراكامي وأعلنت: «أولئك الناس الذين احترقوا حتى الموت، لا بد من أنهم أغضبوا الله، أليس كذلك؟ لا بد من أنهم جعلوه ينتقم منهم».

قالت الخالة ماتسو: «تعنين مثل طفل قريبي كيميو؟». بدا لها أن أفكاراً متحضّرة مثل «لا تحكم على الناس» و«أحب جارك كما تحب نفسك» - التي كانت الخالة تعتقد بها دائماً - قد ضاعت وتنتمي آنذاك إلى عالم أقدم.

سمع د. ناغي أنه بحلول ليلة 10 آب انهارت الشابة الغريبة وبدأت تعاني نزيفاً من الأنف. وقد ماتت بحلول منتصف الليل.

مع بزوغ فجر 11 آب، وصل أحد مواطني ناغازاكي الأثرياء إلى

Twitter: @alqareah

مستشفى سان فرانسيس، حاملاً معه أرزاً أبيضَ طازجاً لوالدته ومئة مريض آخر، ونقل شائعات إلى د. أكيزوكي: «دكتور، سمعت أننا استعدنا أوكيناوا، وألقينا قنابل أميركا الذرّية على واشنطن ونيويورك».

قال أكيزوكي: «حتى إذا كان ذلك صحيحاً، فلن أبتهج أبداً بمثل تلك القصة، وأقسم على هذا. ألم نخسر ما يكفي حتى الآن؟ هل القتل المتبادل عديم الفائدة كل ما تبقّى لدينا؟».

ذهب الرجل إلى المنزل لجلب المزيد من المؤن، ولن يتكلم إلى د. أكيزوكي مجدداً بشأن الانتصار في حرب نووية.

في الوادي، عثرت ساكو شيموهيرا البالغة من العمر عشر سنوات وشقيقتها أخيراً على والدتهما. كانت ممددة على الأرض، متفحّمة ومتصلّبة. وقد ذكرت ساكو قائلة: «معاً، مددنا أيدينا إلى الجثة وقلنا: أمي. لقد تفتّت إلى رماد أمام أعيننا».

لم تكن هناك أنباء عمّا يحدث باستثناء ما يحمله الناجون الذين يخرجون من المدينتين، لهذا، كان تدفق المعلومات الحقيقية شحيحاً. في مستشفى الاتصالات في هيروشيما، في صباح 11 آب المشمس والعاصف على غير العادة، سمع د. هاشيا إشاعات عن هجوم الأميرال يوجاكي المظفّر على أوكيناوا قبل أن يتلقّى تأكيداً أن الهزة الأرضية التي شعر بها قبل يومين كانت ناجمة في الواقع عن احتضار ناغازاكي.

كان الفجر قد ترافق أيضاً مع أنباء مفادها أنّ مزيداً من الناس يُصابون بحمّى ونزيف غامضين. وبالرغم من أن تلك كانت أول ليلة لم يمت فيها أحد في خيمة العزل، إلا أن هاشيا ظن أنه بدأ يشعر بأعراض تشبه الإنفلونزا، وتساءل: هل أُصيب هو نفسه بذلك المرض؟

أخبر هاشيا د. هينوي: «أرغب في رؤية ما حدث هناك قبل أن أموت». وطلب من صديقه نزع كل القُطب الباقية من جروحه والخروج معه في جولة استطلاعية كانا قد تحدّثا عنها قبل يوم.

Twitter: @alqareah

«تعني الآن؟».

أومأ هاشيا بالإيجاب.

قال هينوي وهو يهزّ كتفيه: «حسناً، ولمَ لا؟ استيقظت اليوم أعاني التهابَ معدة وأمعاء... إذا كان ممكناً تسميته بذلك. يمكننا أيضاً الذهاب في حين لا نزال نتمتع بقوة كافية».

قال هاشيا: «أو قبل أن تصبح رحلةَ رجلين مصابين بإسهال دموي على دراجة هوائية»، وحاول أن يرغم نفسه على الضحك. حدّق هينوي إلى القبة البعيدة وتجاهل الدعابة. كان مشغولاً جداً آنذاك؛ يخطط لمسار الرحلة في ذهنه، ويعدّله وفقاً لحالة الطرقات وأكوام الأنقاض. بدا الدرب إلى المركب الطبي العسكري بسيطاً جداً. كانت نقطة انطلاقهم في أرض الصفر، والدمار الذي لحق بالأبنية هناك أكبر مما حلّ بالبيئة التي كان د. ناغي قد حاول اجتيازها في تلال يوراكامي. في وسط هيروشيما، كانت الشوارع ظاهرة للعيان وبدا أن الأنقاض لم تتكدّس على جوانبها في معظم الأماكن.

مع تقدم هينوي وهاشيا، تبين أن أكثر العقبات التي واجهتهم هي أسلاك القطار وكابلات تثبيته الملقاة على الأرض، والتي كانوا يتوقفون عندها بفاصل أوقات منتظمة، مرتين أو ثلاثاً عند كل بناء سكني. منحت تلك الوقفات د. هاشيا فرصاً لتفحّص الأنقاض على كلا جانبي الطريق. كانت معظم الأبنية قد سُوِّيَت أرضاً مثل سلال مصنوعة من أغصان صغيرة وطأتها فيلة. احترق بعضها بعد أن انهار، وتحوّل بعضها ببساطة إلى رمل وحصى. كانت قطع من جدران آجرية وأحواض استحمام موجودة في وسط بعض أكوام الأنقاض تشير إلى حيث كانت الحمامات، في حين تشير بقايا من أدوات معدنية إلى مواقع مطابخ، وذكّرت قطع من أوانٍ فاخرة تحمل زخارف يفصل بينها أشرطة معدنية هاشيا أنه يمر في حي للأثرياء. كانت الدمى المحروقة أو المهشّمة تعيده دائماً إلى الحقائق المرّة.

Twitter: @alqareah

ذكر د. هاشيا قائلاً: «كان الضرر الذي لحق بالمدينة أسوأ كثيراً مما كنت أتخيل»، ويعبّر ذلك عن كثير مما كان قد رآه ولمسه في أثناء جولته الاستكشافية. كان قد نظر من سطح مستشفى الاتصالات نحو مركز الانفجار وقد تخيّل الكثير.

نقلت تيارات هوائية صاعدة وديدان نارية أحد أكبر القصور في المدينة برمّته من مكانه، وبدلاً من أن يُسوَّى أرضاً، بدا أنه قد ارتفع عن الأرض مثل صندوق وسُحب بعيداً. كانت سلالم المبنى المتصلة بأرضية الطابق الأول والمصنوعة من خشب السنديان محترقة بشدّة، لكنها بالرغم من ذلك بقيت قائمة في مكانها ودرابزيناتها سليمة في وسط حي كاميشي، حيث اختفى كل شيء آخر.

كانت السيدة ناغاهاشي، وهي موسيقية مشهورة، قد عاشت في ذلك البيت الأحدث في كل اليابان، الذي صممه زوجها الراحل في أثناء عقد مضى، ووضع المهندس المعماري الأميركي فرانك لويد رايت لمساته عليه. على جانبي آلتي بيانو كبيرتين، كانت هناك خزانتان من الأرض إلى السقف، تحملان مكتبة كاملة من تسجيلات موسيقية.

كان معظم الجيران يعدّون المنزل المبني على طراز غربي رمزاً للخيانة، وفي زمن الحرب كان مجرد عزف موسيقى يجعل الجميع يتجهّمون؛ فما بالك بالعزف على أدوات البرابرة وأغانيهم. لكن حتى في أثناء الأوقات الصعبة، أصرّت السيدة ناغاهاشي على تعليم أولاد الجيران العزفَ على البيانو. ووفقاً للتلميذة الوحيدة المعروفة التي نجت من بين طلابها، سكي تشيكو، التي كانت بعيداً مع أسرتها في يوم بيكا-دون، ازدادت رغبة السيدة ناغاهاشي في تدريس الموسيقى بقوة على نحو ملحوظ بعد أن لقي ابنها، الذي كان ينتظره مستقبل موسيقي واعد، حتفه في المعركة للسيطرة على تينيان وجزر نائية أخرى.

مثل السلالم وآلتي البيانو المتفحّمتين، كان كل شيء آخر في الطابق الأرضي في القصر لا يزال بطريقة ما في مكانه، حيث كان

Twitter: @alqareah

بالضبط عند الساعة 8:15 صباحاً في 6 آب. خلف كومة من علب صغيرة تبين أنها مجموعات من تسجيلات ذابت معاً، كان جنود قد عثروا على السيدة ناغاهاشي أمام مذبح بوذي. بدت مثل سُرعوف يتضرّع - تفحّم - ولم يستطع أيٌّ ممن رأوا المرأة السّرعوف نسيان أنها كانت تتضرّع في لحظة بيكا.

عندما عاد د. هاشيا إلى مستشفى الاتصالات، أُصيب بتوتر شديد ولم يستطع الالتزام بتعليمات هينوي والذهاب مباشرة إلى السرير. استأنف شيئاً يشبه الزيارات العادية إلى المرضى، وتفقّدهم مرتدياً قميصاً متسخاً ممزقاً، وجروح القُطب الحديثة تلمع في العرق والسخام. بدا مثل حلزون يطلق لحية، وأدرك أنه بدأ يحب الشعور برائحة وسخه.

عندما حلّ الليل وأرسله الإرهاق أخيراً إلى الطابق العلوي، كان كل ما استطاع هاشيا التفكير فيه هو الدمى المحطّمة ومحارق الجيش الجنائزية التي تشتعل تحت نجوم باردة، في حين كانت السيدة ناغاهاشي لا تزال تتضرّع. مشى في أرجاء الطابق العلوي في المستشفى المدمّر، توقف بين الحين والآخر ليستلقي على هيكل سريره بضع لحظات، ثم مشى مجدداً. مع اقتراب الفجر، بدأت ريح عاصفة تهبّ، وشوّشت رؤية هاشيا المدينةَ خلف طبقة شفافة من الغبار والسخام. اقتلعت الريح جصّاً وقطعاً إسمنتية من جدران المستشفى القليلة الباقية.

وقد ذكر هاشيا لاحقاً: «استمتعت بذلك. وبدا أنني أفقد السيطرة على نفسي. كان ذلك يناسب مزاجي».

وبزغ فجر يوم جديد.

أُنيط بميشي هاتوري، التلميذة التي نجت من الصدمة بفضل شرنقة حماية وعادت إلى منزلها لتكتشف أن حيها كله بقي سليماً على نحو لا يُصدّق خلف سلسلة تلال عالية، إضافة إلى والديها وكل شخص آخر في بنائها السكني، مهمة المساعدة في جهود الإنقاذ والإغاثة. بحلول

Twitter: @alqareah

صباح 12 آب، تحولت الجهود على الأغلب إلى جمع الجثث في مشارح مؤقّتة على الجانب المسودّ من سلسلة التلال، التي أصبحت مكان تجميع حتى استطاعت ميشي ومَن معها جمع حطب يكفي لمحرقة جنائزية.

لقي كل الناجين تقريباً الذين جاؤوا من الجانب المسودّ حتفهم في يوم أو اثنين. وباستثناء ميشي، بدا أن كل من خرج من مركز الانفجار قد تعرّض لشيء حرقه من الداخل، وقلّة منهم كان يُتوقع أن يعيشوا مدة أطول من ذلك.

توفيت امرأة، كانت قد نجت بالرغم من أن بيكا طبع نقش كيمونها (ثوب فضفاض واسع) على جلدها، بعد أن تقيأت ما بدا أنه جزء من معدتها. أناط ضابطٌ في الجيش بميشي وتلميذات عدّة أخريات مهمةَ تكديس الجثث على كومة حطب. كان قد دعا الجثامين ماروتا، وأشار إلى ألواح الخشب والجثامين على حطبٌ «حطب» على حدٍّ سواء. وعندما تمزّق جلد امرأة ماروتا بين يدي ميشي، واشتعلت النار أخيراً وتجمّعت أعداد كبيرة من الذباب حول المكان الحار، لم يكن في وسع ميشي أن تصدّق أنها خافت قبل أسبوع فقط من ورقة جرحت إصبعها.

على مسافة أقل من ساعة مشياً على الأقدام صعوداً على التلة وإلى الشمال الغربي من بلدة ميشي، بدا العالم للطبيب أكيزوكي أكثر بؤساً. ألقى نظرة تأنيب على الشمس؛ لأنها كانت قد أشرقت كأن شيئاً مشؤوماً لم يكن يحدث قطّ في الأسفل على الأرض. بدا أن صفاءها يزيد فقط من كآبته.

كانت الإغاثة التي وعد بها الحاكم، وتتألف من «دورية طبية» عسكرية، قد وصلت متأخرة ثلاثة أيام، ولم تنجز شيئاً باستثناء تطعيم الطبيبين أكيزوكي وناغي ضد الأمل. عندما بدأا يفكران في أن وضعهما قد وصل إلى الدرك الأسفل ولا يمكن أن يسوء أكثر، كان شيء يظهر دائماً من مكان غير متوقع يحمل رسالة ألا أحد منهما فهم تماماً عمق

Twitter: @alqareah

المأساة التي يعيشها كلاهما.

كانت خالة بول ناغي قد حذّرت الجميع من المتوحّدين في أدنى التلال الذين فقدوا عقولهم على ما يبدو. كان أكيزوكي وناغي يظنان آنذاك أنهما معرّضان لخطر فقدان عقليهما.

جلبت شاحنات الدورية الطبية العسكرية ثلاثين ضحية محترقة أخرى كان الدم ينزف من لثة كل منهم، إضافة إلى أنوفهم وأمعائهم. كان بعضهم في الواقع يبكون دماً. قال قائد الدورية: «إنهم ينزفون دماً على هذا النحو؛ لأنهم كانوا قد استنشقوا من دون أدنى شك غازاً ساماً. يعانون أيضاً ألماً في معدتهم. اكتشفا السبب».

شرح أكيزوكي: «لقد دُمّرت كل معدّاتنا. ليس لدينا مجهر واحد يعمل. كيف يُفترض بنا أن نكتشف ما يسبب تلك الأعراض، فضلاً على مداواتها؟».

قال القائد: «أنتما طبيبان، أليس كذلك؟ إنه عملكما». ثم استولى وأفراد فريقه على أكثر من نصف ماء الشرب المغلي والمحفوظ في علب، إضافة إلى معظم الطعام المتبقّي.

لولا حقيقة أن د. يوشيوكا والمرضى الآخرين بحاجة إليه، ولولا أنه يعرف أن ذلك يعني موته فوراً، لكان أكيزوكي ظنّ أن لديه قوة كافية يغذيها الغضب لقطع رأس قائد المجموعة العسكرية المحلية بضربة واحدة من مجرفة.

بعد رحيل الدورية، اتفق أكيزوكي مع د. ناغي أن يمنح نفسه خمس دقائق بالضبط للتعامل مع الكراهية والخوف اللذين يشعر بهما، ثم ينفض الغبار عنه وينجز بما بقي لديه ما يمكن تحقيقه، حتى لا يعود في مقدوره فعل أي شيء.

وهكذا، مع بضع لفّات شاش وقارورة يود، انطلق في جولاته، في حين ازداد ضعف الممرضات وطلاب الطب وأصبحوا واحداً إثر آخر مرضى هم أيضاً. في ردّ فعل عكسي على ما يبدو، أصبح بعض

Twitter: @alqareah

المرضى ممرّضين وأطباء متمرنين.

الأمر الغريب أن معظم المرضى المصابين بالسل كانوا يشعرون أنهم على ما يرام ليساعدوا أكيزوكي وناغي على إنجاز أعمالهما المرهقة. ومثل د. ناغي المعتلّ سابقاً، بدت صحتهم تتحسن في الواقع، وإن يكن بخطى حثيثة. لاحظ أكيزوكي أن مرضى السل أولئك الذين كانوا يدخنون بشراهة على وجه الخصوص يبدون أيضاً أكثر مقاومة لمرض إكس؛ عزا الأمر إلى تأثير الاصطفاء الطبيعي الذي وضعه داروين: لو أن أجسادهم لم تكن قوية جداً في المقام الأول، لما كانوا لينجوا على الأرجح من مرض السل ويعيشوا وقتاً طويلاً ليروا بيكا-دون.

بعد الظهر، باستخدام مبخّر أرز كجهاز تعقيم، وخيوط حرير لإغلاق الجروح، ومريضي سل كمساعدين، حوّل د. أكيزوكي مكتبة محترقة إلى غرفة عمليات، وبذل قصارى جهده لترميم وجه د. يوشيوكا. وجد قطعاً جديدة من الزجاج على سطح الجلد بين وجنتها وجسر أنفها، وأخرى قريبة من عينها.

كانت موجة الصدمة قد ضربت النوافذ أفقياً تقريباً، واتضح أن شظيتين أو ثلاثاً تطير بسرعة قطعت كل المسافة عبر وجنتي د. يوشيوكا، ودفنت نفسها داخل لسانها. كانت شظية أخرى قد اخترقت قميصها وصدرها، واستقرت في إحدى أضلاعها. انتزعها بسكين كليلة وملاقط صغيرة، في حين كان أحد المرضى يمسك شمعة ومرآة مكسورة تكوّنان نظام الإضاءة الوحيد المتوافر.

بالمحصلة، استطاع د. أكيزوكي إخراج سبع قطع زجاجية في ساعة، حتى لم تعد د. نيشيوكا تتحمّل الألم والإرهاق. خاط جرحاً على الصدر وآخر بين إحدى العينين وجسر الأنف. كان الجرح في شفة يوشيوكا العليا عريضاً جداً ولم يستطع المساعدان النظر إليه. ثم إن قطعة أكبر من الزجاج لا تزال موجودة في فكها الأسفل، وتبدو ظاهرة للعيان. كانت قطعة الزجاج قاسية على وجه الخصوص، ولو أن جهاز

Twitter: @alqareah

الأشعة السينية في المستشفى بقي يعمل، لم يكن الزجاج ليظهر في الأفلام بالطريقة التي تكشف فيها قطعة معدنية عن نفسها.

في صباح اليوم التالي، بدأ أولئك المرضى الذين يشعرون أنهم على ما يرام - من بينهم المصابون بالسل الذين استعادوا عافيتهم - يتجهون نحو أنقاض مدمّرة بعيدة: أولاً، بحثاً عن أحبائهم، ثم بحثاً عن أدوات مفيدة قد تكون نجت من الانفجار. بحلول ذلك الوقت، لم تكن أفكار الإغاثة منتشرة في أدنى يوراكامي، وما قاموا به كان مجرد عملية بحث وتنقيب.

قلّب أولئك الذين استطاعوا العثور على أي شيء باقٍ من منازلهم المدمّرة والمتفحّمة كل قطعة من آجر السقف بين أيديهم، عندما نقلوا إلى د. أكيزوكي ما كانوا قد وجدوه، بدا خيالياً أن يكون أي منهم قد عثر فعلاً على منزله الحقيقي. كان كل آجر السقوف في عالم جبل النار محطّماً إلى قطع أصغر من بيض الدجاج. كانت النار قد جعلت معظمها سوداء وحبيبية الشكل. كما يتذكر أكيزوكي، عندما كان يتم دفع قطع السقف جانباً، كان الباحثون يجدون طبقة رقيقة من جص ورماد الجدران ممزوجة أحياناً بقطع من العظام. وبالرغم من أن معظم الإشعاعات كانت قد تبدّدت آنذاك، إلا أن القطع الباقية كانت لا تزال تحمل كمية كبيرة منه، خاصة لأشخاص تعرّضوا لدرجات مختلفة منه، وفي المنطقة حول مركز الانفجار خاصةً.

استمر مرضى السل هؤلاء، الذين شعروا بأنهم على ما يرام في اليوم الثالث ولم يكن لديهم أقرباء مفقودون قرب مركز الانفجار، في استعادة عافيتهم. عاد أولئك الذين نزلوا إلى سفوح التلال بحثاً عن أحبائهم مع غبار إشعاعيِّ النشاط على جلدهم، وفي رئاتهم؛ بدأ ينتقل تدريجياً إلى نظام المناعة مترافقاً مع استنشاق غبار إسمنتي وجصٍّ قلوي.

أطلق د. أكيزوكي في تقاريره الطبية أخيراً على غبار يوراكامي

Twitter: @alqareah

اسم «غبار الموت». لم يكن لدى أكيزوكي أو أي شخص آخر قرب مخيّم مستشفى سان فرانسيس تلك الليلة، بأي حال، أدنى فكرة عن خطر جديد لا يمكن رؤيته أو تلمّسه. سيصبح معروفاً لاحقاً لهم أن النسائم التي تهب من التلة تجلب جزيئات إشعاعية إضافة إلى تخفيفها من الحرارة والرطوبة. سيفهم الطبيبان أكيزوكي وناغي بعد ذلك بوقت طويل أن الباحثين العائدين الذين وزّعوا أرزاً مطبوخاً على المرضى حتى ليلة 13 آب كانوا رجالاً مرضى بشدة آنذاك. وفي أثناء تقديمهم العشاء، كانت ملابسهم تنشر «غبار الموت» بالطريقة التي تثير فيها القططة الغضب وتنثر الوبر. امتزجت الجزيئات الإشعاعية على النحو نفسه باليقطين والتفاح؛ التي كان هؤلاء الباحثون يضيفونها إلى حساء الجميع.

على تينيان، كان تشارلز سويني قد رأى الأنباء المرجوة يوم 10 آب تأتي وتذهب من دون كلمة عن وجود عرض استسلام واضح من اليابان. كان القرار الرسمي بتأجيل عمليات القصف بأي شيء أسوأ من كتابات كلافيل وميشنر القاسية، واستمر طوال ليلتي 11 و12 آب حتى بعد ظهر اليوم الذي عاد فيه باحثو د. أكيزوكي من جناح السل.

في أمسية 13 آب، فوّض الرئيس ترومان الجنرال جورج مارشال استئناف غارات القصف ضد اليابان. وفي أثناء ساعات ما قبل فجر 14 آب، أمر مارشال بانطلاق كل الطائرات البالغ عددها 2500 الموجودة ضمن مدى قصف اليابان. كان ضمن الاستثناءات القليلة إينولا غاي وسيارة بوك (الأخيرة؛ لأن ثلاثة من محركاتها «احترقت تقريباً» وتحتاج إلى عَمرة كاملة). مُنعت غريت أرتيست أيضاً من الطيران؛ لأن كل أجهزة المراقبة العلمية كانت لا تزال على متنها وقد تكون هناك حاجة إليها إذا أصبحت مهامّ قنابل ذرّية أخرى ضرورية في أيلول وتشرين الأول. عاد سويني على متن ستريت فلش، وطار «كأننا في رحلة مملة»،

Twitter: @alqareah

وفي الجولة الثالثة من قصف القنابل الذرّية على اليابان، باستثناء عدم وجود نواة نشطة.

كانت ستريت فلش قد عُدّلت، مثل إينولا غاي وسيارة بوك، لتحمل قنبلة واحدة تشبه ثمرة اليقطين مزوّدة بشحنة متفجّرة تبلغ قوتها أطناناً عدّة من التوربكس (مع سلسلة تفجير معدّلة قليلاً، مصممة لإنتاج حلقة انفجار تستطيع اختراق أي شيء موجود على مستوى الأرض). في تلك الرحلة، كانت الفِرق تتدرب على المهارات المكتسبة في أثناء غارتي القنبلتين الذرّيتين السابقتين. كانت يقطينة ستريت فلش أقوى قذيفة غير ذرّية يتم إلقاؤها من طائرة، لكن كما ذكر سويني لاحقاً، وبالرغم من أنها كانت تتمتع بغلاف القنبلة نفسها التي كان قد ألقاها فوق يوراكامي وآلية عملها، إلا أنها «هذه المرة لم تكن تحتوي على أسرار الكون أو فظائعه».

كان هدف ستريت فلش مصنع محركات تويوتا في كورومو. لم تتصدَّ لهم أي مدفعية مضادة للطائرات أو مقاتلات، وبالرغم من أن ستريت فلش كانت إحدى آخر قاذفات بي - 29 التي ترمي حمولتها، لم يحجب دخان من غارات سابقة الهدف هذه المرة. قال مدفعي سويني إن «اليقطينة» انفجرت في نطاق 200 قدم من نقطة التسديد، واستنتج الطيّار أن اسم تويوتا قد أُزيل من التاريخ إلى الأبد، تماماً مثل ميتسوبيشي في يوراكامي.

في هيروشيما، قوطعت جولات د. هاشيا الصباحية بإنذارات عن غارات جوية من المراكب النهرية. خطرت للجميع الفكرة نفسها: هل يمكن أن يحلّ بيكا مجدداً، بعد كل ما تعرّضنا له؟ كان وميض 6 آب قد أصاب الجميع على نحو مفاجئ تماماً. أدرك هاشيا أنه يرتعش آنذاك من الخوف، ومع اقتراب صوت محركات بي - 29 من الأرض، لجأ إلى حماية عمود إسمنتي عريض مقوّى بالفولاذ. كان سرب كبير يقترب

Twitter: @alqareah

نحو خليج هيروشيما من جهة الجنوب. توقع الطبيب وميضاً هائلاً آخر فوق رأسه في أي لحظة، لكنه كبح مشاعر الذعر التي تنتابه واتخذ قراراً أنه إذا ضرب الموت هذا المستشفى مجدداً، فستكون لحظته الأخيرة مع المرضى، لا منكمشاً خلف عمود.

مرّت الطائرات - على الأقل سربان كاملان منها، الواحدة تلو الأخرى - بصخب فوق الرؤوس من دون أن تلقي شيئاً. ثم فجأة بدأت أرضية المستشفى تهتز، وبعد ثوانٍ استطاع هاشيا سماع التفجيرات البعيدة المدمّرة من موجة إثر أخرى من قنابل قوية تضرب الأرض في الشمال الغربي. استنتج أن الطائرات استهدفت بالتأكيد القاعدة الجوية التابعة للبحرية في إيواكوني.

في البداية، شعر هاشيا بأنه محظوظ جداً لنجاته مرة ثانية، لكن خَطَر له أن الحظ لا علاقة له بذلك على الإطلاق. لم يبقَ ببساطة شيء في هيروشيما يستحق القصف.

في كوخ خلف المستشفى، كانت شقيقة الجنرال حافي القدمين قد توقفت عن البكاء، والغريب أنها قد بدأت ترفض حليب أمها. كما ذكر الجنرال ذلك في ما: «بدا أن الصغيرة توموكو تنام بهدوء طوال الوقت؛ طفلة تُحسن التصرف على نحو ينذر بالسوء».

حتى الأسراب التي تهدر فوق الرؤوس والاهتزاز اللاحق في الأرض وصرخات التنبيه من الخطر لم توقظ توموكو. عندما رأى الجنرال قاذفات بي - 29، لم يفكّر في بيكا آخر. رفع قبضته نحوها، وظنّ أنها قد جاءت للاستعراض. كانت هناك شائعات من الخارج عن الهزيمة والاستسلام المحتّم.

كانت والدة الجنرال قد قالت: «أخبرني لماذا هذا الكلام عن الاستسلام الآن؟ لماذا ليس قبل ذلك؟».

على بعد أقل من كيلومتر، كانت شاعرة تدعى كيريهارا وتبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً تطرح الأسئلة نفسها حين حملت من أساسات

Twitter: @alqareah

منزلها تذكاراً إشعاعياً من شظايا عظام بشرية التصقت معاً مثل قطع حلوى في زجاج منصهر. قرّرت أن الشظية يجب أن تعرض يوماً ما في متحف، حتى تستطيع كل البشرية المجيء ورؤية قدرها، وتقسم على تفادي ذلك.

كانت العظام في الزجاج قد تحجّرت نتيجة الوميض بسرعة كبيرة، حتى إن بعضها كان لا يزال أبيضَ. قامت كيريهارا آنذاك بإضافة كميات مرعبة من دمها إلى التذكار، من نزيف أنفي بدا أنه يسوء مع كل ساعة تنقضي.

بدا دمها مناسباً بطريقة ما. فكّرت في راية الإمبراطور الحمراء والبيضاء، والتي كانت تمثّل حتى ذلك الوقت الشمس المشرقة. لكن أحمر الشمس المشرقة أصبح آنذاك دم الشعب، وخلفيتها البيضاء عظام الناس.

قالت كيريهارا وهي ترفع قبضتها نحو السماء: «لقد أراق الناس دماءهم وكشفوا عظامهم بسبب راية الدم والعظام».

في طوكيو، تلقى وزير الخارجية توغو تقارير استطلاع تفيد أن أسطول الولايات المتحدة يتقدّم خلف القاذفات. كان واضحاً أنه قد سُمح لطائرات استطلاع الإمبراطورية بمراقبة الأسطول والعودة من دون أن يتم إسقاطها. لم يكن قد ذُكِر في التقرير الذي نقلته بضع سفن فقط، وإنما أسطول عظيم بدا أنه سيضع الغزو النورماندي الذي حطّم كل الأرقام القياسية في الفئة الثانوية: سفن إمدادات من كل حجم ونوع، ومدمّرات، وطرّادات بأعداد لا يمكن وصفها، وحاملات طائرات؛ كانت التشكيلات تتألف من خمس سفن عرضاً وعشرين طولاً.

رفض وزير الحرب أنامي أن يصدّق أن الأسطول الكبير يعني الهزيمة، وأصر إلى جانب المارشال هاتا، والجنرال شيزيوشي تاناكا، وجنرال يدعى هاتانكا أن غارة شاملة على مجموعة السفن «قد تجعل الأميركيين يعيدون التفكير في أفعالهم». أدهش هؤلاء توغو، فقد

Twitter: @alqareah

كانـوا يتحدّثـون كأن أحـداً منهم لم يكـن موجوداً في قاعة الاجتماعات الإمبراطورية في 9 آب، وأنه حتى إذا قُطعت رؤوسـهم ووُضعت على الأرض، يمكنهـم بطريقـة مـا أن يعضّـوا علـى أصابع أعدائهـم ويتابعوا القتال.

أمـر هاتانـكا جنـرالاً يدعى موري بالانضمـام إليه وإغلاق القصر؛ لمنع بث إعلان الإمبراطور هيروهيتو الاستسـلامَ. عندما رفض موري، قُتل ومساعده رمياً بالرصاص ومُزّقت جثتيهما إلى أشلاء. تآمر الجنرال هاتانكا بعد ذلك للسيطرة على محطات إذاعة الأمة، على أمل أن يستبدل بإعلان الإمبراطور المسـجّل سـلفاً إعلاناً جهّزه بنفسـه. كان هاتانكا لا يزال يعدّ الإمبراطور شخصية مبجّلة لا يمكن المساس بها، لكن يمكن استهداف كل من سواه.

في أثناء ذلك، تلقى الجنرال تاناكا وفريقه تقارير عن غارات جوية بدا أنها تحدث عملياً في كل مكان. بحلول وقت الغداء، كان الجنرال قد أكّد أن الأسـطول الذي يقترب - الذي أصرّ أنامي على عدّه «مجرد أسـطول شـبح من شـائعات» - موجود فعلاً ويتجه مباشـرة نحو طوكيو. عنـد تلـك المرحلة، سـحب تانـاكا تأييـده الانقلابَ العسـكري، وأنهى هاتانكا، إضافة إلى متمردين آخرين عدّة، حياته بنحره على مرج القصر.

طَوال سـاعات التمرد الفاشـل الطويلة، كان كل فريق الإمبراطور معرّضـاً للإعـدام علـى طريقة السـاموراي، ووُضع هيروهيتو نفسـه، في الواقع، تحت الإقامة الجبرية.

لـم يسـتطع أنامـي تحديـد إعلانـي الاستسـلام اللذيـن سـجّلهما الإمبراطـور وتدميرهمـا، ومع اسـتعادة الجنـرالات الموالـين لهيروهيتو السـيطرة بسـرعة علـى محطـات إذاعـة طوكيـو، كتـب: «أعتـذر إلـى الإمبراطـور عـن جريمتـي الكبـرى»، وهـام على وجهه ليكتـب قصائده الأخيرة، واسـتخدم سـيفاً ليشـق بطنه بطريقة شـعائرية. انقضت سنوات عدّة قبل أن يعرف شـعب اليابان ما جرى فعلاً بعد أن غُطيت أحداث

Twitter: @alqareah

14 آب بستارة من الإنكار، والاغتيال، والانتحار. لكن شائعات انتشرت في كل مكان، وعن كل شيء.

لم يكن كازوشيجي إيتو قد ولد بعد يوم سُحقَت هيروشيما. كما أخبره والده، كان عم كازوشيجي الذي يدعى هيروشي ويبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة قد خرج سالماً ولم يصب بأذى من مدرسة على مشارف أرض الصفر، حيث احترق كل شيء آخر وتحطّم تقريباً. تبع هيروشي مسار السكة الحديدية في اتجاه المنزل إلى التلة الشرقية، وساعده غريب عرض عليه أرزاً، ويتوافق ذلك مع ما وصفه الوالي نيشيوكا عن لقائه بتلميذٍ «ناجٍ وحيد»، قرب محطة السكك الحديدية. بحلول وقت عودة الفتى إلى منزله، كان باقي أفراد أسرة إيتو يعدّونه آنذاك في عداد الأموات، لكنه كان داخل شرنقة حماية ولم يصب بخدش في أي مكان من جسده، حتى ملابسه بدت سليمة.

أصبح يُعرف محلياً باسم «الفتى المعجزة».

تذّكر تسوجيو، والد كازوشيجي إيتو الذي كان مجرد فتى آنذاك، أنه في أثناء الأيام الأولى التي تلت الانفجار، بدا شقيقه الأكبر على ما يرام واصطحبه إلى صيد الأسماك والاشتراك في مباراة كرة سلّة ضد فريق مجاور منافس. في الحقيقة - وحصل هذا دائماً - لم يكن الناجون من قنبلة ذرّية كما يبدون تماماً.

بدأ الاحتراق من الداخل في 14 آب أو نحو ذلك، مع بداية أسبوع الموتى البوذي. في لحظة كان الشقيقان إيتو يلعبان، وفي لحظة تالية خرّ الفتى الأكبر على ركبتيه، وأمسك بمعدته كأنها طُعنت. بحلول المساء، وجدت والدة الفتى الذاهلة أنه من الصعب الاقتراب منه وبدأت تبتعد عنه. ابتعدوا جميعاً عنه؛ لأنه مع كل زفير كانت تخرج رائحة كريهة منه تذكّر أفراد الأسرة بجثّة تستلقي على الأرض منذ أيام عدّة. كانت بكتيريا العفن العادية تأكل رئتي الفتى إيتو وحنجرته، وتخرج من

Twitter: @alqareah

لسانه - منتفخ وقرمزي وساخن - رائحة لحم نتن حتى حين كان لا يزال يتحرك ويحاول أن يتكلم.

أخيراً، أطلق هيروشي شقيق تسوجيو صرخة تقشعر لها الأبدان. غطّى الزبد والدم شفتيه، ومثلما كان قد مرض فجأة من «غبار الموت» والأشعة، استلقى الفتى المعجزة على ظهره ومات.

في أثناء ذلك، في ملجأ مستشفى الاتصالات المسودّ في هيروشيما، كان د. هاشيا قد سمع قصصاً عن أشخاص كانوا خارج منازلهم في لحظة بيكا ونجوا من شعاع الحرارة. وبالرغم من أنهم لم يُصابوا بأي حروق، إلا أنهم مرضوا وماتوا، في حين أن أشخاصاً كانوا داخل المنزل وتعرّضوا لجروح خطرة نتيجة انهيار الأعمدة الخشبية عليهم، بقوا أحياء. إذا كانت الشائعات عن إطلاق القنبلة غازاً ساماً أو قيام الأميركيين بإلقاء سلاح بيولوجي بعد القنبلة صحيحة، فعندها كان يجب أن يُصاب الناس الذين زحفوا إلى خارج منازلهم بالعدوى أو الغاز بالسهولة نفسها التي أُصِيب بها أولئك الواقفون في الخارج، كما استنتج هاشيا. أياً كان الذي قتل الأشخاص في الخارج، يجب أن يتضمن مصدرُ خطر قصير الأجل تبخَّرَ الجزء الأكبر منه بحلول الوقت الذي شقّ فيه الأشخاص العالقون في الداخل طريقهم إلى الخارج. كلما أمعن هاشيا التفكير في الأمر، كلما ازداد حيرة.

أنهت زيارة من نقيب بحرية كان قد جاء إلى هيروشيما على متن مركب طبي تلك الحيرة. شرح النقيب فوجيهارا: «يبدو أن بيكا نفسه مصدرُ مرضٍ مروّع. لقد بدأت البحرية دراسة أكثر من ثلاثين حالة، وبالرغم من أنني لست طبيباً، إلا أنه في مقدوري إخبارك من دون أدنى شك أن عدد الكريات البيضاء كان قليلاً جداً في كل حالة».

قال هاشيا: «يجب أن تزوّدني بمجهر».

رد النقيب: «آسف. ليس لدينا سوى واحد على المركب ونعمل بعدسات محطّمة». معتذراً، فتح حقيبته وقدّم إلى الطبيب قارورة

Twitter: @alqareah

شراب وعلباً عدّة من لفائف التبغ بدلاً من معدّات طبية. قال: «هذا ليس بالكثير، لكن العثور على هذه الأشياء قد يكون في الواقع أصعب من المجاهر».

كاد هاشيا يقول: أفضّل الحصول على مجاهر، لكنه شكره عوضاً من ذلك.

بعد أن غادر النقيب، أشعل هاشيا لفافة تبغ وبدأ يفرز البقايا المحطّمة لعدد من مجاهر بوش ولومب العائدة للمستشفى، على أمل أن يجمع جهازاً واحداً يعمل جزئياً على الأقل. كانت نتيجة الجهد معروفة منذ البداية. لم تكن عدسة مكبّرة واحدة قد نجت، ولم يعثر إلا على أسطوانة نحاسية مسطّحة وقد تحوّل زجاجها مرة أخرى إلى رمل. قدّر أن موجة الانفجار كانت تنتقل بسرعة 200 متر – أو مبنيين سكنيين – في الثانية على الأقل عندما ضربتهم.

تذكّر أن أحد مديري مكتب الاتصالات في المقاطعة قد احتفظ بمجهر في خزنته. كان المبنى الذي يضم الخزنة ملجأً، ومكسواً بإسمنت مقوّى؛ لم يكن ذلك ليشكل فرقاً. كانت الريح من القنبلة قد دمّرت الخزنة وخلعت الباب الفولاذي من مفصّلاته. كان المجهر محطّماً تماماً، حتى إن الطبيب بدأ يقدّر أكثر من أي وقت مضى نجاته في ذلك اليوم الأول من بيكا – دون.

لقد ذكّر الزائر الثاني بعد ظهر ذلك اليوم د. هاشيا مجدداً بالاحتمالات والهلاك؛ وبالرغم من أنه جلب هدايا، إلا أنه ملأ قلبه أسىً؛ لأنه فقد كل شعور بنفسه وانضم إلى المشاة – النمل ذلك اليوم.

عاش السيد ساساكي عبر الشارع قبالة هاشيا، قرب جسر ميساسا. جاء إلى المستشفى يحمل سمك الماء العذب آيو للمرضى والفريق الطبي.

سأل هاشيا: «كيف أسرتك؟».

شرح السيد ساساكي أن العثور عليهم استغرق أياماً عدة؛ لأنه

Twitter: @alqareah

عندما لمع بيكا، كان في مهمة إلى أحد مكاتب الوالي نيشيوكا في الضواحي. في داخل المكتب، وعلى مسافة خارج شعاع الانفجار وشعاع الحرارة، نجا من دون جروح. رأى من تلك المسافة الآمنة في اتجاه منبع النهر وقرب التلة حيّه «تحت ساق الفطر». قاد ساساكي درّاجته الهوائية عبر الشوارع المليئة بالأنقاض ووجد أن منزله ومنزل د. هاشيا قد تحولا إلى أكوام من رماد ترتفع إلى الركبة. لحسن الحظ، كانت أسرة شيجيو ساساكي قد رحلت في اتجاه منبع النهر مع ناجين آخرين من الحي. عثر عليهم، ملطخين بالطين وجائعين، بحلول الوقت الذي وصلت فيه الاهتزازات من ناغازاكي إلى هيروشيما.

قال السيد ساساكي: «بقيت ساداكو الصغيرة تتكلم عن الضوء اللامع». كان عمر الفتاة عامين فقط، لكن لم ولن تنسى الشروق الزائف والرياح العاصفة. كان ماساهيرو شقيق ساداكو البالغ من العمر خمسة أعوام والسيدة ساساكي مصابَين بكدمات ويرتعشان لكنهما بأمان؛ حيث إنهما نجوَا من طوق ديدان النار التي تقدمت نحو النهر وكوّنت دوامات مائية. نجوَا حتى من المطر الزيتي من دون أن يعانيا أي أعراض مما كان د. هاشيا يدعوه آنذاك «مرض القنبلة الذرّية».

سأل د. هاشيا: «هل كانا داخل المنزل في أثناء بيكا-دون، أم خارجه؟».

رد السيد ساساكي: «في الداخل». وتنهد هاشيا ارتياحاً. تابع ساساكي: «لهذا أُصيبا بكدمات. ارتطما بالجدران في الداخل، وعندما هربا إلى الشارع، وجدا أن المنزل قد مال قليلاً إلى أحد جانبيه بالرغم من أنه كان يبدو سليماً. وبعد ذلك، عندما أصبحت ألسنة اللهب والارتباك أسوأ، انفصلا عن والدتي التي ضاعت».

«ماذا؟!».

«لم يرياها مجدداً قط».

من بين كل الفظائع التي كان هاشيا قد رآها واختبرها في أثناء

Twitter: @alqareah

الأسبوع الماضي، كانت وفاة والدة السيد ساساكي اللطيفة تبدو مثل ألم شديد أصاب المعدة. مما استطاع هاشيا معرفته، كانت جدّة ساداكو الصغيرة قد احترقت حتى الموت في أثناء تطوّر العاصفة النارية، ومثل آخرين وجدوا أنفسهم عالقين في تلك الفوضى، لم يكن هناك أحد يستطيع فعل شيء لإنقاذها. لكن هاشيا كان هناك عندما اندلعت النيران، وتذكّر، على نحو مبهم، رؤية منزل ساساكي يميل إلى أحد جانبيه قبل أن يتهاوى، تماماً كما وصف السيد ساساكي.

منذ اللحظة التي سمع فيها أن والدة صديقه أُصيبت ولقيت حتفها على بعد خطوات منه فقط، لم يعد يهم هاشيا أنه قد خرج من منزله ينزف ومشوشاً إلى عالم أصبح فجأة وعلى نحو عنيف غير مألوف. كل ما كان مهماً هو أنه بدلاً من مساعدة جيرانه كان قد انضم إلى أقرب صفّ من المشاة – النمل.

لم ينبس السيد ساساكي، الذي كان طيباً جداً مثل والدته، بكلمة عتب واحدة ضده. بدلاً من ذلك، استمرّ في جلب ما يجده من طعام لجاره، وأولئك الذين يرعاهم. لكن منذ تلك اللحظة، بدأت أولى لسعات ذنب النجاة تبث سمها في قلب هاشيا، ولن يستطيع قط بعد ذلك لقاء ساداكو أو والدها من دون أن يفكّر في أنه من الأشخاص الذين أصبحوا من المشاة-النمل في وقت الحاجة الماسة إليه. كان أمله الوحيد في تفادي الأمل هو تجنبّهم. كانت تلك بداية لما تبين أن د. ناغي من يوراكامي قد عدّها أحد تلك التصدّعات غير المرئية التي أحدثتها القنبلة الذرّية: تصدّعات بين الجيران والأصدقاء، بالرغم من أنهم لن يتكلموا عنه أبداً.

قال السيد ساساكي: «لدي شيء آخر لك. أنباء من مكتب الوالي. هذه ليست شائعة، فقد جاءت مباشرة من وزير الخارجية توغو. هناك بث إذاعي مهم سيُعلن غداً».

«ما هو؟».

Twitter: @alqareah

لـم يكـن أي مـن الرجلين يريد أن يتوقّـع، لكن كليهما افترضا أن وزير الحرب أنامي على وشـك الإعلان عن تقدم أسـاطيل العدو نحو شواطئ الوطن. كان سيأمر على ما يبدو كل رجل، وامرأة، وطفل بالقتال ضد الأميركيين حتى تفنى اليابان؛ باستخدام سواطير، وسكاكين، وعصي خيزران مدبّبة.

فـي أوقـات قليلـة، كان في مقدور هاشـيا وضع أفـكاره عن ذنب المشـاة – النمل جانبـاً لمصلحـة التعبيـر عـن الشـكر لكونـه مـن دون كهربـاء. ليـس لدينـا مذيـاع، كما قال في قرارة نفسـه، وأدرك أن العيش خالـي الوفـاض فـي العصر الحجري يمنحه في الواقع حرية في المعتقد والعمل لم يكن قد عرفهما منذ اندلعت الحرب.

في صباح 15 آب، اسـتيقظ الجنرال وهو يشـعر بقوة كافية لتكبير ملجـأ والدتـه إلـى أحد أول منـازل الصفيح المضلّع فيما سـيصبح أول مدينة أكواخ في قفر هيروشيما.

في طريقه إلى المنزل من موقع استخراج الأرز، أخبر أحد الجيران الجـدد الجنـرالَ أن شـاحنة مـن مكتب الاتصالات قـد وصلت وأنزلت مذياعـاً فـي مستشـفى د. هاشـيا. عندمـا وصـل الجنـرال إلـى درجـات المستشـفى، كان أحدهـم قـد أوصـل المذيـاع آنذاك إلى مدخرة سـيارة فارغـة تقريبـاً، ويخـرج مـن مـرج مستشـفى الاتصالات أصـوات طنين ولغـو مـع تشـويش يتلاشـى. صدر صوت مـن بعيد: «لقـد عقدنا العزم علـى تمهيـد الطريق أمام سـلام مهيب لكل الأجيـال القادمة، بتحمّل ما لا يمكن تحمّله ومعاناة ما لا يمكن معاناته».

لـم يسـمع الجنـرال هـذا. كان كل مـا بُـثّ بوضوح قبـل أن تفرغ المدخرة تماماً عبارة: «تحمّل ما لا يمكن تحمّله».

أعلن كهربائي المستشفى، الذي كان يقف وأذنه قريبة من المجهار، أن ما سـمعه الجميع آنذاك كان صوت الإمبراطور نفسـه، وأنه قال للتو

إن الحرب انتهت.

سأل أحدهم: «من انتصر؟».

رد الكهربائي: «قال إننا يجب أن نتحمّل ما لا يمكن تحمّله». ثم نظر حوله وأضاف: «من تظن أنه انتصر؟».

كان واضحاً أن شقيقة الجنرال الرضيعة، التي كان قد أسماها توموكو؛ لأن الكلمة تعني «صديقة»، تحتضر.

لقي والد الجنرال حتفه.

آنذاك، كانت بعض النظائر التي امتصتها عظام الأم تنتقل خفية إلى غددها التي تفرز الحليب، لكنها كانت قد أدّت عملها وقتلت خلايا في نقي عظامها، وأتلفت ترتيب الصبغيات فيها، التي بدأت تنقسم على نحو غير صحيح في مسيرة أفضت إلى حدوث فوضى عارمة والموت في نهاية المطاف.

لقيت شقيقة الجنرال الكبرى حتفها.

مات شقيق الجنرال الصغير.

في ليلة الاستسلام، جذبت رائحة الطعام فتى أصغر سنة أو اثنتين فقط من الجنرال، الذي تسلل تحت أحد الألواح المعدنية على جانب المنزل المؤقت وحاول أن يهرب حاملاً جرةً من الأرز المستخرج حديثاً.

كما كتب الجنرال - كيجي ناكازاوا - وصوّر في فيلم لاحقاً، دفعته حركة مبهمة تحت اللوح إلى التحرك، وبعد لحظات دخل في عراك على الإسمنت المحطّم خارج الكوخ. أخيراً، لف الجنرال ساقيه حول خصر الفتى، وظهرت والدته من الكوخ آمرةً إياه أن يتوقف، وعندما وقع ضوء الفانوس على وجه الفتى، أعادِ الجنرال قبضته إلى الخلف ليضرب اللص، ثم سحب نفَسه مشدوهاً.

«سنجي ؟».

Twitter: @alqareah

أطلق الجنرال صرخة ووقف يترنّح على قدميه، وكاد يتسبب بسقوط الفانوس من يد والدته.

قالت الأم، وهي تتقدم خطوة نحوه: «تبدو مثل سنجي تماماً». لم يتضح قط إن كان الشبه حقيقياً أم أن التفكير المفعم بالأمل جعل أي متشرّد من عمر سنجي يتحول إلى توأم له.

قال الفتى، وهو يتراجع خطوة إلى الخلف ويستعد للقفز على قدميه والهرب: «أياً يكن سنجي، أنا لست هو».

حاول الجنرال أن يشرح: «تبدو توأم شقيقي الصغير».

«حسناً، لست هو. لابأس؟ هل يمكنني الذهاب الآن؟».

قالت الأم بهدوء ولطف كبيرين: «بالطبع لست سنجي». لم تقل رأيته يموت، من أجل الجنرال.

قال الفتى حين كانت الأم تساعده على الوقوف على قدميه: «آسف لأنني سرقت طعامكما. اسمي ريوتا كوندو». اعتذر مجدداً، وحاول أن يشرح أن الجوع يقرصه منذ ثلاثة أيام حتى ظنّ أخيراً أنه فقد شهيته. ثم شمّ رائحة أرز مطبوخ، ولم يستطع كبح نفسه. «لكن كما يقال، إنّ سرقة الطعام ليست ذنباً إذا كنت جائعاً جداً».

سألت الأم: «ريوتا، أين أسرتك؟».

أمسك فكّه بيده، وأجاب: «ماتوا جميعاً في الانفجار». كان والدا ريوتا قد عاشا في حي د. هاشيا، قرب جسر ميساسا وأسرة ساساكي. خرج وحده من تحت أنقاض منزله، واكتشف أن شيئاً عريضاً وحاداً قد قطع ساقي والدته من الركبتين. نزفت حتى الموت قبل أن يجري إلى منزل مجاور ويطلب المساعدة. بدا أن والد ريوتا قد احترق في الوقت نفسه. تابع عمٌّ، بدا في بادئ الأمر أنه يركض نحو ريوتا استجابة لنداء استغاثته، الجري متجاوزاً إياه؛ كأنه لم يرَ أو يسمع شيئاً، وترك بقعة كبيرة غريبة من الدم خلف كل خطوة وطقطقة عالية أمام كل بقعة. كانت قدما العم مبتورتين نتيجة القوة نفسها التي كانت قد قطعت ساقي

Twitter: @alqareah

والدته. قطع الرجل، الذي كان يعدو على عظمتي ساقيه من دون أن يشعر بألم على ما يبدو، مسافة نحو القفر الذي يتصاعد الدخان منه، حتى اختفى أخيراً.

استمع الجنرال إلى قصة ريوتا من دون انفعال، كأن في مقدوره تجاهل كل الفظائع مثل خلفية صاخبة؛ هذا ما كانت عليه في الحقيقة. كان الجنرال مشغولاً بأفكار أخرى.

قال الجنرال مجدداً: «تبدو مثل شقيقي الصغير بالضبط».

صرخ الفتى وهو يتراجع خطوة إلى الوراء: «لست هو! أنا ريوتا!».

لم ينبس الجنرال ببنت شفة. نظر ببساطة إلى ريوتا معتذراً، ثم ذهب إلى الكوخ وخرج يحمل وعاء أرز كان قد تناول نصفه. قال: «إليك. يمكنك الحصول على باقي عشائي، إذا أردت».

«تعني، أنك تمنحني إيّاه؟».

«بالتأكيد».

وقبل أن يستطيع الجنرال تسليمه إياه، كان الفتى قد تناول كمية كبيرة من وعاء الأرز. حاول بعد ذلك ابتلاع الباقي في لقمة واحدة كادت تخنقه.

سأل الجنرال: «ماذا تفعل؟ ستمرض».

ابتلع ريوتا اللقمة بصعوبة وقال: «خشيت أن تسترده مني».

طمأنه الجنرال: «لن أفعل ذلك».

«لماذا يجب أن أصدّقك؟».

جثت الأم على ركبتيها، حتى أصبح رأسها على مستوى رأس ريوتا. «أين كنت تعيش منذ الانفجار يا ريوتا؟».

«في العراء على الأغلب».

«حسناً، إذا كنت لا تزال جائعاً، يمكنك إنهاء وجبتي من الأرز أيضاً».

«هل تعنين ذلك حقاً؟».

Twitter: @alqareah

«بالطبع أعني ذلك».

شاهدت الأم ريوتا يلتهم محتويات الوعاء الثاني من الأرز بسرعة مثل الأول. أدهشها ذلك وأصابها بصدمة. كان من عادات سنجي الصغير أن يتناول طعامه بتلك الطريقة؛ كأنه كان يخشى في الواقع أن يختطفه أحد منه قبل أن تُتاح له فرصة ابتلاعه.

أحضر الجنرال قدر طهي نحاسية منبعجة وعرض على ريوتا ملعقة لاستخراج أي بقايا من الأرز الطازج. ألقى ريوتا الملعقة، ووضع رأسه داخل القدر، وبدأ يلعق الجوانب. همس الجنرال: «كما كان سنجي يفعل تماماً».

حاولت الأم أن تشرح للجنرال، وربما لنفسها: «لقد سمعت يا جنرال أن لكل شخص في العالم خمسة يشبهونه، لكن يبدو أن هذا الشبيه منهم الذي وجدناه بالمصادفة مميز حقاً. كأنه أُرسل بطريقة ما إلى هنا».

راقب الجنرال ريوتا يلعق كل ما تبقى وصولاً إلى قعر القدر المقلوبة، باحثاً عن كل أثر للنكهة. قال: «أمي، هل تفكّرين في ما أفكّر فيه؟».

«بالفعل. لكننا نواجه وقتاً عصيباً في إطعام أنفسنا...». وراقبت القدر النحاسية تصبح خوذة كبيرة فوق رأس ريوتا. «لكن بالرغم من ذلك، لو بقي سنجي حياً، كان سيرغب أن نفعل هذا».

«إذاً، لابأس بذلك، صحيح؟».

لم يسمع ريوتا السؤال. كان رأسه كله وإحدى كتفيه آنذاك قد اختفيا داخل القدر. عندما وضعه أخيراً على الأرض وأعلن أنه لم يعد يشعر بالجوع تقريباً - «تقريباً» - لاحظ أن الجنرال ووالدته يحدّقان إليه وتعبيرات غريبة جداً تظهر على وجهيهما. في البداية، فسّر التعبيرات على أنه قد أهانهما بطريقة ما وأن الجنرال على وشك أن يتعارك معه ويطرحه أرضاً مجدداً. ثم تذكّر أخلاقه.

Twitter: @alqareah

قال ريوتا بسرعة: «شكراً لك! آسف جداً. كان يجب أن أقول شكراً لكما».

رأى النظرة نفسها من كليهما.

«ماذا فعلت؟».

قالت الأم: «لا شيء. ريوتا، كنا نتساءل، هل تحب أن يكون لك منزل مجدداً؟».

سأل مفعماً بالأمل: «تعنين البقاء هنا؟».

قال الجنرال: «نعم».

بدا الفتى خائفاً؛ كأن الجنرال كان سيقول في اللحظة التالية: «أمزح فقط»، ويتوه مجدداً في القفر. بدأ يتكلم عن مواطن ضعفه ويحاول أن يشرح أنها ليست سيئة جداً: «أعرف أنني صغير ولا يمكنني العمل بجد وتقديم عون كبير، لكن يمكنني أن أمسّد ظهريكما. قال والدي دائماً إنني أجيد تمسيد الظهر». وذهب مباشرة إلى كتفي الأم، ومسّد كل الأوصال الصحيحة في كل الأماكن غير الصحيحة.

قالت الأم: «ذلك لطف كبير منك، لكن ليس عليك أن تعمل بكد. لا نطلب أي شيء منك بالمقابل يا ريوتا. ستكون أحد أفراد الأسرة».

«حقاً؟».

أومأت الأم، وربتت بلطف على رأسه. انسحبت خصلة صغيرة من الشعر بين أصابعها. لم يكن ذلك مهماً. كان ريوتا، الذي لم يكن يظن أنه سيشعر بالسعادة قط من أي شيء مجدداً، يبكي فرحاً.

عند الفجر، استيقظ د. هاشيا وعرف أن ثلاثة آخرين من فريقه قد أُصيبوا بالمرض الجديد. كانت زوجة رئيس مكتب الاتصالات الراحل، التي جاءت إلى المستشفى لتقدّم خدماتها كممرضة، مريضة بحلول ذلك الوقت. كان كل ما بداخل فمها كتلة من أنسجة تنزف، وكان لسانها ولوزتاها تتفتّت.

Twitter: @alqareah

استلقت السيدة هارادا في سرير آخر. كانت مكشوفة في منزل خشبي مؤلف من طابق واحد على بعد نحو كيلومتر من مركز الانفجار. في دقائق قليلة، كانت قد بدأت تتقيأ وتشعر بعطش لا يصدّق؛ كأن شيئاً احترق فجأة في داخلها. بحلول يوم الاستسلام شعرت أنها قد استعادت كامل عافيتها وتطوّعت للعمل في المستشفى. في ذلك الوقت، بعد يوم واحد فقط، كانت قد استيقظت لتكتشف أن كثيراً من شعرها موجود على وسادتها. عندما وضعت يداً على رأسها، بدأ باقي شعرها يتساقط بكميات كبيرة من دون أي مقاومة على الإطلاق. ثم لاحظت أن الجلد على ذراعيها قد أصبح جافاً ومتغضناً جداً، بين ليلة وضحاها. عندما فحصها د. هاشيا، وجد علامات نزيف شديد تحت الجلد. في ساعات عدّة، كانت حالة السيدة هارادا قد تحولت من تماثل إلى الشفاء إلى «حرجة».

كان السيد هيروهاتا يشعر أيضاً بأنه على ما يرام أخيراً، بعد إحساسه ببعض الآلام لاحقاً لبيكا-دون. على شعاع أقل من 400 متر (1312 قدماً)، كان أقرب كثيراً إلى مركز الانفجار من السيدة هارادا، لكنه شرح للطبيب هاشيا أنه كان موجوداً في قسم مقوّى بالإسمنت من بناء مكتب الاتصالات عندما حلّ الوميض، واستطاع من ثم النجاة، في حين تمزّق كل شخص آخر إلى أشلاء أو تفحّم.

سأل السيد هيروهاتا: «أيها الطبيب، هل هناك أي سبب لتساقط شعري على هذا النحو؟ ولماذا أشعر بأنني ضعيف جداً؟».

قال هاشيا: «لا أظن أن عليك أن تقلق. لقد تعرّضت لإجهاد غير مسبوق؛ وإضافة إلى كل ذلك، لقد حاولت العمل ليلاً ونهاراً هنا، للحفاظ على حياة الباقين منا».

بدأ مطر خفيف يهطل، وعرف هاشيا أن السقوف سترشح ماءً قريباً، وأن كل سرير سيصبح رطباً تلك الليلة.

شدّد الطبيب لمريضه: «لا تقلق كثيراً».

Twitter: @alqareah

قرر السيد هيروهاتا الالتزام بتعليمات الطبيب، والبقاء هادئاً تماماً في السرير وشرب كل السوائل المنعشة التي تقدّمها الممرضات إليه. ابتسم، واثقاً أنه سيستعيد عافيته، ولكنه لقي مع السيدة هارادا وزوجة رئيس المكتب حتفهم مع وصول أول مجهر.

في 20 آب، أكّد فريق هاشيا أن الإشعاع، لا سلاحاً بيولوجياً أو غازاً غير معروف، كان السبب بمرض إكس. بعد أيام أكثر مما وعدت به البحرية، حصل هاشيا على المجهر الذي كان يرغب فيه بشدّة. اكتشف أن عدد الكريات البيضاء لدى العديد من المرضى في المستشفى كانت نحو 2000، وهذا أقل كثيراً من المعدل الطبيعي الذي يتراوح بين 6000 و8000. بدا أن معدّل د. هاشيا وحده يقترب من نحو 3000. كان عدد الكريات البيضاء لدى بعض المرضى 500 فقط، وانخفضت لدى أحدهم إلى 200، وبدا أنه يحتضر من هجوم تتعرض له كل أجهزة جسمه من قبل بكتيريا تفكّك عادة المادة المتحللة إلى تراب وسماد.

أدرك هاشيا بسرعة أن جناح العزل فكرة حمقاء. بالرغم من أن إنتانات جديدة غريبة كانت تظهر - بما فيها التعفّن في حين لا يزال المرء حياً - إلا أن الأمراض كانت تأتي من الداخل لا من الخارج. وفقاً لمذكرة وصلت من مستشفى البحرية في أومورا، بدأ التشريح يكشف أن نقي العظام تعرّض لإشعاعات كثيفة حتى تحوّل أحياناً إلى سائل أصفر يشبه عصارة الكبد. ومع فناء أنظمة المناعة، بدأت البكتيريا، التي تتغذّى على اللحم البشري بعد الوفاة عادة، تظهر. في حالات عديدة، تجلّى موت نقي العظام بحمّى نزفية انتشرت إلى كل الأعضاء الداخلية، وفي مثل تلك الحالات لم يتخثّر الدم حتى بعد سبع ساعات من الوفاة. كانت الصفيحات الدموية، مع عوامل التخثّر، قد اختفت ببساطة.

وقع مرضى آخرون ضحايا علامات وأعراض لم يرها أحد من قبل. توفي رجلان فُحصا في أومورا من شيء أسال دماغيهما ونخاعيهما الشوكيَّين. ظهر أن لوحيد خلية معدٍ يداً في ذلك، وهي نوع كان جهاز

Twitter: @alqareah

المناعـة البشـري قـد طـوّر منذ وقـت طويل دفاعـات طبيعية ضده. كان وجـود ذلـك العـدد الكبيـر من الكائنـات الانتهازية نادراً جـداً ولن يراه أحد مجدداً حتى ظهور الإيدز في الثمانينيات.

في مستشـفى البحرية في أومورا، كان شيوتسـوكي زميل د. هاشيا يفحص مرضى من ناغازاكي ويوراكامي منذ ليلة 9 آب. كان أولهم قد وصل على متن قطار إلى المستشفى الذي يتسع 800 سرير، ويقع على بعد 19 كيلومتراً من مركز الانفجار. حتى على تلك المسافة، تحطّمت كل النوافـذ علـى جانـب مستشـفى البحريـة المواجه لاتجـاه الانفجار، وكانت كل الأشجار على سفوح التلال التي تواجه بيكا قد ذبلت نتيجة الأشعة وأضحت أوراقها بنيّة آنذاك؛ كأن الخريف حلّ قبل الأوان. قال د. شيوتسوكي إن تأثير اللون البني في الأوراق امتدّ 80 كيلومتراً (نحو 50 ميلاً) في كل اتجاه من ستاد يوراكامي. لو أن كل الأوراق جفّت، لكانت العاصفة النارية التي نجمت عن ذلك قد ألحقت بها أضراراً مثل إعصـار اسـتوائي يبلـغ قطـره 160 كيلومتراً. إذا أصبحـت عين الإعصار عاصفة حقاً ومسـتدامة، قرب مستشـفى سـان فرانسـيس، فإن في مقدور ألسنة اللهب اختراق حاجز الصوت بسهولة.

بحلـول 20 آب، كانـت تقاريـر د. شيوتسـوكي الطبيـة تصبح مليئة بملحوظات غريبة ومحيّرة في أغلب الأحيان. لاحظ أن المرضى الذين كانـوا يحملـون علـب غـداء أو يضعون سـاعات معصـم وخواتم زواج ذهبيـة، أو كانـت جلودهـم بأي طريقة أخرى على تماس مباشـر بأشـياء معدنيـة فـي لحظة الصفر، قـد ظهرت على جلودهم علاماتٌ في أماكن تماسـها مع المعدن وانتابتهم أعراض مرض الإشـعاع. كانت العلامات تطابـق آثـاراً تظهـر علـى الطرف الآخر من الطيف الضوئي، قبالة أشـعة غامـا قصيـرة الموجـة: وميـض من موجـات كهرمغنطيسـية قصيرة. كان المعدن يعترض الموجات الكهرمغنطيسـيّة ويسـخن إلى درجات تحرق الجلد. بدا أن مناطق من ناغازاكي قد أضحت فرن موجات كهرمغنطيسية

Twitter: @alqareah

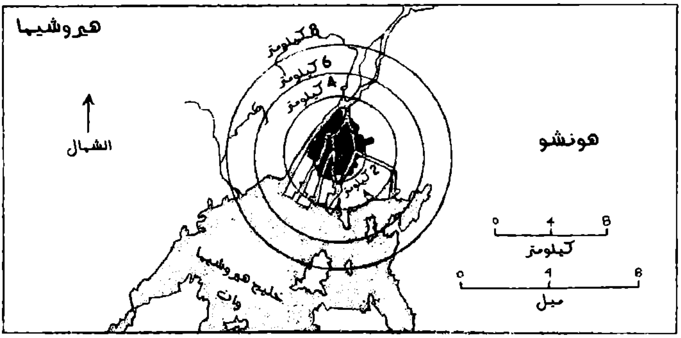

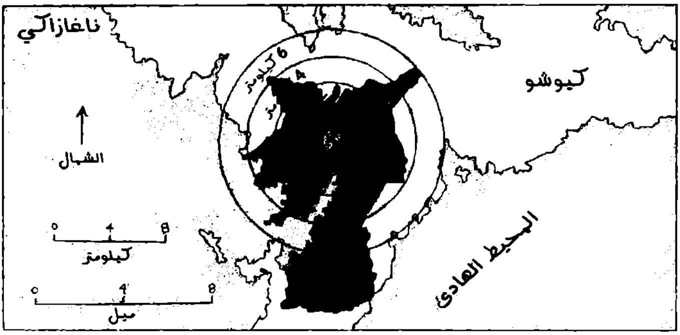

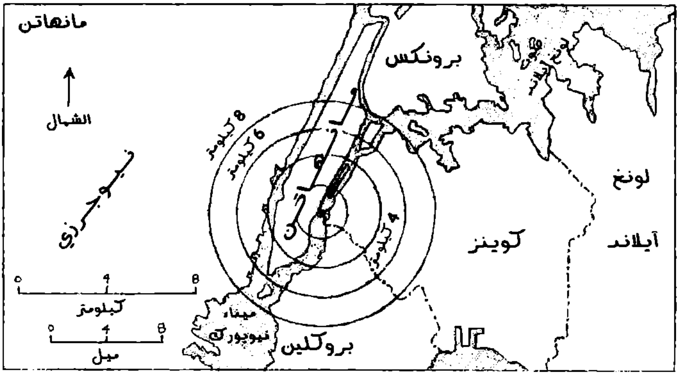

كان الفرق الرئيس بين نطاق النيران ومداها في هيروشيما وناغازاكي ناجماً عن القوة الأكبر لقنبلة ناغازاكي، التي جففّت الأوراق وجعلتها تذبل على بعد 80 كيلومتراً. لو أن سلاح ناغازاكي فُجّر فوق مدينة نيويورك في أثناء قحط الخريف أو فوق كاليفورنيا في فصل الجفاف، لنجم عنه إعصار ناري قطره مئة ميل. (باتريشا واين)...

(مايكروويف) تحت بيكا. لاحظ د. شيوتسوكي أيضاً أن المرضى الذين يرتدون الأبيض نجوا في الغالب من حروق بيكا، وأن مريضاً يرتدي قميصاً مخططاً باللونين الأبيض والأسود قد ظهرت عليه في الواقع «وشوم حروق» على شكل شرائط أفقية، إلا أن تلك الوقائع ظهرت على مسافة تزيد على كيلومترين من مركز الانفجار. في أماكن أقرب إلى مركز الانفجار والاستاد، كان ارتداء ملابس بيضاء أو سوداء سيّان.

بحلول ذلك الوقت في أومورا، كانت قد بدأت تظهر على العديد من النساء اللواتي تطوّعن للمجيء على متن القطار من ناغازاكي للاعتناء بالجرحى أولى علامات المرض. ومثلما حدث في مستشفَيَي سان فرانسيس والاتصالات، أصبن بإرهاق مفاجئ، وحمّى، وقشعريرة، وسقطن مريضات في الأجنحة نفسها التي كن يعملن فيها ممرضات.

وقد ذكر د. شيوتسوكي في العام 1974، قبل وقت قصير من وفاته بمرض ابيضاض الدم عن عمر ناهز أربعةً وخمسين عاماً: «لم يكن هناك داعٍ لنفسّر لهم ما يجري. كانت لدينا آنذاك تقارير عن مرض ينتشر على نطاق واسع في هيروشيما. كنا نعرف ما سيحصل».

ماتوا جميعاً. كل واحد منهم.

قال شيوتسوكي في خطاب تذكاري متأخر: «كانت الفتيات المتطوّعات يرتدين بناطيل مومبي فضفاضة مصنوعة من مادة رثّة، وكن بعيدات جداً عن الجمال بأي معنى عادي للكلمة. وبالرغم من ذلك، كن في نظري أكثر جمالاً جسدياً وروحياً من الفتيات اللواتي يمشين اليوم في الشوارع مزهوات بأنفسهن يرتدين جينزاً أزرق أو فساتين أنيقة. غادرت أولئك الفتيات اللواتي، عندما أدركن أنهن سيمتن، أسرّتهن واستفدن مما تبقّى من قوتهن للعناية بالآخرين. أتمنى لو كان في مقدوري رؤية هؤلاء الفتيات يرتدين ملابس اليوم الأنيقة جداً، لكنهن حصلن على حكم بالإعدام مع نهاية الحرب، ولم يعرفن قط أن اليابان ستنعم بمثل هذا الرخاء».

Twitter: @alqareah

بدأت معركة د. شيوتسوكي ضد مرض القنبلة الذرّية بحلول الوقت الذي أنهى د. هاشيا فيه إجراءات العزل في مستشفى الاتصالات، بعد أربعة عشر يوماً من انفجار هيروشيما، وأحد عشر يوماً بعد ناغازاكي، وخمسة أيام بعد دعوة الجنرال ووالدته ريوتا للعيش في كوخهما. كان عدد كرياته البيضاء قد انخفض على نحو خطر، إلى قرابة نصف المعدّل الطبيعي؛ بالرغم من أنه كان على بعد خمسة عشر كيلومتراً من مركز الانفجار. كان التفسير الوحيد هو تعرّضه لجرعة كبيرة من الإشعاع من الضباب الزيتي، ومن المرضى أنفسهم، الذين كانت ملابسهم وجلودهم، حتى أنفاسهم، تنثر جزيئات من غبار مشعّ عندما وصلوا ليلة 9 آب. في أثناء الساعات الثماني والأربعين الأولى، كانت الإشعاعات التي ينثرونها قد غزت من دون أدنى شك رئتي د. شيوتسوكي، ودمه، ونقيّ عظامه.

بمرور الأيام، ارتفع عدد الكريات البيضاء في دم شيوتسوكي مجدداً إلى المعدل الطبيعي، ثم استمرت في الارتفاع. بعد أسبوعين من وصول القطار من ناغازاكي، لم يكن ما يهم شيوتسوكي هو ارتفاع عدد الكريات البيضاء، ولكن مقدار ذلك الارتفاع. كانت تلك بداية إصابته بمرض نقيّ العظام العضال؛ كان ذلك بتاريخ 24 آب.

شاهد الجنرال شيزيوشي تاناكا، في تلك الأمسية في طوكيو، الأسطولَ الأميركي في الميناء. كان تاناكا قد تلقّى تقارير عن طائرات بريطانية تحلّق فوق هيروشيما وناغازاكي؛ كأنها في جولة استطلاع مخيفة. كان مقرراً أن يتم التوقيع على الاستسلام رسمياً في 2 أيلول. لم يرغب تاناكا، بعد أن سحب في 14 آب تأييده التمردَ الذي كان سيمنع بث رسالة الإمبراطور، في رؤية الفصل الأخير من المسرحية. بعد تناول الشاي مع مساعده، وضع الجنرال سيفه بجانب قبعته، وقفازه، وستّ رسائل كتبها سابقاً، ثم لفّ قطعة قماش حول رأسه لتخفيف تناثر الدم، ووجّه كرسيه في اتجاه يمنع المادة التي ستخرج من الجرح من تلطيخ الرسائل الست، وأطلق النار على نفسه.

بالرغم من موت أنامي وتاناكا، استمر عمل الجهاز الإداري الحكومي كالمعتاد. في 25 آب، وصلت شاحنة تحمل هدايا من سلاح هندسة الجيش الإمبراطوري إلى مستشفى الاتصالات في هيروشيما. قدّم الجنود أربع كراسٍ مكسورة، وثلاث طاولات متهالكة، وقدري طهي، وفرناً كبيراً، من دون طعام أو فحم. أحضرت شاحنة ثانية خمسة صناديق كبيرة، محشوة عن آخرها تقريباً برايات إشارة نجاة ومعدّاتها. وزّع مرضى د. هاشيا معدّات النجاة بينهم لاستخدامها كوسائد، في حين بدا أن الصغار يستمتعون بالتلويح بالرايات.

رتّب السيد ساساكي إرسال شاحنة ثالثة، تحمل أسماكاً وعلب لفائف تبغ. كانت الأخيرة تساوي آنذاك أكثر من قيمتها نقوداً. بالفعل، سرعان ما تحولت لفائف التبغ إلى عملة نقدية جديدة. كان د. هاشيا يحب رائحة التبغ، لكنه قرّر الاحتفاظ بتلك العملة أطول مدة ممكنة، وأن يستهلك بضع مجّات من لفافة تبغ ثم يطفئها ليدخّن قليلاً منها لاحقاً.

في أثناء إحدى استراحاته لتدخين التبغ، خرج هاشيا من المبنى لاستنشاق هواء نقي، فالتقى بأول كلب يراه منذ نحو عشرين يوماً. أطلق عليه مباشرة اسم الكئيب، ولاحظ هاشيا أن الهجين يحمل قطعة بطاطا عفنة في فمه. يا له من منظر مثير للشفقة، كما فكّر، أن ترى كلباً يأكل اللحم عادة، يتحوّل إلى البحث عن طعام بين فضلات الخضار.

كان معظم شعر الحيوان قد سقط، لهذا كانت نظرة هاشيا أن الكئيب تعرّض لإصابة إشعاعية.

بطريقة ما، بدا منظر ذلك الحيوان الهزيل، الذي يمشي مجهداً وقد لوى قائمتيه، وخفض ذيله، وفقد شعره، رمزياً.

قال الطبيب بطريقة جعلت الحيوان يفزع: «أتمنّى أن نخسر كلاب الحرب بالفعل!».

فوقه وخلفه، صرخ أحدهم بإثارة حين رأى أسلاكاً كهربائية صفراء

Twitter: @alqareah

تُمدّد في اتجاه المستشفى. وصل مهندس عسكري وأعلن أنه في بضعة أيام سيحصل هاشيا على هاتف، وبعد أيام عدّة من ذلك سيحصل على مصباح كهربائي.

مع اقتراب المساء، تلألأ ماء المطر على الجدران لليوم الثالث على التوالي. غطّت طبقة سوداء الملابس والأسرّة في كل مكان من المبنى وفي جناح العزل السابق. وبدأت من ثَم ذات الرئة، وعلى نحو محتّم، تنتشر من نظام مناعة أضعفه الإشعاع إلى آخر. بحلول صباح 26 آب، لقي أربعة مرضى آخرين حتفهم.

كان معدّل الوفيات يتصاعد في تلال يوراكامي. حضر الطبيبان أكيزوكي وناغي بانتظام محارق جثث في ساحة المستشفى. بدا أن صحة ناغي تتحسّن باستمرار إلى حدّ أنه أصبح يقوم وثلاث ممرضات بزيارات منزلية واسعة النطاق في التلال. لكن شعر أكيزوكي كان يتساقط ويواجه صعوبة في الاحتفاظ بالطعام في جوفه. تساءل: هل سيصبح بنفسه جزءاً من محرقة في بضعة أيام؟ كانت الحياة والموت في أرض الصفر، كما أدرك أكيزوكي، مسألة قدر، كان الخط الفاصل بين أن يحترق إنسان وأن يداويه طبيب غامضاً ومبهماً ومسألة حظ فقط.

أصبح مرض الإشعاع يعدّ ماكراً وكياناً كلّيَّ القدرة يمكنها سلب الناجين شعرهم ومص دمائهم.

من المستشفى إلى الأسفل في أنقاض مدرسة يوسي للبنات والاستاد، بدأ يظهر نمط معيّن من الموت. بدت الدفعة الأخيرة من المرضى بخير عندما نزلت إلى الأنقاض وبدأت تشيّد بلدة أكواخ. كانوا قد ابتكروا عبارة جديدة – «مناجم المدينة» – التي تشير إلى المواد القيّمة المدفونة تحت أكوام الأنقاض. كان المنقّبون الذين يعيشون أسفل التلة، قرب الاستاد ومركز الانفجار، أول من عانى ومات في أثناء ظهور الموجة الثانية من مرض الإشعاع في أواخر آب. استطاع د. أكيزوكي

Twitter: @alqareah

رسم جدول بياني لظلّ الموت، في أثناء تحرّكه مثل موجة مدّ بطيئة، صعوداً على التلال بثبات. بدأ المنقّبون الذين يسكنون في الوادي وعلى سفوح التلال يُنقلون إلى المستشفى على ظهور أفراد أسرهم، الذين كانوا يقطنون عالياً على طول الدرب. ثم مرضت أسرة من المنقّبين تقطن على ارتفاع مئة متر على سفح التل وحُملت إلى الأعلى، ثم أسرة على أربعين متراً أعلى، وهكذا دواليك.

سمّى د. أكيزوكي تقدّم المرض على ذلك النحو دوائر الموت متحدة المركز. تخيّل أنها مسألة وقت فقط قبل أن تهبط سُحب الموت غير المرئية على مستشفى سان فرانسيس. كانت الموجة القادمة على بعد نحو خمسين متراً فقط إلى الأسفل من ساحة المستشفى الأمامية عندما هطلت الأمطار، وتحوّلت ببطء من زخات خفيفة في الأول من أيلول إلى انهمار مداري شديد في الثاني منه، وجاء معها صوت رعد قوي في الأعلى وهدير شلالات تكوّنت حديثاً في الأسفل.

بحلول منتصف ليلة 2 أيلول، هطل المطر غزيراً وسقط على وجه أكيزوكي حين خرج من المبنى، وجعله يغمض عينيه وهو يشعر بلسعة الماء المنهمر. بلّله المطر في الحال، ومزّق رُدنَي قميصه. تمسك بعمود إسمنتي مكسور ليثبّت نفسه. خلفه في مبنى مدمّر أصبحت أرضيته جدول ماء آنذاك، تجمّع الجرحى وأولئك الذين يعتنون بهم في جماعات من عشرة وخمسة عشر شخصاً، واحتشدوا معاً مثل طيور صغيرة في عشّ.

صرخ د. أكيزوكي نحو السماء: «ألم يعانوا كفاية؟». لمع البرق مثل مئات الكشّافات... أو بيكا صغيرة. كانت تلك نوعاً جديداً من الجحيم: بعد أن سلخت النار جلودهم، كان الماء سيعذّبهم آنذاك.

صاح أكيزوكي: «الرحمة».

كان أكيزوكي يفكّر في الراهبات والرهبان الكاثوليك الذين هبّوا للمساعدة، ليُصبحوا مرضى هم أنفسهم، ويرتعشوا آنذاك مثل حيوانات

Twitter: @alqareah

تكاد تغرق. بصفته بوذياً، كان صعباً عليه أن يصدّق، كما يفعل اليسوعيون ود. ناغي، أن المأساة والشر الذي لا معنى له كانا جزءاً من حكمة إلهية.

كان قد سأل الراهبة ميزوغوشي، قبل يوم فقط من تقيؤها قطعة طويلة من لحمها ووفاتها: «لماذا يجب أن تعانوا على هذا النحو؟ لماذا يحدث هذا لشخص مثلك لم يفعل إلا خيراً؟ هذا ليس منصفاً!».

كانت قد ردّت بضعف: «أؤمن بالله»، ثم قالت بابتسامة: «إنها مشيئة الله».

صرخ الطبيب نحو العاصفة، وعلى الكون نفسه: «إذاً، الله حدّد قدرك».

بقي مستيقظاً طوال الليل، يحاول تهدئة المرضى ويلعن المطر. وفي الصباح، ظهر قوسا قزح في السماء. كان أعلاهما ساطعاً على نحوٍ نادراً ما يُشاهد في ناغازاكي، والأدنى من نوعٍ لم يره أحد من قبل. كان يظهر في طبقة كثيفة من الضباب، لونه شبيه باللؤلؤ لكن شكله مقوّس بكل وضوح؛ قوس قزح أبيض.

قال أكيزوكي للممرضة موراي: «حدث شيء ما. أشعر أن هناك تغيراً في الهواء... أنا واثق بذلك». سحب أكيزوكي نفساً عميقاً وشعر أول مرة في نحو شهر بالانتعاش. كان الإحساس الدائم بالضعف والغثيان قد بدأ يختفي بالرغم من تمضيته ليلة مجهدة من دون نوم. لقد تغيّر العالم، كما فكّر.

بالرغم من أن أكيزوكي لم يكن يمتلك عدّاد جايجر، إلا أنه كان واثقاً أنه إذا توثّق من الأمر، فسيجد شيئاً مختلفاً في الأرض والهواء. كان المطر قد غسل السقط الإشعاعي والغبار العالق في الجو ودفع بهما إلى الأرض أو البحر. كان المطر الغزير الذي لعنه في الليل قد أثبت آنذاك أنه رحمة من... العناية الإلهية، كما ظنّ د. أكيزوكي.

منذ ذلك الصباح، كما يبدو، كانت أعشاب قد بدأت تنمو في

Twitter: @alqareah

الأرض القفراء. ضربت عاصفة مماثلة هيروشيما، تبعتها ظاهرة أقواس قزح متعددة نفسها، ثم تَفتُّح أزهارٍ بريةٍ في غير موسمها؛ بدت كثيرة جداً حتى إن بعض الشهود ظنّوا أن ألفي بي - 29 قد حلّقت فوق المدينة وألقت بذور ورود بدلاً من قنابل.

بدا أن شودا شينوي، الفتاة التي سألت الأطباء إن كان هناك جراحة يمكنها إزالة الذكريات، قد استعادت كامل عافيتها بعد الأمطار. عندما حددت موقع أنقاض مدرستها، وجدت أزهار ربيع تنمو من كل قطعة آجر محطّمة وكل شقٍّ في الإسمنت. كانت أزهار الأقحوان الزرقاء في كل مكان آخر. وفي ساحة اللعب، كانت سويقات ورود قد نبتت بين أضلاع وعبر محاجر جماجم فقدت عيونها؛ عشرات ومئات الجماجم. كانت أغلبيتها صغيرة، وخمّنت شودا أن كل العظام الأكبر حجماً تخصّ من دون شك مدرّسيها.

في ضاحية كيتيشي قرب هيروشيما، كانت هيروكو ناكاموتو، التلميذة التي حاولت عبثاً من دون جدوى الحفاظ على فأريها الأليفين حيّين في أثناء مدة تقنين الطعام، تستعيد عافيتها من جروح بيكا. حتى مسألة الحروق وندرة الطعام المستمرة بدتا أمرين عاديين، بأي حال، مقارنة بخبر أن قوة احتلال الجيش الأميركي تتقدم نحو القرية. قبل تدمير هيروشيما، شاهد كل التلاميذ أفلاماً عمّا يجب أن يتوقعوه من الأميركيين إذا خسرت اليابان الحرب. في أفضل سيناريو، كانوا سيصبحون طبقةَ عمالٍ عبيد. دفع أسوأ سيناريو مسؤولي كيتيشي إلى نصح كل النساء والفتيات بالهروب إلى التلال والاختباء، لكن هيروكو كانت لا تزال تتعافى من جروحها ولم تتركها عمتها وحدها.

عندما وصل جنود العدو الذين يلوكون العلكة أخيراً، تبين أنهم مهذبون على نحو مدهش. جلبوا معهم حلوى تحمل أسماء غريبة: **منقذو الحياة** و**درب التبّانة**...

أدركت هيروكو آنذاك أن التوقعات المرعبة عن العبودية والتعذيب

Twitter: @alqareah

والاغتصاب حتى أكل لحوم البشر كانت محض دعاية عسكرية، القصد منها التركيز على القتال حتى الموت.

مع تفتّح الأزهار في كلتا المدينتين، وصل جرّاح من البحرية الأميركية ومترجم لغة صينية إلى مستشفى سان فرانسيس. ظهر د. أكيزوكي من الطرف البعيد لكومة آجر وأفزعهما.

مدّ المترجم يده إلى مسدسه لكنه أبعدها بسرعة عندما نظر إلى الطبيب من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه واستنتج أنه ليس خطراً أكثر من «عمدة قرية هوبو».

بخلاف أكيزوكي، الذي لم يكن قد اغتسل منذ شهر إلا بالماء الذي هطل عليه في العاصفة، كانت ملابس الأميركي مُنشّاة ونظيفة، وبدا أنه يشبه نسخة أطول كثيراً من النجم الكوميدي الشاب الرومانسي والمفعم بالحيوية فنسنت برايس. كان أكيزوكي يتوقع بوريس كارلوف أو بيلا لوغوسي.

بدا جرّاح البحرية ذاهلاً من الأوضاع البدائية السائدة على سفح التلة. أشار عبر مركز الانفجار نحو خيام إسعافات أوّلية كانت قد نُصِبت على بعد خمسة كيلومترات، شمال وسط ناغازاكي، ونصح: «يجب أن تأخذ قومك إلى هناك».

فكّر أكيزوكي في حالة مرضاه، وبدا أن ثلاثة أميال – أكثر قليلاً من المسافة عبر جزيرة مانهاتن – قد تكون مثل مسيرة إلى طوكيو.

قال أكيزوكي: «إذا تكرّمتم بتزويدنا بالأدوية المناسبة، أودّ وزملائي البقاء هنا والاستمرار في علاج هؤلاء الناس».

نظر الأميركي في أرجاء المكان المدمر والمحترق عن بكرة أبيه وتنهّد، ثم بدأ يفحص المرضى. في البداية، انكمشوا خوفاً، لكن عندما طمأنهم أكيزوكي أنه لن يؤذيهم، بدأوا يسترخون. اكتشف الوافد الجديد بسرعة نوعاً من جروح القنبلة لم يتم اكتشافه من قبل.

Twitter: @alqareah

قال الأميركي: «لقد تضرّرت الأعصاب البصرية لشبكيات معظمهم من وميض القنبلة. تعرّضت قرنياتهم لضرر أيضاً، وهي ملوثة». كانوا يفقدون أبصارهم، كما استنتج الأميركي، وشدّد مجدداً: «يجب أن ترسلهم إلى محطة الإسعافات الأولية في مركز المدينة».

شرح أكيزوكي أن المرضى لا يتمتعون بصحة جيدة للقيام بتلك الرحلة حتى إذا كانوا سيصابون بالعمى.

قال شبيه فنسنت برايس: «حسناً، الطرقات كلها مسدودة وليست لدينا شاحنات كبيرة نقدمها للقيام بعملية الإجلاء. لكن لدينا بنسلين وإمدادات حيوية أخرى في المحطة. يجب أن تذهب إلى هناك غداً وترى ما يمكن أن تحصل عليه».

بعد التفكير ملياً، وجد أكيزوكي نفسه مدهوشاً ومعجباً بالرجل الذي كان قد جاء عبر الأنقاض وصعد التلة لفحص الجرحى. شعر بارتياح كبير؛ لأن تحذيرات القيادة العليا من عالمٍ من الاغتصاب والموت الذي ينتظر اليابان المهزومة لم يتحقق.

لم يكن من الممكن قول، بأي حال، أن كل شيء أصبح فجأة رائعاً. نظر الصيدلاني في محطة الإسعافات الأوّلية إلى ملابس د. أكيزوكي وكاد يصرفه فور دخوله مثل متشرّد يبحث عن عقاقير في السوق السوداء. عندما شرح الطبيب أن ضابط بحرية أميركي قد نصحه بالحصول على مضادات حيوية لمستشفى يوراكامي، قال الصيدلاني: «أرسل مرضاك إلى هنا».

بعد شرح إضافي عن الحالات في مستشفى سان فرانسيس، منحه الصيدلاني كمية صغيرة من الأدوية، إضافة إلى فيتامين (بي) وجرعات قوية من فيتامين (سي)، بما يتوافق مع منهج معالجة الإشعاع المقترح من قبل د. ناغي الذي بدا - حتى بدأت مثل تلك الموادّ تنفد من المستشفى - أنه يؤدّي إلى تحسّن حالة المصابين، بمن فيهم ناغي وأكيزوكي نفساهما. كان توزيع البنسلين، بأي حال، مقنّناً والحصول على كل علبة لاحقة من

Twitter: @alqareah

الفيتامينات يتطلب رحلتين أو ثلاثاً عبر مركز الانفجار.

وثّق د. أكيزوكي ذلك بالقول: «بعد زيارة الضابط الأميركي، انسلّ مستشفانا المتداعي، الواقع بمحاذاة المنطقة المدمّرة، من أذهان أولئك الذين جاؤوا لتفقّد الضرر الذي أحدثته القنبلة الذرّية. لم يلاحظه أحد في غمرة الأدوية الجديدة والمساعدة التي أحضروها معهم. زار أولئك الذين جاؤوا لرؤية ما آلت إليه حالة ناغازاكي بعد انفجار القنبلة الذرّية المبانيَ السليمةَ في المدينة وتوقفوا قرب الاستاد الذي اختفى من الوجود، ولم يكتشفوا قطّ ما كان يجري على التلة التي تطل على مركز الانفجار.

وهكذا أصبحت حالات الإصابة بالإشعاع الأكثر وضوحاً في المدينة غير ظاهرة للعيان. اجتمعت لجنة من محققين علميين أميركيين وبريطانيين في اليابان في 11 أيلول، واقترحت مباشرة إجراء مسح حيواني مفصّل، متراً مربعاً إثر آخر، في نقاط محددة على مسافات مختلفة من مركز الانفجار؛ لتحديد هل أدّت تأثيرات الإشعاع إلى حدوث تغييرات تضرّ أجيالاً متعددة من الحشرات. رسمياً، كانت لجنة 11 أيلول تعمل تحت سلطة الجنرال مكارثر، الذي لم يكن يرغب في أن يُعرف الكثير عن القصف الذرّي. توقف المسح الحيواني بعد أن بدأ بمدة وجيزة. بدلاً من ذلك، أُخذت عينات من ديدان الأرض من التربة تحت كاتدرائية سانت ماريا في يوراكامي والمستشفيات المدمّرة القريبة منها. حُدّدت تأثيرات الإشعاع ببتر أقسام صغيرة جداً من الأطراف الخلفية لديدان عدّة في أرض الصفر ومراقبة نشوء رؤوس لها. بدا أن عملية التجدّد تحدث من دون شذوذ واضح - فُسِّر غياب الدليل بأنه دليل على عدم وجود شيء، في ما يتعلق بتأثير الإشعاع في السكان الذين تعرّضوا للقنبلة. قُوبِل اقتراحٌ تقدّم به علماء اللجنة لتوسيع دراسة الديدان وفحص رعايا من البشر عُولِجوا بالقرب منها، في مستشفى د. أكيزوكي، بفتور بالغ من قِبَل مكارثر.

Twitter: @alqareah

بحلول ذلك الوقت، عاد تشارلز سويني إلى المدينة وقاد أعضاء فريقه إلى المكان الذي كان يوجد فيه ملعب كرة مضرب، إلى حيث قدّر أنه موقع مركز الانفجار الأصلي. كانت قلّة من الناس موجودين في ذلك المكان القفر وعلى سفوح التلال. نظر سويني إلى الأعلى نحو السماء الزرقاء، حيث انفجرت قبضة البلوتونيوم على ارتفاع 1890 قدماً، وحاول تكوين صورة عمّا كانت عليه الحال على تلك البقعة في تلك اللحظة. وعرض على أصدقائه تضرّعاً بسيطاً؛ «أن تكون مهمتنا الأخيرة من نوعها».

عندما كان ينظر حوله، ثبت بصر سويني لحظة عند سفح تلة بعيدة، ترتفع عليها جدران الآجر الأحمر المحترقة لمستشفى سان فرانسيس.

بحلول الوقت الذي عثرت فيه شودا شينوي على مدرّسيها ووصل تشارلز سويني إلى مركز الانفجار، كانت السيدة ماتسودا قد اكتشفت أساسات منزلها. كان يبعد ثلاثة مبانٍ سكنية عن منزل هيراتا وقصر موريموتو في هيروشيما، وضمن مدى بندقية قنص من قبّة هيروشيما. كان ابنها توشيهيكو قد خرج من المنطقة هائماً على وجهه وقد أُصيب بحروق سوداء على طول أحد جانبي جسده. كان الفتى في موقع أصبح فيه القميص الأبيض الذي كان يرتديه أكثر فائدة (بمعايير الحماية من حروق الوميض) من جدران الحديقة التي حمته من الانفجار. كان القطن الأبيض قد أصبح بنياً فوراً، وترك ظل توشيهيكو - إلى جانب ظلال يقطين وصفوف من نباتات فاصولياء تبخّرت - آثاره المبهمة على الجدار. بدا أن الفتى كان ينحني إلى الأسفل ليلتقط شيئاً عندما حلّ الوميض.

وقد افترض المؤرخون خطأً أن كل أشخاص الظلال في هيروشيما قد تبخّروا نتيجة بيكا وماتوا مباشرة من دون ألم. كان ذلك نادر الحدوث، وصحيحاً فقط على مقربة من القبّة وجسر «تي». في أماكن أبعد عن مركز الانفجار، حرق الوميضُ نفسُه، الذي سفع الجلود،

Twitter: @alqareah

الطلاءَ والخشب أيضاً. بالرغم من كل شيء، استطاع توشيهيكو اليافع أن يمشي مبتعداً عن أرض الصفر نحو المدرسة المدمّرة حيث رأت مينامي اليراعات الزرقاء. كانت ود. فوجي يظنّان أن الفتى ربما ينجو؛ لأن أكثر من 60 بالمئة من جسمه كان محمياً من الوميض ولم يُصب بأي حروق قطّ؛ لكن ذلك لم يتحقق. كان يمكن لتوشيهيكو ماتسودا أن ينجو لولا أن أشعة غاما قد أصابته؛ أصابته ومرّت من خلاله. تشبّعت عظامه بأشعة غاما ونيترونات، والتوى الحمض النووي الريبي في نقيّه وانفرط عقده، ولم يكن في مقدور أنظمة ترميم الحمض النووي المتحفّزة دائماً أن تعالج نطاق الضرر حتى لو لم تتضرر بنفسها.

بالرغم من أن عمّات توشيهيكو وكل من كان داخل المنزل لقوا حتفهم عندما سحق الانفجار المبنى المؤلف من طابقين إلى ارتفاع صدر رجل، إلا أن توشيهيكو بدا للطبيب فوجي «فتًى معجزة» آخر، بعد أن نجا بشقّ الأنفس في حين توفي كل شخص حوله. لكن الأشعة كانت قد فعلت فعلها، ولم يحظَ الفتى المعجزة إلا بوقت قصير جداً يعيشه.

بعد وضعه في خانة أولئك الذين يمكن أن ينجوا إذا تلقّوا عناية طبّية، أُرسل توشيهيكو وأشخاص عدّةٌ آخرون إصاباتهم متوسطة مع مينامي وأربع ممرضات في شاحنة مسطحة إلى مستشفى المحاربين القدامى في الضواحي.

كان اكتشاف توشيهيكو أن والدته كُلّفت بمهمة عسكرية خارج المدينة وأنها نجت أيضاً، قد جعل عينيه تشعّان حيوية، لكن بعد أسبوع رفضت جروحه أن تتماثل للشفاء، ومن دون أي سابق إنذار، غرق في سبات عميق ومات.

عادت والدته آنذاك إلى المكان الذي بدأ فيه الرعب. هناك، كان من الممكن رؤية نطاق «أرض الصفر الكاملة» بوضوح. وباستثناء القبّة، وهيكل مصرف سوميتومو، وصهريج الماء الغريب الذي برز من الأرض، كانت المنطقة قد تحوّلت في كل اتجاه إلى حلقة من حطام إسمنتي،

Twitter: @alqareah

متساوية البعد عن منزل السيدة ماتسودا. كان يبرز من حقل الأنقاض البني-الرمادي مساحات ظهرت حديثاً من أعشاب ونباتات برية.

مثل الجنرال الذي مدّ يده ليلتقط قطعة نقود في ساحة المدرسة، بدا أن ابن السيدة ماتسودا قد جثا وأمسك بشيء عن الأرض في لحظة الصفر. يشير الجزء منه الذي أصابه الوميض وطُبع على جدار حديقة إلى ذلك. لم يبقَ إلا النصف السفلي من الجدار ليكون شاهداً على الحكاية، لكنه كان كافياً. كانت أوراقٌ ونباتاتٌ تحيط به من كل جانب عندما انحنى إلى الأسفل؛ ليضع يداً على يقطينة أو يقتلع عشبة ضارّة. عندما ومضت القنبلة فوق توشيهيكو، لا بد من أن أوراق النباتات كانت تتمايل في نسيم الصباح، لكنّ اتجاه كل منها حُدّد بقوة عندما تكوّنت تلك الصورة، من دون شك، بسرعة أكبر مما يمكن للورقة أن تستجيب معها للريح.

في كلٍّ من هيروشيما ويوراكامي، وعلى امتداد أميال، احترق الإسفلت والطلاء تحت الضوء، وتفحّم الخشب. وقد دلّ كل جدار بقي قائماً، وأُطر النوافذ، وأعمدة الهاتف، والأشجار، وحبال الغسيل، وحتى الأشخاص، على الاتجاه الذي جاء منه الوميض ويشير على نحو لا لبس فيه إلى مركز انفجار كل مدينة.

كانت الظاهرة تشبه تماماً ما يحدث عندما تحمي ساعة معصم مساحة صغيرة من الجلد من حرق شمسي وتترك تحتها صورة مبهمة لساعة وسوارها. كان الفرق يتعلق بالدرجة. تكوّنت ظلال هيروشيما وناغازاكي بسرعة أكبر كثيراً، وقوة أشد تأثيراً.

بالرغم من أن أكثر من 60 بالمئة من جسد توشيهيكو كان محمياً من الوميض - ولحسن الحظ، أبقت قبعته وجهه في الظل - لم يمثّل ذلك فرقاً في النهاية. قرب مصرف سوميتومو وبمحاذاة مركز الانفجار، كانت أشعة غاما قد أعادت تلوين قطع زجاج نقي بدرجات جميلة من البنفسجي. لو كانت هناك قطع ألماس، لأصبحت ألوانها زرقاء، أو خضراء، أو حمراء.

Twitter: @alqareah

في أثناء تنقيبها تحت آجر سقف منزلها ورماده المتناثر، عثرت والدة توشيهيكو على ستّ كُلَلٍ زجاجية مشوّهة؛ وهي كُلَلٌ كان ابنها يلعب بها. كان إما بيكا، أو الديدان النارية التي اندلعت بعد ذلك، أو مزيجٌ من الاثنين، قد صهرها وحوّلها إلى كتل خضراء شبه شفافة.

بعد ثلاث وستين سنة، شعر نينكاي أوياما بثقل الزمن وأهمية خرزتين ذائبتين كانتا يوماً تخصّان «فتى يعيش في البناء». كان منزل نينكاي أقرب إلى مركز الانفجار من بيت توشيهيكو. جُنّد نينكاي بعمر السابعة عشرة من عمره للعمل في مشروع بناء، على بعد نحو كيلومترين في اتجاه مجرى النهر. كان عملاً مهماً، كما قيل له، «استعداداً للدفاع الأخير عن اليابان».

عند الساعة 7:00 صباحاً في 7 آب، لم يكن قد أنهى إفطاره بعد حين أخبرته والدته أن عليه الإسراع، بالرغم من أنه كان يستطيع قطع المسافة بين منزله وعمله في وقت قصير جداً.

قالت والدته وهي تدفعه خارج الباب: «اذهب، أسرع!».

قال محتاراً: «الوداع».

كان ذلك آخر حديث يجريه نينكاي مع والدته. كان منزله جزءاً من معبد بوذي، ويقع بجانب قبّة هيروشيما مباشرة. بدا أن نصف كرة الهواء المضغوط التي أطبقت على جانبي برج القبّة قد ضربت أعلى وجانبي حجارة المعبد وأخشابه. بعد أن خمدت النيران وعاد نينكاي إلى مركز الانفجار بصفته أقربَ ساكن نجا منه، لم يستطع العثور على أثر لأساسات منزله. اختفى كل شيء. لم يستطع أن يتخيّل كيف يبدأ البحث عن والدته.

عبر النهر، تحت البقعة نفسها التي سيُقام عليها يوماً ما النصب التذكاري في هيروشيما، كانت شيجكو أوريمن أكثر حظاً من نينكاي. عثرت على ابنها شيجرو بعد أن عادت من الريف إلى مركز انفجار شعاعه خمسة مبانٍ سكنية.

Twitter: @alqareah

كانت وحيدة آنذاك. سيق ابنها إلى البحرية من المدرسة الثانوية، وأُخذ زوجها إلى الجيش بعمر الخمسين عاماً. في يوم بيكا - دون، كان شيجرو البالغ من العمر أحد عشر عاماً كل ما تبقّى لشيجكو.

في هيروشيما - كما هي الحال في كل أرجاء اليابان - لم تكن المدارس الثانوية مدارس آنذاك، واستعداداً للمعركة النهائية، مُدّد فصل الربيع إلى تموز وآب. بعد قصف كوبي، وأوساكا، وطوكيو، كان الجيش قد صادر منازل على طول صفوف مبانٍ سكنية كاملة في كل أنحاء هيروشيما، وجنّد طلاب المدارس الثانوية للمساعدة على تفكيك بيوت وإنشاء حواجز نار مؤقتة ونقل الأخشاب، ليستخدمها الجيش مجدداً.

في آخر صباح رأته فيه، كانت والدة شيجرو قد أعدّت له غداء من عجينة صويا وشعير، ممزوجة بملء ملعقتين صغيرتين من الأرزّ، ووضعتها في علبة صغيرة منقوش اسمه عليها.

قالت في آخر نصيحة لها بصفتها أمّاً: «شيجرو، إذا جاءت القاذفات، فاجثم على الأرض بأسرع ما تستطيع».

كان قد ردّ: «فهمت». ثم انطلق سعيداً على درّاجته الهوائية.

في المكان الذي توفي فيه، وببعد مسافة قصيرة فقط عبر أحد الجسور المدمّرة على كلا جانبي القبّة، وفي اتجاه مجرى النهر على طول الطريق النهري، بقيت عظام شيجرو وزملائه حيث سقطوا؛ أو، بدقّة أكبر، حيث دُفعت أجسادهم الصغيرة في الأرض.

اسودّت علبة غداء شيجرو، التي بقي اسمه عليها، وسُحقت. برزت إحدى زواياها من قفص صدري محطّم... أضلاع صغيرة. خلعت والدته الغطاء ووجدت الطعام في الداخل وقد تحول إلى فحم مسودّ، مثل لحم ابنها. ومثل كل مستحاثة، دلّ اللحم المتفحّم على قصة.

صرخت والدته للتاريخ: «آهٍ يا شيجرو! لقد مت قبل أن تستطيع تناول غدائك».

Twitter: @alqareah

10

إرثٌ: طيٌّ ألفِ لُقلُق ورقيّ

تغيّـر النـاس فـي دقائـق، إن لم يكن في ثـوانٍ. عندما أصبح الجو حالـكاً تحـت سـحابة يوراكامي الممتدة، أضحـت النيران مصدر الضوء الوحيد للطبيب بول ناغي. رأى زميلاً يرقص ويغني بصخب فوق مبنى السـكن الداخلي في المستشـفى. كانت ألسـنة اللهب قد التهمت نصف سـقف البناء آنذاك، وبينما كانت النار تسـتجمع قوتها وتتقدم ببطء نحو الرجل، تحوّل غناؤه إلى ضحكٍ عالٍ.

كان واضحاً أن الرجل بحاجة إلى إنقاذ، لكن الحرارة كانت تشتد بسـرعة، وأيُّ شـخص يجري إلى السـكن الداخلي ويحاول العثور على السلالم، فلن يجد طريقاً للخروج. لم يجرؤ بول ناغي، أو أي شخص آخـر رأى الراقـص، علـى الاندفاع نحـو الحريق؛ بدلاً من ذلك، ابتعدوا عنه. لم يستطيعوا أن يتقدموا حتى حين رقص الزميل الشاب - فقد عقله مـن الخـوف، أو الإنـكار، أو كليهما - في ألسـنة اللهب مباشـرة. أصبح غناؤه وضحكه صرخة طويلة استمرت نحو خمس عشرة ثانية، وتراجع ناغي خطوات عدّة أخرى إلى الوراء، مسرّعاً وتيرة انسحابه من المكان.

«أيها الطبيب... أيها الطبيب، ماذا يجب أن أفعل؟».

اصطـدم د. ناغـي فـي أثنـاء تراجعه بامـرأة، وكاد أن يوقعها أرضاً حيـن كانـت تتوسـل إليـه أن يعالج حـروق ابنها الصغير. عندما اسـتدار ناغـي ليواجـه الأم الشـابة، تراجـع إلى الخلف فـي اتجاه آخر، من دون أن ينبس ببنت شفة.

صرخت المرأة: «ساعدني».

لم يكن يبدو أنها تفهم أن طفلها فقد رأسه.

Twitter: @alqareah

تذكّر د. ناغي أن أولئك الذين نجوا من القنبلة الذرّية كانوا، عموماً، الأشخاص الذين تجاهلوا صرخات الآخرين أو بقوا بعيداً عن ألسنة اللهب، حتى عندما صرخ مرضى وزملاء من بينهم: «بدا أن أولئك الذين بقوا حيث كنا، وأولئك الذين لجأوا إلى التلال خلف المستشفى حين بدأت النيران تنتشر وتقترب منهم، قد بقوا أحياء. اختصاراً، كان أولئك الذين نجوا – إذا لم يكونوا محظوظين، فهم أنانيون لا يهتمون إلا بأنفسهم بدرجة أو أخرى – تحرّكهم الغريزة لا الحضارة. ونحن الذين نجونا نعرف ذلك».

لاحظ ناغي أن المباني يمكن ترميمها، وأن مركزي الانفجارين يمكن تغطيتهما بحدائق ونصب تذكارية، لكن زوّار المدينتين المعاد بناؤهما لن يفهموا أبداً أو حتى يدركوا أن هناك حطاماً روحياً. منذ صيف القنبلتين الأول ذاك، خمّن د. بول ناغي أن هذا الحطام الأسوأ من كل شيء آخر سينتقل مثل فيروس غير مرئي عبر أجيال عدّة، وأن أحداً ممن يتذكرون ما حدث لن يتعافى منه أبداً.

قال ناغي: «نحن الذين رأينا ما حدث ونجونا منه نعرف ما يمكن لقنبلة ذرّية أن تفعله. نحمل عميقاً في قلوبنا، كل واحدٍ منا، جروحاً مستعصية لا يمكن مداواتها. عندما نكون وحدنا، نفكّر فيها ملياً؛ وعندما نرى جيراننا، نتذكر مجدداً جروحنا، وجروحهم أيضاً».

شمالاً في هيروشيما، فهم د. هاشيا والسيد ساساكي مرثاة ناغي. قبل القنبلة، كانوا جيراناً وأصدقاء مقرّبين. وقد تمّ في حكايات الأسرتين عن كلا الرجلين ذِكرُ أن السيد ساساكي قام برحلاتٍ عدّة بين التلة وأرض الصفر في هيروشيما، ونقل الطعام إلى د. ناغي ومرضاه في مستشفى الاتصالات. وقد لاحظ ماساهيرو ابن السيد ساسكي أنه بعد أن تجاوز السادسة أو السابعة من عمره، وبالرغم من أن أسرته كانت تقطن دائماً قرب د. هاشيا، إلا أنه لا يتذكّر رؤيته مجدداً.

Twitter: @alqareah

كتب د. هاشيا في مذكراته: «عندما انهار منزله (شيجيو ساساكي)... كنت قد وصلت للتو إلى الشارع في رحلة من (حطام منزلي). لقيَت والدة السيد ساساكي حتفها، لكن باقي أفراد أسرته قد نجوا. لو أنني لم أُصب بجروح، لربما كان في مقدوري إنقاذ والدته؛ لأن منزلهم انهار عند قدميّ... هذه محنة لا تنتهي».

لم يكن يبدو مهماً، في ذهن هاشيا، أنه عندما خرج من بين جدران منزله المحطّم، كانت جروحه قاتلة تقريباً وفقد كل إحساس بالزمان والمكان وأضحى أحد المشاة - النمل في المدينة. وبأي معيار منطقي إن لم يكن عاطفي، يجب عليه ألا يلقي اللوم على نفسه؟! لم يكن أحدٌ ممن يعرفون جزءاً صغيراً من قصة هاشيا سيلومه على ما جرى. بالرغم من ذلك، كان كلما التقى د. هاشيا بالسيد ساساكي أو زوجته وولديهما في الشارع، كان يتذكّر جدّة ساداكو الصغيرة. كان ملاذه الوحيد من الذكرى هو الابتعاد عنهم وتفاديهم بصمت.

كان ذلك بالضبط ما عاناه د. ناغي من يوراكامي عندما قال إن القنبلة أحدثت «تصدّعات» أو «شروخاً» بين أفراد الأسر والجيران. وقد سجّل التاريخ أن السيد ساساكي لم ينطق كلمة عتب أو لوم بحق صديقه، وأن فكرة اللوم لم تخطر على باله أصلاً. وبالرغم من ذلك، اتسعت الفجوة بين الجارين. كان المحزن حقاً هو عدم وجود أساس لذلك اللّوم في المقام الأول، لكن الجرح بدا غير قابل للشفاء، وسيحمل د. هاشيا وزر ذنب لم يقترفه إلى قبره بهدوء. لم يعرف الطبيب الحقيقة قطّ. تفادى الخوض في الموضوع، ولم يسأل قطّ.

خلال الدقائق التي سبقت الساعة 8:15 صباحاً ولحظة الصفر من ذلك اليوم، كان ماساهيرو ساساكي قد ترك والدته وشقيقته الصغرى ساداكو جالستين إلى مائدة الإفطار، جرى إلى الحديقة الخلفية، حيث بدأ يلعب. رأى هناك طائرتين من الطائرات الثلاث. بعد عقد، عندما انكشف المزيد عن سير الأحداث في أثناء القصف وتسلسلها، أدرك

Twitter: @alqareah

ماساهيرو أنه نجا؛ لأنه لم يرَ رزم معدّات لويس ألفاريز تسقط من غريت أرتيست ومظلاتها تُفتح. لم يرَ إلا الطائرتين قبل أن تناديه والدته من الداخل. تلقى آخرون، كانوا قد شاهدوا المظلات من ذلك البعد نفسه بين جسر ميساسا وخط السكة الحديدية الرئيس، على بعد 1.9 كيلومتر، نحو 7 آر من موجة غاما ورذاذ نيترونات. على شعاع 1.2 ميلٍ، تكوّن 7 آر نحو 2 بالمئة فقط من جرعة إشعاع قاتلة، لكن في حدائق منزلية وفي شوارع حي ساساكي، أصاب شعاع الحرارة الناس بالعمى وحروق شديدة.

كما تبين، وبمحض المصادفة فقط، أنقذت ساداكو شقيقها من الوميض. لم تكن الصغيرة التي تبلغ من العمر عامين قد أنهت آخر ملعقتين أو ثلاث من عصيدة الأرزّ والسمك. لم ترغب السيدة ساساكي في ترك أي شيء يذهب سدى، فنادت ماساهيرو إلى الداخل لإنهاء إفطار شقيقته. في ما يخص ماساهيرو، كان الهامش الذي يفصل مناداة والدته إياه عن بيكا صغيراً على نحو مخيف. ظنّ أنه نجا من حروق الوميض والموت بفارق أقل من عشر ثوانٍ: «لقد حلّ بتلك السرعة – بيكا (الوميض) فقط، من دون دون (الدوي)».

لم يتذكر ماساهيرو أي أصوات، سواء أَمِنَ الانفجار أم من الطائرات التي سبقته. بدا الأمر مستحيلاً له، لكن بيكا وتحطّم عوارض خشبية قوية حدثا بصمت مطلق.

تذكرت ساداكو الوميض فقط، وتذكر ماساهيرو الخروج إلى عالم كانت فيه كل المنازل الأخرى قد دُمّرت أو سُوِّيت أرضاً. آنذاك، كانت أولى الديدان النارية تتكوّن. كبرت الديدان بسرعة مدهشة، وهربت الأسرة مسافة ثلاثة مبانٍ سكنية شرقاً إلى الواجهة المائية، الأفراد الأربعة جميعاً: ماساهيرو البالغ من العمر خمسة أعوام، والسيدة ساساكي مع الصغيرة ساداكو بين ذراعيها، وتتقدّمهم الجدّة.

بحلول الوقت الذي وصل فيه آل ساساكي إلى النهر، كان د.

Twitter: @alqareah

هاشيا قد خرج إلى الهواء الطلق من أنقاض منزله المحطّم في الوقت المناسب تماماً ليرى منزل ساساكي يميل ويطقطق نحوه ويسقط عند قدميه. كانت تلك بداية الفجوة الصامتة بين الصديقين، وأسئلة لم يتم طرحها، وشعوراً بالذنب بقي طي الكتمان. لم يستطع د. هاشيا أن يمحوَ من ذهنه صورة والدة شيجيو ساساكي عالقة داخل المنزل المنهار. ولم يستطع تحرير نفسه من احتمال أنه كان في مقدوره، بصفته طبيباً، تقديم يد العون إليها. ما لم يعرفه هاشيا قط أن والدة صديقه لم تكن في مكان قريب منه. في اللحظة التي سقط فيها المنزل، كانت حية وسليمة تماماً، وعلى بعد أكثر من 200 متر عند ضفّة النهر. كانت قد بقيت عند الواجهة المائية بضع دقائق على الأقل بعد أن مشى الطبيب مبتعداً وانضم إلى المشاة - النمل.

تذكر ماساهيرو ساساكي أنه حتى على ذلك البعد، جعلته أعاصير وموجات متعددة من النار يشعر أن وجهه تعرض لحروق شمسية. كان هناك رجال يحاولون تسيير قارب شبه مدمّر، محمّل بنساء وأطفال، ويدفعونه بأسرع ما يستطيعون نحو الماء.

نادى أحد الرجال، يشير إلى الناس أن يصعدوا على متن القارب في الحال: «أي شخص آخر؟». لم يكن أولئك الذين تجمّعوا قرب المركب بحاجة إلى مزيد من التشجيع للقفز إلى متنه والتجذيف مبتعدين عن المكان، لكن آثار القنبلة حيّرتهم. على بعد نحو خمسين متراً، وصلت دوّامة مائية إلى الشاطئ ودفعت أُسراً كاملة إلى الأرض. مزّقت الدوّامة ملابسهم، وتابعت طريقها على اليابسة، وألقت عشرات الأطنان من الماء، وتحوّلت إلى زوبعة عادية، ثم إلى دودة نارية.

ساعدت الجدّة كَنَّتها فوجيكو على الصعود إلى متن القارب ونقلت الولدين إليها، ثم نظرت حولها وتردّدت.

أمرتها: «اذهبي أنتِ. يجب أن أعود إلى المنزل».

صرخت فوجيكو: «لا يمكنكِ ذلك!».

Twitter: @alqareah

قالت الجدّة: «انظري حولكِ!». على كلتا ضفّتي النهر، وعلى امتداد بصر فوجيكو ساساكي عند النبع وأسفل مجرى النهر، كانت عاصفة نارية كاملة تحاول أن تتكوّن.

تابعت الجدّة: «كل الطعام في المدينة على وشك أن يحترق. لدينا علب أرزّ في منزلنا. ستحتاجين إليها للبقاء حيّة».

«لا. العودة خطرة جداً».

قالت الجدّة للرجال المسؤولين عن القارب: «اذهبوا إلى وسط النهر وانتظروني. جذّفوا عائدين والتقطوني حين أعود مع الطعام».

صاحت فوجيكو: «لا!»، لكن الرجال دفعوا القارب عبر الطين والرمل نحو المياه العميقة وقفزوا إلى متنه. ثم بعد نحو ثلاث دقائق من جري الجدّة تحت منصّة قطار وسلوكها أقرب طريق غرباً نحو المنزل، اتحدت زوابع من شراراتٍ وألسنة اللهب واقتفت أثرها.

تذكر ماساهيرو رؤية جدران ضخمة من نار تنبض بالحياة على كلتا ضفتي النهر. رأى أشخاصاً يحترقون في اتجاه المنزل. جرى العديد منهم إلى النهر، وكانوا لا يزالون يشتعلون لهباً. الغريب أنه عندما غطست ألسنة اللهب في الماء وبدا للفتى أن الناس أصبحوا أخيراً بأمان، توقف معظمهم عن الحركة.

لم تعد الجدّة من النار، وعرف ماساهيرو يقيناً أنه لن يراها مجدداً. في كل أرجاء المدينة، بُنيت خزّانات ماء فوق الأرض؛ لتستخدمها فرق إطفاء الأحياء على وجه الخصوص. بعد أيام، عندما عاد الناجون إلى طرف أرض الصفر، وجدوا داخل كل الخزّانات الإسمنتية جثتين أو ثلاثاً متفحّمة. كانت الجدّة من بين الأشخاص الذين لجأوا إلى الخزّانات. في النهاية، وفي أثناء الثواني الأخيرة من حياتهم، كان رجال قد أرشدوا نساءً وأطفالاً إلى ما كانوا يأملون أن تكون ملاجئ آمنة في أحواض الماء، وبقوا في الخارج حين هدّدت النيران التي تقترب منهم بغمر الجميع في بحيرة من ألسنة اللهب. حظي أولئك داخل الخزّانات – عادة

Twitter: @alqareah

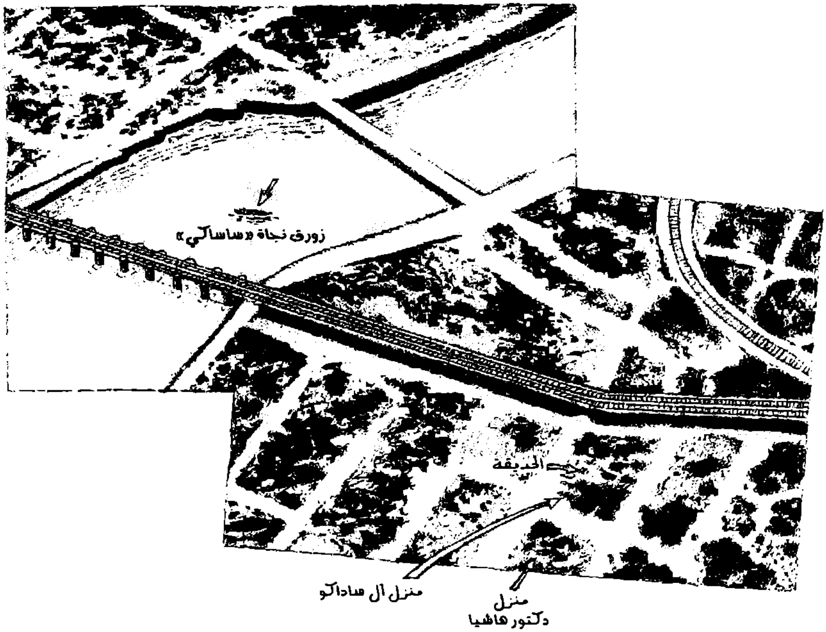

أطفـال يتمسّـكون ببعضهـم بعضـاً، أو نسـاء يحتضـنّ أطفالهن – بدقيقة إضافيـة ثمينـة مـن الحيـاة. لـم يعِـش أي منهـم مدة أطول مما يستطيع إبقـاء رأسـه تحـت الماء. عندمـا ظهروا على السـطح، احترقت عيونهم واستنشقوا ناراً إلى رئاتهم.

فـي القـارب، حاول الصغير ماسـاهيرو مسـاعدة الرجال في نضح المـاء. بـدأ النهـر يمتلـئ بالجثث، في كل مكان حولهـم، وظهرت أكثر من عشـرة آلاف منها في منطقة جسـر ميسـاسـا، وجنوباً في اتجاه جسـر «تي» والقبّة. سـرعان ما تعلّقت مجموعة من الناجين بجانبي المركب، في حين استمر أشخاص نصف متفحّمين بالجري أو الترنح نحو النهر والمـوت عنـد ضفّته، حتى أضحى السـطح مملوءاً بجثث طافية. أصبح الماء أحمرَ بسـبب دم الموتى والمحتضرين، حتى هطل المطر سـميكاً وأسود.

بحلـول الوقـت الـذي هطـل فيـه المطر علـى مزارع تبعـد ثلاثين

Twitter: @alqareah

كيلومتراً في اتجاه هبوب الريح، كانت أكثر من ساعة قد انقضت وأسوأ النظائر التي نجمت عن القنبلة تحللت حتى لم يعد لها وجود. حتى على مثل تلك المسافات الآمنة، تعرضت أبقار تناولت أعشاباً هطل المطر الأسود عليها إلى درجات متفاوتة من فقدان الوبر وإسهال شديد؛ كان قاتلاً أحياناً. بدا أن تأثير ذلك أشد في العجول.

كانت الجرعة التي تلقاها ساداكو وماساهيرو وكل شخص آخر في قارب النجاة أسوأ كثيراً.

في البداية، كان د. ناغي قد شعر باليأس من احتراق جامعته، وزوجته، ومستشفاه، وطلابه، وكل أبحاثه.

كتب في مذكّراته: «بأي حال، لم يستمر الشعور باليأس وقتاً طويلاً؛ لأنني وجدت هدفاً وأملاً جديداً؛ في مرض لم يظهر قطّ من قبل: مرض القنبلة الذرّية. كان يجب أن أسبر أغوار ذلك السر الجديد. عندما قرّرت ذلك، امتلأ قلبي الحزين والمكتئب بالأمل والشجاعة. ارتفعت روحي المعنوية بصفتي طبيباً. استعاد جسدي طاقته ونهضت من جديد».

بدأ د. ناغي وممرضاته السفر عشرين كيلومتراً في اليوم خارج مشارف مناطق النار والانفجار. قدّموا علباً من الدرّاق ونصيحة تبدو غريبة بعدم إبعاد اليرقات التي تعيش على جروح تعرّضت لغنغرينا. أصبح فريق ناغي معروفاً بنظرية مميزة مفادها أنّ دعم أنظمة مناعة الناجين الذين تعرّضوا للإشعاع بفيتامينات مأخوذة من الكبد (حتى من كبد جرذ)، وتزويدهم بكل المصادر المعروفة لفيتامينَي (سي) و(بي) يزيد احتمال شفاء المرضى.

في كل الضواحي، وحيث كانت الأمطار السوداء قد هطلت، أصبح ناغي مشهوراً باسم «طبيب الدودة، والكبد، والدرّاق».

تذكرت كايانو ابنة ناغي الصغيرة الوقت الذي وصل فيه والدها

Twitter: @alqareah

أول مرة من يوراكامي، وكان قد جلب معه علبة من الدرّاق حصل عليها من مخبأ مؤن بقي سليماً. بدا لكايانو متجهماً ومرهقاً جداً بالرغم من استعادته قوته على نحو غريب. كان رأس والدها معصوباً بضمادات؛ كلٍّ منها ملطّخة ببقع سوداء وحمراء تشير إلى درجات متفاوتة من جفاف الدم. بدا وجهه شاحباً ومتسخاً، لكن عينيه كانتا تلمعان.

دلّته كايانو وماكوتو على أماكن في الوادي حيث تلطّخت الأرض والنباتات ببقايا داكنة من المطر الزيتيّ الذي كان قد هطل في يوم بيكا-دون.

حذّر ابنتيه: «لا تمسّا تلك الأماكن التي كان المطر الداكن قد هطل عليها وجفّ». شعر بول ناغي، آنذاك، أن المطر من بيكا-دون سيئ.

تذكرت كايانو: «نعم، بدا والدي متجهماً تماماً. ثم أخرج علبة الدرّاق من سترته. لم يأكل منها بنفسه. احتفظ بها من أجلنا فقط».

في ملجأ على الطرف البعيد من أرض الصفر، كان السيد ياماغوشي قد بقي، في أفضل الحالات، شبه فاقد الوعي بعد أن عثر على زوجته وطفله. كانت قطع من أغصان صغيرة لا تزال مغروسة في جلده من انفجار هيروشيما، وحصاة دخلت ذراعه مثل رصاصة. وفي مكتب ميتسوبيشي في ناغازاكي، انسلخ جزء من جلد ذراعه واجتمعت على سطح العضلة المكشوفة عينات من كل الأنقاض التي كانت قد طافت في الغرفة.

كان لحم ياماغوشي موبوءاً على نحو سيئ بحلول الوقت الذي وصل فيه الطبيب المجهول، الذي طلب من هيساكو عدم نزع اليرقات عنه. ترك أيضاً علبة من الدرّاق وتكلم عن مصادر الفيتامين في التلال القريبة التي تغطّيها الأعشاب. لم يترك أفراد فريقه أسماءهم أو يقبلوا الشكر على ما فعلوه. وبالرغم من أن هيساكو لم تستطع قطّ تأكيد ذلك، إلا أن السيد ياماغوشي بقي يظن أن منقذه الغامض هو صديق كرة السلة القديم د. ناغي، أو الأشخاص الذين عملوا معه. لم يكن هناك

Twitter: @alqareah

مرشحون كُثر آخرون. لقي معظم الأطباء في المنطقة حتفهم، وكانت أدوية ناغي مميزة حقاً.

بحلول الوقت الذي كان فيه د. ناغي ونجّار المستشفى يُخرجان آخر صندوق من علب الدرّاق، بدأت شائعات ونظريات عن موت الأرض نفسها تنتشر في الأرجاء. بدأ الناس يصدّقون أن مخلوقاً لن ينمو وينجو في يوراكامي طوال خمس وسبعين سنة.

أخبر ناغي صديقه: «لم يبقَ لي وقت طويل»؛ مبيناً أن السرطان وحده (بالرغم من أنه توقف عن إزعاجه وكان شعره ينمو في حين أن شعر غيره استمر في التساقط) قصّر حياته بكل تأكيد. أعلن: «لقد قرّرت بناء مركز أبحاث علمية في الأنقاض، ووضع نفسي هناك كجرذ اختبار».

بحلول ذلك الوقت، وفي أعقاب عواصف أيلول، كان عدد الكريات البيضاء في دم د. أكيزوكي المسكين قد انخفضت إلى نصف المعدّل الطبيعي، وبدأ يعاني نزيفاً تحت الجلد. حتى في غمرة التحسّن بعد هطول المطر، استمرت المعاناة. انهار الأشخاص الذين عالجوا أكيزوكي بحمية من الكبد والدرّاق المعلّب من الحمّى الشديدة، في حين كان يستعيد قوته ويشعر أنه على ما يرام كفاية للقيام بجولات على المرضى مجدداً. أصبح د. أكيزوكي، الذي كان موضع عناية، يرعى الأشخاص الذين اعتنوا به. أخيراً، انهار ناغي من «الإرهاق الشديد»، وفقاً لتشخيصه حالته، لكنّ أكيزوكي ذكّره أن أي طبيب يمارس التشخيص الذاتي يخدع نفسه بصفته مريضاً وطبيباً في آن.

ظنّ أكيزوكي أن الإشعاع المتواصل قد تسبّب بانهيار ناغي الأخير، واستنتج أن كل من يعيش في التلال أو قريباً منها سيلقى المصير نفسه. بالرغم من أن أوراقاً جديدة كانت تنبت على أغصان الأشجار المحترقة، إلا أن أكيزوكي سجل في ملحوظاته أن ظهور اللون الأخضر «اللامع على نحو غير معتاد» تحت شمس الغروب والغيوم يبدو لديه نذير موت لا بشير حياة.

Twitter: @alqareah

لم يرَ د. ناغي الأمر بالطريقة نفسها. دلّ النمو الكثيف للنباتات، الذي تبع فيضانات أيلول وظهور الخنافس وفراشات الملفوف بين الأعشاب والأوراق أن نظرية الخمس والسبعين سنة كانت غير صحيحة، وأن التلال ستنبض بالحياة مجدداً، وبسرعة. بدأ يظنّ أن الجنس البشري إذا استطاع بطريقة ما تدمير نفسه تماماً، فإن الطبيعة ستغطّي كل أخطاء الحضارة في عقد أو اثنين فقط، وستنتشر غابات كاملة في الشوارع وبين الأنقاض.

بنى ناغي لنفسه كوخاً من حطام صفائح معدنية وقطع خشبية نقلها من المركز الطبي المدمّر، على بعد 600 متر من مركز الانفجار، ضمن بقايا أساسات منزله. كان المبنى المؤلف من غرفة واحدة يقع على بعد خطوات من بقعة الأرض نفسها التي وجد فيها مسبحة زوجته وقد ذابت حباتها الزجاجية.

لم يكن نزول التلة إلى منطقة «دوائر الموت متحدة المركز» كما دعاها د. أكيزوكي، وأن يصبح أول ساكن دائم في يوراكامي، مجرد استكشاف علمي للطبيب ناغي، وإنما اختبار قوّة أيضاً.

عندما كان طالباً يافعاً، استأجر ناغي مرة غرفة في منزل أسرة كان أفرادها ناشطين في الحركة النصرانية السرية في ناغازاكي منذ بدء حملة التطهير عام 1614 في أثناء عهد الشوغن توكوغاوا حتى إعدام القائد النصراني كيشيزو عام 1856. تزوج ناغي من ميدوري ابنة مالك الأرض الذي كان سليل كيشيزو. أقام كوخه بعد تلك الكارثة فوق المنزل الذي احتضن حركة النصرانيين السرية في يوراكامي ويطلُّ على الموقع الذي كان الشوغن توكوغاوا قد أمر بإعدام اليسوعيين فيه.

كان تأثير السيدة ناغي، وتأثير عقيدتها المتوارثة عبر أجيال والتي مفادها «أحبَّ جارك مثلما تحب نفسك»، قد جعلاه يمثل أمام محكمة عسكرية، بالطريقة نفسها التي عرّضته في ذلك الوقت لإشعاع مركز الانفجار. وبصفته طبيباً ملازماً في الجيش عمل في الصين المحتلة نحو

Twitter: @alqareah

ثلاث سنوات، وقدم العلاج إلى جنود الإمبراطورية، ثم إلى مدنيين صينيين، وأخيراً إلى جندي صيني جريح. قال في دفاعه: «عندما أقوم بتشخيص مرض، لا آخذ الجنسية في الحسبان».

كان لأحد قادته، بمحض المصادفة، أسلاف في يوراكامي، وإلا، فإن قصة ناغي كانت قد انتهت بالموت في الصين. بدلاً من ذلك، أُعيد إلى يوراكامي، حيث اكتشف أن ظروف الحرب السيئة قد جعلت كثيراً من السكان فقراء، لا يجدون ما يسدُّ رمقهم، وصحتهم تتدهور. عاد ما تعلّمه ناغي في الصين معه. أخبر فريقه: «عندما نقوم بتشخيصٍ ونقدم يد العون، يجب ألاّ نأخذ القدرة على الدفع في الحسبان».

لهذا، لم يكن مفاجئاً لأكيزوكي، أو لأيّ شخص آخر يعرف ناغي، أنه في أثناء الخريف الأول بعد القنبلة حوّل ناغي نفسه إلى جرذ مختبر، وانتقل إلى المنطقة المحظورة، وأطلق شعره مثل أينشتاين.

دعا كوخه نيوكودو؛ صومعة «نفسك».

عندما رفع سقفه وجعله منيعاً من المطر، كان النمل يعمل آنذاك؛ ينبش حصى صغيرة وقطعاً متفحّمة من العظام. انتشر النمل خمسين متراً في كل اتجاه.

في الأرض بين نيوكودو ومركز الانفجار، وعلى المسافة نفسها من نقطة الصفر، كان الجميع قد لقوا حتفهم إلا طفلان وامرأة، بدا أنهم احتموا جميعاً في أنفاق الوالي نيشيوكا.

بحلول تشرين الثاني 1945، حتى «عمّال أنفاق البلدة» كانوا قد هربوا من الدوائر الداخلية المحظورة لأرض الصفر. سجّل ناغي أن طبقة النباتات استمرت في الاتساع، وأنه انضم إلى الأعداد المتزايدة من الحشرات فئرانٌ، وأخيراً طيور. وقد تمّ في دفتر ملحوظاته أيضاً، توثيق حروق وميض على جذوع الأشجار ضمن مسافة 10 كيلومترات (نحو 6.4 أميالٍ)، وأضاف أنه خارج أرض الصفر كانت النباتات والأشجار التي تنمو على مسافة اثنين إلى سبعة كيلومترات «قد تعرّضت كلها

Twitter: @alqareah

للإشعاع في وقت الانفجار واحترقت فأصبحت حمراء أو بنية متغضّنة».

حتى السفوح المحمية من الوميض على التلال البعيدة لم تسلم. وذبلت كل الأوراق غير المحترقة التي تلطّخت بالمطر الأسود وماتت في الوادي الصغير، حيث كانت كايانو وماكوتو تعيشان آنذاك.

فحص د. ناغي مزارعَين كانا قد قطعا، على مسافة نحو 17 كيلومتراً (10 أميال)، حطباً ملطخاً بالمطر الأسود وحملاه على ظهريهما، بعد يوم من الانفجار. في اليوم التالي، شعرا بحكّة في ذراعيهما وكتفيهما وأُصيبا بطفح جلدي. نزَّ قيحٌ من لسعات البعوض وكان شفاؤها بطيئاً. كان عدد الكريات البيضاء في دمهما لا يزال فوق المعدل الطبيعي بعد شهرين، لكن بدا أن صحتهما تتحسن عموماً ببطء.

بدا واضحاً لناغي أن تأثير الإشعاع في الجسم البشري كان أكثر قسوة في البداية. مع انتهاء الخريف وحلول الشتاء، كتب: «نمت بنفسي في كوخ صغير تتدلى نوازل جليدية عن جدرانه وسقفه، والثلج يرشح منه. لم تكن لدي إلا بطانية رقيقة تحميني من البرد، وبالرغم من ذلك، لم أُصب بذات الرئة، أو حتى زكام. حتى إذا تعرّضت لجرح أو خدش (كما حدث عندما لدغني عنكبوت)، لم أكن أخشى العدوى أو نزّ قيح من الجروح».

عاجلاً، بدا أن تورّم وجه ناغي، وتأثيرات انتفاخ بطنه المؤلمة المرافقة للسرطان، قد اختفت تماماً. سرعان ما نقل علماء «مسح آثار القصف» اليابانيون والأميركيون، الذين زاروه صباح أحد الأيام، إلى رؤسائهم أن تأثيرات الإشعاع قد تبدّدت، وأنها في حالة واحدة على الأقل قد حسّنت صحة الناجي. مع انتشار دعابات عن الفوائد الصحية لتلقي لدغة عنكبوت تعرّض للإشعاع، اختارت لجنة مكارثر تجاهل استنتاج ناغي أنه لو كانت تلك توكسن في أريزونا، بدلاً من وادي نهر يوراكامي، لكان الغبار الإشعاعي قد علق في الهواء عقداً أو أكثر، ولم يكن إعصار ليغسله عن التلال ويلقي به في البحر.

Twitter: @alqareah

(كان ناغي قد نصح الجميع: «لا تأكلوا البطلينوس حتى وقت متأخر من السنة القادمة»).

لم يكن أحد في السلطة يبدو مستعداً للإصغاء إلا إلى ما يرغب في الاستماع إليه تحديداً. أصبح كل شيء آخر غير ذي صلة بالموضوع. وهكذا، على نحو محتّم، عند مقارنتها بدراسة فحص موقع القصف التي كشفت أن ديدان الأرض في يوراكامي تتطور على نحو طبيعي، أُسيء استخدام نتائج ناغي للتوصل إلى خلاصة سابقة أُخفيت في عباءة العلم: «لا يمكن تدمير مدينة برمتها باستخدام القنبلة الذرّية. إنها ليست رهيبة جداً. وإنما مجرد سلاح آخر له تأثيرات مادية أكبر من تلك التي سبقتها».

استشاط د. ناغي غضباً (في رسالة تتزامن مع الخلاصة التي توصلت إليها اللجنة): «تأثيرات مادية أكبر! هل يرغبون حقاً في جعل كل من جُرح أو قُتل في السقط الإشعاعي غير موجود ببساطة؟!».

من ناحية ناغي، كان لا يزال خائفاً جداً من التأثيرات الإشعاعية لتلك القنابل الجديدة. لكن بدا أنه وحده يفهم أن العلماء الأميركيين، والبريطانيين، واليابانيين الذين زاروا الأنقاض لم يفهموا أو يحاولوا أن يحقّقوا في «ما فعله هذا السلاح لقلب وضمير وعقل شخص نجا منه».

كان أكيزوكي صديق ناغي مثالاً على ذلك؛ كان رجلاً محترماً جداً انغمس مباشرة في حلقة من الندم والغضب. لم يكن في مقدور أكيزوكي مواجهة د. يوشيوكا، لأنه شعر بأنه مسؤول عن تعرّضها للانفجار. ومع اقتراب أول شتاء بعد القنبلة من منتصفه، بقي يتكلم عن الرغبة في تجويف رأس صيدلاني أميركي «بخيل» بمعول.

قال أكيزوكي في أثناء زيارة إلى نيوكودو: «إنهم يتجاهلوننا هنا! لم يسألونا عن احتياجاتنا، أو يرسلوا إلينا شيئاً».

رد ناغي: «يجب ألاّ نكره الناس الذين يبدو أنهم يتجاهلوننا أو يؤذوننا. لقد دعوت هذا المكان نيوكودو استناداً إلى مقولة: «أَحِبَّ

Twitter: @alqareah

الآخرين كما تحب نفسك».

«ذلك لا ينفع في مثل هذا الوقت».

أصرّ ناغي: «لكنه ينفع. ردّ الفعل بإلقاء اللوم على نفسك طبيعي تماماً. لكن يجب أن نفهم ونعلم، أكثر من أي إنسان آخر على الأرض، أن الرغبة في رد الصفعة لأي شخص تفكير غير سليم، ولا يمكن أن يؤدّي إلى أي شيء طيب. ألا تفهم أن قوة الذرّة كانت هبة، موجودة في الكون منذ البداية؟».

حاول ناغي أن يشرح أنه إذا استُعملت الهبة كما ينبغي، فسيحصل كل إنسان على مفتاح الكون؛ «مفتاح قد يفتح يوماً الأبواب إلى الكواكب، والنجوم خلفها». وبطريقة ما، يمكن تعديل هذا المفتاح نفسه بحيث يستطيع إغلاق بوابات الجحيم أيضاً.

سأل أكيزوكي وهو يتحرك نحو مركز الانفجار: «تدعو هذا هبة من الله؟!».

«لا أعني أن هذا الدمار هبة. ما حدث هنا رسالة أمل، وتحذير. كان، إذا جاز القول، إيحائياً».

قال أكيزوكي: «أظن أن عقلك يختل من العيش هنا في الأسفل».

ضحك ناغي في وجه صديقه، وشدّد: «ما حدث هنا... هو ببساطة ما حدث، وقضي الأمر. ويجب أن نمضي قدماً الآن ونتغلب على عادة الإشارة بالإصبع. يجب أن نتعلّم اتّباع الحضارةِ لا العادات، اتّباع الرحمةِ لا القبليةِ القديمة وقرعِ طبول الحرب. لماذا تظن أننا نجونا من ناغازاكي؟».

«لا أعرف. كنا محظوظين فقط، كما أظن. أو ربما غير محظوظين».

«الأخيرة بالضبط، كما أظن. ألم يخطر لك أن أولئك الذين قضوا نحبهم مباشرة أو ماتوا في أثناء تلك الأيام الأولى ربما كانوا هم المحظوظين؟ حتى إذا كان ما بعد الموت نوماً أبدياً من دون أحلام، ألم يتعذبوا أقل من أولئك الذين هم منّا وعاشوا ليحزنوا ويحملوا ندوب

Twitter: @alqareah

الناجين؟ فلكلٍّ منّا قدره».

«لأي هدف؟».

«أن نتعلّم، ونعلّم».

نظـر د. أكيزوكـي إلـى المكان الذي عُثر فيه على المسـبحة الذائبة وعظام ميدوري ناغي. كانت السيدة ناغي بالتأكيد من بين أولئك الذين قضوا نحبهم فوراً. هزّ أكيزوكي رأسه: «آسف يا صديقي، هذا قدرها».

«نحن قمنا بذلك فعلاً. سـمحنا جميعاً لمقولة: من يحيا بالسـيف يمت بالسيف أن تدخل من أذن وتخرج من أخرى. أخذنا أعظم معرفة يمكـن للعلـم أن يقدّمهـا، وصنعنا نحن البشـر الذيـن نفتقر إلى الحكمة سـفناً حربيـة، وطوربيـدات، وقنابـل ذرّيـة جديـدة. اللـه لـم يغيّر هبات الطبيعة ويفسدها، لكن نحن فعلنا ذلك».

هزّ أكيزوكي رأسه مجدداً، وأغلق باب ناغي خلفه وغادر، غاضباً ومحتاراً. أراد أن يلكم صديقه؛ لأنه اقترح أن قصف مدينته كان بطريقة ما أمراً مقدّراً من الله.

كتب د. ناغي أمنية تلك الليلة التي تمنّى فيها أن يسود أطول سلام استراتيجي عرفه العالم في تاريخه.

«انتهت الحرب النووية في ناغازاكي.

ناغازاكي هي النهاية.

السلام يبدأ من ناغازاكي».

لو أن سلسـلة سـوء حظ سـيارة بوك لم تضع انفجار أشـعة غاما في ناغازاكي على المسافة الصحيحة تماماً من د. ناغي، لربما لم يكن ليتخلّـص مـن السـرطان قـطّ، واختفى صوته عاجلاً مـن التاريخ. لو أن قنبلـة اليورانيـوم لـم تنفجر بأقل من نصف قوتهـا فقط، لكانت الجانب الخارجـي لأرض الصفـر فـي هيروشـيما قـد امتد إلى ما بعد تسـوتومو ياماغوشـي، وبدلاً من تعرّضه لجروح خطرة، كان سـيفنى من الوجود.

Twitter: @alqareah

كان آل ساساكي ود. هاشيا بعيدين المسافة نفسها مثل ياماغوشي عن مركز الانفجار، وكانوا سيتحولون أيضاً إلى ذكرى صامتة، تضيع في التاريخ.

تميّز ياماغوشي على نحو فريد بكونه تعرّض للقنبلة مرتين ونجا في كلتيهما وهو أمر غير محتمل لرقم يجب أن يخضع للتربيع أو التكعيب، لا أن يزداد ضعفين. لو أن غطاء السحب لم يتضافر مع نقص الوقود الشديد ويغيّرا معاً هدف سيارة بوك من مدينة ناغازاكي إلى المقاطعة قربها، لكان السيد ياماغوشي وُجد تحت القنبلة مباشرة.

كان انحراف غير محتمل في التاريخ قد أملى أن تتحول ساداكو ساساكي وجارها إلى شاهدين. أعاد انحراف آخر على ما يبدو تنظيم ساعة حياة د. ناغي. كانا انحرافان غير محتملين، الواحد تلو الآخر، قد جعلا ياماغوشي الناجي من القنبلة الأكثر إدهاشاً. لم يكن أحد آخر، ولا حتى الناجون مرتين الآخرون، قد تعرّض على نحو مباشر لتأثيرات الانفجار النووي مرتين.

تذكر ياماغوشي: «في 9 آب، ارتفع العمود الناري أطول من ذي قبل؛ كأنه يسخر مني ويستخفّ بي؛ لأنني ظننت أنني قد نجوت بحياتي من هيروشيما إلى ناغازاكي. شعرت أنه كان وحشاً حياً يطاردني».

اعتنت زوجة السيد ياماغوشي بجروحه نحو ثلاثة أيام من دون نوم، وكافحت لإبقائه حياً. في هيروشيما، اخترقت شظايا زجاجية جلده وعضلات إحدى ذراعيه بعد أن اندفعت في الهواء عبر حقل بطاطا من نوافذ مكتب على بعد أكثر من بناء سكني. وفي ناغازاكي، بعد ثلاثة أيام، طارت قطع من خشب الماهوغاني الصلب من أثاث مكتبيّ واخترقت الذراع المصابة نفسها، مثل سهام مسمومة. لم يكن هناك دواء في الملجأ، إلا مستحضر الجلد الذي كانت هيساكو قد جلبته معها في صباح التاسع من آب. وبالرغم من ذلك، بدا أن أفكار د. ناغي الغريبة عن اليرقات، والفاكهة، والكبد المطبوخ قليلاً تجدي نفعاً،

Twitter: @alqareah

بالرغم من أنه كان صعباً على هيساكو أن تسيطر على الدجاج. كانت تزعج باستمرار زوجها شبه فاقد الوعي، ويتذكّر أنه أفاق من وقت إلى آخر على صوت الطيور الجائعة.

حذّرت هيساكو: «أحسني التصرّف وإلا سيحصل زوجي على كبدك».

وبدا أنه في كل مرة أدارت هيساكو ظهرها للدجاج، استطاعت واحدة أو اثنتين التسلل من خلفها. كانت تذهب إلى السيد ياماغوشي مباشرة وتبدأ نقر اليرقات عن جروحه وتتناولها. نقرت إحداها عميقاً على ما يبدو، وامتدت يد خدرة نحوها كانت لا تزال تتمتع بقوة تكفي لكسر عنقها. حضّرت هيساكو من كبد الدجاجة عصيدة قوية جداً غنية بالحديد.

كان آل ياماغوشي يعيشون مع أربع أو خمس أسر أخرى، داخل النفق نفسه الذي كانت هيساكو تبنيه قرب مكاتب ميتسوبيشي، بموجب «مراسم الاستعداد للطوارئ» التي أقرّها الحاكم والوالي.

إضافة إلى تغذية الدجاج، كان الشيء الآخر الذي يتذكره السيد ياماغوشي هو الاستيقاظ في نفق مظلم بعد ظهر أحد الأيام على صوت أربعة وعشرين شخصاً ينتحبون. كانوا يستمعون إلى المذياع في 15 آب، وقد أعلن الإمبراطور الاستسلام آنذاك.

كان النفق نفسه الدليل الذي يحتاج إليه حقاً أي شخص ليعرف أن الذين يتولون زمام الأمور يدركون أن الحرب تتجه نحو معركتها النهائية. حتى قبل هيروشيما، كان ياماغوشي قد بدأ يتوقع سقوط اليابان، لهذا خلد إلى النوم، واستمر ينزف من أنفه وأمعائه.

في الأسبوع التالي، أُرسل جنود بموجب أوامر من نائب الحاكم لمساعدة الناجين من مكاتب ميتسوبيشي. بحلول ذلك الوقت، كان كل المهندسين الناجين الذين يعرفون أي شيء عن السفن أو الطائرات التي تعمل بقوة البخار، وعن الغوّاصات أو بناء ملاجئ ضد القنابل،

Twitter: @alqareah

محطَّ اهتمامٍ شديدٍ من قبل علماء الاحتلال الأميركيين ومهندسيه. جلب الجنود، التزاماً بنصيحة الأستاذ شيراب وممرضات د. ناغي، كميات كبيرة من المندرين وعلباً من الدرّاق.

كما كان ناغي قد توقّع، عندما بدأت هيساكو تغذّي زوجها بكميات كبيرة من الفاكهة، تحسّنت صحة ياماغوشي إلى حدّ أنه استطاع في الأسبوع الأول من أيلول العودة مع هيساكو وكاتسوتوشي إلى منزلهم شبه المدمّر، وبدأوا يفكّرون في إعادة الإعمار. بالرغم من ذلك، كان لا يزال بعيداً عن إجراء إصلاحات كبيرة فيه. حتى إذا لم يكن المنزل قد تصدّع واحترق نتيجة بيكا (قالت هيساكو: «آه، ذلك سيئ»)، فإن ياماغوشي لم يكن يستطيع إنجاز تلك المهمة. وبالرغم من أن العناية الإلهية جعلت ريحاً عاصفة تطفئ ألسنة اللهب (قالت هيساكو: «آه، ذلك جيد»)، إلا أن ذلك أيضاً ترك السيد ياماغوشي ذاهلاً؛ لأن تلك الريح نفسها التي أخمدت النيران لم تدمّر منزله وتقتلعه من أساساته («آه، ذلك مريع...»)، ولم يكن يشعر بأنه يستطيع العمل بالرغم من أن إصلاح السقف كان محض مشكلة هندسية.

وقد ذكر قائلاً في ما بعد: «كنت قادراً جسدياً، وأمتلك المعرفة الأساسية اللازمة للقيام بذلك؛ لكن آنذاك، من الناحية النفسية، لم أكن إنساناً بعد. تجولت في الأرجاء، يوماً بعد آخر، مثل آلة لا مثل زوج أو أب على الإطلاق».

عندما هبّت أعاصير أيلول، اختبأ وهيساكو تحت مظلتين في المنزل. ضحكت هيساكو، لكن ياماغوشي لم يفعل؛ لم يستطع. بدأ يفكّر أن القنبلتين قد أنهتا روحه، إن لم تكن حياته. ثم بدأ يفكر في مصير الأب سيمشو في يوراكامي، الذي كان قد غادر قبل القنبلة إلى مكان يدعى أوشفيتز (مركز اعتقال في بولندا).

كان سيمشو واعظاً جاء مع اليسوعيين من فرنسا وساعد الأرامل والأطفال اليتامى، ونظّم - كلما كان ذلك ممكناً - عمليات إجهاض.

Twitter: @alqareah

بحلول عام 1942، بدأ سيمشو والمبشرون الفرنسيون الآخرون يثيرون شكوك الجيش (الذي خامره شك في أن كنيستهم مزيّنة بشرائط، ومثلثات، ودوائر «جمعية سرّية»). اتُّهموا في نهاية المطاف بأنهم جواسيس.

قال ياماغوشي: «لم يُتهموا فقط». استفسر عمّا حدث لسيمشو في أوشفيتز وسمع أن رجلاً في معسكر الاعتقال اتُّهم بسرقة الطعام وادّخاره. كان الرجل إما سيُشنق بسلك بيانو ليكون عبرة للآخرين أو «سيُرسل إلى الغاز».

أخبر ياماغوشي لاحقاً كل من يرغب في الاستماع: «اتخذ الأب سيمشو قراراً جديراً بالاهتمام. تحمّل في الواقع وزر الرجل الذي اتهمه الألمان بسرقة أرغفة خبز منهم. كان للرجل المتهم أسرة في مكان ما خارج أسوار السجن، ولم تكن لسيمشو أسرة، لهذا اعترف بسرقة لم يقترفها، حتى يتمكّن أولادٌ من استعادة والدهم».

مع إبقاء سيمشو في ذهنه، أخبر ياماغوشي زوجته بالقرار الذي توصل إليه في نهاية المطاف: «إذا انتهت حياتي في 6 أو 9 آب، فربما يجب أن أعدّ أن كل ما حظيت به بعد ذلك هو حياتي الثانية».

بدا أن قوس القزح الأبيض الذي ظهر فوق ناغازاكي في أيلول قد جعل ياماغوشي يعقد العزم نهائياً. تساءل: ما العبرة في المثال الذي قدّمه سيمشو، إذا لم يتذكر الشخص المبشّر ويواصل ما بدأه، ويُخرج أفعال بَشَرٍ طيبين من ذاكرته، على أمل أن تنتشر مثل مويجات في بركة؟ موجات مضادة، ربما، ضد دوائر موت د. أكيزوكي متحدة المركز.

ابتعد السيد ياماغوشي في نهاية المطاف عن الهندسة، وخاصة آلات الحرب. وكما رأى الأمر، لم تمنحه حياته الثانية إلا خياراً واحداً فقط: أن يعدّ نفسه ضحيةً وينشر الكراهية، أو يعدّ نفسه ناجياً، يمشي على درب الأب سيمشو، ويعامل الآخرين بإنسانية.

وهكذا قرّر ياماغوشي أن يكرّس حياته لأطفال ناغازاكي. أصبح

Twitter: @alqareah

نجّاراً، ثم بعد المساعدة في إعادة بناء مدارس على طول نهر يوراكامي، دخل الأبنية وأصبح مدرّساً في الثانويات.

تذكّرت ميساكو كاتاني، التلميذة التي رأت الجياد النارية في هيروشيما وستتذكّر إلى الأبد أن الجياد يمكن أن تصرخ، أن والدها أخبرها أن عليهم الهروب من المدينة. كان قد قال: «الشكر لله أن لدينا أقارب في ناغازاكي. سنكون بأمان هناك».

قالت كاتاني لمؤرخين في ما بعد: «واضحٌ أن أحد المعاني الغامضة لكلمة أمان ليست موجودة في أي معجم في اللغة اليابانية، أو في أي لغة أخرى».

كانت قد غادرت مع والدها هيروشيما على متن القطار نفسه الذي أقلّ تسوتومو ياماغوشي، وكان أقارب كاتاني يعيشون في الواقع في منطقة ميتسوبيشي نفسها التي يقطن فيها السيد ياماغوشي، وبعيدين المسافة ذاتها عن مركز انفجار يوراكامي.

لقد بقي المنزل سليماً على نحو غريب. بعد ذلك، قرّر الأب أن القنبلة قد أخطأت وسط ناغازاكي وسقطت في مكان أبعد باتجاه منبع النهر، وأن أحداً قد يأتي لإنهاء المهمة، ولهذا كانت هيروشيما – التي مُحي معظمها عن سطح الأرض – مكاناً أكثر أمناً بالمحصلة.

شقا طريقهما ببطء شمالاً، ووصلا قبل إعصار 17 أيلول، ونجا بشقّ الأنفس من الموت مرة ثالثة. لم يكن مسافر آخر هو الأستاذ ماشيتا من ناغازاكي محظوظاً بالقدر نفسه. بعد أن نجا من يوراكامي، أسند إليه العالمان نيشينا وساغين مهمة مراقبة الإشعاع في مركز انفجار هيروشيما. اقتلع الإعصار كوخه ودمّر معدّاته. وعندما حاول ماشيتا حماية نفسه من المطر المنهمر خلف جدران قبّة هيروشيما، سقطت قطعة آجر عليه فقتلته.

كتب د. أكيزوكي بعد أن سمع بوفاة صديقه ماشيتا: «يبدو أن

Twitter: @alqareah

الحياة لا تساوي أكثر من ورقة أو قشّة في مهبّ الريح. لقد عانينا بالتأكيد كفاية حتى الآن. لم نعد نحتمل المزيد».

لكن التاريخ لم يكن عادلاً مع الناجين. كان منزل كاتاني يقع بين جسر ميساسا والقبّة. حتى بعد أن رأى والدها أن النيران قد حوّلت الحي كله إلى أنقاض وفحم، استطاع إقناع نفسه أن والدة كاتاني وشقيقتها الصغرى «مفقودتين» فقط. كان هناك شيء مُعدٍ على نحو مدهش بشأن فكرة «الضياع». وبالرغم من أن كل شيء بدا مدمراً، إلا أن كاتاني تبنّت تلك الفكرة أيضاً.

مشت كاتاني في طريق مألوف وعرفت موقعَ منزلها، فصرخت: «أمي، إنها أنا!».

ذكرت كاتاني قائلة: «لكن صوتي لم يكن يصل إليها. نظر والدي إلى ما يحيط بنا وقال إن والدتي ربما تحمل شقيقتي الصغرى تامي، وأنهما تحت المنزل؛ وبالرغم من ذلك، عدّهما الأب مفقودتين فقط. رفعتُ الرماد والأنقاض من منطقة مساحتها متراً مربعاً... وكانت هناك بقايا من لحم مسودّ. رأيت دبّوس الشعر المزخرف الذي تضعه والدتي دائماً؛ ذلك ما لفت انتباهي في البداية. صرخت: أمي!، ثم نخلتُ على نحو مسعور البقايا. وتحتها كانت شقيقتي الصغرى تحميها والدتي. قَبِل والدي على الأقل آنذاك أن زوجته وطفلته لم تكونا مفقودتين وأنه خسرهما إلى الأبد».

بعد ذلك، بدأ والد كاتاني يحتضر.

وقبل انقضاء سنة، ظهرت معتقدات جديدة بشأن التعرّض للإشعاع ومرض القنبلة الذرّية - وفي ما يتعلق بالزواج، أصبح الأشخاص الذين تعرّضوا للقنبلة في أي من المدينتين (فضلاً على التعرض للإشعاع في كلتيهما) منبوذين.

قرّرت كاتاني إبقاء فمها مغلقاً، وحملت بداخلها سر تعرّضها للقنبلة الذرّية مرتين. اتخذت قراراً خاصاً آخر أن تعدّ تميّزها الخاص

Twitter: @alqareah

بنجاتها مرتين رمز حظٍّ طيبٍ غير محتمل، لا إشارةً على حياةٍ مليئة بالنحس.

بعد نجاتها في مكان قضى فيه كثيرون آخرون نحبهم في كل اتجاه، سألت كاتاني نفسها: «كيف يمكن أن يحدث أي شيء سيئ؟».

ابتعدت كاتاني عن الأنقاض، وذهبت إلى المدرسة حيث استطاعت في نهاية المطاف أن تُحب، وتتزوج، وتتابع دراستها. سيولد كل من أطفالها الثلاثة ميتاً، وميتاً، وميتاً.

عندما استقر في مكانه وبقي حياً، لحق بناغي روّاد آخرون إلى مركز الانفجار؛ والذين بدأوا، مع تحوّل شتاء 1945-1946 إلى ربيع 1946، بناء مدينة أكواخ في الأنقاض، وحوّلوا في نهاية المطاف مجرى نهر عبر قنوات مؤقتة، ونصبوا عمود إنارة شارع هنا وهناك، في حين قام ناغي بتحويل أحد جدران صومعته إلى أول مكتبة محلية.

مع انتشار أزهار الربيع والبرسيم البرّي في الأرض، وتخفيف الصقور الأولى من أعداد الفئران التي عادت إلى المنطقة، شعر د. ناغي بآلام حادّة في أسفل عموده الفقري وطحاله. لم يكن يحتاج د. أكيزوكي إلى من يخبره أن تعافيه كان مؤقتاً فقط. مع عودة الحياة إلى الأرض بين نيوكودو ومركز الانفجار، عادت أعراض السرطان للظهور أيضاً.

عرض جيران ناغي الجدد بناء غرف إضافية في صومعته، لكنه أخبرهم أنه يودّ أن يعيش حياة بسيطة، وأن غرفة واحدة لها جدار يضم نوافذ، وجدار مقابلٌ يضم كتبه هي كل ما يحتاج إليه.

زاره قسٌّ أميركي، وعرض عليه موادّ بناء ونجّارين، لكن ناغي قدّم إليه شاياً وقال إنه لا يحتاج إلى شيء آخر. بعد أيام، زاره أسقف، وبعده تماماً متسول؛ رحّب ناغي بكليهما، على حدٍّ سواء، في «قصره». وصل في ما بعد اثنان من طلاب ناغي السابقين، وقد أصبحا جنديين في المحيط الهادئ، انضما إليهم وتكلما بفخر عن حلمها بالنهوض

Twitter: @alqareah

يوماً ما من أنقاض يوراكامي مع سيف في يد كل منهما.

قال ناغي لهم جميعاً: «لو أنكم كنتم هنا في ذلك اليوم وتلك الساعة، ولو رأيتم الجحيم التي صبّت حممها على الأرض أمام أعيننا، وإن كانت مجرد لمحة، لما استسغتم قطّ الفكرة المجنونة بشن حرب أخرى. إذا اندلعت حرب أخرى، فقد تنفجر قنابل ذرّية في كل مكان، ولن تكون هناك أغانٍ جميلة عن الأرض البعيدة (من كواكب أخرى)... لا قصائدَ، أو لوحاتٍ، أو موسيقى، أو أدباً، أو أبحاثاً؛ موتٌ فقط».

بعد أن غسلت أمطار الربيع مركز الانفجار وانتشرت الأزهار البرّية على الأرض وعادت الطيور المغرّدة بأعداد كبيرة، جلب د. ناغي ابنتيه إلى نيوكودو.

استيقظ د. ناغي في صباح أحد الأيام على صوت كايانو البالغة من العمر خمسة أعوام تتحدث إلى نفسها في الساحة. خرج د. ناغي ليجدها تلهو مع دُماها، وتلعب لعبة تقديم الشاي نفسها التي اعتادت أن تمارسها مع صديقاتها من الحي ذاته. كان أمامها رأس دمية، وبعض القوارير الزجاجية، وأطباق، وقطعة من مرآة مكسورة، على طاولة من صخرة محترقة. قدّمت كايانو شاياً خيالياً وتحدّثت إلى صديقات متخيّلات. كانت كل صديقاتها الحقيقيات قد قضين نحبهنّ.

في هيروشيما، كانت القطارات تسير وفقاً للجدول المعتاد مجدداً، وخطوط كهربائية تزوّد مستشفى اتصالات د. هاشيا بالطاقة آنذاك. بالرغم من أن معظم الجسور كانت ملتوية ومحطّمة ولا يعبر عليها إلا أشخاص يتمتعون بتوازن جيد جيداً، إلا أن الطرقات الرئيسة نُظّفت من الأنقاض، ومع توافر البنزين ببطء، امتلأت الشوارع مجدداً بأول حركة سير شوهدت منذ أكثر من سنتين.

كان اللاجئون أيضاً - وبعدد لا يُحصى - يعودون إلى المدينة ويملأون الشوارع. تاقت هيروكو ناكاموتو وخالتها إلى العودة إلى المدينة الهادئة في ما مضى. بالرغم من أن هيروكو كانت تعرف أنها

Twitter: @alqareah

لـن تكـون مجـدداً المدينـة بين الأنهار الهادئة التـي أحبّتها في طفولتها، إلا أنها لم تكن مسـتعدة لهيروشـيما الجديدة، والأهمية الحقيقية لنهاية الطفولة.

كتبت هيروكو: «جاء صينيون، وكوريون، وآلاف التجّار من الخارج لكسب ما يمكن الحصول عليه. لم تكن هناك ضوابط. اندفع الخارجون علـى القانـون إلـى المنطقة للاسـتفادة من الفوضى. دُمّرت تسـجيلات، وخرائط، ووثائق ملكية عقارية. لم يكن هناك ما يوثّق الحقوق».

كانت هيروكو تعرف جيداً أنه لن يكون هناك شـيء إلا الأنقاض فـي موقـع منـزل أسـرتها. توقعـت اختفاء الأشـجار، ولـم تتفاجـأ برؤية الأنهار والقنوات الصغيرة، الصافية سابقاً، وقد امتلأت أنقاضاً، وعظاماً، وقاذورات. ما لم تكن تتوقع رؤيته هو شوارع حيّها المألوفة سابقاً وقد اصطفـت علـى جانبيهـا أكواخ بدائيـة يقطنها أشـخاص وجوههم غريبة وقاسـية. عكّـر ليالـيَ الطفولة الهادئة آنذاك ضحكاتُ «فتيات الشـوارع» وصرخات الأيتام الصاخبة، ومن بينهم أولئك الذين حذوا حذو كيجي ناكازاوا في ضمّ آخرين (أو انضمامهم هم أنفسـهم) إلى أسـرٍ كأشـقاء بديلين. لاحظت هيروكو: «لم يعد هناك هدوء، أو سكون. كانت سكينة هيروشيما قد دُمّرت مثل أبنيتها تماماً».

أصبـح المستشـفى المؤقت، حيـث رأت مينامي اليراعات الزرقاء، مدرسةً مجدداً، يذهب إليها الجنرال وأخوه الصغير المتمرد ريوتا. كانت الكهرباء قد وصلت المدرسة، لكن معظم الجدران يكسوها العفن، وفي كل مرة يتحوّل فيها الطقس إلى الأسوأ، يتعرض الأطفال إلى عواصف مطرية داخل صفوفهم. كان العثور على كل الشقوق في السقف المبني من فولاذ وإسمنت وإغلاقها مشكلة استعصت على العاملين. عند نشوء موجـات الصدمـة، كانـت أرضيات برمّتها قد تحرّكـت وتموّجت – مثل أمواج في البحر – قبل أن تثبت فجأة.

كانت مدينة الأكواخ خارج المدرسة، التي تتلقى العون من مورّدي

Twitter: @alqareah

الحكومة المعيّنة، مريحة أكثر من المدرسة قليلاً، لكنها تتمتع بميزات عديدة مقارنة بالسكن المؤقت قرب مستشفى الاتصالات، الذي بُني على أرض لا تزال تغطيها عظام جنود قلعة هيروشيما.

بدلاً من الجماجم، كان يوجد في الحي حول المدرسة بزّاقات. بذل الفتى الذي دعا نفسه الجنرال قصارى جهده للقضاء عليها، لكنها كانت تتوالد بأعداد غير مسبوقة منذ القنبلة. تكدّست في كتل حيّة حول أساسات الجدران، وقوائم الطاولات، وعلى أطراف حُصر النوم. تسلّى ريوتا بالتقاطها عن الأرض باستخدام عيدان وإلقائها في علبة مليئة بملح. فضّل الجنرال قتلها باستعمال جمرات ساخنة من الموقد. انتاب الأم شعور تقشعرّ له الأبدان من حرب الفتى التي لا تنتهي ضد البزّاقات.

كلما كانت عروة أخوية تبدأ تتطوّر بين الجنرال وريوتا، كانت القنبلة تحطّم الأساسات التي تكوّنت عليها التصدّعات غير المرئية التي وصفها د. ناغي.

كانت نفسيّة الجنرال محطّمة بحلول الوقت الذي وجد فيه ووالدته ريوتا وأيتاماً آخرين بحاجة إلى أسرة واتخذ قراراً بمساعدة واحدٍ منهم على الأقل. وبالرغم من أن أحداً لم يكن يتحمل اللوم في الواقع، إلا أن الشبه الكبير بين ريوتا وشقيق الجنرال المفقود سبّب ارتباكاً كبيراً، حتى إن ريوتا شعر بأنه محبوب فقط؛ لأنه بديل مزيف مناسب لسنجي.

لم يكن الضغط أكثر إيلاماً من بعد ظهيرة أحد الأيام حين أخطأ جارٌ كان قد أنقذ والدة الجنرال من النيران في 6 آب وظنّ أن ريوتا هو سنجي، بالرغم من أنه كان واثقاً أنه قد رأى سنجي يموت.

غاضباً، بدأ ريوتا يسخر من الجار ويدعوه الكوري الغبي.

غاضباً أكثر من ريوتا، قال الجنرال: «هل نسيت ما كان والدنا قد علّمنا إياه؟ أن الجنرالات والحكومة تحاول تسويق أفكارها بنشر أكاذيب عن الكوريين والصينيين، وأن ذلك يجب ألا يخدعنا أبداً؟ لهذا،

Twitter: @alqareah

لماذا تسخر من الكوريين يا سنجي؟».

«أنا لست سنجي!».

«تقول إنك لست هو، لكنني أعرف أنك نجوت».

صرخ ريوتا: «أيها المعتوه الضالّ»، وهرب بعيداً. بقي متوارياً عن الأنظار أياماً عدّة يعيش بين الأولاد المتشردين الآخرين وعاد جائعاً ومتسخاً ويشعر بالأسى، ويثق بأن الجنرال لن يحبّه بصفته أخاً متبنّى، بل مجرد بديل مؤقت.

في سنوات تالية، سرد الجنرال حكاية ريوتا بثلاث نهايات مختلفة على الأقل، تراوح بين كيف انتهى الأمر لديهم وبين كيف كان يتمنّى أن ينتهي. برزت في كل نهاية فجوة بين أخّين استمرت حتى تدخّل مرض القنبلة الذرّية، ولم يعد هناك متسع من الوقت.

في كل مكان حول نيوكودو وعلى طول الدرب المؤدي إلى مركز الانفجار كانت براعم خضراء نضرة قد استمرت في الظهور على أشجار محترقة ومحطّمة بدا أنها ميتة.

أكّد ناغي لأكيزوكي: «مثال آخر على أن هذه، في نهاية المطاف، أرض رائعة».

فكرة رائعة، كما خمّن أكيزوكي، إذا استطاع المرء تجاهل الوحوش. في إحدى زوايا حديقة د. ناغي، كانت أزهار أقحوان قد تفتّحت وتويجاتها مرتّبة في وسط الزهرة، ورؤوس مركزية عدة تحيط بالبتلات. وعلى جدار محترق، أزهر نبات لبلاب باهت من دون يخضور؛ نبات متسلّق كانت بذوره تنتشر حتى طوكيو.

لم يكن د. أكيزوكي يهتم كثيراً آنذاك بسلامة البيئة المحيطة مثل اهتمامه بصحة ناغي. كان عدد الكريات البيضاء في دمه قد وصل إلى أكثر من أربعة أضعاف المعدل الطبيعي ويمثّل «انقساماً متعدداً»؛ يعني وجود سرطان.

بناءً على طلب أكيزوكي، نُقل مجهر إلى نيوكودو؛ حتى يستطيع

Twitter: @alqareah

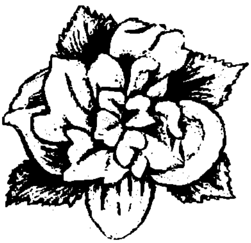

مشوهة

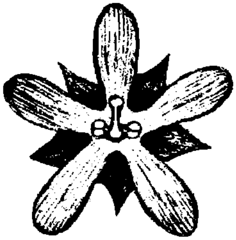

مشوهة

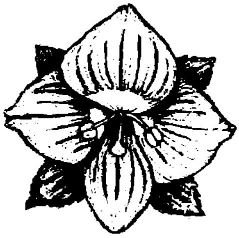

طبيعية

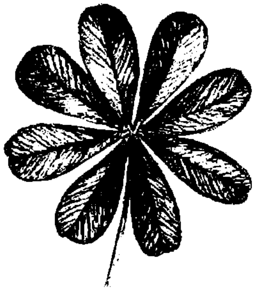

مشوهة

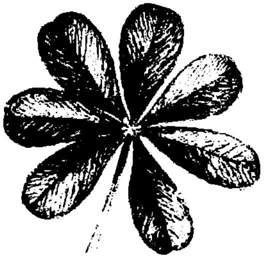

مشوهة

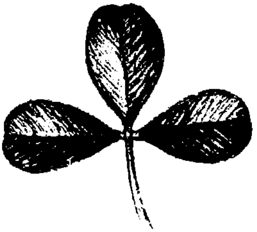

طبيعية

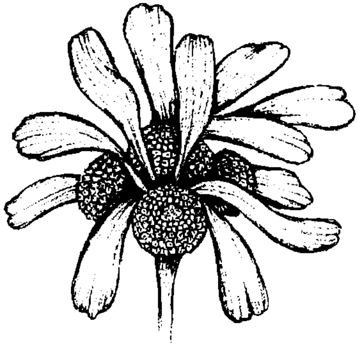

مشوهة

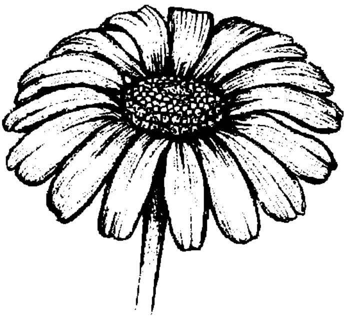

طبيعية

لاحظ د. ناغي ووثّق تحوّلات غير معتادة في نباتات تنمو قرب مركز انفجار يوراكامي، وأكثرها بروزاً بين أزهار الشيح الفارسي (في الأعلى)، تليها اختلافات جديدة غريبة في الأقحوان (في الأسفل). باتريشا واين...

Twitter: @alqareah

ناغي دراسة حالة نباتات أرض الصفر في منزله. مع مكوثه في السرير على نحو متزايد، بدأ بالفعل يكتب بشكل أسرع؛ وإضافة إلى ملء دفاتر مذكّرات بملحوظات بيولوجية، كتب أول ثلاثة عشر مؤلّفاً بعنوان **أجراس ناغازاكي** الذي خطّه بين أيار وتموز 1946.

مستعيداً ذكرى نقاش مثير للجدل مع أكيزوكي، قرأ ناغي لصديقه مقطعاً من الفصل الأخير: «خُفِيَ في الكون سيفٌ ثمينٌ. أولاً، عرف البشر بوجود هذا الكنز المرعب، ثم بدأوا البحث عنه، وأخيراً أمسكنا به بأيدينا. ما نوع الرقصة التي سنؤديها نحن البشر حين نلوّح مهدّدين بهذا السيف ذي الحدّين؟».

هزّ أكيزوكي رأسه ببطء، وقال بحدّة: «ليس هناك سيف مزروع في الكون...».

«لا تفهم القصد. هذا هو مفتاح الكون بالنسبة إلينا، أو سقوط حضارتنا، إذا لم يكن فناؤنا. ماذا سيكون في رأيك؟».

قال أكيزوكي: «لا تمعن التفكير في الأمر. يجب أن تحافظ على قوتك».

«آه! أظن أن الله سيجعلني أعيش أطول مما تتوقع. يعرف كلانا أنني يجب أن أكتب كثيراً إذا كنت أريد اجتياز امتحان الدخول».

بحلول الذكرى الأولى للقصف، كان عدد كريات دم ناغي المصابة باللوكيميا قد تضاعف مرة أخرى عن المعدّل الذي كانت عليه في تموز. من ناحية إحصائية، كان سيصبح على الأرجح في عداد الأموات في أقل من سنة.

بعد خمسة شهور، كان كتابه الثاني قد انتهى وخرج الأول من المطبعة. وبعد عشرة شهور أخرى - بعد أكثر من ثلاثة شهور من توقّع أكيزوكي أن يستكشف ناغي ما يحدث (أو لا يحدث) لوجود المرء الواعي بعد الموت - بدأ المعجبون بكتابه الأول يزورونه، من دون سابق إنذار، ومن بينهم هيلين كيلر، وهي كاتبة أميركية كفيفة.

Twitter: @alqareah

كتب ناغي في يوميّاته: «جاءت نحوي، يدها تبحث في الهواء عن يدي. أخيراً تلاقت أصابعنا وأمسكنا يدي بعضنا بعضاً. في لحظة، شعرت بدفء حبها يسري في أطرافي كما تسري الكهرباء في دارة مغلقة».

شرحت هيلين كيلر مستعينة بمترجم أنها لا تستطيع رؤية ما كان السلاح قد فعله بيوراكامي، لكن بعد مرور أكثر من سنة على ذلك، كان في مقدورها أن تشم الرائحة.

قال ناغي: «لا أستطيع شمّ ذلك. لكن أحياناً في أوقات متأخرة من الليل أشعر به. العبرة التي اكتسبتها من هذا المكان هي أن الشخص الذي يتمنّى السلام لا يُخفي إبرة على أنها سلاح. عندما تكون في حالة دفاع عن النفس، وإذا كان لديك سلاح، يمكنك إطلاق النار - ربما - لكن لا يمكنك أن تتضرّع للسلام».

تمنّى أكيزوكي أن يتوقف ناغي عن التكلم بتلك الطريقة ويعود ببساطة كمريض إلى المستشفى الذي كان قد زُوّد بتجهيزات جديدة ويُعاد بناؤه آنذاك. «يصبح نيوكودو خاصتك مقصداً سياحياً أكثر منه منزلاً أو غرفة مرض مناسبة، والزوّار يستنفدون كثيراً من طاقتك».

كان كتابه يجذب بالفعل زواراً كثراً: مرضى كانوا قد فقدوا أولادهم ويرغبون في الثأر... ممثل من الفاتيكان أراد رسالة سلام، وثلاثة رهبان من التيبت يسعون إلى الهدف نفسه. وأيضاً، رجلان مهذّبان من مؤسسة أميركية جديدة تدعى مصلحة ضريبة الدخل.

سألاه: «ما الذي فعلته في ما يتعلق بدفع ضريبة مبيعات كتابك؟».

سأل ناغي: «ضرائب؟ لا أحتاج إلا إلى هذه الغرفة كما تريان. كنت قد منحت كل شيء آخر - وفي ذلك المال من كتاباتي - لأيتام هذه المدينة».

«لكن ليس مسموحاً لك فعل ذلك قبل أن تسدّد ضرائبك».

قدّم ناغي إليهما شاياً وقال: «كان رجال أكثر حكمة مني قد وعظوا

Twitter: @alqareah

دائماً أن الصدقة حجر زاوية الإيمان. أخبرونا أنه إذا تبنّى أحدنا أيتاماً في قلبه، فسيكون أباً لعدد من الأطفال».

سأل أحد رجلي الضرائب: «من قال ذلك؟».

«المسيح عليه السلام، كمثال عنهم».

«حقاً؟».

أومأ ناغي، وابتسم للرجلين، وطلب منهما أن يشربا الشاي؛ لأنه مفيد لصحتيهما.

لم تزعجه مصلحة ضريبة الدخل مجدداً، لكن أشخاصاً آخرين استمروا في التوافد إلى منزله ومكتبه المكوّن من غرفة واحدة، وبدأ وجه ناغي وبطنه ينتفخان، وقوته تتدهور إلى خُمس ما يتمتع به رجل موفور الصحة.

أخبر كايانو وماكوتو: «أريد أن أعيش هنا معكما بسعادة كبيرة. لكن أضحى مستحيلاً الآن أن نحقق تلك الأمنية».

جلبت إعادة بناء السكك الحديدية أعداداً أكبر من الزوّار مع انقضاء كل شهر. في أثناء النهار، كان ناغي يقدّم إلى كل منهم شاياً، وبحلول وقت مغادرة آخر قطار يوراكامي كل مساء، كانت معدته تمتلئ بكمية كبيرة من الشاي بحيث لا يستطيع النوم في الليل، لهذا كان يبقى مستيقظاً يكتب حين تنام ابنتاه.

كان يشعر في الصباح غالباً بإرهاق شديد ولا يستطيع الانضمام إلى ابنتيه للعب معهما، أو مع أصدقائهما: كايانو وماكوتو إضافة إلى أيتام تبنّاهم آباء جدد في منازل مجاورة. كان استنفاد معظم قوته على آخرين وعدم ترك شيء تقريباً للّعب يؤلم ناغي أكثر كثيراً من السرطان المتقدّم، كما أخبر ماكوتو.

بالنسبة إلى ماكوتو، كان شعور والدها بالذنب سيصبح شديداً مثل الوزر غير المستحق الذي يحمله د. هاشيا من هيروشيما. لم تشكّ ماكوتو قط في حب والدها، وكانت شاكرة حقاً له على رسالة نيوكودو

Twitter: @alqareah

التي ستنقلها إلى القرن التالي عبر ابنها، توكوسابورو ناغي.

سيقول توكوسابورو لجيل جديد بعد أكثر من ستين سنة: «تبدأ بصنيع محبة أو لطف مع جارك». بحلول ذلك الوقت أحاط متحف ومبنى مكتبة بكوخ نيوكودو، في ضاحية فخمة تخفي شوارعها، التي تصطفّ على جانبيها الأشجار، كلّ أثر لندوب مركز الانفجار.

قال توكوسابورو: «لا أعرف حقاً هل يمكن لموجة متسعة من اللطف البشري المتبادل أن تتغلب على نصف الغريزة البشرية. لكن يجب أن نحاول؛ لأن أولئك الذين هم منّا - ولدوا في ما بعد - لا يمكن أن يفهموا تماماً كم كان الأمر مروّعاً، ومدى أهمية السلام. في نهاية هذا الطريق، حيث مسّت الشمس الأرض، هناك مكاتب في مبانٍ عالية، وأشجار شاهقة في كل مكان - وإذا بحثت بحرص، ستجد تمثالاً أبيض لفتاة تمسك لقلقاً ورقياً - وخلف التمثال، ستجد قبّة من أعشاب في حديقة نُقش على صفيحتها المعدنية «مركز الانفجار». غطّت مكاتب وحدائق كل الأنقاض، لذا، من السهل نسيان الرعب. ولهذا السبب أقول: البدايةُ أن تحب جيرانك. البداية أن تحب الآخرين كما تحب نفسك. ذلك ما علّمه جدّي لابنتيه، وأي شخص آخر أصغى السمع إليه».

في شباط 1951، بعد خمس سنوات من الموعد الذي توقّعه د. أكيزوكي لموت بول ناغي، وصل عدد الكريات البيضاء في دمه إلى خمسة وستين ضعفاً للمعدل الطبيعي. وفي أثناء وضع اللمسات الأخيرة على ممر العذراء (تاريخ الطائفة النصرانية في ناغازاكي من وقت الاضطهاد عام 1870 إلى تدمير كاتدرائية يوراكامي)، أدّى نزيف داخلي في كتف ناغي اليمنى إلى شلل يده.

أملى ناغي الصفحات القليلة الأخيرة على كايانو البالغة من العمر تسعة أعوام آنذاك. عدّ ناغي اختفاء كاتدرائية «ماريا» في يوراكامي ورعاياها في 9 آب 1945 تضحية، وأخبر كايانو: «حتى إذا كنتِ من

Twitter: @alqareah

بين آخر الأشخاص على الأرض، يجب أن تكوني ضد الحرب».

عندما توفي ناغي في 1 أيار 1951، لم يستطع د. أكيزوكي أن يفهم قوة الإرادة التي أبقته حياً كل تلك المدة. كشف تشريح الجثة أن دمه قد أصبح فاسداً قبل سنوات. بدا الأمر أن زميل أكيزوكي وخصمه قد استطاع بطريقة ما إعادة إحياء نفسه والتجول في جسدٍ ميت تماماً، لكنه بالرغم من ذلك كان لا يزال يبدو حياً بالنسبة إلى ذهن ناغي.

بحلول رأس سنة 1952، كان أكيزوكي قد قرأ كل ما كتبه ناغي في أثناء عيشه في أرض الصفر، وبدأ يطلب من ابنتي صديقه أن تعلّماه كل ما تتذكران أنه بقي غير مكتوب. بدأ بعد ذلك الاشتراك في تكريم عمل ناغي، وأصبح في نهاية المطاف رجل سلام مثل د. ناغي.

قال أكيزوكي لأبناء نيوكودو: «حسناً، ولمَ لا؟ بالمحصلة، ألم يكن العلماء والبوذيون والأطباء والنصرانيون يقولون الشيء نفسه تقريباً طوال الوقت لأولئك الذين لديهم آذان يسمعون بها. الأمر فقط أننا نستخدم، أحياناً، لغة مختلفة؛ كلمات مختلفة».

وبمثل تلك النعمة بدأ أكيزوكي يعيش باقي حياته وفقاً لوصية أرستها نيوكودو (الصومعة): «كن لطيفاً».

في هيروشيما وخلفها، عندما أصبح ناغي مقعداً من فساد دمه وبعد أن علّم أكيزوكي كيف يقف، كانت حظوظ الناجين والشهود الآخرين تتغير على نحو مثير مثل بيئة يوراكامي التي تزداد اخضراراً.

كان إيزو نومورا، الذي استطاع الخروج حياً بطريقة ما من قبو مكتب تقنين المؤن - على بعد مئة متر فقط من «القبّة الذرّية» في هيروشيما - يحتضر نتيجة طيف واسع من التعقيدات الطبية.

بصفته «سجين سلام»، حافظ عالم الفيزياء النووية يوشيو نيشينا على علاقات مهنية وطيدة بزملاء ما قبل الحرب، بمن فيهم لويس ألفاريز، ونيلز بوهر، وألبرت أينشتاين، حتى وفاته فجأة عام 1951.

Twitter: @alqareah

كان إيزو تاجيما مساعد نيشينا أحد أوائل العلماء الذين وصلوا إلى مركزي انفجار المدينتين. لاحظ تاجيما أن ظلال الوميض امتدت أحياناً خلف أشياء نجت من موجة الانفجار، وأنها تشير مثل أصابع اتهام نحو مصدر الوميض، وحدّد على نحو صحيح الموقع الدقيق لمركز انفجار يوراكامي. حصل أيضاً على عينات من المنطقة الواقعة أسفل نقطة الوميض، واستنشق غباراً كان لا يزال إشعاعيَّ النشاط بالرغم من تحلّل معظم المادة، وحكم على نفسه، عاجلاً أم آجلاً، بموت بطيء.

عاش بول تيبتس أكثر من تاجيما ونيشينا، ومات على نحو طبيعي عام 2007، فخوراً بدور إينولا غاي في التاريخ.

اعتُقل المشير شونروكو هاتا، الذي دفعته نجاته في هيروشيما داخل شرنقة حماية من الصدمة إلى الاعتقاد أنه يمكن تحمّل هجوم ذرّي بسهولة (الاعتقاد الذي أسهم في تأخير استسلام اليابان)، عام 1945، ووُجد مذنباً بارتكاب أعمال وحشية حين كان قائداً لحملة تشجيانغ - جيانغشي عام 1941، الذي لقي فيه ربع مليون مدني صيني أعزل حتفهم. أُدين مرة أخرى لدوره القيادي في مجزرة تشانجياو التي رفعت عدد القتلى المدنيين على يديه إلى 300.000 شخص. وعاش إحدى عشرة سنة أكثر من د. ناغي ومات غير نادمٍ على ما فعله.

استفاد الجنرال سيزو أريسو، مدير الاستخبارات العسكرية اليابانية في أثناء الحرب، من معرفته الواسعة عن الاتحاد السوفييتي والصين بصفتهما ورقة مساومة مع الجنرال مكارثر، ليصبح «سجين سلام». سُمح له، مثل د. نيشينا، العيش بحرية لكن تحت حراسة بدلاً من سجنه في زنزانة طولها ثلاث خطوات وعرضُها خطوتان مثل هاتا. كان أريسو مفيداً في التحقق من شهادة د. كيتانو ماساجي ود. شيرو إيشي بشأن التجارب على البشر في منشأة الوحدة 731 للأسلحة البيولوجية في الصين، وهكذا استطاع فريق مكارثر نقل تقنية الأسلحة البيولوجية إلى الشركات الأميركية التي صنعتها في أثناء الحرب الباردة. كان بين رعايا

Twitter: @alqareah

الوحدة 731 جنود أسرى عدّة من قوات مكارثر. استمتع أريسو ومكارثر بعقود طويلة من الحياة والرخاء قبل أن يموتا بسلام وفي سريريهما لأسباب طبيعية.

لم يكن مقدّراً لوزير الخارجية شيجنوري توغو، الذي لم يكن ذا فائدة استراتيجية بعد الحرب للجنة مكارثر، العيش مدة طويلة مثل مكارثر أو أريسو، أو حتى ناغي. توفي سجيناً عام 1950 عن عمر ناهز الثامنة والستين عاماً.

بعد ثلاث سنوات من موت د. ناغي، كانت ساداكو ساساكي، الطفلة في ربيعها الثاني التي نجت من الديدان النارية والمطر الأسود في قارب نجاة مكتظ في هيروشيما، تكبر لتصبح بطلة رياضية على نحو غير معتاد، وبدأ معلّمها نومورا يرى فيها أملاً أولمبياً. في أثناء مسابقات رياضية بين المدارس، أحرزت ساداكو قصب السبق في كل سباقات السرعة، وساعدت على نقل فريق التتابع الذي يمثّل صفها من موقعه السابق في المركز الأخير إلى الثاني، ثم الأول.

فاز طلاب الصف، كجائزة لهم، برحلة ميدانية إلى جزيرة ضريح مياجيما، حيث تحدّثت ساداكو البالغة من العمر آنذاك أحد عشر عاماً إلى أفراد فريقها في التسابق إلى قمة جبل ميسن، على الدرجات نفسها التي كان كنشي وستسوكو هيراتا قد صعداها عام 1945، في بداية زواجٍ لم يدم إلا عشرة أيام فقط.

على القمة، ضحك الجميع عندما قالت ساداكو لزملائها المرهقين: «حسناً، كان ذلك ممتعاً. لكنني جائعة الآن، لهذا متى سنتناول الغداء؟».

حذّر زميل آخر أن إلقاء دعابة قرب قمة الجبل ليس آمناً؛ لأن الإشاعة تفيد بأن سيّدة مبجلةً غيورة تقطن هناك. نظرت ساداكو إلى عيني زميلها بتجهّم، وقالت: «لقد عشنا في هيروشيما مدة أطول من أن نخاف من الأشباح. انظر حولك فحسب».

Twitter: @alqareah

كان ثُلث الزملاء في صفهما ناجين، وأكثر من نصف ذلك الثُلث قد فقدوا آباءَهم وأجدادهم، وأشقاءهم وشقيقاتهم.

تابعت ساداكو: «لقد نجونا من قنبلة ذرّية، أنت وأنا. لا يمكن أن يحدث شيء أسوأ من ذلك».

بالفعل، لم يكن ذلك يبدو ممكناً. كانت ساداكو، ووالدتها فوجيكو، وشقيقها ماساهيرو موجودين في شرنقة حماية من الصدمة في منطقة مات فيها كل شخص آخر تقريباً. خلال رحلات التقاط الصور الاستطلاعية فوق هيروشيما، كانت الطائرات تحلّق غالباً فوق مسار السكك الحديدية الذي يمر عبر حي ساداكو. هناك، كانت زاوية القنبلة قد ألقت بظلال طويلة. كان شخص يمشي على جسر ميساسا في لحظة بيكا تماماً قد ترك صورة مبهمة تشير إلى أعلى النهر، عبر الممر، على الرصيف وإلى سطح الطريق، ثم عبر الرصيف على الدرب المقابل. بدا أن الشخص الذي ترك ذلك الظل من القلائل الذين عُرفت أسماؤهم. على ذلك الدرب نفسه عند الساعة 8:15 صباحاً، كانت شيزوكو أوهارا، وهي فتاة نحيلة الجسم تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً من حي ساداكو، في طريقها إلى العمل وترتدي فستاناً خفيفاً. وجدها جندي وساعدها على الوصول إلى مستشفى الاتصالات، حيث توفيت نتيجة إصابتها بحروق الوميض (وعلى الأرجح من تعرّضها للمطر الأسود) في اللحظة نفسها تقريباً التي شعر فيها د. هاشيا بالهزّات من ناغازاكي.

تساءلت ساداكو: كيف يمكن أن يحدث أي شيء سيئ الطالع بعد أن نجت من مصير شيزوكو أوهارا بنفسها؟ كانت أول تسع سنوات بعد الحرب صعبة، لكن بدا أن كل شيء يتحسّن تدريجياً. خلال السنتين الأوليين، عاشت أسرة ساداكو مع أقرباء على بعد مئة كيلومتر في اتجاه منبع النهر، في بلدة ميوشي، قبل أن تعود إلى هيروشيما عام 1947. سكنوا قرب مدرسة مبنية من الفولاذ والإسمنت تعرّضت لضرر كبير، ويتسرّب الماء من سقفها وقاعة الألعاب فيها من دون سقف على الإطلاق.

Twitter: @alqareah

كان منزلهم الجديد أصغر من القديم، لكن الأب افتتح محلّ حلاقة في وسط مستوطنة أرض الصفر، على بعد أقل من أربعة مبانٍ سكنية من المدرسة حيث رأت مينامي اليراعات الزرقاء.

عام 1954، كان الماء لا يزال يتسرّب من السقف وصفوف عدّة تنتظم في قاعة اجتماعات مقسّمة، لكن كان هناك سقف جديد لقاعة الألعاب على الأقل. كانت المنافسة الرياضية وحصص التدريب الجزء المفضّل لدى ساداكو في كل يوم مدرسي.

بالرغم من أن والديها تكلما دائماً عن الاقتصاد المتردّي، إلا أن ساداكو شعرت أن الحياة جيدة، وأن بداياتها الصعبة - لأنها كانت قد نجت في حين توفي كثيرون آخرون - كانت تمتلئ من دون شك بإشارات حظ جيد.

ثم في كانون الأول 1954، بدأت تصل إلى المنزل من التدريب بعد المدرسة وهي تشتكي أنها تشعر بالإرهاق على نحو متزايد. وفي سياق بضعة أسابيع قصيرة فقط، أصبح يهيمن على الأحاديث إلى طاولة غداء ساداكو تمتمات «متعبة... متعبة...». في أواخر كانون الثاني، لم يعد الخلود إلى النوم مبكراً يساعد على شيء. تدريجياً، أخذت تشعر بالتعب على الإفطار. بدأت الأوقات الصعبة فعلاً في كانون الثاني 1955، حين أظهرت صورة جديدة للأسرة بمحض المصادفة أولى العلامات الواضحة عن وجود ورم لِمفاوي متضخّم على أحد جانبي عنق ساداكو.

أخذها والدها في ذلك الوقت إلى طبيب لإجراء تحاليل دم. كانت النتائج واضحة على نحو رهيب مثل الورم في الصورة: «عدد الكريات البيضاء في دمها أعلى من المعدل الطبيعي... أرقام انقسام عالية... لوكيميا».

سأل الطبيب السيد ساساكي إن كانت ابنته قد تعرّضت لمطر أسود. وعندما أكّد أن هذا ما حدث فعلاً، أحنى الطبيب رأسه.

Twitter: @alqareah

قال بصوت تهدّج بسبب اضطراره إلى قول التشخيص لعدد كبير من المرضى الآخرين: «مرض القنبلة الذرّية». كان الشيء المروّع على نحو غير طبيعي أن الآباء سيعيشون أكثر من أبنائهم.

شعرت ساداكو أنها بخير بعد بعض الوقت لتذهب إلى المدرسة، وتلعب قفز الحبل مع أصدقائها، وتعيش في المنزل؛ لكنها دخلت المستشفى في 21 شباط 1955. بدا أن المرض يضرب مثل سهم ضوئي. في أثناء أسبوع واحدٍ فقط، انخفض معدّل كريات دمها إلى مستويات كانت قد استغرقت أكثر من سنتين لتصلها لدى د. ناغي الراحل. استناداً إلى معدل تدهور صحتها، أخبر طبيبٌ السيد والسيدة ساساكي أن ابنتهما ربما لن تعيش أكثر من سنة واحدة، وأن أمامها على الأرجح ثلاثة إلى أربعة شهور فقط. لم تكن اللوكيميا داءً عضالاً فحسب، وإنما لا يمكن معالجة أعراضها أيضاً، حتى مع توافر أفضل تقنيةٍ طبية عام 1955. أخبر الأطباء والدها أن في مقدوره فقط محاولة التخفيف من حمّى ابنته، وتقديم مسكّنات إليها، وإجراء عمليات نقل دم منتظمة لها.

كانت والدة ساداكو ذاهلة. قبل سبعة شهور فقط، وفي أثناء فحص سنوي في عيادة لجنة جرحى القنبلة الذرّية، كان الأطباء قد قالوا إن قيم كلا الابنين طبيعية تماماً. لم تكن ساداكو تبدو مريضة لفوجيكو حتى ذلك الوقت؛ بدت فقط أكثر خمولاً من المعتاد.

قالت فوجيكو ساساكي لاحقاً: «لا تحب أمٌّ أحداً أكثر من طفلتها الأشد بؤساً». عندما ولدت ساداكو في أثناء الحرب لم يكن هناك طعام كافٍ، ولطالما كان وزنها أقل من المعدّل الطبيعي قليلاً على الأقل. بالرغم من سنوات الجوع، كبرت لتصبح مراهقة تهتم كثيراً بالآخرين وأضحت فوجيكو تعتمد عليها؛ وفي سنوات تالية، حين كانت تزور ساداكو فوجيكو في أحلامها قالت: «دعي الأمر لي يا أمي». واستيقظت فوجيكو وهي تصرخ باسم ابنتها.

Twitter: @alqareah

في تلك الليلة الأولى في المستشفى، بقيت فوجيكو وزوجها جالسين على كرسيين بجانب سرير ساداكو حتى شروق الشمس. في أي ليلة بعد ذلك، كانت ساداكو تخلد إلى النوم وهي تعرف أنها عندما تستيقظ في الصباح سيكون أحدهما دائماً إلى جانبها. حبسا دموعهما كرمى لها، ولم يكونا يرغبان في جعل ابنتهما أكثر خوفاً مما كانت عليه أصلاً. وعندما كانت ساداكو تنام، كانت والدتها تمسك يدها وتتضرّع في نفسها: «إذا كان هناك دواء يمكن أن يعالج هذا المرض في هذا العالم، فدعني أقترض المال من أجل الحصول عليه، حتى إذا كان سيكلّف عشرة ملايين ينّ. أو، إذا كان ذلك ممكناً، فدعني أموت مكانها. أرجوك، انقل المرض إليّ بدلاً منها».

في تلك الليلة نفسها وليالٍ لاحقة، تضرّع السيد ساساكي بالدعاء نفسه، في حين كان يحاول وضع خطة ما؛ أي شيء يمكن أن يفعله ويساعد على رفع روح ساداكو المعنوية، وربما يمنحها بعض الوقت الإضافي. كان معروفاً عن د. ناغي قوله إن وجود المرء قرب أسرته، وإمعانه في التفكير في شيء ما، وتلقّيه أبسط «هدايا القلب» من الذين يحبهم قد تُبقي إرادة المريض في العيش سليمة، حتى عندما يعلن الجسد: «حان وقت الاستسلام والمضي قدماً».

كان لدى فوجيكو وزوجها فكرة عن هدية من القلب. بعد انقضاء سنوات التقنين العجاف بسبب الحرب، وبالرغم من أن الطعام أصبح متوافراً على نطاق واسع، إلا أنه لم تكن لديهما سعة من المال. كان السّيد والسيّدة ساساكي قد حلما أن يشتريا يوماً ما لابنتهما الصغيرة كيموناً جميلاً وأنيقاً. بقيت النقود شحيحة كما كانت دائماً، لكن السيد ساساكي أدرك أن هدية من القلب ستكون أكثر تأثيراً إذا صنع وفوجيكو كيموناً بأيديهما، بدلاً من شراء واحد (كان مُكلفاً جداً في أفضل الظروف). اشتريا قماشاً حريرياً مزخرفاً بأزهار الكرز، وفي الليل، في أثناء نوم ساداكو، تناوبت السيدة ساساكي وباقي أفراد الأسرة على قص

Twitter: @alqareah

الرُّدنيـن والحـزام وتفصيلهمـا، وكل الأجزاء الأخرى من الكيمون، التي تفقّدتها السـيدة ساسـاكي مراراً وتكراراً ضماناً لجودتها قبل أن تجمعها في ثوب كامل.

فـي اليـوم الـذي فتحت فيـه العلبة ومـرّرت أناملها علـى الحرير، ابتسمت ساداكو وذرفت دموعاً في الوقت نفسه.

قالت: «فعلتم الكثير لأجلي. أنفقتم الكثير».

قالت فوجيكو: «أرجوك، ارتديه من أجلنا». وأخرجت آلة تصوير مـن حقيبـة كبيرة. أخرجت أيضاً محفظـة حريرية صغيرة وخفّي زوري، وبدا أن ساداكو امتلأت فرحاً ونبضت حيوية، حتى عندما مسحت دموع عينيها.

أخبرت سـاداكو شـقيقها ماسـاهيرو: «أنا لست ابنة بارّة. إنه وضع سيئ؛ لأن أمي وأبي أنفقا مالاً جماً على مرضي».

قال ماساهيرو لمؤرخين في ما بعد: «كان دخل أي شخص شحيحاً في تلك الأوقات، حتى الأطباء كانوا فقراء. منحوا والممرضاتُ شقيقتي كل مـا يمكنهـم، بمـا فيها حقـن فيتامين (بي) وعقاقيـر مضادة لالتهاب المفاصل كانت تُبقي تورّم جسـم سـاداكو تحت نوعٍ من السـيطرة. لكن كل الممرضـات والأطبـاء لـم يسـتطيعوا توفير كمياتٍ من الدم باسـتثناء الهبـة الشـهرية التـي كانـوا يقدّمونهـا مـن دمائهم. وكان هنـاك كثير من الأولاد الآخرين المصابين باللوكيميا في الأجنحة.

لهـذا، كان علـى والـديّ أن يدفعا مالاً لأشـخاص مقابل الحصول على دمائهم. كان والدي يكسب رزقه من قصّ الشعر، ومن أجل تمويل كل عمليـة نقـل دم، كان عليـه أن يخـدم خمسـة عملاء. كانت شـقيقتي الصغيرة تعرف الوضع، وأخبرتني أنها سـتقبله وتتعامل معه بطريقة ما. كانت تفهم أنها إذا تلقّت دماً نظيفاً، فستشعر بتحسّن نحو عشر ساعات فقط، وتفهم أن ذلك من وجهة نظر اقتصادية وعاطفية أيضاً سـيئ لنا. كانت فتاة المدرسة الابتدائية التي تستلقي هناك ترى أن والديها يرغبان

Twitter: @alqareah

في مساعدتها؛ فتاة بدا أنها تعرف أيضاً أنه إذا لم تحدث معجزة، فإنها لن تتحسّن أبداً. خمّنت أنها ستعيش على الأرجح مدة أطول إذا حصلت على دم وأدوية، لكنها كانت تعرف في الوقت نفسه أن دعم والديها إياها يجعلهما أكثر فقراً. عاطفياً، كانت تتمزق في اتجاهين».

أخبرت ساداكو شقيقها مراراً: «يجب أن أعثر على طريقة للتعامل مع الوضع. يجب أن نتدبّر أمرنا بطريقة ما».

بحلول آذار 1955، بدا أن عدد الكريات البيضاء في دم ساداكو البيضاء استقر على ستة أضعاف المعدّل الطبيعي، لكن العدد غير الطبيعي لكرياتها الحمراء جعلها تقترب من حافة عوز الأوكسجين، فأضحى مشي مسافات قصيرة صعباً. كان انخفاض حاد في عدد الصفائح يسبب لها كدمة من أقل لمسة رقيقة، مما زاد المخاوف القائمة أصلاً من أن ساداكو قد تلقى حتفها من مجرد عناق.

في بداية أيار أحضر تلامذة محليون علبة من لقلق ورقي ملون إلى ممرضات المستشفى، وعلّموهن طريقة طيّ اللقلق بأنفسهن. في أثناء النهار، راقبت ساداكو أفراد الفريق يُتقنّ فن أوريغامي (الفن الياباني لطيّ الورق) متعدّد الألوان. عندما وصل والدها، أشارت إلى لقلق ورقي كان أحدهم قد تركه بجانب سريرها وسألت: «ماذا بشأن اللقلق الورقي ذلك؟».

«لقد أرسل أحدهم على الأرجح اللقلقَ أمنيةَ شفاء إلى كل الأولاد هنا».

تذكّر السيّد ساساكي ما كان بول ناغي قد كتبه بشأن تخفيف الألم والخصائص العلاجية للتفكير الحماسي المركّز. كان يعرف أيضاً أسطورة، تعود إلى القرن الخامس عشر وحقبة الشوغن، عن اللقلق ومّا يعنيه طيّ ألفٍ منها، ثم خطرت له فكرة.

قال والدها مبتهجاً: «ساداكو - سان، هناك أسطورة أن اللقلق يعيش ألف سنة. ويقولون إنك إذا طويت ألف لقلق ورقي، وأحببت

Twitter: @alqareah

كل منها، فإنها ستساعدك على تحقيق أمنية العافية».

وهكذا بدأ الأمر: كانت أول ثلاثة أو أربعة لقالق صنعتها ساداكو كبيرة وتفتقر إلى التوازن، والرؤوس لا تنحني إلى الأسفل كما ينبغي. بعد أول عشرين، أصبحت اللقالق متماثلة تماماً؛ وعندما كانت الممرضات يأتين لأخذ عينات دم، كانت أقل حركة ترسل قطعتين أو ثلاثاً من الأوريغامي إلى الأرض. لهذا، أحضر ماساهيرو خيطاً طويلاً جداً إلى المستشفى، ودفع دبوساً عبر عشرين لقلقاً ورقياً، ووصلها معاً.

كان طول أول عشرين نحو عشرة سنتيمترات (بحجم عصفور دوري تقريباً). كان بينها لقلق فضي كبير، مصنوع من ورقة وقاية من صفيحة أشعة سينية، كان أحد الأطباء قد منح ساداكو إياها.

أعلنت ساداكو: «لم يبقَ أمامي الآن إلا تسعمئة وثمانون قطعة أطويها». كانت الصعوبة آنذاك في توفير ورقٍ كافٍ، حيث كان غالي الثمن في ذلك الوقت. ذهبت إلى غرف مرضى آخرين تطلب ورق تغليف بطاقات التمنيات بالشفاء العاجل وعلب الحلوى. بحلول منتصف أيار، كانت مزيد من لقالق الأشعة السينية الفضية قد انضمت إلى الخيط. تبع سوليفان أحمر من أغلفة الأدوية اللقالق الفضية، إضافة إلى أي ورقة ملونة استطاعت أسرة ساداكو، والأطباء، والممرضات توفيرها من أي مكان، بما فيها قطع ملونة اقتُطعت من إعلانات تلفت النظر في المجلات. أصبح ذلك جهداً جماعياً اشترك فيه نحو اثني عشر شخصاً مهّدوا كل التجعيدات في الورق وتركوها تحت سرير ساداكو.

سرعان ما اكتشفت ساداكو أن الاقتصاد في الورق بطيّ لقلق أصغر يتطلب جهداً أكبر في العمل؛ كان ذلك يناسبها. بحلول نهاية أيار، انخفض طول اللقلق إلى معدّل سبعة سنتيمترات للقطعة (بحجم طائر طنّان تقريباً). كان شذوذ دم ساداكو قد انخفض أيضاً من ستة أضعاف عدد كريات الدم البيضاء الطبيعي إلى ضعفين فقط.

كانت ساداكو تشعر آنذاك أنها بخير لتذهب إلى المنزل في عطلة

Twitter: @alqareah

نهاية الأسبوع؛ وعندما عادت إلى المستشفى مساء الأحد، أخبرت الأطباء: «أظن أنني أتمتع بقوة كافية، هذه الأيام، لأكون زميلة جيدة».

أومأت الممرضات بالموافقة، ونقلنها إلى غرفة مزدوجة مع فتاة من المدرسة الثانوية تدعى كيو، التي تصادف أنها نشيطة نسبياً وتقرأ كثيراً، وعرّفت ساداكو إلى كلِّ أنواع الروايات الرائعة من قصص عن مجتمعات إسحق أسيموف (كاتب خيال علمي أميركي) الطوباوية (المثالية) من الرجال الآليين إلى **سجلات المريخ** لراي برادبري (كاتب أميركي)، و**نهاية الطفولة** لآرثر سي. كلارك (كاتب بريطاني).

بدأت الفتاتان تراسلان قرّاء أدب آخرين عبر برامج الصداقة التي ترعاها المستشفى، وفي أثناء موجة منتصف أيار من النشاط، كانت ساداكو لا تزال تتمتع بطاقة تكفي لتعرض على والدها وماساهيرو خيطاً طويلاً من لقلق ورقي، وتعلن بفخر: «لم يبقَ إلا خمسمئة وخمسون لقلقاً. كدت أحقق نصف الرقم!».

بحلول ذلك الوقت، كان اللقلق ينكمش إلى طول نحو أربعة سنتيمترات (لا تزال في نطاق أصغر طيور الطنّان).

لاحظت والدتها: «كانت عيناها تلمعان في أثناء طي اللقلق، وتدلاّن على أنها ترغب في أن تحيا بكل الوسائل».

كانت في الثانية عشرة من عمرها آنذاك، ومع انقضاء أيار وصولاً إلى حزيران، ومع استمرار حجم اللقلق بالانكماش، ارتفع عدد الكريات البيضاء في دم ساداكو من ضعفي المعدّل الطبيعي إلى ثلاثة أضعاف، وبدأت تعاني حمّى شديدة. كان تطوّر اللوكيميا يشبه تماماً تأثيراتِ الإشعاع المباشر، لكنه في الوقت نفسه كان معاكساً تماماً له. ينجم عن أحد المرضين نقص في كريات الدم البيضاء، في حين أن الآخر يؤدّي إلى زيادتها على نحو مفرط. في الحالة الأخيرة، كان العدد الضخم من الكريات البيضاء يمثّل أساساً مقداراً مشوهاً من حيوانات شبيهة بوحيدات الخلية تمتص موادَّ مغذية من ساداكو من دون أن

Twitter: @alqareah

تقوم بوظائفها الأصلية. بدلاً من الدفاع عن جسدها ضد متطفلين من الفيروسات والبكتيريا التي تسبّب الأمراض، كانت خلايا عديدة تنضم إلى الجانب الآخر وتصبح كائنات عدوانية في محيطها. كان جسد ساداكو في حرب ضد نفسه، وضعيفاً أمام المرض، ويشهد هجوماً من دمها ضد أعضائها الداخلية.

قدّم الأطباء مسكّنات، لكنها أبعدت الحقن عنها. في البداية، ظن ماساهيرو أنها تفعل ذلك؛ لأن المادة المشتقة من الأفيون نادرة وغالية الثمن. سمع ساداكو تؤكد لوالدها مخاوف سابقة: «أنا ابنة سيئة، أليس كذلك؟ لقد استنفدت أموالاً طائلة في مرضي».

ذكر والد شيجو ساداكو لاحقاً: «أوصى الأطباء أن نحضر لها عصيراً طازجاً من جزر وخضار أخرى. لكن آلات تحضير العصير كانت تكلّف كثيراً. لم يكن في مقدورنا أو في مقدور المستشفى الحصول على واحدة لأنها كانت مدرجة على لائحة المعدّات الطبية غير الضرورية، ولم تكن تعدّ أداة طبية بأي حال. لو كانت لدينا العصّارة المناسبة، لكان في مقدورنا تقديم المزيد من المواد المغذّية إلى ساداكو حتى مع اقتراب الوقت الذي فقدت فيه شهيتها. يجعلني التفكير في هذا أشعر بالبؤس».

أخبر ماساهيرو قريباً له: «كانت كلفة المورفين هي التي تجعلها ترفض أي راحة قد توفّرها لها المسكّنات». لكن حتى ماساهيرو فهم في نهاية المطاف أنه قد قلّل من شأن شقيقته. بحلول ذلك الوقت لم يكن ممكناً تجاهل حقيقة أن صحة جسدها الصغير تتدهور، وأن اللقلق الورقي يصبح شيئاً فشيئاً أصغر. بحلول أواخر تموز، وبعد أن بدأت الحرارة بفعل الحمى ترتفع عالياً، لجأ الأطباء إلى تغطيس ساداكو في ماء بارد، وأصبح اللقلق بحجم النحلة الطنّانة. لم تكن لديها طاقة تكفي إلا لطي خمسة أو ستة منها كل يوم.

في آب، ارتفع عدد الكريات البيضاء في دم ساداكو إلى أربعة

Twitter: @alqareah

أضعاف المعدّل الطبيعي فقط، ثم إلى ثلاثة. بدأت خطى مشروع اللقلق تتسارع مجدداً: أصبحت تنجز نحو الخمسين في اليوم... مئة... انتهى.

كان حجم اللقلق حينها أكبر تقريباً من نحلة صغيرة. لم يكن أحد يعرف، في ذلك الوقت، أن ساداكو كانت تتجسّس على أطبائها وتنسخ أرقامهم على ورقة، وترسم مخططاً بيانياً لعدد كريات دمها البيضاء. قبل شهر، توفي فتى في جناح الأطفال المصابين بمرض القنبلة الذرّية نفسه - فتى في مثل عمرها تقريباً - من اللوكيميا. أخبرت ساداكو والدها: «سأكون أنا التالية».

في أثناء انخفاض نشاطها في تموز، حين كان مشروع ساداكو للّقلق الورقي قد تباطأ إلى نحو خمسة أو ستة طيور في اليوم، كانت قيم دمها قاتلة مثل الفتى تقريباً. لم يخبر أحد قط ساداكو أن المرض الذي تعانيه هو اللوكيميا، لكنها كانت تفهم ذلك بوضوح. انقطع التوثيق الذي تخطّه بيدها لقيم دمها بعد وفاة الفتى الآخر، وبدأت ساداكو خيطاً ثانياً من اللقلق الذي استمر حجمه يتناقص بثبات. لم يعد في مقدورها بعد مدة وجيزة طي اللقلق بأصابعها. لم يعد أحد يستطيع ذلك، بعد الانتقال من حجم النحلة إلى تشكيلة أصغر من ذباب المنازل. أصبحت الطيّات دقيقة جداً واستخدمت إبر خياطة لتفصيل كل جناح وتشكيله. وقد ذكر ماساهيرو لاحقاً: «كأنها كانت تضرّعاً».

حذّر السيّد ساساكي ابنته: «ستصبح قريباً أصغر من حبوب الأرزّ. إذا حافظتِ على تلك السرعة، سترهقين نفسك».

قالت ساداكو: «لابأس بذلك يا أبتِ. لدي خطّة».

أخبرت شقيقها ماساهيرو: «سبب هذا هو أنه لا يزال لدي أمل في أن أتحسّن. لهذا يجب أن أضع المزيد من قلبي وروحي في كل منها. اللقلق الأصغر حجماً هو الأصعب. لذا، إذا كنت سأستمر في فعل هذا، يجب أن أضع المزيد والمزيد من روحي في كل منها».

أفضت إلى ماساهيرو بسرٍّ عندما أصبح توقّع والدها بطي لقلق

Twitter: @alqareah

أصغر من حبّات الأرز حقيقة: «كل روحي، كلّي... لأنه عندما يحين الوقت ربما يكون اللقلق الأصغر حجماً هو كل ما يبقى مني».

في 19 آب 1955، بدا أن ساداكو يمكن أن تأمل في حدوث معجزة. وبالرغم من أنها كانت لا تزال تعاني فقرَ دم، إلا أن عدد الكريات البيضاء في دمها كان آنذاك ضعف المعدّل الطبيعي. عرضت على زميلتها في الغرفة كيو وعلى أسرتها أكثر من مئة لقلق ورقي مصغّر على طاولة بجانب السرير.

سأل والدها: «هل تخططين لصنع ألفٍ أخرى من هذه؟».

ردّت ساداكو: «لم يعد العدد مهماً الآن. المهم هو أن أضع كل تركيزي في كل لقلق».

وصل وفد طلابي من الصين إلى المستشفى عصر ذلك اليوم نفسه من آب. بعد استقبالهم، سمع المرضى أغنية غير مألوفة تُنشد باليابانية: «جينباكو – أو – يوروساماجي» (لا، أبداً، القنبلة الذرّية).

ذكرت كيو زميلة ساداكو في الغرفة لاحقاً: «بدا أن شيئاً في تلك الأغنية يتردد صداه لدى ساداكو. غنّتها لي مراراً وتكراراً، على سطح المستشفى، حتى حفظتها».

في أيلول، انخفض عدد مرات الصعود إلى السطح؛ لأن عدد الكريات البيضاء في دم ساداكو ارتفع فوق ضعف المعدّل الطبيعي، ووصل إلى ثلاثة أضعاف تقريباً. ثم ازداد العدد ضعفين... وضعفين... وضعفين.

كان ماساهيرو يعرف أن شقيقته تشعر آنذاك بألم فظيع. كان شيء ينتشر في جسدها من أسفل عمودها الفقري، وبدأت ساقها اليسرى تتورّم كثيراً، حتى إن اللحم تمزّق تحت الجلد وأضحى لونه قرمزياً.

ذكر ماساهيرو: «لم تقل كلمة أتألم قطّ. عندما تتورّم ساق إلى ضعف ونصف حجمها الطبيعي، يكون النبض وحده مؤلماً؛ بالرغم من ذلك رفضت المسكّنات. ظننتُ وقتاً طويلاً أنها لم تكن ترغب في تحمّل

Twitter: @alqareah

والدنا النفقة. لكنها أطلعتنا لاحقاً على سببين مختلفين تماماً عن هذا؛ أولاً، كانت تظن أن الحالة الشبيهة بالحلم التي يضعها المورفين فيها قد تصبح دائمة وتقتلها؛ ثانياً، لم تحب ساداكو الحالة الشبيهة بالحلم التي لا تشعر فيها بلمسة يد والدتها. أرادت أن تعي وجودنا عندما نكون في الغرفة معها؛ أرادت أن تكون واعية تماماً حضور الناس الذين تحبّهم حباً جماً. لم تكن ترغب في تضييع دقيقة معنا، والاستغراق في حلم من دون ألم».

في منتصف تشرين الأول، وصلت حرارة ساداكو إلى 40.5 درجة مئوية (105 فهرنهايت).

بحلول 20 تشرين الثاني، كان عدد من المثلثات الورقية موجوداً تحت سريرها، كل منها كان مطويًّا بعرض لا يزيد على أحد أظافر ساداكو. كانت قد طوت، حتى ذلك الوقت، 1600 لقلق ورقي. باستخدام دبوسين، ركّزت ساداكو كل تفكيرها على صنع لقلق بنفسجي ضارب إلى الحمرة يكاد لا يكون أكبر من بعوضة؛ آخر لقلق ستطويه على الإطلاق.

ذكر ماساهيرو لاحقاً: «بقيت واعية تماماً حتى النهاية. ولا أصدّق أنه كانت لديها أي فكرة، صباح 26 تشرين الأول، أنها على وشك أن تموت في أي لحظة. أتذكر أن والدي أيقظني وشرح أن طبيباً قال إن الوقت قريب. أتذكر أمي تنظر إلى تلك الأوراق في الخيط وتسأل: لماذا لم تغنِّ اللقالق الألف؟ لماذا لا تطير؟

لكن الأهم، عندما أفكّر في ذلك الصباح في هيروشيما، أتذكر شقيقتي تنسلّ من بين يديّ، فجأة ومن دون معاناة؛ كأنها تخلد إلى النوم. قبل دقائق فقط، سمعت والدي يحثّها على تناول شيء ما، وردّت: شاي أو أرز، من فضلك.

أحضرت ممرضة طبقاً من أرز أبيض. ابتلعت ساداكو ملء ملعقتين، وابتسمت، وقالت: إنه شهي. ذلك كل شيء. انتقلت إلى

Twitter: @alqareah

العالم الآخر مع هاتين الكلمتين: إنه شهي».

في أثناء الأيام التي تلت ذلك، منح والدا ساداكو الكثير من اللقالق إلى زملاء صفها ومدرّسيها. لم يبقَ إلا القليل مع الأسرة ووُضع الباقي مع أزهار ودمية أطفال في تابوت ساداكو.

شرح ماساهيرو: «قبل أن تغادر، كان بيني وبين شقيقتي قولٌ من كلمة واحدة؛ كلمة واحدة بسيطة: أومورياري».

لم يتذكّر ماساهيرو أن ساداكو قد قرأت شيئاً من قبل عن رحلة بول ناغي إلى نيوكودو. كان يظنّ، مثل أشخاص عديدين في مواقف مشابهة، أنهم ربما وصلوا إلى درب مشابه لإلقاء ضوء على المحنة. عاد شاهدان على بيكا - دون إلى منطقة دمار منفصلة عن الأخرى ليموتا هناك، وانتقل كل منهما إلى مكان حيث لم يعد لهما من حياتهما إلا بضعة أسابيع يعيشانها، ثم أصبحت المدة أياماً. وأخيراً، ساعات ودقائق ثمينة لم تكن تعني لأشخاص عاديين أكثر من وقت انتظار في محطة قطار.

كان ماساهيرو قد سمع أنه عندما يذهب شخص إلى مكان يكون فيه نكرة، يبدأ عندها يفهم قيمة كل الأشياء.

عندما ذهب ناغي إلى أرض الصفر، خرج بمبدأ نيوكودو القديم: «أحب جارك كما تحب نفسك».

بالنسبة إلى ساداكو، الذي أصبح الدرس عبارة عن كلمة أومويارى، التي تعني: «في قلبك، فكّر دائماً في الآخر قبل نفسك».

وفقاً لماساهيرو، بعد أن ارتدت ساداكو أول وآخر كيمون لها، كانت قد تخيّلت وحدّدت الزواج الوحيد المستقبلي المثالي لها بأنه الذي يعيش فيه كل من الزوج والزوجة وفقاً لمبدأ أومويارى، لكن لا يعدّه أي منهما أمراً مسلماً به.

قال ماساهيرو بعد خمس عشرة سنة: «ذلك ما أردت أن أنقله عنها إلى الشباب اليافعين. لا أريد أن يفكّر الجيل الآتي في اللقلق الورقي

Twitter: @alqareah

فقط وفتاة تبلغ من العمر اثني عشر عاماً تموت من مرض القنبلة الذرّية. أريدهم أن يفكّروا دائماً، بقلوبهم، في الآخر.

«تبدأ أوموياري من أفراد أسرتك، ومن أصدقائك. فكّرت ساداكو - وعلّمتني - أنه إذا كان ممكناً نشر مبدأ أوموياري ولو قليلاً، في الأماكن المناسبة، فإن ذلك ربما يسهّل على العالم عدم رؤية بيكا - دون آخر».

على سفح تلة في أرض الصفر، ليس بعيداً عن نيوكودو وأنقاض كاتدرائية يوراكامي، كانت ضربة جانبية من موجة الانفجار قد حطّمت أحد عمودي قنطرة معبد. وبالرغم من ذلك، بقيت القنطرة الحجرية قائمة وسليمة على عمودها الباقي؛ خفير وحيد شوهد يقف حارساً بعد يوم من القنبلة على حي بدا فيه كل شيء آخر محطماً تماماً.

في أثناء الذكرى العاشرة للقنبلتين، حين علّمت ساداكو شقيقها أوموياري وأرسلت الصين صغاراً بأغنية سلام إلى عدوها السابق، وضع معماريو يوراكامي مخططاتهم لتشييد أبنية سكنية متعددة الطوابق في المنطقة حول الخفير بالساق الواحدة، وكانوا قد قرّروا أنه حتى إذا تطاولت الأبنية الجديدة حوله، فسيتركون الخفير نفسه على حاله.

على بعد أقل من دقيقة مشياً من الخفير، كانت الأشجار التي تجرّدت من أغصانها وتحوّلت إلى جذوع مشوّهة متفحّمة تتعافى (وتنمو على ما يبدو) بطرائق غريبة. ظهرت من جذوع الأشجار العليلة براعم جديدة ولحاء ملطّخة ببقع وأغصان خضراء نمت إلى الأعلى ووصلت إلى ارتفاع نحو خمسة طوابق.

في هيروشيما، خضعت أشجار الكافور، التي كان يُظنّ أن الأشعة وألسنة اللهب قد فتكت بها، لتحوّلات مشابهة؛ ونُقل بعضها من مقبرة أرض الصفر إلى حدائق متنزه السلام في المدينة.

بينما كانت الأشجار تبرأ، كان الناس يتعافون.

Twitter: @alqareah

في ضواحي ناغازاكي، اختار والدا ستسوكو هيراتا أن يعدّا مثل تلك التغييرات تقدمةً عن حب ابنتهما كنشي وما كانت تتمنّاه من أجله. بحلول العام 1955، عاد الحب مجدداً إلى كنشي الذي كان قد تزوج مجدّداً آنذاك، وأصبح أباً لطفلين موفوري الصحة، ويحتفظ بعلاقات وثيقة بوالدي ستسوكو، اللذين أصبحا أوهانا، أو أسرة، بموجب تقليد أوموياري. بعد أن سمحت شركة ميتسوبيشي لصحفي أميركي بنشر وثائق تقرير نجاته عام 1957، وخشيةَ أن تصل المنزل ترجمة يابانية تحدّد ابنه وابنته على أنهما ذرية ناجٍ - مرتين (واحتمال تعرّضهما للازدراء من قبل أشخاص كُثر)، قرّر كنشي الاختباء مع أسرته في مكان مجهول بعيداً عن طريق التاريخ.

في تلك الأثناء، نُصحت أراي المعلّمة من هيروشيما، التي طبع الوميض كتابات تلامذتها على وجهها، أن مزيجاً من جراحة تجميليّة وتبرّج خاص يمكن أن يمحو الحروف الداكنة عن جلدها. قرّرت أراي أنه ليس في وسعها إزالة آخر شيء كانت فتاة صغيرة قد كتبته، واختارت الاحتفاظ بالحروف التي كانت منقوشة على وجهها حتى يوم وفاتها. أصبحت تلك طريقتها في إحياء ذكرى الأطفال الذين توفوا.

في هيروشيما الرائعة
بزغ الفجر متّقداً وهادراً
في النهر الذي اندفع نحوي
كان هناك طوف بشري

هكذا تكلم تسوتومو ياماغوشي، بعد أكثر من ستة عقود، حين وصف طوف الجثث الذي كان قد استفاد منه كجسر في طريقه إلى القطار الذي سيقلّه إلى ناغازاكي.

بعد أن جفّف نفسه وأخذ مكانه على متن القطار، وضع غريب وعاءَ أرز في يده؛ وعاءً من الأرز الأبيض الفاخر مغلّفاً بورق بني. لا بد من أن الرجل رأى أن ياماغوشي في حال يرثى لها. كانت ملابسه

Twitter: @alqareah

ويداه محترقة بشدّة. كان هطلٌ غريبٌ من أشياء محترقة قد سقطت في اليوم السابق، تبعه وابلان قصيران على الأقل من مطر أسود، وأُصيب بحمّى وشعر بغثيان لم يتمكّن معه من تناول الطعام.

قال ياماغوشي وهو يشير إلى الرجل أن يستعيد الأرز: «شكراً لك. لكنك ستحتاج إلى هذا بنفسك».

«سأنزل من القطار بعد محطّات عدّة فقط، وقيل لي إن أمامك رحلة طويلة إلى ناغازاكي؛ لهذا أرجوك، لا تكن خجولاً. تناوله من فضلك حتى إذا كان يبدو كثيراً».

تأثّر السيد ياماغوشي بلطف الغريب و«إنسانيته» في وقت الحاجة الملحّة والاضطراب. لم تكن مثل تلك الأمثلة شائعة في اليابان زمن الحرب أو حتى بعد الحرب.

في أثناء العقد الذي أعقب ذلك، ومع بدء زمن إعادة الإعمار، أُعيد تجهيز شركة ميتسوبيشي لتصنع سيارات، وغسّالات... حظي ياماغوشي بفرصة عمل مجدداً بتصميم سفن، لكنه شرح لرئيس عمله السابق أنه سيلتزم قراراً اتخذه سابقاً أن يبقى في المدارس التي كان قد ساعد المدينة على إعادة بنائها وتعليم الأولاد. عرف، بأي حال، أن أحد أسباب تلقّيه عرض العمل ذاك هو عدم ظهور أعراض الإشعاع عليه وقتاً طويلاً. كان نوع جديد من التمييز قد ظهر جلياً. في مدينة لم تعد تظهر فيها تأثيرات إشعاع طويلة الأمد، تعرض كثير من أولئك الذين تعرّضوا لأشعة غاما والسقط الإشعاعي، والذين ظهرت عليهم أي أعراض إرهاق، وضيق نفس، وطفح جلدي، وأمراض متكرّرة للطرد من أعمالهم. أخفى الأشخاص الذين كانوا يعانون أمراضاً، على نحو متزايد، الأعراضَ بأفضل ما يستطيعون (ولهذا، لم يظهروا في بيانات لجنة جرحى القنبلة الذرّية).

كان إخفاء الأعراض صعباً على أيٍّ من الأشخاص الثلاثين الذين كانوا قد تجمّعوا مع ياماغوشي في مكتب ميتسوبيشي عندما انفجرت

Twitter: @alqareah

القنبلة الثانية. بالرغم من أنهم كانوا محميين تقريباً من موجة غاما، إلا أن معظمهم كان لديهم أقارب في يوراكامي. كانت زوجة ياماغوشي وابنه في موقع آمن نسبياً، وليس بعيداً عن المكتب.

ذهب الآخرون، الذين كانوا بمنأى عن التعرّض المباشر للإشعاع، للبحث عن أسرهم في مركز انفجار يوراكامي، الذي كان بمعايير الأذيّة الثانوية أكثر حرارة بأضعاف مضاعفة مقارنة بمركز انفجار هيروشيما.

عندما بدأت ميتسوبيشي عملية إعادة التوظيف، عرضت على ياماغوشي فقط فرصة عمل. لم يلتقِ أحداً من شرنقة حماية 9 آب بعد الحرب قطّ.

بحلول الوقت الذي طوت فيه ساداكو آخر لقلق ورقي، بدأ عمال في ناغازاكي تصميم نصب تذكاري دائم وبناءَه. بخلاف ناجين آخرين عديدين، تفادى السيد ياماغوشي النظر من فوق كتفه إلى الماضي. وبصفته أحد المعجبين الجدد بكرة القاعدة الأميركية، حفظ تحذيرَ ليروي بيج (لاعب كرة قاعدة ملقّب بالحقيبة) عن ظهر قلب: «لا تنظر إلى الخلف أبداً. قد يكون هناك شيء يسعى خلفك».

قام، بأي حال، بزيارات منتظمة إلى النصب بعد اكتماله. يوماً ما، بعد أكثر من نصف قرن على بيكا - دون، رأى ياماغوشي فتًى من مدينة أخرى يصوّر المعروضات. مشى نحوه وسأله: «ماذا ستفعل بهذا الفيديو؟».

قال الفتى: «عندما أذهب إلى المنزل، بعد العطلة، أريد أن أصنع منه فيلماً وأعرضه على الجميع في مدرستي».

قال ياماغوشي: «أظن أن ما تفعله مهم جداً». وأحنى رأسه وهو يجمع يديه المتقرّحتين معاً؛ كأنه يتضرّع. لم يشرح قطّ كيف احترقت يداه، ولم يعرف الفتى أو يشك في أن الرجل الذي ينحني له ناجٍ - مرتين.

لو كان ذلك ممكناً، لفضّل ياماغوشي أن يبقى مجهولاً إلى الأبد،

Twitter: @alqareah

ويعيش بسلام في الريف المملوء بالأشجار خلف ناغازاكي مع أسرته. لكن التاريخ كان قد رسم له مصيراً مختلفاً تماماً. وثّق ياماغوشي: «حثّني على أن أقلب شيئاً سيئاً رأساً على عقب، وأن أحاول الحصول على شيء جيد منه».

بدأ تغير المسار حين أُصيبت زوجته هيساكو بالسرطان، ثم أُصيب ابنه كاتسوتوشي بالسرطان أيضاً وتوفي قبل أسبوع من ذكرى ميلاده السادسة عشرة عام 2005؛ بدا أن كاتسوتوشي جزء من نمط جديد. يُصاب الأشخاص الذين يحملون الإشعاع في أجسادهم منذ الطفولة بأورام خبيثة بعمر الستين، خاصة إذا كانوا قد فرّوا على دروبٍ تعصف رياح السقط الإشعاعي والمطر الأسود عليها. كان الراشدون الذين يتعرضون لذلك وينجون يعيشون عادة حياة كاملة، لكن خلايا الأطفال انقسمت بسرعة وتغيّرت في أثناء تلك المدة، لهذا، لم تكن أي تحولات صبغية (طريق رئيس للإصابة بالسرطان)، إذا لم تكتشفها أنظمة إصلاح الحمض النووي الريبي فوراً وتصلحها، تستقر في أعضاء كاملة النمو فقط، وإنما تُستنسخ وتُنتج على نطاق واسع أيضاً.

عندما عرف السيد ياماغوشي أن ابنتي د. ناغي أُصيبتا أيضاً بالسرطان، بدأ يفكّر في نفسه قائلاً: ربما حان الوقت لي كي أرفع صوتي عالياً.

كانت كايانو ناغي الصغيرة قد كبرت لتصبح شابة رائعة وجميلة درست الفن وتعلّمه، ثم انتقلت بعيداً عن يوراكامي وناغازاكي. كانت تحتضر آنذاك من سرطان في مرحلته الأخيرة. وكانت شقيقتها ماكوتو قد تخرّجت من جامعة طوكيو وعملت صحفيّة حتى تقاعدها عام 1995 بعمر الستين عاماً. عادت بعد ذلك إلى يوراكامي وعاشت قرب صومعة والدها. حيث وسّعت المكتبة وبرامج التعليم، حتى غيّبها السرطان عام 2001.

أخبر ياماغوشي مؤرخين: «بحلول سنة 2006، كان يجب أن أكون ميتاً بالتأكيد. لكن ها آنا ذا، في العقد التاسع من عمري ولا أزال أمشي

Twitter: @alqareah

في الأرجاء بعد أن حرقني بيكا مرتين.

قرّر: «إنه القدر. لهذا لا ينفع شيء معه. ليست هناك فائدة من الشكوى أو محاولة فهم شيء منطقي من ذلك؛ لأن ما حدث قد حدث».

يقول أصدقاؤه مازحين: «ذلك الرجل لا يعرف الخجل. بعد أن تعرّض لقنبلتين ذرّيتين كان موته طبيعياً، لكنه عاش ببطء».

كانت الدعابات قد أعجبت ياماغوشي وقتاً طويلاً، وضحك عليها مع أصدقائه. لكن بعد أن عرف ما كان يحدث في الحقيقة لأطفال بيكا، أصبح ممكناً أن يصدّق أن هناك حقيقة خلف المقولة القديمة إن أحداً قد يلقى حتفه على الطريق التي يسلكه لتفادي ذلك. ربما كان الوقت قد حان للخروج من الظلمة وسرد حكاية المدينتين.

أخبر ياماغوشي أسرته: «أشعر أنني أعيش من أجل ذلك السبب. أعيش وقتاً طويلاً كفاية، لأفعل ما يجب فعله، وأقول ما ينبغي قوله».

تضمّن أول شيء ظنّ أنه يجب أن يقوله تذكيراً من الماضي، معتقداً قديماً أنه إذا حدث شيء مرتين، فستكون هناك مرة ثالثة. عندما سأله صانعا أفلام وثائقية هل سيتكلم في الأمم المتحدة، نظر إلى الماضي لاستلهام صور للمستقبل وقال إن نواة رسالته ستكون ببساطة كالتالي: «لا يمكننا السماح باستخدام قنبلة ذرّية مرة ثالثة».

تذكّر قصة أب كاثوليكي، يوحنا بولص الثاني، الذي زار هيروشيما، ووقف قرب نصب تذكاري معلّق عليه آلاف من اللقالق الورقية، وقال: «الحرب عمل الإنسان».

كانت تلك الكلمات الرئيسة لياماغوشي، التي أضاف إليها لاحقاً: «ما يعنيه هذا – إذا عدَدناها حقيقة – هو أن الإنسان هو الذي ابتكر الحرب. لهذا يمكننا التوقف، إذا أردنا ذلك».

وهكذا، أول مرة في حياته، استخرج تسوتومو ياماغوشي جواز سفر وشدّ الرحال إلى نيويورك. وصادف أنه قبل يوم من إلقائه خطابه

Twitter: @alqareah

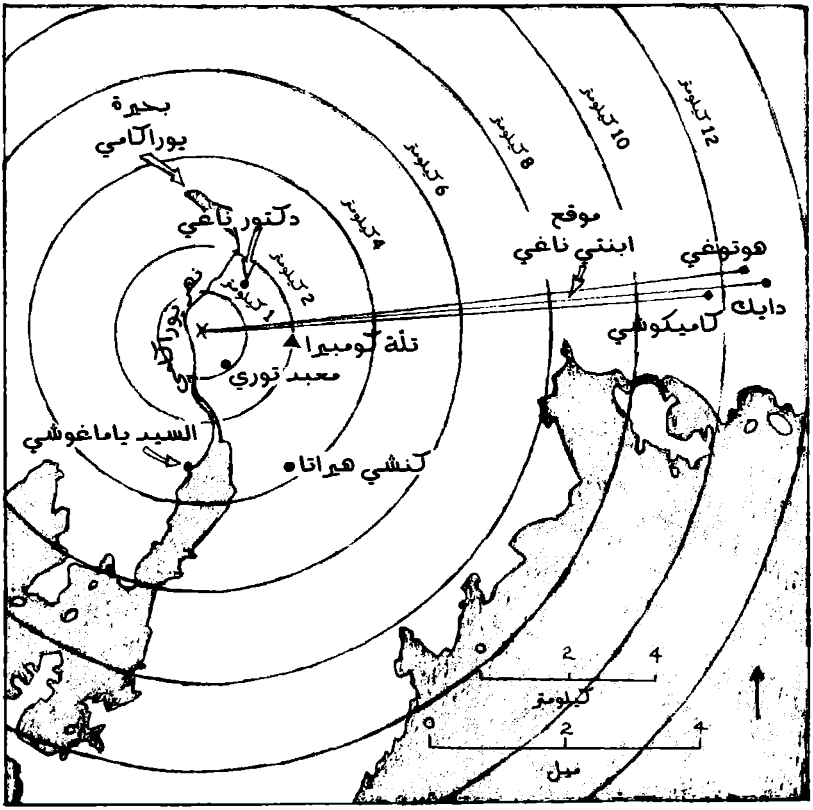

حملت أسرة ناغي ذنباً لم ترتكبه، فقد ظن د. بول ناغي أنه حين نقل ابنتيه للعيش معه في محطة أبحاث مركز الانفجار، ربما كان قد عرّضهما لإشعاع أصابهما بالسرطان لاحقاً في حياتهما. لم يكن العيش قرب مركز الانفجار المشكلة، لأن السقط الإشعاعي تحلل على الأرجح قبل وصولهما. بأي حال، عندما كان السقط الإشعاعي جديداً و«حاراً»، حملت الرياح أعلى تركيزات المطر الأسود مباشرة إلى الوادي حيث كانت ابنتاه تزوران أقرباء لهما. (باتريشا واين).

في الأمم المتحدة، قام بجولة في عربة انقطعت سلسلتها على سفح تلة قرب سنترال بارك، في حرارة حطمت الرقم القياسي بعد الظهر.

خرج الركاب من العربة، ولاحظ ياماغوشي أن السائق يواجه وقتاً عصيباً في إصلاحها، ومحاولة منعها من الانزلاق إلى أسفل التلة في

Twitter: @alqareah

الوقت نفسه. وضع ياماغوشي ثقله على أحد طرفي العربة، وقال: «أنا من اليابان»، ثم سأل السائق من أين جاء.

قال الرجل بسرعة: «كوبا»، وتابع عمله على السلسلة المكسورة.

تذكّر ياماغوشي: «لاحظت عندها أنه كان يتصبّب عرقاً. لهذا، سحبت منشفتي ومسحت العرق عن جبينه. لم نكن نتكلم اللغة نفسها، باستثناء كلمة هنا وهناك - يابان، كوبا - لكنني شعرت أنني بمساعدتي إياه، كان هناك شيء يجعلنا نتواصل معاً. ذلك الفعل البسيط بمنحه منشفة؛ بدا سعيداً جداً، أن يساعده غريب، وذكّرني بذلك الرجل الذي كان قد وضع وعاء أرز في يدي على القطار من هيروشيما؛ وخطر لي عندها، ولم يفارق ذهني منذ ذلك الوقت، أن ذلك شيء يمكننا جميعاً فعله: أفعال طيبة بسيطة».

كافح ياماغوشي ليحبس دموعه في الأمم المتحدة. كان ينظر إلى وجوه عدد كبير من الشبان. كانوا قد جعلوه يتذكّر الماضي، ويستعيد ذكريات جعلته بدورها يقلق بشأن مستقبل ذلك الجيل الآتي.

أخبر جمهوراً ضم طلاباً من ثانوية أميركية، بعمر «فتيان العشب» في هيروشيما، وبعمر فتيات المدارس اللواتي شاهدنَ الوميض يحرقهن بشدّة حتى بدا أن جلود وجوههن قد ذابت: «لم يكن أحد يعرف القنبلة الذرّية حتى اندلعت الحرب». حمل في قلبه قصيدة تانكا كان قد كتبها قبل سنوات طويلة، عن أجساد مُزّقت واحترقت بطريقة تحوّل فيها الدهن في أنسجتها إلى صابون شمعي، غلّف الأضلاع ولوّث الأرض. لكنه احتفظ بالقصيدة لنفسه آنذاك. وبدلاً من ذلك، تعهّد تسوتومو ياماغوشي أن يفعل كل ما في وسعه، طالما استطاع ذلك، للعمل على حظر الأسلحة النووية وتحقيق سلام عالمي دائم.

قال: «أرجوكم جميعاً، ادرسوا التاريخ بإمعان وفكّروا في نبل الحياة وأهمية السلام. معكم جميعاً أيها الشبان الأميركيون طيّبو القلب أتضرّع الآن: يا الله، امنحنا القوة لتحقيق السلام».

Twitter: @alqareah

لاحقاً، وصل الراهب الفرانسيسكاني ميرفين فيرناندو إلى الأمم المتحدة مع طلاب من قارب السلام العالمي، وعرّفهم إلى آخرين كان العمر قد تقدّم بهم في ظل هيروشيما. اكتشف الطلاب أن الناجين، مثل تسوتومو ياماغوشي، قلقون أكثر من معظم الناس بشأن المستقبل، وبدا كثير منهم بؤساء بشأن الحاضر. لم يفهم أحد الرجال مبدأ الوقود البيولوجي لتحويل الذرَة إلى بنزين وأن العملية تدعى خضراء. سأل: «تزرعون الطعام لتحرقوه وبطريقة ما تدعون تلك عملية صديقة للبيئة؟ هل هناك شيء أكثر غباء من ذلك؟!». كان آخرون مهتمون جداً بشأن نفاد أسماك المحيطات وإفساد تربة الأرض أو ذوبان غطاء جليد غرينلاند مثل اهتمامهم بالحروب القائمة آنذاك. قال أحدهم: «مسار تدمير البيئة سيكون مسار تخريب الاقتصاد العالمي. واقتصادٌ عالميٌ هشّ حبل حول عنق السلام العالمي ضمانة لنشوب حروب في المستقبل».

ما كان ياماغوشي يأمل أن يتذكّره الناس، ويحملوه إلى المستقبل، هو أنه وسائق العربة في مانهاتن لم يكونا يتكلمان اللغة نفسها، لكنهما فهما بعضهما بعضاً بأي حال؛ لأنهما ببساطة إنسانان: جميعنا سواسية.

كان ياماغوشي قد سأل: «إذاً، لماذا نتقاتل؟». كلما كان الناس يجتمعون حوله ويصغون إليه - كان لديه مستمعون كُثر، بعد الذكرى الحادية والستين للقنبلة الذرّية (التي أشار إليها ساخراً ومداعباً على أنها الذكرى المئة والثانية والعشرون؛ لأنه نجا من قنبلتين) - كان ياماغوشي يشرح أنه لا ينفك يطرح على نفسه هذا السؤال: «لماذا نتقاتل؟». وإذا كان هناك أمل فعلاً في تغيير درب الحضارة، كما أدرك، ربما كان لقاؤه بسائق العربة قد حدّد الطريق.

قد يحاول قادة وطنيون منع العالم من معرفة مركز انفجار آخر، لكن يجب عدم الاعتماد عليهم وحدهم. كان تسوتومو ياماغوشي قد علم أن هناك شيئاً يستطيع فعله وإن كان صغيراً. بدأ يعلّم: «كلٌّ منكم - بالرغم من أنك قد تكون إنساناً واحداً فقط - كل منكم

Twitter: @alqareah

يستطيع، وحده، مساعدتنا في البدء بفهم بعضنا بعضاً. هذا كل ما يتطلبه الأمر: خطوات صغيرة. هذا كل ما عليكم أن تتذكّروه. انشروا أفعالاً طيبة حولكم، من شخص إلى آخر. انشروا اللطف مثل وباء مُعدٍ».

تساءل ياماغوشي: «هل هناك شيء أسهل من ذلك؟». هل من شيء أبسط من نيوكودو وأوموياري، أو ما يدعوه الأميركيون مبدأ «ادفع بالتي هي أحسن»؟.

أدرك أن أمله في التغيير عبر أفعال فردية من اللطف الإنساني المتبادل قد يبدو مبسّطاً - وساذجاً تماماً - «لكن، إذا تقيّدنا بمثل تلك المبادئ، فعندها يجب أن نخرج من تجربة الحرب لا بصفتنا يابانيين أو أميركيين، ولا بصفتنا نصرانيين، أو بوذيين، أو هندوسيين، أو مسلمين، أو يهوداً، وإنما ببساطة... بصفتنا بشراً. يجب أن نبدأ من مكان ما؛ ينبغي ذلك».

أدار ماساهيرو ساساكي، عندما لم يكن يلتقي مع ناجين أو تلاميذ آخرين، أو ممثل من الفاتيكان، محلاً لقص الشعر مع زوجته في ضاحية هادئة شمال ناغازاكي. محلياً، كان مشهوراً بتقديم خدمة توصيل شخصية من الباب إلى الباب إلى كل عملائه، وهو ما كان أحد مظاهر مبدأ أوموياري الصغيرة.

في أثناء صيف 2008، زار عالمٌ السيدَ ساساكي في محلّه. تعلّم الزائر كلمتي نيوكودو وأوموياري. واستطاع بمساعدة ماساهيرو أن يحدّد - أولاً على خريطة استطلاع 1945، ولاحقاً في شوارع هيروشيما الحقيقية - الموقع الدقيق لمنزل طفولة ماساهيرو وساداكو الأصلي. كان آلاف من المسافرين على متن القطار الرصاصة يمرّون قرب الموقع كل يوم من دون أن يعرفوه. في أثناء سنوات إعادة الإعمار، أُزيل آجر السقوف والرماد ومُهّد موقف سيارات فوق الأساسات القديمة، مع الحفاظ عليها. عبر الشارع، في اتجاه منزل د. هاشيا، كان متجر

Twitter: @alqareah

7 – أحد عشر (سلسلة متاجر تجزئة) يعمل طوال أربع وعشرين ساعة وقد ارتفع عالياً من الأنقاض.

في يوم إعادة اكتشاف منزل ساداكو، ترك العالم أزهاراً عند زاوية موقف السيارات، وانحنى ثلاث مرات، ومشى شرقاً نحو النهر. عندما بدأ يصوّر المكان بين الجسرين الذي كان ماساهيرو، وساداكو، ووالدتهما قد لجأوا إليه في قارب متهالك، انخفض لقلق أبيض من الجنوب وحطّ على تلك البقعة.

توفي ميشيهيكو هاشيا، صديق السيد ساساكي وجاره، عام 1980. أشارت المذكّرة التي خطّها في هيروشيما إلى أنه يحمّل نفسه وزر ذنب موت والدة السيّد ساساكي. لو أنه لم يكن رجلاً محترماً في المقام الأول، ما كان ليحمل مثل ذلك الذنب أبداً. لم يكن رجل أقل شأناً سيشعر بأي شيء على الإطلاق. من ثمّ، فإن القنبلة قد آذت أسرتين نتيجة كرم أخلاق هاشيا، وولائه لجيرانه، وإنسانيته. حتى بعد أن بدأت قصص عن ساداكو وألف لقلق ورقي تنتشر في كل اليابان، لم يتذكّر ماساهيرو أن والده قد سمع قط من د. هاشيا مجدداً؛ تماماً كما كانت نظرية د. هاشيا عن «تصدّعات غير مرئية» قد توقّعت.

في يوراكامي، كان قدر أكيزوكي صديق ناغي أن يتوفى لأسباب طبيعية بتقدّم العمر عام 2005. أيّد تعاليم د. ناغي حتى النهاية.

بحلول ذلك الوقت في هيروشيما، لقي السيد ساساكي حتفه عن عمر سبع وثمانين سنة.

كانت فوجيكو ساساكي متوفاة.

كانت كيو زميلة ساداكو متوفاة.

كان ريوتا كوندو متوفى.

كبر كيجي ناكازاوا – «الجنرال حافي القدمين» – في مدينة الأكواخ بين مستشفى اتصالات د. هاشيا والمدرسة التي التحق بها ماساهيرو

Twitter: @alqareah

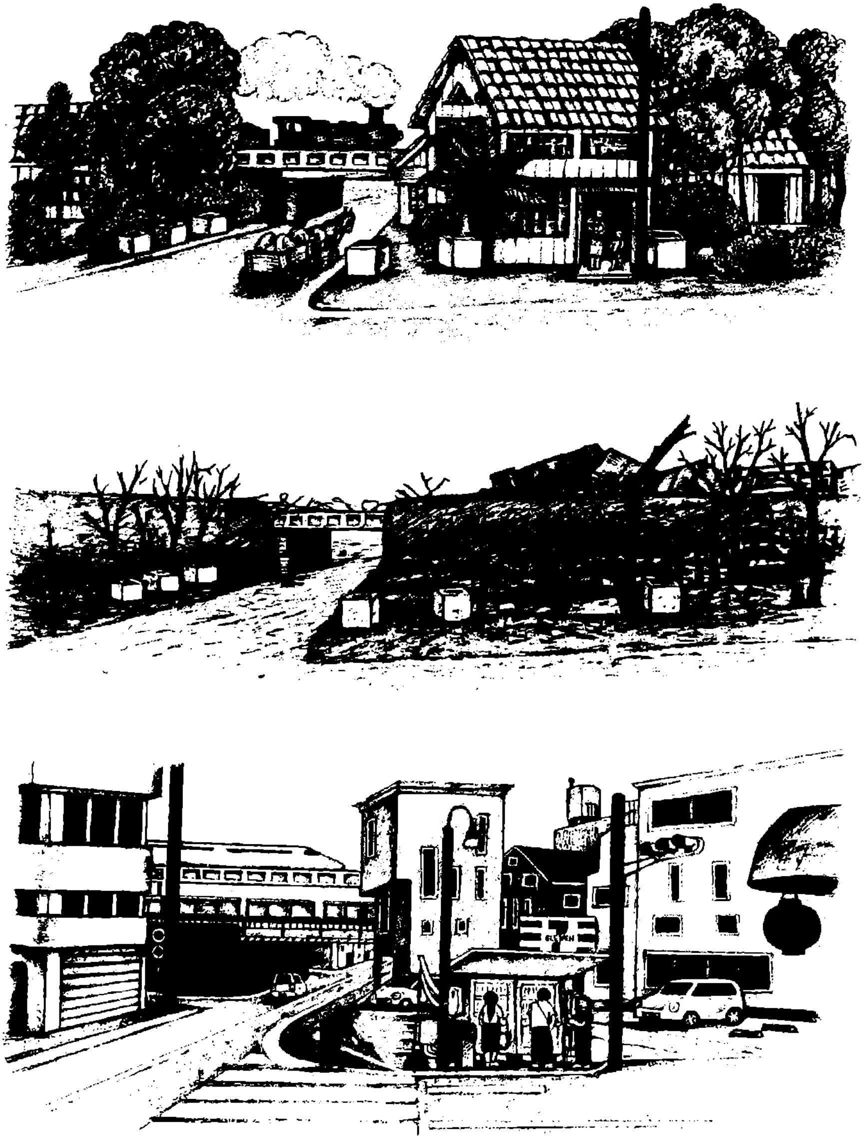

الزاوية التي كان منزل ساساكي عندها كما كانت تبدو في صباح 6 آب 1945، وبعد يومين من إخماد النيران، وفي أثناء صيف 2008. (باتريشا واين).

Twitter: @alqareah

وساداكو ساساكي. كان الجنرال يقع في متاعب دائماً، ويدخل في مشاجرات في ساحة المدرسة، ويهرب أياماً وأسابيع.

تذكّر الجنرال: «بالطبع تشاجرت كثيراً. أصبح قوم بيكا - دون (يدعَون هيباكوشا) منبوذين في أغلب الأحيان. كان أشخاص أوفر حظاً وأفضل صحة قد بدأوا يتوافدون من مناطق أخرى في البلاد، ويعاملوننا مثل قاذورات. لاحقاً في الحياة، إذا اكتشفت أسرة شابة أننا قد تعرّضنا للقنبلة، لم تكن تسمح لنا عادة بالزواج منها. بالرغم من أننا كنا قد نجونا، إلا أنه لم يكن مسموحاً لنا أن نعيش».

في أثناء هروبه من المدرسة، اكتشف الجنرال كتباً هزلية ورسومات فريدة من نوعها: كانت في الواقع أشكالاً بدائية من حركة مانغا الفنية. في نهاية المطاف، عمل الجنرال مع مبتكري الفتى أسترو (سلسلة قصص يابانية نُشرت أول مرة عام 1952)، وذلك قاد إلى ظهور كتب الجنرال حافي القدمين وأفلام روائية طويلة عدّة، اقتُبس أحدها من مذكّرات د. أكيزوكي.

كان الجنرال قد قال: «لا يمكن أن يقع بيكا - دون وينشأ هيباكوشا عنه مجدداً. عندما جاء الأميركيون، كتبوا دستورنا، وفقاً لنماذجهم عن الحرية. لكن المادة 9 من دستورنا تفيد بالتالي: لا بحرية. لا جيش. لا قوة جوية. لا إنتاج أسلحة. إنها وثيقة استثنائية. وبغض النظر عن رأينا فيها، يجب أن نحميها».

لقي كل أصدقاء طفولة الجنرال - على الأقل أولئك الذين كانوا قريبين كفاية ليشهدوا القنبلة - حتفهم قبل انقضاء القرن.

لقيت ساتوكو ماتسوموتو وباقي أفراد أسرتها حتفهم.

ماتت يوشيكو موري وابنها هيروشي.

توفي ماسوجي آيبيوز، شاعر هيروشيما الذي شهد حادثة «السوسنة المجنونة».

مات الإطفائي ياساكو ميكامي.

Twitter: @alqareah

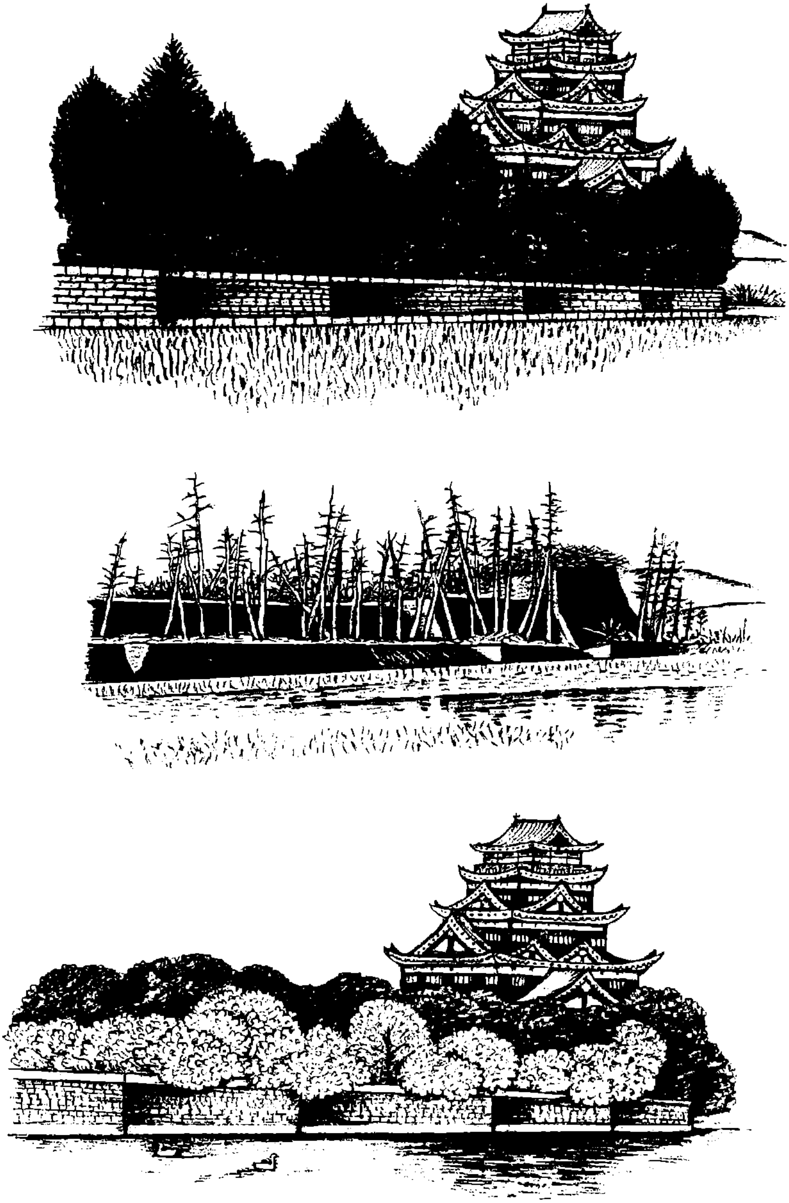

قلعة هيروشيما في تموز 1945، وفي آب 2009. (باتريشا واين).

Twitter: @alqareah

لم تظهر على دوي مساعد صانع الطائرات الشراعية، أحد زملاء السيد ياماغوشي الذين نجوا من القنبلة الذرّية مرتين، أي أعراض إشعاع معروفة بالرغم من وابل الأشياء التي قذفتها القنبلة من مركز الانفجار على حيّه في ناغازاكي، التي تبعها بسرعة ضباب رقيق ترافق مع مطر أسود. بالرغم من عدم إصابة دوي بأي أذى، إلا أن ابنته أُصيبت بقروح، وتورّم العقد اللمفاوية، وفقر دم، وأمراض عدّة أخرى. بعد بضع سنين، عندما بدا أن الفتاة على وشك أن تستعيد عافيتها كاملة، أصبحت زوجة دوي مريضة، وتبين أنها مصابة بالسرطان، وتوفيت.

أصبح أكيرا أيواناغا موظفاً في مكتب دار الحكم البلدي في ناغازاكي بعد الحرب، حيث تقاعد أخيراً بصحة جيدة، ثم انتقل إلى الساحل مع أسرته وعاش حتى العقد التاسع من عمره عام 2010، بقي مع تسوتومو ياماغوشي شخصان نجوَا مرتين من القنبلة الذرّية لا يزالان حيَّين.

توفيت شودا شينوي بالسرطان عام 1965.

بقيت د. يوشيوكا اليافعة، بوجهها الذي شوّهه الانفجار وجعل د. أكيزوكي يشعر بذنب لم يتخلص منه قطّ، تعيش قرب مجمّع مستشفى يوراكامي حتى وفاتها سنة 1985. في كل مكان حول المجمّع، عادت أزهار الكرز التي حرقتها القنبلة حتى جذورها إلى الحياة، وحوّلت على نحو غريب مناطق مقفرة إلى غابات وحدائق غنّاء.

لم يستطع الأب ماتياس أن ينسى قطّ الأطفال الذين كان قد تركهم وحدهم على برج وسط ديدان النيران المتصاعدة في هيروشيما. انحدر إلى إدمان شديد على الشراب وانتحر عام 1985. جادل الفيلسوف اليسوعي جون ماكاني دفاعاً عنه وشارك في جنازته بالرغم من معارضة كنيسته مثلَ ذلك التساهل مع الانتحار. قال ماكاني: «كان رجلاً طيباً حاول أن يعيش حياة هانئة. كانت هيروشيما من قتلته».

تعافت هيروكو ناكاموتو من جروحها، وسافرت في نهاية المطاف

Twitter: @alqareah

إلى الولايات المتحدة، حيث درست تصميم العمارة الداخلية في معهد برات في نيويورك. بعد عودتها إلى اليابان، صمّمت صرح بوابة السلام لمحطة السكك الحديدية في هيروشيما.

توفيت ميساكو كاتاني.

توفي ماساو كوماتسو.

توفي صانع الطائرات الشراعية موريموتو.

بعد وفاة زوجته، أُصيب دوي باكتئاب، ومرض، ثم توفي.

بقي الوالي تيكجيرو نيشيوكا يعاني أعراضَ الإشعاع شهوراً بعد هيروشيما وناغازاكي. ظنّ أنه سيموت قريباً، فنقل حقوق مؤسسة النشر الخاصة به إلى زوجته. وسّعت السيدة نيشيوكا كثيراً عائدات نشر الأسرة، ثم دخلت عالم السياسة وانتُخبت عضواً في مجلس الشورى (مرادفٌ في اليابان للبرلمان البريطاني أو الكونغرس الأميركي). تقاعد السيد نيشيوكا من السياسة، وبدا أنه يستعيد عافيته، ثم مرض، ومات.

توفي الحاكم ناغانو.

أصيبت خوسيه ماتسو، أقرب ناجية إلى مركز انفجار يوراكامي، بالسرطان وماتت.

رأت إيميكو فوكاهوري، واحدة من أولاد قلائل وصلوا إلى ملجأ يوراكامي في الوقت المناسب، أسرتها تلقى حتفها قرب بستان خيزران على بعد ستمئة متر من مركز الانفجار. ولأنه نادراً ما كان يتم إصدار شهادات وفاة لأشخاص لا يتم العثور على جثثهم، وجدت صعوبة في إثبات أنها يتيمة حرب لمسؤولين بيروقراطيين عن تقديم مساعدات إلى الأطفال. بسنّ السادسة عشرة، ظهرت عليها أعراض مرض القنبلة الذرّية - فقر دم - ودخلت المستشفى في الوقت نفسه تقريباً مع ساداكو ساساكي. استعادت إيميكو عافيتها، وتابعت دراستها، وأمضت باقي حياتها في معتزل كاثوليكي في أوساكا.

لقيت سومي - تشان صديقة إيميكو حتفها.

Twitter: @alqareah

توفي الطالب العسكري كوماتسو وصديقاه.

في ما يخص الطبيبَ ماساو شيوتسوكي، حدّد استنشاق الغبار الإشعاعي وتجفيف المطر الأسود عن ملابس المرضى الوافدين إلى مستشفى البحرية في أومارا بداية كفاح طويل ضد السرطان؛ وخسر معركته عام 1978.

كانت سوميكو كيريهارا، الفتاة التي وُجدت داخل شرنقة حماية من الصدمة وعاشت في الحي نفسه مع ساداكو ساساكي، ستعيش لولا المطر الأسود. في البداية، نجا كل أفراد أسرتها بحياتهم. وفي أثناء السنوات الثلاث التي تلت ذلك، عانى كل منهم نوبات متقطّعة من النزيف تحت الجلد والإرهاق الذي يوهن الجسد. أُصيبت سوميكو بالتهاب كبد عضال، وفقر دم، وحمّى شديدة على نحو مخيف. أخرجت نفسها من سرير المرض بالاستفادة مما دعته القوة التي استمدتها معتقداتها البوذية، بعد تسع سنوات، بدأ أفراد أسرة كيريهارا السبعة الآخرون يموتون يافعين واحداً إثر آخر.

توفيت ساشيكو ماساكي، وكانت قد نجت مع هاجيمي أيواناغا في مصنع ميتسوبيشي للطوربيد، بالسرطان. توفيت والدتها وشقيقتها قبلها.

توفي هاجيمي أيواناغا.

انتقلت ميشي هاتوري، الفتاة في الخامسة عشرة من عمرها التي عادت من مدرسة أصبح ما يحيط بها «مقبرة من دون شواهد قبور» واكتشفت أن حيها برمّته كان داخل شرنقة حماية من الصدمة من ناغازاكي إلى مقر قيادة الجنرال مكارثر في طوكيو، حيث عملت مترجمة. تزوّجت أميركياً، وأصبحت ميشي هاتوري برنستن، وانتقلت إلى ميسيسيبي حيث توفيت بالسرطان.

توفي إيساو كيتا.

كان إيشيرو مياتو، رجل الرادار الذي أبلغ عن اقتراب مهمة تشارلز سويني من ناغازاكي، لا يزال حياً بعد انقضاء القرن.

Twitter: @alqareah

رُقّي تشارلز سويني إلى جنرال عام 1956 وأصبح قائد جناح الدفاع الجوي رقم 102 (ولقي حتفه لأسباب طبيعية عام 2004).

نُقل ماركوس مكديلدا، الطيار الأميركي الأسير الذي ابتكر تحت التعذيب تصميم قنبلة ذرّية بدا عملياً (بناءً على تفاصيل مبهمة ومختلقة عن كتلتين كرويتين)، إلى منشأة استجواب أكثر تطوراً قرب القصر الإمبراطوري في طوكيو. بعد ذلك بوقت قصير، قُطعت رؤوس زملائه أسرى الحرب الخمسين في مقر قيادة الشرطة السرية. بقي مكديلدا تحت حراسة مستمرة، وفي خطر دائم كما ظنّ، حتى 30 آب 1945، عندما حرّر فوج مشاة البحرية الرابع معسكر سجن أوموري على واجهة طوكيو البحرية. عاد إلى الولايات المتحدة وعاش عمراً مديداً.

عُدّ عالم الفيزياء ريوكيشي ساغين قيمة نووية بموجب بروتوكول مكارثر. نُقل من طوكيو إلى بيركلي ومنشأة تسريع الجزيئات القريبة منها، حيث ابتكر برامج قادت إلى إجراء تجارب قصف بروتونات بمضادات بروتون.

أصبح د. لويس ألفاريز مدافعاً عن السلام؛ أولاً من أجل خفض الأسلحة النووية وأخيراً من أجل حظرها تماماً. عندما عثر وابنه والتر مصادفة على طبقة إيريديوم تنتشر على امتداد نيوزلندا وباقي العالم، سرعان ما اكتشفا مفهوم الشتاء النووي المحفور في صخور بدا أنها تتزامن مع انقراض الديناصورات. قال ألفاريز: «إذا لم نكن حريصين جداً، فعندها ستكتب الصخور على الأرجح نعوتنا في عاصفة غبار عالمية بطريقة مماثلة، وسننقرض مثل الديناصورات يوماً ما».

أضمر ألفاريز، حتى يوم وفاته، استياءً عميقاً وشديداً من «مبرّئين» حكوميين من الولايات المتحدة واليابان حاولوا، بمساعدة من رجال قانون، أن يصنّفوا رسمياً اثني عشر شخصاً فقط في هيروشيما – وثلاثين بقرة في اتجاه الريح – في لائحة قتلى التسمم الإشعاعي. بموجب بروتوكول مكارثر، لم يكن مسموحاً للناجين من القنبلة الذرّية بنشر

Twitter: @alqareah

قصص عن تجاربهم: لهذا انتشرت أساطير حضرية من الأنقاض. بدأت خرافات عن مشوّهين أصابهم الإشعاع ترتدي عباءة التاريخ الشفهي، ووصلت دعاية مكارثرية عن الفوائد الصحية للدغات العقارب التي أصابها الإشعاع، إضافة إلى حالة د. بول ناغي المثيرة للاهتمام، إلى الصحفي ستانلي ليبر الذي كان قد جُنّد، مثل جيمس كلافيل وبلايرايت ويليام ساروفان، في أثناء الحرب بصفته مؤلفاً عسكرياً. أثارت الأسطورة النووية لدى ستانلي ليبر شغفاً كبيراً في الخيال المجرّد الذي يتضمن تحولاً إشعاعياً. انتقل بعد الحرب إلى مدينة نيويورك، وغيّر اسمه إلى ستان لي مانحاً إياه صبغة إنكليزية، ووضع بصمته على التاريخ الأدبي بتأليف هالك، ورجال إكس، والرجل العنكبوت، الذي كان تحية إلى د. ناغي.

عانى د. هارولد أوري انهياراً عصبياً بعد أن رأى أن القنبلة الذرّية، بدلاً من أن تضع حداً للحرب، قادت إلى الحرب الباردة؛ حقبة الإنتاج الواسع للأسلحة النووية. بوصف ذلك جزءاً من عملية استعادته عافيته، وجّه ألفاريز وأصدقاء آخرون أوري نحو حل مشكلات فهم درجات الحرارة القديمة باستخدام نظائر الأوكسجين ومحاولة معرفة من أين جاء الحمض النووي الريبي. ساعد مع الطالب ستانلي ميلر في ابتكار تجربة «تفريغ الكهرباء الساكنة» في تحوّل كيميائي، واقترحا أن أولى الخطوات من الكيمياء في اتجاه الحياة كانت متشابهة على نحو يثير الدهش. عندما أعدّ ميلر مسوّدة بحثهما للنشر في مجلة ساينس، وضع أوري اسمه عليها بصفته مساعداً للمؤلف، مقتنعاً أنها ستفوز بجائزة نوبل، وعلّق قائلاً لتلميذه: «لدي سلفاً إحدى تلك الجوائز». توفي أوري شاباً، حين كان يكتب رسالة إلى صديق عن سر أصل الحياة.

كرّس ألبرت أينشتاين صديق هارولد أوري، الذي أطلقت رسالته عام 1939 إلى الرئيس روزفلت برنامج القنبلة الذرّية الأميركي، نفسه لقراءة ما كتبه غاندي، وناغي، وكل رجل سلام آخر. بعد أن رأى صوراً

Twitter: @alqareah

من هيروشيما وناغازاكي – فيها ساعة جيب تجمّد مؤشراها عند الساعة 8:15، وساعة محطّمة من ناغازاكي توقفت عند الساعة 11:02 – تذكّر عالم الفيزياء ملحوظة د. ناغي أن اكتشاف سيف السماء ذو الحدّين، المخبّأ في الذرّة، قد غيّر كل شيء يتعلّق بالإنسان باستثناء طريقته في التفكير. أضاف أينشتاين إلى تلك الملحوظة أن سباق التسلح النووي اللاحق يفطر القلب، وأنه بالرغم من أن ين ويانغ «السيف والهبة» قد غيّرا كل شيء إلا طريقة الإنسان في التفكير، فإن «حل هذه المشكلة يكمن في قلب البشرية. لكن لو كنت أعرف (في شبابي بشأن السيف)، لكنت قد أصبحت صانع ساعات». بعد عقد من ظهور أول قنبلة ذرّية، توفي أينشتاين بسكتة قلبية.

في أثناء العقود التي تلت هروب والدة إيكو منها بعد رؤيتها حروق الوميض التي أُصيبت بها، نجم عن العار الذي لم يُفصح عنه بشأن طريقة وفاة الطفلة ألمٌ شديد حتى لم يعد في مقدور أفراد أسرة ناغي زيارة قبرها إلا نادراً. ربما لم يكن هناك مثالٌ أقوى من ذلك عن التصدّعات التي ذكرها د. ناغي في الروح البشرية التي سبّبتها القنبلة؛ لأنه بحلول العقد الأول من القرن الحادي والعشرين لم يعد أحد يتذكر المكان الذي دُفنت فيه إيكو.

لقيت تاتسو قريبة إيكو الصغيرة، آخر شخص زار قبرها، حتفها.

مات الجندي شيجرو شيموياما.

مات نوبو تيتسوتاني.

لقي كوياما وكوتسوب صديقا د. هاشيا حتفهما.

قضى السيد فوجي، طالب اللاهوت الذي هرب من ناغازاكي قبل بيكا وذهب بحثاً عن صديقته في هيروشيما، نحبه.

تابع د. مينورو فوجي العمل في ضواحي هيروشيما وبقي على اتصال دائم مع مينامي حتى وفاته.

كانت صديقات مينامي، بمن فيهن الممرضة ريمو أوا («سأعيش

Twitter: @alqareah

وأنا أتذكّر أن موت الأشخاص الذين فقدناهم في هجوم القنبلة الذرّية يجب ألا يذهب سُدى»)، والممرضة فوجيتا ميساكو، وهيروشي تاكامويا («أرجوكم تذكّروا هيروشيما من أجل السلام»)، وسايتو كينيكو، وكونو كازوكو، لا يزلن أحياء مع بداية القرن الجديد.

بقيت أكيكو تاكاكورا، التي نجت من مصرف سوميتومو، في هيروشيما حتى عام 2008 وصحتها معتلّة؛ وبقي فيها كذلك نينكاي أوياما الذي اختفت والدته من دون أثر عند قبّة هيروشيما.

كبر تسوجيو إيتو، الذي تعفّن جسد شقيقه هيروشي حين كان لا يزال حياً بعد أن هرب من هيروشيما، في أسرة تمتّع كلا الوالدين فيها بصحة ممتازة بالرغم من الخسارة الفادحة واضطرارهما إلى المجازفة بحياتهما في منطقة حارة وإشعاعية النشاط قرب جسر ميساسا. تزوّج تسوجيو أخيراً، وأبقى وضعه بصفته أحد أفراد أسرة هيباكوشا المنبوذين سراً. لم تظهر على كازوشيجي ابن تسوجيو، الذي نشأ في أسرة سمّمها «غبار الموت»، أي علامات على إصابته بالمرض. مثل أكيكو تاكاكورا، عمل كازوشيجي في إحدى أكبر المؤسسات المصرفية في اليابان، وبعد أن حصل على ترقيات عدّة نُقل عام 1998 إلى مكتب مصرف فوجي في البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي في نيويورك؛ في 11 أيلول 2001، بعد نحو ستة وخمسين عاماً على اليوم الذي جلس فيه تسوجيو إلى جانب سرير موت شقيقه هيروشي، اختفى ابنه كازوشيجي في مركز أرض الصفر الثانية للأسرة.

توفيت هاناكو إيتو، التي جالت قفر أرض الصفر في هيروشيما بحثاً عن ابنٍ حدّد الهواء الذي كان قد استنشقه مصيره سلفاً، في أيلول 2001، عندما قبلت حقيقة أن حفيدها كازوشيجي لم يكن مفقوداً في أرض الصفر في نيويورك، وإنما لقي حتفه.

بقيت السيدة سوماكو ماتسوياناغي في هيروشيما، حيث كانت تُشعل فانوساً وتجعله يطفو في النهر كل 6 آب تخليداً لذكرى ابنها

Twitter: @alqareah

المفقود. استمرت في إشعال الفوانيس ثلاثين سنة، حتى انضمت إلى الفتى في الموت.

كان كونيوشي ساتو، الرجل الذي جلس قبالة كنشي هيراتا في القطار من هيروشيما، والذي أشبع فضوله بشأن ما كان كنشي يحمله داخل آنية الزفاف، قد لقي حتفه آنذاك.

كانت والدة توشيهيكو ماتسودا قد توفيت.

قضى العميد سوسومو تسونو نحبه، وماتت السيدة تسونو.

لقي أبناء تسونو حتفهم.

نُقلت والدة إيكو ذات مساء إلى مستشفى، تصرخ بتعبيرات فاحشة. تقيّأت شيئاً أسود، وارتعشت ولهثت طالبةً الهواءَ، ثم تقيّأت مجدداً، ثم ماتت هي أيضاً.

بعد أقل من سنتين على هيروشيما، عادت مينامي إلى كوريا. وعام 1950، وقعت أسيرة في غزو كوريا الجنوبية من الشمال. تذكّرت مينامي بعد أكثر من نصف قرن: «لو أن الجنرال مكارثر لم يصل في اللحظات الأخيرة من 15 أيلول، لكنت حُرقت أو متُّ جوعاً مع أشخاص آخرين كُثر. لم نكن لنعرف أنا وأولادي السعادة التي نشعر بها الآن لو أنه لم يفعل ذلك».

نجت مينامي ولم تصب إلا بجرح بالغ من رصاصة دخلت فوق كتفها اليمنى واستقرت تحت عظم الترقوة. بعد بعض الوقت بصفتها لاجئة في بلادها، ومعاناتها سنواتٍ أسوأ من زمن الحرب في اليابان، اتخذت سبيلها إلى ألمانيا وأخيراً إلى جامعة نيويورك، وحملت معها توصية من د. فوجي في هيروشيما فحظيت بعمل في دار عجزة في الشارع الرابع عشر في نيويورك. غيّرت هناك اسمها مرة أخرى: من مينامي إلى نانسي.

أضافت اسم كانتويل عندما تزوجت لاري كانتويل.

Twitter: @alqareah

بدا أمراً محتّماً تقريباً أن تعلق في زحمة سير خارج نفق لنكولن في صباح 11 أيلول 2001 الجميل على نحو استثنائي. رأت بأم عينها كل برج ينهار بقوة بلغت 1.6 كيلوطن. بعد ثماني سنوات، أخبرت نانسي كانتويل تجمّعاً من الطلاب الشبان: «ليس لنا خيار في أننا جئنا إلى هذا العالم. تجعل التقنية باستمرار العالم أصغر وأكثر ارتباطاً ببعضه بعضاً، سواء أأحبّ الجميع هذا أم لا. قالت لي جدّتي: يد واحدة تغسل الأخرى. بغض النظر عن الذي يقود الأمم الكبيرة في المستقبل، يجب أن تساعد الدول الكبيرة البلاد الأصغر على النمو والعيش بسعادة».

بدا كلامها ساحراً مثل نيوكودو وأوموياري.

قالت: «هذه أمنيتي، وهذا دعائي». ألا تكون هناك قبور أخرى من يراعات زرقاء. ألا تهطل المزيد من الأمطار السوداء. ألا يعرف محبّون قطّ مجدداً ما يعنيه طي ألف لقلق ورقي.

على ارتفاع عشرين طابقاً في برج ليبرتي بلازا 1 الذي بقي سليماً، في «حجرة أسرة» مركز التجارة العالمي، ترك والد حزين نسخة من دستور اليابان تحت ألف لقلق ورقي، مع تركيز خاص على الفقرة التي كان الجنرال حافي القدمين يهتم بها كثيراً. أضاف الوالد إلى تلك الفقرة أمنيته الخاصة: «من أجل عالم هادئ، من دون حرب ومن دون أسلحة».

أُرسلت حزمة اللقالق الورقية التي وُضع الدستور تحتها (كان شريط يتصل به يحمل كلمات «عودوا إلى هيروشيما») إلى حجرة الأسرة من أجل صديق ماساهيرو ساساكي تسوجيو إيتو، الذي استمد بعض السلوان من معرفة أن شقيقه هيروشي توفي محاطاً بأفراد أسرته ومحطّ رعايتهم، وندم على أن ابنه مات وحيداً ومن دون أثر حين مرّ جسم طائرة الرحلة 175 المدمّر مباشرة عبر مكتبه في البرج الجنوبي.

في اليوم الذي ذهب فيه ماساهيرو إلى نيويورك مع صديقه

Twitter: @alqareah

تسوجيو إيتو وزار حجرة الأسرة، تم تعريفه إلى ناجي 11 أيلول على أنه ضحية من هيروشيما.

قال ماساهيرو بجفاء: «أنا ناجٍ، ولست ضحية». واكتشف أن العديد من أسر 11 أيلول لا يزالون يرغبون في الثأر بعد سنوات من سقوط البرجين.

شرح ماساهيرو: «قبل أكثر من خمسة عقود مضت، كنت في الحالة الذهنية نفسها التي تجدون أنفسكم فيها اليوم. الفرق أنه كان لدي نصف قرن إضافي لأفكر ملياً في الأمر. في أثناء السنوات العشر الأولى أو نحو ذلك، لا بد من أن مشاعر الأُسَر في كل المناطق المدمّرة الثلاث كانت نفسها. لكن السؤال المهم هو: ماذا يمكننا أن نفعل من أجل المستقبل؟».

تذكّر ماساهيرو أن عالماً أخبر مرة لاهوتياً: «نحن حاصل ما نتذكّره». ورد عالم اللاهوت: «لا، نحن كيف نتذكّر».

قال ماساهيرو: «كل معاناة الماضي لا تعني شيئاً إذا لم نستقِ العبر منها لبناء عالم أفضل لطفل الغد».

قال ماساهيرو مجدداً إن السؤال الكبير هو: «ماذا يمكن أن نفعل من أجل المستقبل؟».

لم يكن يصدّق أن السؤال الكبير يتطلّب أجوبة كبيرة مزلزلة تخرج بكل قوة بندقية رشّ. يتطلّب اعتماد طريقة تفكير مختلفة الخروج إلى العالم مثل ثقوب إبر صغيرة والحصول فقط على أمل مجهري في الوصول إلى شخص ما، في مكان ما، قد يصبح محورياً في التاريخ («هل أنصح قائدي بشن هجوم أم إجراء حوار؟... أن يبادر فوراً أم يتريث قليلاً؟»). مثل تسوتومو ياماغوشي، كان يأمل أن نشر أفعال طيبة قد يصل، من دون حتى أن نعرف ذلك، إلى قلب طفل ربما يكون قد فقد كل أمل ويظنّ أن لا طيبة في البشر، ويغيّر درب شخص قد يكبر بخلاف ذلك ليتسبّب بليلة أخرى من المطر الأسود واليراعات الزرقاء.

Twitter: @alqareah

قال ماساهيرو ساساكي: «أظن أن أومورياري أفضل طريقة للبدء. أسوأ طريقة هي أن ندعو أنفسنا ضحايا. إن قول «ضحية» يتطلّب وجود ظالم، والظالم يتلقّى اللوم، وهكذا تبدأ سلسلة اللوم. مثلاً، إذا قلنا ضحية هيروشيما، فستكون الجملة الآتية بيرل هاربر، وهكذا ستثبت سلسلة اللوم في الماضي. عندها سنبتعد جميعاً عن عبرة أن الحرب نفسها باندورا (صندوق شرور) البشرية، وأن الأسلحة النووية شيء خرج من صندوق باندورا».

إذا أصبحت الضحية واللوم العبرةَ («بلدك أضرّ بي! أنت آذيتني أولاً!») فسنصبح عندها سجناء في الثلاثينيات والأربعينيات، وعالقين إلى الأبد في ماضينا. أراد ماساهيرو المضي قدماً مع أومورياري، في أفكاره وأفعاله.

أخبر ماساهيرو مستمعيه في أميركا: «فكّروا في الشخص الآخر أولاً»، حيث كان أصلٌ منفصلٌ لمبدأ مشابه يحاول آنذاك، وإن يكن مترنحاً، أن يثبّت جذوره تحت تعبير «ادفع بالتي هي أحسن». تعود الفكرة الرئيسة عبر «مثل نفسك» (أو نيوكودو) إلى نسخ من القاعدة الذهبية ما قبل الكتاب المقدّس.

قال ماساهيرو: «فهمت ساداكو هذه الفكرة على نحو شخصي وأكثر عمقاً مما سيفعله معظم الناس. ولم يكن لديها وقت يكفي إلا لتبدأ تعليم ما كان معظمنا قد نسيه بكل سهولة مجدداً».

خرج بعض الناجين من حادثة 11 أيلول وأسرهم من اللقاء مع ماساهيرو بطريقة تفكير جديدة. لم يكن عددهم كبيراً؛ لأن الجروح كانت لا تزال غضّة، ولم تكن الكلمات تؤثر في أغلبيتهم. تأثر بعضهم فقط؛ قليل منهم، في الواقع. لكن قد يكون ذلك كافياً.

في تلك السنة نفسها، تكلم ماساهيرو عن هذه الكلمة نفسها، أومورياري، في فيينا.

عند نهاية كلامه، رفع فتى يده وسأل: «سيد ساساكي، أيّ بلد

Twitter: @alqareah

ألقى القنبلة الذرّية؟».

لـم يكـن يتوقع سـؤالاً بسـيطاً إلى ذلك الحـد ويمكن الإجابة عنه بكلمة واحدة. أجاب ماسـاهيرو: «مضت أكثر من سـتين سـنة على إلقاء القنبلتين. جعل الله الجميع سواسية. لهذا نسيت من ألقى القنبلة».

نظر الجمهور، بمن فيهم ضابط شرطة كان يقف قريباً، إليه بذهول وصمت. أومأ الفتى، الذي كان يبدو في الحادية عشرة من عمره، متفهّماً ورفع إبهامه لماساهيرو.

شـرح ماسـاهيرو للراشـدين في جمهوره: «ما أحاول قوله هو أنه ليـس مهمـاً مـن ألقـى القنبلة. إنها ليسـت قضية. يجـب ألاّ تكون قضية مهمـة لأي بلـد. إنهـا قضيـة كل البشـرية. المهـم هـو أنني، وسـاداكو، نعـرف شـعور أومويـاري. وإذا كان قلّـة منكم فقط في هذه الغرفة اليوم يستطيعون وضع هذا المبدأ في قلوبهم ونقله إلى الآخرين، فربما يسهم ذلك، بحلول الوقت المناسب، في خفض المخاطر في العالم. يجب أن تتغلبوا على الحزن وتخرجوا منه بنقل هذه الفلسفة البسيطة إلى الجيل القادم. هذه أمنيتي».

ثـم قـال وهـو ينظر إلـى الفتى الذي طرح السـؤال: «أيها الصغار، علّموا آباءكم».

Twitter: @alqareah

ملحق: الأشخاص

د. تاتسويشيرو أكيزوكي: طبيب في مجمّع يوراكامي (ناغازاكي) الطبي.

د. لويس ألفاريز: عالم فيزياء نووية أميركي. كان موجوداً على جزيرة تينيان حين عرّضت موجة نيترون عرَضية مكوّنات يورانيوم قنبلة هيروشيما للخطر، وأنقصت بذلك قوة السلاح العظمى. وضماناً لعمل القنبلة، وضع ألفاريز كل كمية البلوتونيوم المتوافرة فيها. إلى جانب صديقه هارولد أوري، ظنّ ألفاريز (الذي يقتنع اقتناعاً عميقاً بالأفكار المتحضّرة) أن القنبلة الذرّية ستمنح البشر نظرة إلى آخرتهم وتضع حداً لكل الحروب.

كورشيكا أنامي: وزير الحرب الياباني. محارب ينتحل صفة شاعر، الذي رفض قبول وجود القنبلة الذرّية أو أنها قد تؤدي إلى هزيمة بلاده. كان يعرف بمكيدة وضعِ الإمبراطور أسيرَ الإقامة الجبرية العسكرية إذا تكلم عن الاستسلام، وقد احتفظ بذلك سراً حتى النهاية.

نينكاي أوياما: مجنّد عمره سبعة عشر عاماً. كان منزله الأقرب إلى قبّة هيروشيما ومركز الانفجار. نجا فقط؛ لأن والدته أرسلته باكراً إلى موقع عمله.

أراي: مدرّسة من هيروشيما. أُصيبت على بعد كيلومترين (1.2 ميلٍ) من مركز الانفجار. طبع الوميض ما خطّته يد تلميذة على وجهها، حين خرج من القنبلة ومرّ عبر ورقة كانت تحملها أراي.

الفريق سيزو أريسو: أحد أوائل الأشخاص الذين أرسلهم القصر الإمبراطوري، مع عالم الفيزياء النووية يوشيو نيشينا، لمعاينة الأضرار في هيروشيما، وتحديد إن كانت نتيجة قنبلة ذرّية كما ادّعى الرئيس

Twitter: @alqareah

ترومان، أم لا.

فريد آشورث: نقيب في البحرية الأميركية على متن سيارة بوك في أثناء مهمة ناغازاكي. كان الطيّار تشارلز سويني مسؤولاً عن الطائرة، في حين كان آشورث مسؤولاً عن كل القرارات المتعلّقة بالقنبلة.

لافرنتي بيريا: مفوّض أمن الدولة الروسي، ومسؤول عن برامج موسكو النووية.

فريد بوك: قائد طائرة المعدّات العلمية غريت أرتيست. وليست طائرتُه سيارةَ بوك في أثناء مهمة ناغازاكي، كما سجّل التاريخ خطأً.

نانسي (مينامي) كانتويل: ممرضة كورية وصديقة د. مينورو فوجي مدى الحياة. انضمت إليه في عملية إغاثة جنوب هيروشيما، وشهدت آخر المشاة-النمل و«قبر اليراعات الزرقاء». ولدت باسم نامسن كوه، وغيّرت اسمها إلى مينامي حين ذهبت إلى هيروشيما.

تسويتارو دوي: مساعد صانع الطائرات الشراعية شيجيوشي موريموتو. وأصبح ناجياً من كلتا قنبلتي هيروشيما وناغازاكي الذرّيتين.

توماتسو إيغوشي: طالب ثانوية كان قد نجا داخل حطام مدرسته من تأثيرات الإشعاع المباشرة، على بعد 850 متراً (10 مبانٍ سكنية، أو أكثر من نصف ميل قليلاً) فقط من مركز انفجار ناغازاكي.

د. مينورو فوجي: بعد أن شاهد الانفجار من إحدى ضواحي هيروشيما، جمع فريقَ إنقاذ وعلاج وحوّل مدرسة مدمّرة إلى مستشفى عسكري ميداني.

سيد فوجي: طالب لاهوت (ليس قريباً للدكتور فوجي) سافر من ناغازاكي إلى هيروشيما بحثاً عن صديقته.

إيميكو فوكاهوري: فتاة في السابعة من عمرها ركضت إلى نفق مع اقتراب الطائرات. أصبحت وصديقتها سومي - تشان الناجيتين الوحيدتين من مجموعتهما. رأت إيميكو كل أفراد أسرتها إما يلقون حتفهم أو يتحوّلون إلى «أشخاص تماسيح» على بعد 600 متر (1968

Twitter: @alqareah

قدماً) من مركز انفجار ناغازاكي.

كلارنس غراهام: أسير حرب أميركي في معسكر العمل 17، الواقع على الناحية الخارجية لتأثيرات انفجار ناغازاكي، على بعد 63 كيلومتراً (38 ميلاً) شمال شرقي مركز الانفجار، في إقليم فوكوكا.

د. ميشيهيكو هاشيا: أحد «المشاة-النمل» الذين نجوا من هيروشيما. أنقذه زملاؤه في مستشفى الاتصالات من جروحٍ كادت تودي بحياته، واستعاد قوة كافية لمعالجة أولى حالات التسمم بالإشعاع وتوثيقها.

أفريل هاريمان: سفير أميركا إلى روسيا في وقت إعلان ترومان عن وجود القنبلة الذرّية واستخدامها.

شونروكو هاتا: مشير في الجيش الياباني. نجا من قصف هيروشيما حين كان ينتظر وصول الوالي نيشيوكا من اجتماعات مع أبرز علماء الذرّة في اليابان. غادر هاتا هيروشيما إلى طوكيو وجادل بصفته شاهد عيان أن البلاد تستطيع تحمّل هجمات نووية والنجاة منها. لم يوافق الإمبراطور على ذلك، وانتهى به الأمر بالخضوع وقتاً قصيراً لإقامة جبرية.

ميشي هاتوري: طالبة في الخامسة عشرة من عمرها. نجت من انفجار ناغازاكي في نفق يبعد المسافة نفسها مثل إيميكو فوكاهوري.

د. هينوي: صديق د. هاشيا وزميله. خرجا معاً من مستشفى الاتصالات؛ لإجراء استكشاف علمي في قفر هيروشيما.

كنشي هيراتا: تعرّض لتأثيرات انفجار قنبلة هيروشيما على بعد 3 كيلومترات (نحو ميلَين)، وأُصيب بجرعة إشعاع ثانوية حين دخل نطاق مركز الانفجار بحثاً عن زوجته. في 8 آب 1945، غادر ضواحي هيروشيما على متن قطار يحمل عظام زوجته ستسوكو إلى منزل والديها؛ وإلى أعظم مظاهر الرعب على الإطلاق.

ماسوجي آيبيوز: شاعر وثّق حادثة السوسنة في أعقاب انفجار هيروشيما.

Twitter: @alqareah

هيروشي إيتو: تلميذ عمره اثنتا عشرة سنة. خرج من مدرسة وسط هيروشيما، وكان أحد ناجيَين اثنين معروفين فقط.

كازوشيجي إيتو: ابن عم هيروشي إيتو. ولد لأسرة اختبرت كلاً من النجاة والإصابة في هيروشيما، وكبر ليصبح في ما بعد أحد ضحايا الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك. عمل والد كازوشيجي مع صديقه ماساهيرو ساساكي على إرسال ألف لقلق ورقي من أطفال هيروشيما إلى أطفال نيويورك بعد 11 أيلول، بصفتها رسالة أمل وعلاج.

أكيرا أيواناغا: مصمم سفن. نجا من قنبلة هيروشيما على بعد 3.7 كيلومتر (2.3 ميلٍ). أُجلي، مع موظفين أساسيين في ميتسوبيشي وأفراد آخرين من الجيش، جنوباً نحو ناغازاكي على متن أحد قطارين كانا لا يزالان يعملان ويستطيعان مغادرة هيروشيما.

هاجيمي أيواناغا (ليس قريب أكيرا): أحد سكان ناغازاكي وعمره أربعة عشر عاماً. كان «يتدرّب» في مصنع ميتسوبيشي للطوربيد. وبالنظر إلى صغر حجمه في مثل سنه، كان يتمرّن في برنامج طوربيدات كيتن وعلى وشك أن ينضم على الأرجح إلى إحدى مهامّ غواصات آي – 58 التالية في أيلول أو تشرين الأول 1945. كان تحت سطح الماء وقت الانفجار، وأصبح أحد الناجين الأقرب إلى مركز انفجار ناغازاكي.

ميساكو كاتاني: شاهدة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً على «خيول النار» في هيروشيما. بعد أن نجت من الجحيم، هربت مع والدها نحو أمان ناغازاكي المفترض.

سوميكو كيريهارا: جارة د. هاشيا ذات الأربعة عشر ربيعاً، التي كانت داخل منزلها على بعد 1.8 كيلومتر (نحو ميل واحد) من مركز الانفجار. تعرّضت إلى زخات مطر انهمرت على هيروشيما ولاحقتها «ديدان نارية».

إساو كيتا: الراصد الجوي العسكري الرئيس في مكتب طقس هيروشيما. كان موجوداً على سفح تلة صغيرة على بعد 3.7 كيلومتر

Twitter: @alqareah

(2.3 ميلٍ) من مركز الانفجار. رأى الانفجار مصادفة ووثّق أولى الملحوظات العلمية عنه.

الطالب العسكري كوماتسو: طيّار عرّض نفسه لجرعةٍ إشعاعية مكثّفة ومطر زيتي بعد أن سرق، مع صديقيه توميمورا ويوميدا، طائرة تابعة للبحرية اليابانية وحلّقوا بها مباشرة في ساق سحابة الفطر التي تكوّنت فوق ناغازاكي.

ماساو كوماتسو: عامل طائرات شراعية متمرّن في متجر موريموتو في هيروشيما. أسندت إليه ميتسوبيشي هندسة طائرات استطلاع وتصوير للبحرية وتصميمها. نجا من هيروشيما، ثم قرر الذهاب إلى منزله في ناغازاكي.

د. كوياما: طبيب في مستشفى الاتصالات في هيروشيما. ظنّ خطأً في البداية أن مرض الإشعاع دليل على هجوم بأسلحة بيولوجية بعد القنبلة الذرّية، وبدأ يعزل المرضى.

د. كوتسوبي: صديق د. هاشيا. عمل معه في مستشفى الاتصالات في هيروشيما.

الجنرال دوغلاس مكارثر: أدار خطط الغزو الأخير واحتلال البر الرئيس الياباني. وضع الإطار العام للدستور الياباني بعد الحرب، وأصبح خصماً بارزاً ضد أولئك الذين ينوون دراسة تأثيرات القنابل الذرّية أو الكتابة عنها، في ناغازاكي خاصة. كان يدرك أيضاً أن السلام النهائي مع اليابان يتوقف على الإمبراطور، وهو شخصية دينية لا تستطيع محكمة أميركية مقاضاته وإعدامه.

جورج ماركوارت: طيّار نيسيسري إيفل في أثناء مهمة هيروشيما. وهو قائد طائرة استطلاع واستكشاف طقس في أثناء مهمة ناغازاكي.

ساشيكو ماساكي: فتاة في الرابعة عشرة من عمرها عملت في مصنع ميتسوبيشي للطوربيد. كانت داخل شرنقة حماية من الصدمة بين معدّات ثقيلة أظلّتها من موجة أشعة غاما. نجت ساشيكو على المسافة

نفسها تقريباً مثل هاجيمي أيواناغا.

خوسيه ماتسو: أقرب ناجية إلى قنبلة ناغازاكي. كانت في أحد أنفاق الوالي نيشيوكا على بعد 185 متراً (607 أقدام).

توشيهيمو ماتسودا: فتى المعجزة من هيروشيما. كان على بعد نحو 600 متر (1968 قدماً) من مركز الانفجار، وطبع الوميض ظلّه على جدار حديقة.

ساتوكو ماتسوموتو: فتاة يافعة من هيروشيما. هرب والداها إلى النهر مع أسرتي كيريهارا وساساكي. وفي أول ليلة بعد القنبلة، استلهم جار ساتوكو من هطل شهابي أفكاراً غريبة.

سوماكو ماتسوياناغي: كانت بمحاذاة أرض الصفر في هيروشيما (ضمن نطاق 1.5 كيلومتر تقريباً)، وقذفتها موجة إلى منزل زوجين طاعنين في السن. كان ابناها في مدرسة أقرب كثيراً إلى مركز الانفجار، وبالرغم من أنهما كانا يبدوان بخير في البداية، إلا أنهما تعرّضا لتأثيرات الإشعاع المباشرة.

الأب ماتياس: كاثوليكي كان في هيروشيما على بعد 1.3 كيلومتر (4200 قدم) من مركز الانفجار. انضم إلى د. هاشيا بين المشاة-النمل، وكان يدرك على نحو مبهم أنه قد ترك ثلاثة أطفال جرحى يواجهون مصيراً مرعباً.

ماركوس مكديلدا: طيار أميركي أسير. وافق، تحت التعذيب، أن يخبر آسريه كل ما كان قد سمعه عن قنبلة اليورانيوم. لم يكن يعرف شيئاً قط، لكنه ابتدع تصميماً بحدس يبدو رياضياً، وابتكر نظاماً يبدو مشابهاً على نحو تقشعّر له الأبدان لتصميم «الكتلتين المتماسكتين معاً» الذي كان علماء فيزياء يابانيون قد طوّروه.

ياساكو ميكامي: واحدٌ من ثلاثة رجال إطفاء فقط معروف أنهم نجوا من قنبلة هيروشيما. كان في نفق على بعد 1.9 كيلومتر (1.2 ميل).

Twitter: @alqareah

إيشيرو مياتو: ضابط رادار. تابع سيارة بوك وغريت أرتيست في أثناء اقترابهما النهائي من ناغازاكي.

هيروشي موري: تلميذ في الصف الخامس. أخبر والدته يوشيوكو عن حدس أن هيروشيما على وشك أن تُدمّر.

شيجيوشي موريموتو: صانع الطائرات الشراعية، الذي جُنّد لصنع طائرات عسكرية. كان داخل شرنقة حماية من الصدمة في هيروشيما تحت سقف منزل قريبه السميك متعدد الطوابق، في حي ستسوكو زوجة كنشي هيراتا. كان منزلا موريموتو وهيراتا على بعد نحو 400 متر (1312 قدماً) من مركز الانفجار. ومثل كنشي هيراتا، غادر موريموتو هيروشيما على متن قطار اتجه إلى ناغازاكي. تعرض مرة ثانية للقنبلة على مسافة 2.4 كيلومتر الأكثر أماناً نسبياً.

د. بول (تاكاشي) ناغي: مريض مصاب بسرطان في مرحلته النهائية في المستشفى الذي يعمل فيه حين قُصفت ناغازاكي. بعد تلقيه جرعة إشعاع شبه قاتلة، توقف سرطانه مؤقتاً؛ وبالرغم من أنه بقي يتألم كثيراً، إلا أنه عاش وقتاً كافياً ليصبح أحد أكثر المراقبين شفافيةً لتأثيرات القنبلة في عقل البشر وروحهم. أصبح ناغي حكيماً روحانياً رئيساً في حقبة ما بعد قصف يوراكامي وناغازاكي.

أسرة ناغي: ميدوري (زوجة بول التي ماتت فوراً تحت قنبلة ناغازاكي)؛ وكايانو وماكوتو (ابنتا ناغي، تعرّضت كلتاهما لمطر أسود)؛ ولاحقاً توكوسابورو ابن ماكوتو، الذي حمل تعاليم جدّه إلى القرن الحادي والعشرين.

هيروكو ناكاموتو: مراهقة نجت من قنبلة هيروشيما. اكتشفت، في أثناء الأيام التي سبقت نهاية الحرب، أن تقنين الطعام وصل حداً لم تستطع معه إبقاء فأريها الأليفين حيَّين.

كيجي «الجنرال» ناكازاوا: فتى من هيروشيما. كبر ليصبح رائد تطوير فن روائي تصويري حديث في اليابان. نجا الفتى، الذي اشتهر

Twitter: @alqareah

بكتب الجنرال حافي القدمين، وبلغ سن الرشد في أنقاض المدينة، ليس بعيداً كثيراً عن د. هاشيا ومستشفى الاتصالات.

هيروكو ناكاموتو: تلميذة تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً. تعرّضت لتأثيرات القنبلة على بعد نحو كيلومترين من مركز الانفجار. كبرت لتكتب اليابان خاصتي 1930-1950 (مكغرو-هيل، 1970)، حيث وصفت فيه ردود أفعالها على غسيل دماغ جيل، إلى حدّ أنه كان متوقعاً من فتيات يافعات أن يقاتلن حتى الموت.

د. يوشيو نيشينا: عالم فيزياء ذرّية ومدير (مع ريوكيشي ساغين) برامج الأسلحة النووية في اليابان زمن الحرب، وفيها تصميمات نواة القنبلة وخطط لإنتاج أول أسلحة أشعة الجزيئات في العالم (قبل أربعة عقود من باقي العالم عام 1945). مع نهاية الحرب، حاول الروس القبض على نيشينا وزملاء آخرين، وحاول الأميركيون «القبض عليهم أو تحييدهم»؛ لمنع وقوعهم في قبضة الروس.

تيكجيرو نيشيوكا: والٍ وصل إلى هيروشيما واختبر القصف النووي بعد اجتماع في طوكيو مع د. نيشينا وعلماء ذرّة بارزين آخرين. بعد أن شهد أول انفجار، انطلق جنوباً؛ لإجلاء أسرته من ناغازاكي، التي كان واثقاً أنها ستكون الهدف التالي.

إيزو نومورا: الناجي الأقرب إلى قنبلة هيروشيما الذي وصل إلى مستشفى اتصالات د. هاشيا. كان على بعد نحو 100 متر (328 قدماً) في قبو قاعة اتحاد التقنين.

د. ريوكيشي ساغين: عالم فيزياء نووية ياباني وزميل د. نيشينا.

فوجيكو ساساكي: زوجة شيجو ساساكي.

ماساهيرو ساساكي: ابن آل ساساكي، كان عمره خمس سنوات يوم القنبلة. كبر لينقل رسالة شقيقته أن أمل الحضارة ربما يكمن في شيء ليس أكثر تعقيداً من «فكّر دائماً في الشخص الآخر أولاً».

ساداكو ساساكي: شقيقة ماساهيرو التي كان عمرها سنتين، والتي

Twitter: @alqareah

طوت، بعد عشرة سنوات في أثناء معاناتها من التأثيرات اللاحقة للمطر الأسود، لقلقاً ورقياً وكتبت على جناحه: «يوماً ما ستحلّق في سلام حول العالم».

شيجو ساساكي: جار د. هاشيا وصديق مقرّب منه، الذي نجا في إحدى الضواحي البعيدة عن هيروشيما في أثناء نقل رسالة إلى إحدى مكاتب الوالي نيشيوكا. بعد أن دخل أرض الصفر في هيروشيما واكتشف أن الجميع باستثناء والدته قد نجوا بأعجوبة، تطوّع لجلب الطعام والمؤن إلى مستشفى اتصالات د. هاشيا.

كونيوشي ساتو: ناجٍ من هيروشيما. شارك كنشي هيراتا مقعداً على متن آخر قطار من هيروشيما إلى ناغازاكي.

شيجرو شيمومايا: كان هذا الجندي في الجيش الياباني في هيروشيما على بعد 500 متر (1640 قدماً) من القنبلة، في مبنى عسكري شمال قلعة هيروشيما. شاهد لاحقاً: «جواداً شاحباً سلخت القنبلة جلده».

شودا شينوي: مراهقة شاعرة كانت تحت رعاية د. هاشيا.

د. ماساو شيوتسوكي: زميل د. هاشيا. كان يعمل في مستشفى أومورا التابع للبحرية قرب ناغازاكي.

تشارلز سويني: قائد طائرة الرصد العلمي غريت أرتيست (كان لويس ألفاريز على متنها) في أثناء مهمة هيروشيما. قاد سويني سيارة بوك في أثناء مهمة ناغازاكي، وستريت فلش حين أُلقيت قنبلة بلوتونيوم من دون نواة في ساعات ما قبل فجر 15 آب 1945.

د. إيزو تاجيما: طالب عالم الفيزياء يوشيو نيشينا.

أكيكو تاكاكورا: موظفة مصرف في هيروشيما. كانت مع صديقتها أسامي تبعدان 250 متراً (820 قدماً) عن مركز الانفجار، في قوقعة مصرف سوميتومو المبنية من الفولاذ، والإسمنت، والغرانيت.

نوبو تيتسوتاني: كان على بعد كيلومترٍ من مركز انفجار هيروشيما

Twitter: @alqareah

وداخل شرنقة حماية من الصدمة، في حين تعرّض ابنه شين، الذي كان يركب دراجة هوائية بثلاث عجلات، مع صديقه لكامل قوة الوميض. لم يرغب نوبو في أن تُحرق جثتي الصبيَّين وينتثر رمادهما على نحو مجهول في محارق الجيش الجنائزية، ولهذا دفن شين وكيمي مع درّاجتهما ذات العجلات الثلاث تحت أنقاض منزله، حيث بقيا، يداً بيد، أربعين سنة.

بول تيبتس: قائد إينولا غاي، وعالم الرياضيات الذي وضع قواعد رحلات القنابل الذرّية.

شيجنوري توغو: وزير الخارجية. تجادل مع عالم الفيزياء نيشينا حول عدم وجود دفاع ضد أسلحة نووية، وأن الإمبراطور يجب أن يفكّر في الاستسلام. وافق الإمبراطور، في حين رفض وزير الحرب أنامي ذلك.

د. سوسومو تسونو: عميد كلية الطب في ناغازاكي. في 7 آب 1945، استقل القطار نفسه الذي غادر هيروشيما وكان على متنه أكيرا أيواناغا والوالي نيشيوكا. كان في مبنى قرب مركز الانفجار، ومثل معظم الناس الذين وصلوا على متن قطار أكيرا، لم ينجُ من مواجهته الثانية قنبلة ذرّية.

يوشيجيرو يوميزو: واحدٌ من جنرالات عدّة في القصر الإمبراطوري (وفيهم يوجاكي) كانوا يظنون أن في مقدورهم الوقوف مرة أخرى ضد هجوم نووي.

برنارد والدمان: عالم/ مصوّر في موقع مدفعَي الذيل في أثناء مهمة هيروشيما.

تسوتومو ياماغوشي: مصمم سفن عمل في منشآت ميتسوبيشي للصناعات الثقيلة في هيروشيما وناغازاكي. تعرض مثل شيجيوشي موريموتو إلى كلتا القنبلتين الذرّيتين في «الأرض المنبسطة» كما كانت تدعى أرض الصفر في أغلب الأحيان. نجا؛ لأنه كان داخل شرنقة

Twitter: @alqareah

حماية من الصدمة مرة ثانية؛ ولأن زوجته هيساكو (بمساعدة من أحد فرق إنقاذ د. بول ناغي) اعتنت به في أثناء مرضه من الإشعاع. وقد خرج السيد ياماغوشي من التجربة مدافعاً عن السلام.

د. **يوشيوكا:** صديقة د. أكيزوكي ود. ناغي في مجمّع ناغازاكي الطبي. كانت تحظى باحترام كبير، وإحدى النساء القلائل في اليابان اللواتي سُمح لهن في الواقع أن يصبحن طبيبات في الأربعينيات.

Twitter: @alqareah

ملحوظات

هيمنت الرقابة وقتاً طويلاً جداً على المدينتين. ووفقاً لقوانين فرضتها لجنة 11 أيلول (1945) التي ألّفها الجنرال دوغلاس مكارثر، لم يكن مسموحاً للناجين من هيروشيما وناغازاكي بنشر أي شيء عمّا كانوا قد رأوه أو اختبروه.

كان سرد قصصهم نادراً في أثناء العقود التي تلت ذلك مباشرة. تتضمن استثناءاتٌ بارزة مقابلات جون هيرسي مع ستة ناجين من هيروشيما، نُشرت في ذا نيويوركر وكوّنت نسخة 31 آب 1946 كلها. نُشرت قصص هيرسي لاحقاً في كتاب بعنوان هيروشيما(*)، وهو يُطبع منذ ذلك الوقت. مثل جون هيرسي، استطاع د. بول تاكاشي ناغي الإفلات من الرقابة أيضاً ونشر كتاب بشقّ الأنفس. بعد إصدار أجراس ناغازاكي(**)، درس علم أحياء مركز الانفجار وجمع ملحوظاته في نحن أهل ناغازاكي(**)، حيث أثارت كتاباته حملة تشهير قاسية بحقّه. في الوقت نفسه، زار عميلان من مصلحة ضريبة الدخل الأميركية د. ناغي، لكن ترحيبه الحار بهما ورسالة الأمل التي كان يحملها جعلت أحد العملاء يقول في تقرير له إنه قد التقى «رجلاً تقيّاً حقاً». لم يزعج أحد من الحكومة الأميركية د. ناغي مجدداً.

بقيت كتب د. ناغي مغمورة نسبياً، لكن كتاب جون هيرسي سرعان ما أصبح ضمن الأكثر بيعاً على نطاق عالمي. وفي أثناء المراحل المبكرة من الحرب الباردة، كان الجنرال مكارثر وأولئك الأدنى والأعلى منه

(*) هيروشيما (نيويورك: فنتيج، 1989)؛ أجراس ناغازاكي (لندن: كودانشا الدولية، 1994)؛ نحن أهل ناغازاكي (نيويورك: إي. بي. دوتون، 1951).

(**) جورج ويلر، أول الواصلين إلى ناغازاكي: شاهد عيان خاضع للرقابة ينقل أخبار اليابان بعد القنبلة الذرّية وأسرى الحرب فيها (نيويورك: كراون، 2006).

Twitter: @alqareah

شأناً في القيادة يفضّلون تراجع الاهتمام بهيروشيما وتأثيرات الإشعاع طويلة الأمد فيها. خارج هيروشيما، اتخذ العاملون لدى مكارثر خطوات لضمان ألاّ يتذكر أحد القنبلة الأقوى ثلاث مرات من تلك التي انفجرت فوق «القبّة الذرّية» في هيروشيما. من ثم، كان إحساس د. أكيزوكي بالإهمال المتعمّد محقاً تماماً. لم تكن مصادفة أن تصبح قنبلة ناغازاكي طي النسيان.

كتب جورج ويلر، أحد أوائل الصحفيين الأميركيين الذين وصلوا إلى ميناء ناغازاكي، في مقالة: «لم تتعرض ناغازاكي قط، على وجه الدقة، للتدمير»*. سيكون ردّ فعله نموذجيًّا لأشخاص عديدين في تلك الأيام، رأوا مباني أدنى ناغازاكي تقف سليمة، ولم يعرفوا أن المركز الحقيقي للدمار النووي كان في يوراكامي.

أُصيب ويلر بالذهول لدى سماعه قصص أشخاص كانوا قد نجوا قرب القنبلة، في شرنقات حماية غريبة من الصدمة تشبه الفقاقيع، في حين دُمّر كل ما حولهم. كانت قصص حالات عدد من شرانق الحماية تتوارد كثيراً، حتى بدأ ويلر يظن أن تلك الأحداث الاستثنائية عادية بطريقة أو بأخرى، مما قاده إلى الاستنتاج أن تفجيرات الأسلحة النووية ربما لا تكون سيئة جداً بالمحصلة. في البداية، لم يدرك أن تقارير عن حالات نجاة جديرة بالملاحظة قد نُقلت إليه عمداً، وأنه جرى إخفاء أرض الصفر نفسها عنه، على بعد ميلين باتجاه منبع النهر من وسط ناغازاكي.

كتب ويلر في سجلّه: «ما بقي مدهشاً لي كان التنقيح المستمر لأفكاري عن الدمار الشامل واستحالة الهروب من القنبلة». عزّز أسرى الحرب الأميركيون الناجون من أنفاق مصنع ميتسوبيشي للطوربيد، على وجه الخصوص، هذا الرأي. وهكذا وثّق ويلر أن أكبر تصحيح لفكرة الخراب الشامل جاءت من هؤلاء الرجال: «مرّ الانفجار والأشعة بسلام فوق رؤوسهم (الأسرى). كانوا يستلقون منبطحين تحته مباشرة تقريباً،

Twitter: @alqareah

ولم يدّعِ إلا أربعون منهم أنهم أُصيبوا بجروح».

حفظت أكثر من ثلاثمئة صفحة من الملحوظات التي سجّلها جورج ويلر تاريخاً شفهياً مهماً عن أسرى الحرب الأميركيين الذين نجوا في أكثر مجموعة من معسكرات العمل اليابانية، لكنه خطّ الصفحات الأربعين من الملحوظات عن ناغازاكي بعد أن اضطر إلى التسلل حول الميناء وصولاً أخيراً إلى سفوح الوديان؛ لإلقاء نظرة على قصر الحاكم الذي لم يتضرر، وتفادي مراقبي الجنرال مكارثر. نتيجة ذلك، صودرت ملحوظات ويلر وصُنّفت. لاحقاً، أُرشفت نسخ من عمله (بعد تحريرها) بصفتها وثائق تخص الجيش وهيئة الطاقة الذرّية؛ وبمرور الوقت، أصبحت حقيقة لا ريب فيها. تضمّن تقريره الذي لم يُسمح بنشره، وبالرغم من أنه جمع مواده في ناغازاكي المحظورة، وثائقَ غريبة نُقلت إليه بصيغة معرفة سرّية. كتب ويلر عن سخرية سلاح نووي يهبط ببطء معلقاً بثلاث مظلات: «كارثة كاملة تهبط تحت منديل حريري».

كانت الكلمات شعرية، لكن الأمر لم يحدث على تلك الحال قط. كانت المظلات علب معدّات د. لويس ألفاريز في الواقع، أُلقيت من غريت أرتيست. بأسلوب مشابه، علم ويلر أن القنبلة الذرّية ببساطة سلاح تكتيكي مثل كل الأسلحة الأخرى، باستثناء أنها تستطيع توجيه ضربة قاضية أكثر قوة إلى مصنع، وإن يكن مع بعض التأثيرات الجانبية المؤقتة على كريات الدم البيضاء لدى الناس وعدد صفيحاتهم. نسخ ويلر تلك المعلومات المغرضة، ثم تبنّاها، وكرّرها ونشرها.

عام 2005، كتب أنطوني ويلر: «كان موقف والدي مما اختبره في ناغازاكي معقّداً، ولم يتغير بمرور السنين. كان يقول: خسرت حربي في ناغازاكي».

ظهر أساس لهذا الموقف في رسائل كتبها جورج ويلر عام 1984: «يريد كل جنرال أكثر مما لديه من كل شيء، لكن الفرق بين مكارثر وآخرين هو أنه كان مستعداً لكسر نوافذ للحصول عليه... شعر مكارثر

Twitter: @alqareah

بالغيرة من حقيقة أن حربه التي امتدت أربع سنوات قد انتهت باستخدام قنبلتين صُنعتا من دون عِلمه، وأُلقيتا من دون استشارة قيادته، وصمم على أن يبذل قصارى جهده ليمحوَ من التاريخ - أو على الأقل أن يشوّه قدر ما تستطيع الرقابة - الدروس الإنسانية المهمة لتأثيرات الإشعاع في السكان المدنيين».

كان الجنرال مكارثر حازماً جداً. لو أن هاملت (مسرحية لشكسبير) كُتبت عنه، لكانت مسرحية من فصل واحد فقط.

وهكذا، ثبّتت وثيقة ويلر بأمانة الأعداد التي زُوّد بها الكاتب بموجب قوانين مكارثر. ابتداءً من 30 آب 1945، سجّلت تلك الأرقام رسمياً 19.741 حالة وفاة فقط في ناغازاكي. في ما يتعلق بمركز مدينة كانت محمية بسفوح تلال عالية، كان هذا الرقم الإحصائي صحيحاً تقنياً في ما يخص ناغازاكي نفسها؛ لكنه لم يكن يمثّل جزءاً من الحقيقة. كانت بلدة يوراكامي، على بعد بضعة أميال إلى الشمال من وسط مدينة ناغازاكي، مركز الانفجار. هناك، كان اختفاء أكثر من 8000 من كاثوليك المقاطعة البالغ عددهم 20.000 شخص يزيد بمقدار الضعف تقريباً على تقديرات مكارثر للإصابات. إضافة إليهم، لقي نحو 80.000 شخص آخر على الأقل حتفهم لكنهم خرجوا من تاريخ مكارثر.

لم يلتزم كل شخص ببروتوكول مكارثر ويتعاون مع باقي أفراد الفريق. مخاطراً بمثوله أمام محكمة عسكرية إذا لاحظ الجنرال ما يفعله، قام رسّام خرائط مجهول بتحديد مواقع بوصفها نشاطاً تخريبياً. وعلى خريطة استطلاع القصف الاستراتيجي الأميركية الرسمية، وبجانب مصنع ميتسوبيشي للطوربيد وأهداف عسكرية أخرى دمّرتها القنبلة الذرّية، حدّد كلَّ كنيسة ومدرسة، بما فيها مدرسة يوسي للبنات... ومدرسة أوراماشي الإعدادية... ومدرسة نيشيزاكا الابتدائية... ومدرسة يوراكامي للصمّ والمكفوفين.

في 8 أيلول 1945، كان جورج ويلر قد أمضى ساعة على سفح

Twitter: @alqareah

الـوادي ينظـر إلـى الأسـفل على حوض يوراكامي من أنقاض مستشـفى د. ناغـي. فـي أثنـاء الأسـابيع بيـن 9 آب ووصـول ويلـر، كان ناغـي، وأكيزوكـي، والأطبـاء الآخرون قد وثّقـوا ظهور «مرض إكس» الغامض المرتبط بالقنبلة. ووفقاً لسجل ويلر، كان خمسة وعشرون عالماً أميركياً، خاضعين لسـلطة مكارثر، على وشـك الوصول إلى موقع القنبلة في 11 أيلـول. كتـب ويلـر: «الأمـل الياباني أنهم سـيتوصّلون إلـى حلٍّ لمرض إكس».

بحلـول الوقـت الـذي وصل العلماء فيـه، كان ياماغاني صديق د. أكيزوكـي، وهـو نجـار نجا من القنبلـة وبقي يتمتع بقوة كافية لبناء ملجأ مؤقت لأسرته قرب جدول أسفل المستشفى، قد وقع فريسة الحزن. كان كل أفراد أسرته إلا أولاده الأربعة مفقودين وفي عداد الأموات. كان كلٌّ من أولاده قد نجا من دون أن يصاب إلا بجرح أو اثنين، لهذا، كان لا يزال هناك أمل في غمرة ألم ياماغاني. وقد وثّق د. أكيزوكي في النهاية: «لكـن أحـداً لـم يكـن يعرف أن تلك مجرد بدايـة بؤس كبير. بعد مرور عشـرة أيام، ثم عشـرة أيام أخرى، بدأ الأولاد الأربعة الناجون يموتون الواحـد إثـر الآخر». نشـر د. تاتسويشـيرو أكيزوكي مذكراتـه، ناغازاكي 1945: أول سـجل كامل لشـاهد عيان عن الهجوم بالقنبلة الذرّية على ناغازاكي، عام 1981 (لندن: كوارتيت بوكس).

في أثناء أول أربع وعشرين ساعة بعد بيكا - دون، توفي عدد كبير من طلاب الطب الذين شقوا طريقهم صعوداً إلى المستشفى من التلال الأقـل ارتفاعـاً، بالرغـم من أنهـم نجوا من دون أن تصيبهم الأنقاض أو يعانـوا حروقـاً ظاهـرة للعيـان. فـي أثنـاء تلك السـاعات الأولى قبل أن يصبح اسم مرض إكس متداولاً، كان كل ما استطاع د. أكيزوكي تخمينه هو أن أشياء سقطت من الجو أصابت رؤوسهم أو أعضاءهم الداخلية، وألحقت بهم أضراراً قاتلة لم تكن واضحة في البداية.

عـرف ويلـر متأخـراً كثيـراً أن لجنـة 11 أيلـول أقـرّت بطريقـة أو

Twitter: @alqareah

بأخرى تشخيص د. أكيزوكي المبدئي، بالرغم من أن دليلاً إضافياً كان قد دفعه إلى رفضه بسرعة. رسمياً، وطوال نحو أكثر من قرن، لم يكن هناك إثبات على أن أشخاصاً تعرّضوا لإصابات دائمة أو لقوا حتفهم من تأثيرات مرتبطة بالإشعاع. على مستوى غير رسمي، كانت تلك الإثباتات موجودة فقط في مجلات علمية وطبية مغمورة. ولم يكن، رسمياً، أحد يظن أن أولئك الذين نجوا بالرغم من إصابتهم بمرض إكس، ويدعون أنفسهم هيباكوشا، سيعيشون أصلاً. كانوا هدف عبارة مكارثرية مميزة: «حقيقة غير لائقة».

وهكذا، لم يسأل أحد من لجنة مكارثر الطبيبين أكيزوكي وناغي عمّا حدث فعلاً في مقاطعة يوراكامي في أثناء الأيام والأسابيع القليلة الأولى. لم يسأل أحد منهم قط تسوتومو ياماغوشي أو ميشي هيراتا. في هيروشيما، فشلت اللجنة في التواصل مع د. هاشيا أو د. فوجي، أو أسرة ساساكي أو إيتو؛ وبالرغم من ذلك، ظهروا في الوقت المناسب ليسردوا قصصهم. بعد تقريره المبدئي إلى شركة ميتسوبيشي (الذي يوثّق تسعة ناجين مرتين، بمن فيهم كنشي هيراتا وصانع الطائرات الشراعية العسكرية شيجيوشي موريموتو)، توارى ياماغوشي متعمداً عن الأنظار حتى وفاة ابنه عام 2005. خلال تلك العقود الأولى، اختار الابتعاد عن الأضواء حتى بعد أن ذاع صيته لاحقاً لنشر الصحفي روبرت ترومبل مقتطفات من تقرير ميتسوبيشي في تسعة نجوا من هيروشيما وناغازاكي (نيويورك: إي. بي. دوتون، 1957).

معروفٌ أن نحو ثلاثين شخصاً قد سافروا على متن قطارين من هيروشيما إلى ناغازاكي ونجوا من كلتا القنبلتين الذرّيتين، بالرغم من أن معظم هؤلاء (مثل الوالي نيشيوكا) نجوا من قنبلة أو من كلتيهما على مسافة خارج أرض الصفر. ينتمي تسوتومو ياماغوشي إلى إحدى الأقليات الأكثر ندرة في التاريخ: أشخاص نجوا في أماكن محمية طبيعياً وداخل شرنقات حماية من الصدمة، في مناطق تعرّضت لدمار شامل، مرتين.

Twitter: @alqareah

بالرغم من كل الغموض والعجب الذي يحيط بشرنقات الحماية من الصدمة التي تكوّنت في آب 1945، لم يكن تسوتومو ياماغوشي، أو خوسيه ماتسو، أو أي شخص آخر نجا بتأثير شرنقة حماية، بحاجة إلى ذلك النوع من الحماية على الإطلاق.

قبل نحو سنة، في 20 تموز 1944، كان العقيد كلاوس فون شتافنبرغ قد وضع حقيبة ملغومة في مقر قيادة هتلر المسمّى **عرين الذئب**، على بعد نصف متر عن هتلر نفسه. انفجرت القنبلة وفقاً للخطة، ودمّرت كل قطعة أثاث في الغرفة، ونسفت الجدران وأُطر الأبواب، ورفعت السقف كله عن قواعده. من بين أربعة وعشرين شخصاً في الغرفة مع هتلر، أُصيب نصفهم بإعاقات دائمة شبه قاتلة، أو لقوا حتفهم (بينهم أربعة جنرالات والعميد البحري كارل - جيسكو فون بوتكامر). تعرض النصف الباقي لإصابات خطرة باستثناء هتلر الذي - بالرغم من أنه كان الأقرب إلى القنبلة - خرج من المكان مصاباً بخدوش فقط، وقد تمزّق بنطاله، ويعاني طنيناً مزعجاً في أذنيه. (وتمّ في رواية هيرمان، الحرب والذكرى، وصف حادثة عرين الذئب بدقة تاريخية، التي نشرتها ليتل، براون عام 1978).

كان تصويرٌ شاملٌ لحطام عرين الذئب قد كوّن آنذاك سجلاً شرعياً دائماً لعلماء الفيزياء وخبراء المتفجرات، وألقى الضوء على التناقض الذي نجم عن تعرض أشخاص يقفون على بعد أمتار عدّة من القنبلة للتشويه والموت، في حين نجا هتلر وهو على بعد أقل من نصف متر من مركز الانفجار نفسه.

كوّنت قائمةُ طاولةٍ ثقيلة بين هتلر والقنبلة شرنقة حماية وأنقذت حياته. في أثناء فاصل جزءين من مئة من الثانية، قبل أن ينشقّ خشب السنديان نصفين ويتحطّم على أحد الجانبين، انحرفت موجة الصدمة كلياً حول موقع الحطام ومرّت بجانب هتلر تحمل معها قطعاً من الخشب التي تحوّلت إلى شظايا، والتي ابتعدت أيضاً عنه. لو أنه كان

Twitter: @alqareah

يقف أبعد قليلاً، حتى في المسار (أو الاتجاه) نفسه، لكانت فجوة شرنقة الحماية في جبهة الانفجار المنتشرة قد تقلّصت إلى عرض قبضة رجل أولاً قبل أن تصل إلى الجدار البعيد، وينجم عنها ضربة قاتلة.

كان تحريك الحقيبة إلى أي موقع آخر سيؤدي على الأرجح إلى إصابة هتلر بجروح خطرة لا يستطيع معها البقاء في القيادة، أو تقتله في الحال. بدلاً من ذلك، تكوّنت شرنقة حماية قرب القنبلة، وكانت عريضة كفاية لمنع قوة الانفجار من الوصول إلى هدف بدا من المستحيل أن تخطئه.

كانت قنبلة عرين \الذئب أول خطوة في انقلاب عسكري محتمل. بحلول منتصف عام 1943، كان الجنرالان إدوين رومل وكارل - هنريش فون ستولبانجل قد أنجزا حسابات دقيقة تضع ألمانيا على الجانب الخاسر في حرب استنزاف. كان هتلر مستعداً للقتال حتى تدمير باريس وبرلين عن بكرة أبيهما وموت كل سكان الأقاليم الألمانية. دعا سياسته **الأرض المحروقة**، وبدا أنه يقبل موته في نهاية المطاف مهزوماً، طالما أن في مقدوره سحب الجميع إلى القبر معه.

لولا شرنقة الحماية التي غلّفت هتلر، لكان فون ستولبانجل قد دعا من قاعدته في فرنسا إلى هدنة فورية مع قوات الحلفاء في 20 أيلول 1944 أو نحو ذلك. كانت خطة ستولبانجل - رومل تدعو إلى تنصيب لودفيغ بيك (رئيس أركان الجيش الألماني) وكارل غوردلر في موقعي الرئيس والمستشار، مع تفويض بإعلان استسلام ألمانيا بحلول الأسبوع الأخير من تموز 1944 بدلاً من 7 أيار 1945. لو أن ذلك حدث، لم يكن الحلفاء ليحوّلوا اهتمامهم بعيداً عن جبهة المحيط الهادئ ويدخلوا في معركة بولج في كانون الأول 1944، ودريسدن في شباط 1945، وبرلين والتقدم الروسي في أيار 1945.

بدلاً من ذلك، لم تسقط أوكيناوا في أيدي مشاة البحرية ولم يتم تحرير الفلبين حتى حزيران 1945. لو أن قطعةً من خشب السنديان لم

Twitter: @alqareah

تعترض الطريق في 20 تموز 1944، لكانت هاتان الحادثتان قد وقعتا قبل ستة شهور على الأقل؛ بحلول كانون الثاني 1945، وربما تشرين الثاني 1944.

في حزيران 1945، قبل شهر من اختبار أول قنبلة ذرّية في صحراء نيومكسيكو، كانت خطة الجنرال مكارثر لما بعد أوكيناوا تحدد غزو البر الرئيس الياباني بحلول تشرين الثاني 1945، بعد قصف كل خزّانات الوقود ومنشآت الشحن الباقية. وفقاً لكل ما كانت مهامّ الاستطلاع قد صوّرته في أثناء تحليقها فوق هيروشيما في تموز وبداية آب – وفيها عدم وجود حركة سير في الشوارع ورؤية مراكب الصيد وقوارب الدورية راسية في أماكنها أو متوقفة في الميناء، يوماً بعد آخر في المواقع نفسها من دون وقود – كانت خطة مكارثر تقضي المضي قدماً بدقة وفقاً للجدول المعدّ للإنزال في تشرين الأول أو تشرين الثاني. كانت حسابات استنزاف مكارثر واضحة: «سيُهزم» شعب اليابان في ثلاثة إلى خمسة شهور بعد الإنزال.

في آب 1945، كان أكثر من 500.000 جندي في مواقعهم آنذاك في أوكيناوا والجزر النائية الأخرى. وكان ستة ملايين جندي إضافي – بمَن فيهم «كتيبة إيزي (سهل)»، وكتيبة الهندسة الثانية والثمانين التي شاركت في غزو النورماندي، فير، وبولج – يتدرّبون منذ أيار على الهجوم النهائي. كانت حسابات مكارثر تتطلب من دار سكّ الولايات المتحدة إنتاج 400.000 ميدالية قلب قرمزي لمنحها إلى جرحى متوقعين، وورثة الموتى. (سُكّت الميداليات في الواقع، ومُنحت تلك القلوبُ القرمزية نفسُها من الحرب العالمية الثانية بدءاً من الحربين الكورية والفيتنامية وصولاً إلى حربي العراق وأفغانستان).

كانت كل تلك الأحداث ستقع قبل موعدها بستة إلى ثمانية شهور، لولا شرنقة الحماية التي غلّفت هتلر. كان الأسطول الأميركي سيغزو البر الرئيس الياباني بحلول أيار 1945، وربما في وقت مبكر من آذار،

Twitter: @alqareah

ولو أن ذلك حدث فعلاً، لكان هناك احتمال نسبته أكثر من 50 بالمئة أن تنتهي الحرب بحلول آب. ولو أن الإنزال حدث في آذار، لكان جدول مكارثر الزمني قد أنهى الحرب بحلول وقت اختبار أول قنبلة ذرّية في قاعدة ترينتي، في 16 تموز 1945. لم تكن حادثتا هيروشيما وناغازاكي لتقعا قطّ.

من أنقاض هيروشيما، وبالرغم من إجراءات الرقابة، تلمّست بعض الأعمال الأدبية طريقها إلى النشر. كان من بينها مذكرات د. ميشيهيكو هاشيا، التي نُشرت أول مرة في المجلة الطبية تيشين إيغاكو، ثم تُرجمت ونُقّحت بتوجيه من الطبيب الأميركي وارنر ويلز، الذي نشرها بعنوان مذكرات هيروشيما: يوميات طبيب ياباني، 6 آب – 30 أيلول 1945 (دورهام: مطبعة جامعة كاورلينا الشمالية، 1955). كتب كيجي ناكازاوا (الجنرال حافي القدمين) وثائق عدّة (مانغا) طويلة عن نجاته حين كان فتيًّا في هيروشيما واستطاع نشرها بعد وقت طويل من إلغاء قوانين الرقابة، في الثمانينيات. كان بين تلك الأعمال أنا رأيته (سان فرانسيسكو: إيدوكوميكس، 1982)؛ وقصة الجنرال حافي القدمين (سانيوشا، اليابان، 1984)؛ والجنرال حافي القدمين: بعد غد (فيلادلفيا: دار نيو سوسايتي، 1988)؛ وفيلم دي. في. دي الجنرال حافي القدمين (اليابان، 1992)، الذي أطلقته في أميركا ستوديوهات جين – يونن، ومتوافر عبر موقع Amazon.com.

وهب نوبو تيتسوتاني متحف هيروشيما دراجة ابنه الهوائية ذات العجلات الثلاث. ثم، في سن التاسعة والسبعين، بعد تقاعده من مهنته معلّماً في مدرسة ثانوية، بدأ يجري مقابلات مع ناجين آخرين من القنبلة الذرّية ويجمع أرشيفاً للمتحف، على أمل إبقاء قصصهم حيّة مع تناقص أعدادهم. مع توسيع الأرشيف، التقى السيد تيتسوتاني الممرضات اللواتي عملن مع مينامي (نانسي كانتويل) في مركز إغاثة

Twitter: @alqareah

د. فوجي، ورأى ثلاث خرزات مسبحة ذائبة تعود أصلاً إلى توشيهيكو ماتسودا. عام 1992، أنتج السيد تيتسوتاني فيلم حجارة مرمر فتى، وعام 1995 أشرف على نشر كتاب الأطفال درّاجة القصبة ذات العجلات الثلاث (نيويورك: وكر). نُشرت قصة ماسوجي آيبيوز عن السوسنة في مجموعة تحمل الاسم نفسه (نيويورك: مطابع غروف، 1985). ونُشرت قصائد شودا شينوي وساداكو كيريهارا في وميض أبيض، مطر أسود (مينابوليس: ميلكويد إيديشنز، 1995).

ربما كانت أشهر الكتب عن هيروشيما، إلى جانب هيروشيما لجون هيرسي، حكاية إليانور كوير القصيرة للأطفال واليافعين ساداكو وألف لقلق ورقي (نيويورك: بوتنام، 1999). لم يكن القصد من الحكاية القصيرة أن تكون تاريخاً واقعياً تفصيلياً، وقد استندت إلى موروث شفهي تطوّر بين الأطفال (وأبناء أطفالهم) الذين ارتادوا مدرسة ساداكو. حتى النصب التذكاري في متنزه سلام هيروشيما كانت أكثر توافقاً مع الموروث الشفهي لمدرسة ساداكو من التاريخ الحقيقي الذي وثّقته أسرة ساداكو وأطباؤها. يعرض التمثال على نحو بارز لقلقاً ورقياً ذهبياً (يبقى مطابقاً للقصة التي سردها آباء زملاء ساداكو، الذين وجّهوا عملية بناء النصب التذكاري)، لكن في الحقيقة لم يكن للقلق الورقي الذهبي وجود. وبالرغم من عدم توخي الدقة الواقعية، إلا أن حكاية كوير القصيرة تعدّ مقدمة جيدة لقصة ساداكو. للحصول على وثيقة تفصيلية عن الأحداث التي قادت إلى تشييد النصب التذكاري، انظر كتاب تاكايوكي إيشي، ألف لقلق ورقي: قصة ساداكو وتمثال سلام الأطفال (نيويورك: دار راندوم، 2001).

نشرت نانسي كانتويل (مينامي) النسخة الإنكليزية من مذكراتها عام 2006: حياة في ثلاثة أوطان (اليابان، كوريا، الولايات المتحدة)، بصفته كتاباً يُطبع بحسب الطلب. وهو متوفر من مطابع فينتج عبر Amazon.com. جمعت صديقاتها، بمَن فيهنّ نينكاي أوياما، وهيتوشي

Twitter: @alqareah

تاكاياما، والممرضات اللواتي اعتنين بتوشيهيكو ماتسودا «فتى المعجزة من هيروشيما» مقالاتِ ناجين وسجلاتهم في هيروشيما في الذاكرة واليوم: ميثاق سلام في العالم (آشفيل، أن. سي.: مطابع بالتيمور، 2000).

لم تكن نانسي كانتويل تعرف ذلك آنذاك، لكن في أثناء اقترابها من نفق لينكولن في صباح 11 أيلول 2001، اكتسبت تميّزاً تاريخياً باقترابها من ثاني منطقة دمار في حياتها في أثناء توجهها نحو مسقط رأس أول منطقة دمار لها: جزء من مانهاتن يدعى هيلز كيتشن.

بعد أسابيع، حين كان علماء يساعدون فوج إطفاء مدينة نيويورك على وضع بروتوكول للتعامل مع آثار «قنبلة قذرة» إرهابية (مصممة خصوصاً لنشر سيسيوم إشعاعي النشاط)، عرفوا أن عدّادات جايجر الجديدة والحسّاسة جداً التي قدّمتها الحكومة الاتحادية عديمة الفائدة؛ لأنها كانت تعمل بتأثير آثارٍ لا تُذكر من غاز الرادون في غرانيت مباني مانهاتن؛ بالإضافة إلى فضلة باقية من منشآت تخزين اليورانيوم في مشروع مانهاتن، الواقع بين ساحات الماشية ومسالخها في هيلز كيتشن.

في حزيران 1942، بعد ثلاث سنوات من قيام أينشتاين وزملائه بإعلام الرئيس روزفلت أن أميركا ربما تكون في سباق مع ألمانيا واليابان لتطوير قنبلة ذرّية، كانت محاولة ألمانيا إجراء تفاعل انشطاري يمكن السيطرة عليه تعتمد على تصميم قنبلة ذرّية وضعه وارنر هايزنبرغ، وعُدّت أكثر خطورة على مصمميها من أعدائهم. عندما ألقت قوات الاحتلال الأميركي القبض على د. هايزنبرغ عام 1945، أرسل علماء الجيش - الذين كانوا يخشون أن إنتاج قنبلة ذرّية ألمانية أمر وشيك - مذكرة إلى البيت الأبيض: «الطفل لم يولد بعد. الأم ليست حاملاً».

آنذاك، قبل ستة شهور من فشل المفاعل الألماني عام 1942، تحت

Twitter: @alqareah

ستاد كرة قدم مهجور في جامعة شيكاغو، كان فريق إنريكو فيرمي قد نجح في إجراء أول تفاعل نووي يمكن السيطرة عليه في العالم. سعيداً بمعاني مثل ذلك النجاح، خصص الرئيس روزفلت ملياري دولار من أموال الحكومة لتكرير موادّ انشطارية وإنتاجها. أصبح مشروع مانهاتن سرياً جداً، حتى إن نائب الرئيس ترومان، الذي أمر بإلقاء القنبلتين الذرّيتين، لم يعرف بوجوده إلا بعد أن تولّى منصبه (بأي حال، كان الروس قد تسللوا إلى المشروع منذ البداية تقريباً، وعرف ستالين بوجود القنبلة قبل ترومان).

في بداية عام 1943، بدأ الطريق إلى هيروشيما من مختبر لوس ألاموس إلى جامعة كولومبيا، إلى هيلز كيتشن. أرسل هارولد أوري من كولومبيا عقيداً في الجيش الأميركي (اسمه الحركي«دجاجة»)، مرتدياً ملابس مدنية عادية، إلى مدير مكتب شركة تعدين بلجيكية في مانهاتن يدعى إدغار سنجير.

كما ذكر سنجير للتاريخ: «أظهر العقيد أوراق اعتماده وسألني: هل أستطيع مساعدة الولايات المتحدة على الحصول على بعض فلز اليورانيوم من كونغو البلجيكية؟ كل ما استطاع كشفه هو أن ذلك مهم لقضية الحلفاء. سألته متى يودّ الحصول على الشحنة، فأجابني: الآن... لكن بالطبع سنسدّد في بضعة شهور من الآن. وهكذا أخبرته: يصادف أن لدي ألف طن من الفلز مخزّنة هنا في مدينة نيويورك».

وفقاً لسنجير، ظنّ العقيد أنه يمزح، لكن بعد رحلة إلى مخزن متداعٍ في أحد أحياء المدينة الفقيرة، منح سنجير العقيد فاتورة بيع، وحوّلَ المخزون برمّته إلى حكومة الولايات المتحدة.

كان إدغار سنجير رجلاً صلباً ومغامراً بكل المقاييس، عاش في الكونغو البلجيكية. وعام 1939، زار شخص معادٍ النازيةَ على معرفة بنيلز بوهر وإنريكو فيرمي سنجير في إفريقيا، وأخبره أن علماء هتلر يجرون اختبارات على انشطار اليورانيوم، لكنهم لا يمتلكون منه ما

Twitter: @alqareah

يكفي لصنع قنبلة ذرّية. خاف سنجير من غزوٍ ألماني للكونغو، فجرّد الأدغال من كل غرام بتشبلند (مادة داكنة لامعة) غني باليورانيوم استطاع العثور عليه. بعد سنة كان قد حمّل البتشبلند على متن سفينة ورافق الحمولة إلى نيويورك. ثم اتصل سنجير بهارولد أوري في جامعة كولومبيا وأبلغه أنه قد أخفى كمية كبيرة من فلزٍ غني باليورانيوم عن النازيين. لم يتخيل سواء أكان العقيد أم العالم (الذي عمل في ما بعد على الفصل الكيميائي لليورانيوم - 235 عن الفلز) قط أن ألف طن من المادة - تكفي لتدمير مدن عدّة - تستقر آنذاك في براميل فولاذية على أرض مخزن آيل للسقوط، موجود بين المسالخ وأسواق اللحم في هيلز كيتشن. أصبح ذلك المصدر السري لكل اليورانيوم الذي ذهب إلى قنبلة هيروشيما. استُخدمت معظم الكمية الباقية في المفاعل الذي أنتج بلوتونيوم قنبلة ناغازاكي.

وهكذا، في 6 آب 1945، قاد تشارلز سويني الطائرة العلمية التي وثّقت إيصال يورانيوم سنجير إلى هيروشيما. قاد بعد ثلاثة أيام الطائرة الرئيسة التي ألقت البلوتونيوم المكرّر المخصّب فوق ناغازاكي.

في مذكراته، نهاية حرب: سجل شاهد عيان عن آخر مهمة ذرّية أميركية (نيويورك: آفون - مورو، 1997)، تقيّد تشارلز سويني بالعرف السائد أن يمتنع الطيارون والعاملون في الغواصات (باستثناء الأوضاع الخطرة جداً) عن ذكر اسم طيار آخر علناً، حتى إذا كان الخلاف أو العداوة الظاهرة تسيطر على العلاقة. لن يخمّن أي شخص يقرأ كتاب سويني أن صدعاً عميقاً قد تطوّر بينه وبين قائد إينولا غاي، بول تيبتس. كان قد امتدح استراتيجيات تيبتس الحسابية، التي تطوّرت إلى مناورات أنقذت حياتهم.

كانت الفجوة بين الطيارين واسعة، واستمرّت في مجموعة القيادة 509 وقتاً أطول من عمرهما، بوصفها موضوع خلاف حاد. بدا أنه حتى بين أفراد الرحلتين اللتين ألقتا القنبلتين الذرّيتين، قد نشأت تصدّعات د.

Twitter: @alqareah

ناغي واتّسعت، بطريقة لم يكن يبدو أنها ممكنة بين أفراد فرق اشتركت في قصف كوبي، وأوساكا، وطوكيو.

في 22 كانون الأول 2009، لبّى جيمس كاميرون ومجموعة صغيرة من الأصدقاء دعوة تسوتومو ياماغوشي لزيارته في سرير مرضه، في مستشفى في ناغازاكي.

قال كاميرون: «عندما استلمت الرسالة، لم يكن لدي خيار إلا المجيء إلى هنا ولقاؤك. وأودّ أن أقبل تحدّيك باستخدام قدراتي بصفتي صانع أفلام لجعل العالم يتذكّر». شرح أنه يظن أن ياماغوشي قد تعرّض لكلتا القنبلتين الذرّيتين لسبب وجيه، مما يجعله «صلة مهمة في سلسلة الذاكرة البشرية».

تحدّث ياماغوشي عن المشهد الأخير في فيلم جيمس كاميرون، تيتانيك، عن الذهول والروحانية فيه. قال: «أظن أنني والسيد كاميرون مرتبطان في مكان ما روحياً». ثم مرّر لصانع الأفلام لوحة كان قد رسمها بنفسه، تصوّر تنيناً متألماً ويائساً.

أخبرت يوشيكو ابنة ياماغوشي المخرجَ كيف أبصرت لوحته الأكثر تميزاً النور. شرحت أنه عندما توفي شقيقها، الذي تعرّض للقنبلة، يافعاً أصيب والدها باكتئاب شديد. قالت يوشيكو: «لكنني أخبرته أنني وشقيقتي الأصغر لا نزال حيتين، وطلبت منه أن يتحسّن». كانت لوحة التنين جزءاً من التعافي - أول لوحات السيد ياماغوشي، التي رسمها بسرعة وفي جلسة واحدة - ومكرّسة لمهمة الاستمرار في حماية أسرته. كانت وفقاً ليوشيكو «لوحة لتقوية نفسه والعودة إلى الدرب الصحيح».

أضاف السيد ياماغوشي: «إنها الوحيدة في العالم».

قالت يوشيكو: «ثمّة شيء روحاني جداً بشأنها وأظن أن جزءاً من والدي فيها. يجب أن تمنحكم طاقة إيجابية أيضاً».

ضمّن لوحة أخرى رسالة تعافي مختلفة: تصوّر لوحته الأحدث

Twitter: @alqareah

شلالاً محاطاً بيراعات. سمّاها «المصدر»، وكانت بين آخر اللوحات التي رسمها السيد ياماغوشي على الإطلاق، والتي أرفق بها رسالة. كان ياماغوشي قد رسمها مع شعار يبرز من اضطراب رهيب يرمز إلى السكينة وعيش حياة كاملة، مهما يكن الوقت المتبقي للمرء.

حمل كاميرون لوحة التنين وقطع وعداً أن يزور مركز انفجار يوراكامي. استدارت يوشيكو نحوه وقالت: «أراد والدي أن يعرف كيف تنظر إلى حقيقة أنه قد تعرّض للإشعاع مرتين، وإن كان هناك أي معنى من ذلك؟».

قال كاميرون لاحقاً إنه قد تأثر كثيراً، حتى لم يعد في مقدوره أن يتكلم، بعزم ياماغوشي البقاء حياً كل الوقت بعد نجاته على ذلك النحو المدهش لنقل رسالة إلى جيل، وجيلين تاليين، بقدر ما يستطيع وأطول ما يمكنه. وفي تلك الغرفة، قبل أن يطلب منهما ياماغوشي أن يمسك كلٌّ منهما يدَ الآخر للتضرّع، تذكّر صانع الأفلام أنه شعر بمياه التاريخ تغمر تجربته.

بعد لحظة تفكير صمت طويلة، أجاب كاميرون عن السؤال: «كان استخدام أسلحة نووية على بشر أمراً لا سابق له. ولأنك كنت هناك لتشاهد ما جرى في كلا المكانين، فقد رُشحت لتكون متحدّثاً عن حاجة البشر إلى فهم أن عليهم عدم فعل ذلك مجدداً لأي سبب».

قال ياماغوشي: «أظن ذلك أيضاً. أظن أنني قمت بواجبي».

«نعم، لقد قمت بواجبك».

ثم وفاءً لوعده، زار كاميرون مسلّة الغرانيت الأسود التي تشير إلى مكان الانفجار، على ارتفاع نحو 500 متر في الهواء. عرف أن شجرة في تلك البقعة، ليست بعيدة جداً عن النفق العميق الذي نجت يوسي ماتسو فيه، كانت لا تزال قائمة في اليوم التالي، بالرغم من احتراقها إلى لبّها تقريباً وتحطّمها كأنها غرقت. كانت مدينة جديدة كاملة وصفوف جديدة من الأشجار قد ارتفعت من الرماد، وأخفت كلها تلك البقعة

Twitter: @alqareah

الداكنة. وجد كاميرون شيئاً حلواً ومراً في الوقت نفسه في ذلك؛ لأن الناس أعادوا البناء ومضوا قدماً في حياتهم، لكن كان مطلوباً منهم أيضاً أن ينسوا؛ كي يعيشوا.

أخبر أصدقاءه: «لكن من المهم ألاّ ننسى. لهذا، فإن الأمر منوط بنا. لندع شعب ناغازاكي يمضي قدماً ويستمتع بحياته. يجب على باقي العالم أن يحاول ويتذكرهم».

مثل الزيارة إلى تسوتومو ياماغوشي، كان مستحيلاً وصف الموقع بكلمتين؛ مكان مثل هذا. في نظر كاميرون، لم يكن هناك إلا مكان واحد آخر في العالم، مركز انفجار هيروشيما، يتمتع بمثل تلك القوة التي تغمر الروح، والتي يمكن أن تغمر المرء بشعور الأمل.

هل يبدو منطقياً أن يأمل المرء أن يمتلك عددٌ كافٍ من البشر القدرةَ على فهم بعضهم بعضاً ويجدوا طريقة لتفادي نوع من النزاعات لا يمكن حلّه إلا بذلك النوع من الأسلحة؟ هل يبدو مثل ذلك الأمل منطقياً على الإطلاق؟ خطر لكاميرون أنه قد عاش وقتاً طويلاً ليرى عدد سكان الأرض يصل إلى أكثر من الضعف. كان هناك 3 مليارات نسمة على الأقل لم يفكّروا على الأرجح في ما حدث هناك؛ وإذا لم يحملوه في قلوبهم، فلن يتخذوا الخطوات الضرورية لمنع وقوعه مجدداً.

تذكَّر مراسم مؤثرة جداً قرب قبّة هيروشيما الذرّية، حيث أضاء آلاف الأشخاص شموعاً وأطلقوا فوانيس عائمة على الماء حتى أصبح نهراً من ضوء، وكل فانوس يمثّل شخصاً مفقوداً. كانت إحدى أقوى ذكريات كاميرون عن تلك المراسم أنه بدا الشخص غير الياباني الوحيد الحاضر في يوم هيروشيما.

قال في نفسه: كان يجب أن يكون هناك أشخاص من كل أنحاء العالم.

قال كاميرون، بعد أن وضع وروداً قرب قاعدة مسلّة يوراكامي الغرانيتية: «نتجاهل التاريخ فنعرّض أنفسنا للخطر. لهذا، قال

Twitter: @alqareah

ياماغوشي – سان شيئاً مثيراً جداً للاهتمام عندما أمسك أيدينا: لقد قمت بواجبي. قام بواجبه في عمر الثالثة والتسعين. لقد نقل عصا القيادة. لهذا، فإن الأمر منوط بنا الآن لفعل شيء بهذا الشأن، ويجب على كل من يتمتع بوعي جيد أن يفعل شيئاً من أجل ذلك».

في كانون الثاني 2010، أذعن تسوتومو ياماغوشي لما بدا أنه مصير معظم هيباكوشا: معركة طويلة مع السرطان. عاش سنوات مع نوع من سرطان المعدة كان دائماً يقتل صاحبه بعد ستة شهور من اكتشافه، وقبل وقت طويل من السرطان لم تستطع ابنته يوشيكو أن تتذكّره، كان شعره يسقط كل صيف وتبدو الندوب أسوأ مؤقتاً، ويصاب مرتين أو ثلاثاً كل شتاء بزكام شائع بسيط يتطوّر إلى ذات الرئة.

في إحدى ضواحي ناغازاكي، تأثرت ساكو بنت كنشي هيراتا، التي عملت لمنظمة أخبار تلفازية، ودُهشت بقصة هيباكوشا مرتين الذي كان قد عاش قربها. لم تكن تعرف، آنذاك، أن ناجياً آخر من كلتا القنبلتين الذرّيتين عاش في مكان أقرب إليها، وأنه والدها.

في 25 شباط 2010، عثر هايدتاكا إينازوكا وهايدو ناكامورا (اللذان أصبحا صديقين لتسوتومو ياماغوشي وحضرا اجتماعه مع جيمس كاميرون) على ساكو، وكشفا لها بهدوء من كان والدها.

تبين أن «من كان» لم يكن تعبيراً صحيحاً. كان كنشي هيراتا لا يزال حياً. كان في الحادية والتسعين من عمره، لكن مثل العديد من الناجين، لم يكن يرغب أن يتذكّر. حتى أولئك الذين تكلموا عن الأمر، كما فعل ياماغوشي، فعلوا ذلك بصعوبة كبيرة. لم يكن كنشي يريد أن يتكلم عن ستسوكو على وجه الخصوص.

كان مؤرخ ناغازاكي توموكو ماكاوا – الذي كان يفعل كل ما يستطيعه البشر لتوثيق قصص الناجين وأرشفتها قبل أن يختفي جيلهم تماماً – قد تطوّع لأداء واحدة من أكثر المهام صعوبة في العالم. فهمت

Twitter: @alqareah

لماذا تمنّى كنشي هيراتا، مثل آخرين كُثر، أن لا يتذكّر.

شرح المؤرخ: «عندما أصغي إلى قصص الناجين، أفهم أنها صعبة جداً عليهم - تذكّر تجارهم وسردها محزنٌ جداً؛ كأنهم ينزفون من قلوبهم عندما يتكلمون عنها. لا أظن أن بمقدوري أن أتكلم عنها كما فعلوا لو أنني اختبرت الشيء نفسه».

بدأ هايدو ناكامورا يصدّق أن خسارة ستسوكو كانت مؤلمة جداً لكنشي، حتى إنه دفنها عميقاً في لاوعيه. طوال معظم حياتهما، كانت ساكو وشقيقها الأصغر بعيدين تماماً عن الماضي ولا يعرفان أن والدتهما كانت زوجة كنشي الثانية، بالرغم من أنها كانت تقوم بزيارات كل سنة إلى معبد بوذي في ناغازاكي؛ لتكريم امرأة تدعى ستسوكو.

عرفت ساكو باقي القصة على مراحل، بمرور سنين عديدة.

ولدت ساكو عام 1947، بعد سنتين على انتهاء الحرب. تخرّجت من الجامعة، وكانت تعمل في شركة بث ناغازاكي حين عرفت، بمحض المصادفة، أنها ابنة زواج والدها الثاني. لم تستطع، بصفتها سيدة يابانية في ذلك الوقت وهي في حيرة من أمرها، أن تسأل ببساطة والدها عمّا حدث. بدلاً من ذلك، سألت والدتها، التي شرحت لها أول مرة عن الزواج الثاني، وعن زوجة والدها الأولى، التي توفيت في هيروشيما. لم تذكر والدة ساكو «هيباكوشا مرتين»، ولم تعرف ذلك قبل أن يذكره هايدتاكا إنازوكا عام 2010.

ما كانت ساكو قد عرفته حتى ذلك الوقت هو أن حب حياة كنشي هيراتا الثاني الصادق (والدتها) كان في الواقع حبّه الأول؛ وأن حبّه الأول (ستسوكو) كان في الحقيقة الثاني. في سن الثالثة والعشرين، أُرسل والد ساكو إلى ساحات المعارك، في الوقت الذي دخلت فيه اليابان في حرب مع أميركا. عاد مرهقاً يعاني سوءَ تغذية ومريضاً، وأُسند إليه لهذا السبب عمل مكتبي.

كان كنشي، كما تبين لاحقاً، يعرف والدة ساكو من الوقت الذي

كانا فيه صغيرين، وقد ترعرعا معاً كحبيبي طفولة. عام 1943، تقدم كنشي من جدّ ساكو بطلب يد حفيدته للزواج. لم يكن أحد يعرف على وجه التحديد لماذا رفض الأب ذلك الزواج، لكن في الجو المفعم بالروح العسكرية في تلك الأيام، كان رجال يقاتلون ويموتون في المحيط الهادئ يكسبون شرفاً كبيراً، في حين كان يُنظر إلى رجل يجلس بأمان في وطنه خلف مكتب نظرة ازدراء، حتى إذا كان العمل المكتبي مصحوباً بجروح الهادئ.

شعر كنشي هيراتا بالحب مرة ثانية بعد سنتين، وتزوج ستسوكو وأحضرها من ناغازاكي إلى هيروشيما.

بعد أكثر من سنة على فقدان كنشي ستسوكو وخسارة اليابان الحرب، غيّر جدّ ساكو رأيه وسمح لكنشي بالزواج بوالدتها. أخبرت ساكو هايدتاكا إنازوكا أن كنشي اعترف لوالدتها بكل ما كان قد حدث معه، وأيضاً قصّته مع ستسوكو، وكيف نبش عظامها ووضعها في قبر يزوره باستمرار.

كانت والدة ساكو قد سردت القصة بطريقة تدل على أن كنشي كان بحاجة إلى أن «يعترف» بها، تعبيراً عن عارٍ ما بداخله. لكن حبّه الأول لم تحمّله أي لوم على الإطلاق؛ لأنه أحبّ ستسوكو، أو خسارتها أمام مصير بدا أنه خارج سيطرة كل البشر. شرحت والدة ساكو أنها قد قبلت منذ وقت طويل كل تلك الأحداث. وبالفعل، خطر لها أنه لو كان والدها قد سمح لها أن تصبح زوجة كنشي الأولى، لكان القدر قد عاملها بطريقة مختلفة. أخذت تعدّ ستسوكو أختاً لها تقريباً؛ المرأة اللطيفة طيبة القلب التي ذهبت إلى هيروشيما وتوفيت مكانها. بقيت تزور قبر ستسوكو لتكريمها، إلى أن تدخّل المرض.

لم يكن كنشي نفسه يتكلم عن ذلك الموضوع في سن الحادية والتسعين. بدا مصمماً على تزويد مؤرخي المستقبل بباقة صغيرة فقط من كلمات مأساوية يبقى معناها موضوعاً للنقاش لكنها تستعصي على

Twitter: @alqareah

الفهم إلى الأبد.

كان كنشي هيراتا يظن أن «كونه ناجياً مرتين يعدّ خزياً وعاراً».

هل كان يتكلم عن ذنب الناجي: أنه كان محمياً من القنبلة الذرّية مرتين في حين أن زوجته وأكثر من 200.000 شخص آخرين توفوا حوله؟ هل كان عاره وصمة منبوذ تعرّض للإشعاع؟ أم كان مزيجاً من كلا هذين الأمرين أو أحدهما وشيئاً آخر؟

كما تمنّى كنشي هيراتا، لن يعرف أحد ذلك أبداً.

لا أحد حقاً.

Twitter: @alqareah

نبذة عن المؤلف

شارك تشارلز بلغرينو في تأليف قبر أسرة يسوع [عليه السلام] الأفضل بيعاً. ألّف تسعة عشر كتاباً، بما فيها الأفضل بيعاً بحسب نيويورك تايمز تيتانيك، وأشباح التيتانيك، وهما الكتابان اللذان استخدمهما جيمس كاميرون مصدراً لفيلمه الشهير تيتانيك وفيلمه بالأبعاد الثلاثية أشباح جهنّم. يحمل بلغرينو دكتوراه في علم الأحياء، وقد صمم أنظمة دفع نووية لرحلات الفضاء، وقدم إسهامات عديدة إلى مجلات علمية، بما فيها ساينس وسميثسونيان. يشتهر على الأرجح بأنه العَالم الذي أصبحت «صيغته لشكل الديناصورات» الأساس العلمي لسلسلة الحديقة الجوراسية.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

يبقى الجدال المتعلق بضرورة إلقاء القنبلتين النوويتين فوق هيروشيما وناغازاكي خاصاً بزمان آخر وأشخاص آخرين.

هذه ببساطة قصة ما حدث للبشر والحجر تحت القنبلتين، وقد كتبتها على أمل ألا يموت أحد قطّ بهذه الطريقة مجدداً.

مع اقترابنا من شفا هاوية الانتشار النووي المنفلت من أي ضوابط حتى الإرهاب النووي، يجب أن نتذكر أن هيروشيما وناغازاكي تمثّلان قوة الأسلحة الأشد فتكاً التي سنراها في حياتنا على الأرجح. ربما يكون الأمل بعدم تكرار ما حدث سابقاً ضئيلاً فعلاً، لكنني لم أعرف قطّ أن الأمل على عجلة من أمره.

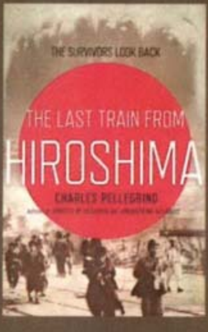

ISBN 978-614-01-0185-2
9 786140 101852

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف